جامع تراث العلامة الألباني
في المنهج والأحداث الكبرى

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ الموافق٢٠١١م

مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة

المركز الرئيس: اليمن – صنعاء

ت: ٠٠٩٦٧-٧٣٣٧٠٢٧٩٢

ص. ب: صنعاء (٤١٧٣)

البريد الإلكتروني: Shady_noaman@hotmail.com

مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية
وتحقيق التراث والترجمة

موسوعة العلامة الألباني
(٢)

جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحراث الكبرى

صنعة
د.شادي بن محمد بن سالم آل نعمان

(المجلد الثاني)

[التسمي بالسلفية -الأزمة والحل -تهم وشبهات -حكم تعدد الجماعات]

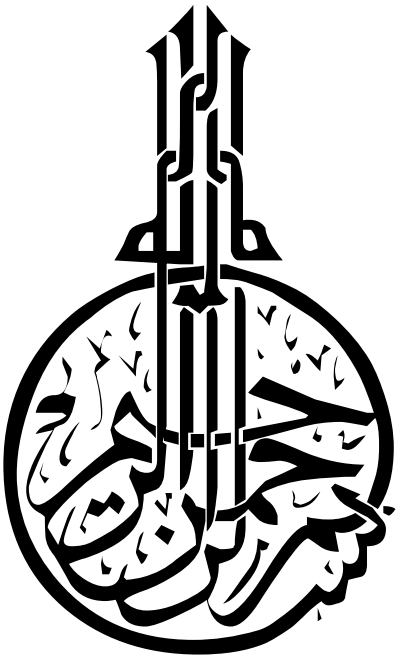

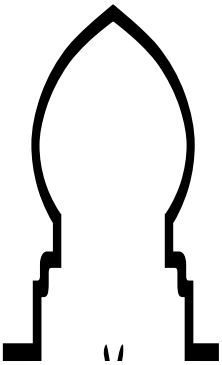

١

هل نستطيع أن نستغني عن التسمي بالسلفية ونتسمى بأهل السنة والجماعة؟

مداخلة: هناك الآن من أصبح يقول أيضاً شيئاً جديداً غير كلمة المسلمين، يقول الآن نقول أهل السنة والجماعة، فهل يرد عليهم البحث السابق؟

الشيخ: قد أوردناه على الدكتور ناصر العمر، قد أوردنا عليه هذا الاعتراض، قلت له السنة والجماعة كلمة مطاطة يدخل فيها الماتريدية والأشاعرة وأهل الحديث، وأنتم تقولون بأن هؤلاء عندهم انحراف في العقيدة فيما يتعلق بالصفات الإلهية، فلذلك لا يجوز في رأينا استعمال هذه الكلمة.. نفس الكلام الذي حكيناه هنا آنفاً مع شيء من الإيجاز هناك، لكننا وأنا لاحظت هذا الاستعمال في أكثر من موطن من كتب إخواننا هؤلاء، وخاصة في مجلة السنة التي ينشرها محمد سرور وشعرت بأن هناك إشعاراً بتمييع الدعوة السلفية القائمة على أساس الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وإدخال كل الطوائف المسلمة على الأقل من المذاهب الأربعة في دائرة أهل السنة والجماعة، فقلنا لهم لا، هذه الكلمة يدخل فيها من يخالفنا في عقيدتنا السلفية، فنفس الكلام الذي سمعته وسجل آنفاً يرد على هذه الكلمة، أي: لا يكفي أن نقول مسلم، لا يكفي أن نقول مسلم على الكتاب والسنة، لا يكفي أن يكون مسلماً على منهج أهل السنة والجماعة، لا يكفي هذا؛ لأنه كما يقولون:

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

وأذكر جيداً أنني قلت في بعض المجالس ولعل منها مجلسي مع الأستاذ عبد الحليم المصري الذي سبق الإشارة إلى مناقشتي إياه، قلت لذلك لا تجد في كل الطوائف الموجودة حتى ممن ينتمون إلى أهل السنة والجماعة يجرؤون على أن يقولون أنا سلفي، بل أن يقولوا على منهج السلف الصالح،يأبون علينا هذا، يقولون كتاب وسنة؛ لأنهم أنا أعتقد هذه العقيدة ولعله لأول مرة أفصح بها، كما أنه لا يكفي الاعتماد على القرآن؛ لأن السنة مبينة للقرآن، كذلك لا يكفي في آخر الزمان أن نعتمد على الكتاب والسنة؛ لأنهم منهج السلف يبين الكتاب والسنة أيضاً.

(الهدى والنور/٦٠٩/ ٣٥ : ١٨ : ٠٠)

التسمي بالسلفية

مداخلة: شيخنا: الأستاذ مازن قال كلمة: لا يرى تسمية الأخوة والجماعات بالسلفية أو الصوفية أو إلى آخره، فيعني أبى كلمة سلفية، فقلنا هذه بدها موضوع طويل لكن..

الشيخ: هي بدها محاضرة.

مداخلة: ... صحيح بس مختصرة.

الشيخ: وهو كمان بيقول: مو هيك بالضبط، فخلينا نسمع منه.

الملقي: هو الحقيقة، مع أنه معذرة أنا مستعجل يعني بس بقعد ... أطول فترة ممكنة، لكن حقيقة هو القصد في الموضوع كان إيش هو جاء عرضاً قضية أن يقال على فلان إنه سلفي أو أخ مسلم أو تحريري أو صوفي هذا هو الذي أنا اعترضت عليه، قل: قال أحد الأخوة عند نص كذا، قلت له: يا سيدي أنا مش شيخ، أنا رجل -إن شاء الله- طالب علم، وأنا رجل مسلم -إن شاء الله-؛ لأنه النبي -ﷺ- قال؛ لأنه رب العالمين قال: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة:١٣٨].

الشيخ: نعم.

الملقي: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨]، فإحنا -إن شاء الله- إحنا مسلمين، ومش بالضرورة إحنا نُسَمِّ نفسنا بسمة معينة ضيقة وإنه إحنا

مسلمين ونسأل الله القبول.

الشيخ: ما بيمشي الحال يا أستاذ.

الملقي: نعم.

الشيخ: ما بيمشي الحال. هذا الكلام سمعناه لا بد بقى أنته عند علم بواحد اسمه عبد الحليم صاحب كتاب: تحرير المرأة.

الملقي: نعم، عبد الحليم أبو شقة.

الشيخ: أبو شقة، صاحب ثلاث مجلدات.

الشيخ: هذا تلميذنا أولاً، هو كان من الذين هربوا من ظلم عبد الناصر إلى سوريا، وحضر دروسنا وأخذ مبادئ سلفية لا بأس بها، لكن بعدين فرقت الدنيا بيننا وبينه وأنا في دمشق سافر إلى الكويت، وفتح هناك مكتبة نشر. أظن اسمها: دار القلم.

الملقي: نعم.

الشيخ: المهم ففوجئت بأنه أرسل إلي ثلاثة أجزاء من هذا الكتاب، وأنا باعتبار زمن المعرفة به أولاً بعيد، ثانياً لا أحفظ الأسماء كما ينبغي، مين هذا المؤلف، ما تذكرته، وإذا بيجيني خطاب منه، أو هاتف، بيقول: أنا أريد أن أزورك لآخذ رأيك في الكتاب الذي أرسلته إليك. أيّ كتاب؟ بيسميه، هو أنت عبد الحليم؟ قال: نعم، أهلاً وسهلاً، إلى آخره، أطول فيه.... وانته مستعجل، جاء وجلس عندي أسبوعاً كاملاً، وتبين له أن كتابه قائم على غير منهج علمي، ويظهر لك هذا أنه عَدَّل كثيراً من آرائه، ثم من آخر ذلك أنه رجل قدم منحة لطالب يعمل على حسابه عندي ليتعلم العلم الحديثي، وما كان هذا إلا أثر

المناقشات التي جرت بيني وبينه. الشاهد أنا فهمت يعني فوتوغرافيته فلما ذكر لما سألته إذا قيل لك ما مذهبك؟ قال: مسلم، قلت له: يكفي هذا؟ قال نعم، هيك الله سمانا بالمسلمين في الآية الكريمة، قلت له: يا أخي هذا جواب سليم لو كنا في العهد الأول، قبل انتشار هذه الفرق، فالآن لو سألنا أي مسلم من الفرق الأخرى التي نختلف معها بعضها جذرياً في العقيدة، وبعضها دون ذلك، لو سألنا أي فرد من هؤلاء شو مذهبك، ما رح يختلف جوابه عن جوابك انته، كل واحد سيقول أنا مسلم، طيب، فإذاً أنا أريد أن أعرف أنت مسلم ويمكن الدرزي كمان عندنا في سوريا لو سألناه بيقول: أنا مسلم، العلوي بيقول: أنا مسلم فضلاً عن الرافضي، فضلاً عن الشيعي، فضلاً عن الزيدي، كل هؤلاء يقولون: مسلم، إذاً هذا ما يكفي يا أخي اليوم، قال اقتنع بهذا، قال: إذاً أنا بقول أنا مسلم على الكتاب والسنة، قلت له: -أيضاً- هذا لا يكفي، قال: لم؟ قلت: هل تجد واحداً من هؤلاء الذين ضربنا بهم مثلاً آنفاً أنهم كلهم بيقولوا: مسلم، إذا سألناه شو مذهبك؟ بيقول: مسلم، بيقول: أنا مسلم لست على الكتاب والسنة، لا بد ما يقول على الكتاب والسنة، ما يكفي هذا يا أستاذ، قال: إذاً، قلت، ودخلت معه في بحث طويل لبيان أهمية الضميمة هذه، ولعلك سمعت شريطاً أو أكثر أننا نتبنى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، صح.

الملقي: سمعت ...

الشيخ: آه جميل جداً، فشو رأيك انته، يكفي الإنسان اليوم المسلم العالم باللغة وأساليبها وآدابها وو إلى آخره أن يفهم الكتاب والسنة فقط دون الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح الذين باشروا تطبيق هذين الأصلين عملياً، وتلقوه من الرسول -عليه السلام- مطبقاً، قال: ما يكفي إلا على منهج السلف

الصالح، جميل جداً، الآن سألناك أول سؤال: ما مذهبك؟ قلت: مسلم، ما مشي. الحال، سألناك سؤال قلت: مسلم على الكتاب والسنة، ما مشي. الحال، سألناك ثالثاً؛ إذاً مسلم على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، كل ما واحد بده يسألك سؤال بدك تعمل له محاضرة في الجواب، قلت له: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، شو رأيك نختصرها لغة إنته أعلم مني في اللغة.

مداخلة: ...

الشيخ: لا عفواً أنا أنا بحكي معه مو معك، انته يمكن يجي دورك، خبر حالك، ههههه

مداخلة: ههه

الشيخ: فالمهم انته أعلم مني باللغة؛ لماذا؟ لأني ألباني، والعرق دساس، ولو أنه تعربت.

مداخلة: انته البركة

الشيخ: المهم، إذا أردنا نعبر عن مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح بكلمة سلفي، شو رأيك؟

الملقي: صحيح، أنا بوقف ... إلى جانبك وبقولك: آه، لكن، باعتقادي الأولانية أفضل، لأن أول ما ينصرف ذهن الإنسان كلمة سلفي إلى أشياء كثيرة، قد يَسُر بعضها، وفي بعضها قد لا يَسُر، من بعض الممارسات إنه، يعني لا يخفاك..

الشيخ: هاه.

الملقي: بعض الممارسات اللي هي فيها نوع من الشدة وأحياناً قد تصل إلى الغلظة.

الشيخ: احفظ كلامك، وإذا قلت مسلم، ما بينصرف شيعي رافضي- درزي علوي إسماعيلي إلى آخره.

الملقي: من الممكن أن يصرف.

الشيخ: طيب.

الملقي: لكن أنا يعني أنا -إن شاء الله- بكون اتبعت الآية الكريمة: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨].

الشيخ: لا اسمح لي لا لا، لا لا أخي ما اتبعت الآية؛ لأنه الآية تعني مسلم بالمسلم الصحيح، ما اتبعت الآية؛ لأنه انته بتعرف أنه من القواعد الإسلامية أن تُكَلِّم الناس على قدر عقولهم، صح. فالآن انته لما بتقول أنا مسلم، من الذي يفهم منك هذه المحاضرة اللي عملناها على هذا التسلسل، من الذي يفهم إنه مسلم بالمعنى الصحيح، لا أحد يفهم منك هذا إطلاقاً، ولذلك فالمحاذير التي أنت ذكرتها آنفاً وقد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة؛ لأنه قولك إنه بالله في عندهن شدة قد يكون هذا أولاً بالنسبة لبعض الأفراد وليس كمنهج علمي.

الملقي: لا مش منهج علمي.

الشيخ: كمنهج عقدي. إذاً دعك والأفراد نحن عم نتكلم عن المناهج فلما بنقول شيعي، ما بنقول والله متشدد ولا متسامح ولا متساهل، على كل الفرق الأخرى مش هذا موضوعنا، موضوعنا أن نضع اسم عَلَم يُعَبِّر عن مذهب هذا الإنسان الذي يدين الله به، أما والله متساهل متشدد، أنا.... مسلم أليس الصحابة

كلهم مسلمين، طبعاً الجواب، لكن كان فيهم من سرق كان فيهم من زنى، لكن هل هذا يسوغ له أن يقول: أنا لست مسلم، لا هو مسلم ومؤمن بالله ورسوله كمنهج، لكن قد يخالف منهجه أحياناً ما فينا معصوم، فنحن -بارك الله فيك- نتكلم الآن عن كلمة تُعَبِّر عن عقيدتنا وعن فكرنا ومنطلقنا في حياتنا فيما يتعلق بشوؤن ديننا الذي نعبد الله به، أما والله فلان متشدد، فقد يقابل متشدد بآخر بالتعبير السوري، ما أدري ماذا تقولون أنتم: مشلط.

مداخلة: عندنا نفسها.

الشيخ: كمان عندكم العبارة نفسها هه، يقابل متساهل مَشلط، لكن هذا مذهب، لا هذا تصرف شخص أو أشخاص أو أو إلى آخره، لذلك -بارك الله فيك- وأنت مستعجل وأنا مستعجل معك من أجلك، أنا مستعجل معك من أجلك.

الملقي: الله يجزيك الخير.

الشيخ: لكن أريد أن تفكر في هذه الكلمة الموجزة حتى ما تظل متعصب لكلمة مسلم وأنت تعلم أنه لا أحد يفهم منك الذي تريده، لا أحد يفهم منك الذي تريده أبداً، فإذاً كلم الناس بقدر عقولهم، هلا انته عايش مع هادونه هالخنازير هدونه اليهود ورضي الله عن السيدة عائشة لما دخل ذلك اليهود قال: السام عليك يا رسول الله، قلت: وعليك السام والغضب إخوة القردة والخنازير، هادونه اللي انته ابتليت بالحياة بينهم وفي أرضك هاه، هادونه إذا قلت لهم وهنه ما يعرفون عنك شيء: أنا مسلم؛ عرفوك من أنت، فإذاً عرِّف الناس كلِّم الناس بقدر عقولهم، هذا أولى، أما نتمسك أنا والله مسلم معنى مسلم في العهد الأول غير معنى مسلم اليوم تماماً، انته بتعرف في مسلمين يسمون اليوم بالقرآنيين،

صح؟

الملقي: ينكرون السنة.

الشيخ: ينكرون السنة، طيب هذا بيقول لك: مسلم، وانته تشترك معه في القول مسلم؛ إذاً تريد أن أفهمك أنك قرآني، ما تريد هذا، إذاً أفهمني ما أنت، قل لي: سلفي، وبارك الله لك في سلفيتك. وهاه وأهلاً وسهلاً.

الملقي: الله يجزيك الخير.

الشيخ: وإياك -إن شاء الله-.

(الهدى والنور /٦٧٥/ ٠٤: ٣٢: ٠٠)

أيهما أولى استعمالا: لفظ أهل السنة أم لفظ السلف...

مداخلة: أيهما أولى بالاستعمال دائماً لفظ أهل السنة أم لفظ السلف.

الشيخ: السلف.

مداخلة: طيب هنا البعض يقول إن لفظ السلف ما جاء لفظه إلا متأخر يعني هم يقيسوا بأنه متأخر من عهد ابن تيمية وجاي، أما اللفظ اللي دارج استعماله من قِدَم لفظ أهل السنة والجماعة.

الشيخ: متى تاريخه هذا.

مداخلة: والله ما.

الشيخ: وقف حمار الشيخ عند العقبة.

مداخلة: ههههه.

مداخلة: والله أنا سألت عن الأولى متى تاريخ لفظ السلف، فقالوا ما يعرف إلا من زمان ابن تيمية.

الشيخ: إيه، أنت تحيَّزت مع أولئك على هؤلاء، لمِ َلم تسأل أيضاً، كما سألت عن هذه؟

مداخلة: فاتني يا شيخ.

مداخلة: هههههه.

الشيخ: ههه.

مداخلة: بس بيصير تجاوبني يعني ....

الشيخ: أقول لك: علمي والله أعلم بطبيعة الحال أن كلاً من الاستعمالين حادث.

مداخلة: حادث؟

الشيخ: هاه، ولكن هذا الحدوث ليس له علاقة بالإحداث، أي ليس له علاقة بالبدعة، وإنما علاقته بالعرف، فكلمة أهل السنة والجماعة كانت ولا تزال تعني طوائف من الناس، أما لفظة السلف والسلفي أو السلفيين فإنما تعني طائفة من الناس إلى هنا مفهوم الكلام.

مداخلة: جداً.

الشيخ: طيب، ولا شك أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هي فرقة أو طائفة واحدة، أما أهل السنة في اصطلاح الذين يستعملون هذه اللفظة فهي طوائف وجماعات عديدة، وأول ما يتبادر عند الذين يستعملون هذه الكلمة إلى ما قبل العهد الحاضر الآن إنما هم الأشاعرة والماتريدية، هم أهل السنة والجماعة، فإذا قرأتم في كتب العقائد التي تعرف بعلم الكلام مثل مثلاً الجوهرة وشروحها وحواشيها ونحو ذلك فستعلمون ونحمد الله أنكم لا تعلمون أن المقصود بهذه الكلمة هم أولئك الأشاعرة والماتريدية، الذي ألحظه الآن أن هذه الكلمة تستعمل ككلمة سياسية لاصطياد بعض الناس بالألفاظ المعسولة، ولتكثير الجماعة الداعية، ولو كانت دعوتهم يغلب عليها الصواب على الخطأ، لكن طعموها طعموها بألفاظ وأساليب سياسية، ولذلك فالذي بدا لي والله أعلم، وبناء على ما بدا لي اقترحت على بعضهم ترك هذا الاستعمال أهل السنة

والجماعة؛ لأنهم حينما يطلقونها فجماهير المسلمين اليوم حتى لو حصرناهم في من يسمونهم بأهل السنة والجماعة؛ لأن المقصود بهذا الاسم هو مثلاً خلاف الشيعة خلاف الخوارج الإباضية المعتزلة إلى آخره، أما الأشاعرة والماتريدية فهو أول ما يدخلون في هذا الاسم. نعم.

مداخلة: إذاً.

الشيخ: فحينما يستعمله، أو يستعمل هذا اللفظ بعض الدعاة اليوم ولو كانوا على المنهج السلفي فإنما يستعملونه سياسة والدعوة السلفية دعوة كالإسلام واضح بَيِّن، كما قال عليه الصلام: «ليلها كنهارها لا يضل» أو «لا يزيغ عنها إلا هالك»؛ ولذلك فالدعوة السياسية تناسبها الألفاظ السياسية التي ترضي كل الناس، سواء كانوا معهم أو عليهم، أما دعوة الحق فلا تعرف إلا أسلوباً واحداً وواضحاً كالشمس في رابعة النهار، وأكبر دليل على هذا: إذا قلت أنا أدعوا إلى منهج السلف الصالح وأنا سلفي بناءً على ذلك لم يقبل منك، وإذا قلت: أنا من أهل السنة والجماعة قُبِل منك، لماذا؟ لأن هذا الاصطلاح شامل، وهذه دعوة ولا مؤاخذة وما هي من الغيبة بصلة أو نسب هذه دعوة الإخوان المسلمين مثلاً الذين يجمعون السلفية والخلفية، والصوفية والشيعية وو إلى آخره.

مداخلة: على ذلك يا شيخ أن الاستعمال ... أهل السنة والجماعة ليس دقيقاً.

الشيخ: كيف؟

الملقي: على ذلك استعمال.

الشيخ: لا ليست دقيقة بل هي مطَّاطة.

مداخلة: الله يجزيك الخير، الله يجزيك الخير يا شيخنا.

الشيخ: وإياك.

(الهدى والنور/٧٥١/ ٣٣ : ٣٦ : ٠٠)

التسمي بالسلفية

مداخلة: فضيلة الشيخ! يرى بعض أهل العلم أنه لا داعي لتسمية دعوة معينة بالدعوة السلفية وغيرها، لكن يقولون أهل السنة والجماعة، فماذا تقولون أثابكم الله؟

الشيخ: لا أوافقهم على ما يذهبون إليه، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨] ذلك لأن العرف القديم في هذه التسمية: أهل السنة والجماعة، إنما يدخل فيها طوائف ليسوا حقيقةً من أهل السنة والجماعة، مثل الأشاعرة والمعتزلة والذين يستعملون هذه الكلمة هم في الحقيقة كانوا قديمًا يريدون أن تكون كلمة عامةً شاملةً تشمل كل المسلمين الذين لا يزالون في دائرة الإسلام مع شيء قليل أو كثير من الانحراف عما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، ولذلك فإذا هبطنا على الاستعمال أي: أهل السنة والجماعة فندخل فيها من ليس منها حقيقةً، ولو كانوا حقيقةً كذلك فعندنا سؤال امتحان وهو: هل كل من كان من أهل السنة والجماعة على التعريف المتوارث حتى اليوم، هل هو على منهج السلف الصالح، ولا يجيزون مخالفة السلف الصالح فيما كانوا عليه من هدي واتباع لسنة النبي ﷺ، سواء كان ذلك في العقائد أو في الأحكام؟ الجواب مع الأسف الشديد: لا يزال كثير من هؤلاء الذين ينتمون إلى أنهم من أهل السنة والجماعة يقولون: بأن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، لا يزالون يقولون هذه الكلمة، وبناءً على ذلك فهم ليسوا سلفيين حتى

في أعز ما يجب ما يتمسك به المسلم من دينه ألا وهي العقيدة في الله تبارك وتعالى.

ومن كان منكم من طلاب العلم فستتجلى له هذه الحقيقة بصورة جلية؛ لأنه يقرأ في بعض كتب الأشاعرة وكذلك الماتريدية هذه الجملة يقولونها ولا يبالون؛ لأن فيها غمزًا ولمزًا في السلف الصالح حيث أنهم يشعرون ... بأن السلف كانوا جماعة كما يقولون في بعض البلاد: جماعة دراويش أي: بسطاء، فمذهبهم أسلم، أما مذهب الخلف فهو أعلم أي: أدق وأحكم، كيف يكون هذا الذي يقول هذا الكلام، يكون من أهل السنة وهو يغمز جماعة السنة الأولى التي سبق مني فيما مضى قريبًا أن النبي ﷺ جعل العلامة للفرقة الناجية أن يكون على ما عليه هو وأصحابه، فكيف يكون من الفرقة الناجية من يقول: إن أصحاب النبي ﷺ كانوا على لا علم، أو على علم قليل وليس بالعلم الحكيم، أما الخلف فمذهبهم أعلم وأحكم، كيف حينئذٍ يكون مذهب أهل السنة وفيهم من يقول هذه الغمزة أو هذه اللمزة في أصحاب النبي ﷺ، والذين هم خير القرون، خير الناس كما جاء في الحديث الصحيح المشهور والمتواتر.

ونحن من أجل ذلك حتى نكون صريحين في دعوتنا غير ممالئين ولا منافقين ولا مدارين لعموم المسلمين نقول: دعوتنا على الكتاب وعلى السنة، ومنهج السلف الصالح، فمن ذا الذي يستطيع أن يتبرأ من مذهب السلف الصالح هكذا بإطلاق وإن كانوا تبرؤوا من بعض مذهبهم كما سمعتم آنفًا حينما يقولون: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم.

الذي يعلنها صريحة بأنه على مذهب السلف فإنما يعني أنه تمسك بما أمر الله به ورسوله، ولا غير ما قلته آنفًا إلا باختصار شديد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] من هم المؤمنون هنا؟ هم السلف الأول، ليسوا هم الأشاعرة ولا الماتريدية يقينًا، إلا إذا كانوا على مذهب السلف الصالح، والحديث السابق الفرقة الناجية من تمسك بما كان عليه الرسول وأصحابه وبخاصة منهم الخلفاء الراشدين المهديين، فما هو السر يا ترى أن يأبى بعض الناس في هذا الزمان الانتساب إلى السلف الصالح الذين أثنى عليهم رسول الله؛ لأنهم خير القرون فيريد أن يطلقها كلمة عامة: أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة هم أصحاب الرسول عليه السلام، أما الذين جاؤوا من بعدهم فقد انقسموا فرقًا شتى وأحزاباً كثيرة، وقد نهى ربنا عز وجل عن ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١ - ٣٢] فالحزب الإسلامي هو حزب الله وهو الذي يحرص – ليس فقط يدعي – يحرص على أن يكون على ما كان عليه الرسول وأصحابه، هذا هو الناجي وهو الذي يمشي سويًا على صراط مستقيم، أما من أخذ ببعض المذاهب المتأخرة كما أشرنا آنفًا فهو على خطر؛ لأنه لم يتمسك بالجماعة التي قال النبي ﷺ إن التمسك بهذه الجماعة هو النجاة من النار بينما حكم بها على اثنين وسبعين فرقة إسلام مسلمون، ولكن مسلمون قد انحرفوا في بعض ما ذهبوا إليه من عقائد ومن أحكام ومن أخلاق.

وما الصوفية وانحرافهم في السلوك عما كان عليه النبي ﷺ، بل وانحرافهم في العقيدة وفي التوحيد حتى وصل بهم الأمر أن يعتقدوا اعتقاد الدهريين الطبيعيين الذين يقولون: لا خالق هناك، وإنما هي كما قال بعض أهل الجاهلية إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، يقول بعض الصوفية: كل ما تراه بعينك فهو الله، فليس هناك في زعمهم خالق ومخلوق، وهؤلاء الصوفية إلى اليوم يكتبون

بعض المؤلفات ويزعمون أنهم مسلمون بل يزعمون أنهم على الصراط المستقيم، أما نحن فنقول لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١].

ولقد ذكرت في بعض محاضراتي أنه خاصة في هذا العصر. الحاضر وبصورة أخص في الأيام الأخيرة ... المسلمين واليوم الجديدة ادعاء التمسك بالكتاب والسنة، لم تكن هذه الدعوة الطيبة المباركة قبل نصف قرن من الزمان ... معروفة، إنما كان هناك هذا حنفي.. هذا شافعي.. هذا مالكي.. وهذا حنبلي، أما أن يسمع يومئذ أنا على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح، لم يكن هذا معروفًا، أما الآن فقد انقسم الناس في هذه الدعوة الطيبة: الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، انقسموا إلى قسمين:

قسم حقيقةً يتمسك بالكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح، وهم الذين يسمون في بعض البلاد بالسلفيين، أو بأهل الحديث، أو بأنصار السنة، أسماء كلها تدل على مسمًى واحد وعلى حقيقة واحدة وهي السير في كل ما نتعبد الله تبارك وتعالى به على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى منهج السلف الصالح، أما القسم الثاني فيطمع بأن يقول: أنا أيضًا معكم على الكتاب والسنة، ولكنك إذا حاصرته ودققت معه وجدته أبعد ما يكون عن الكتاب والسنة في عقيدته.. في عبادته.. في سلوكه.. في لباسه.. في زيه ليس هناك ليس هناك، مع ذلك هو يدعي على الكتاب والسنة.

ذكرت بعض الأمثلة مما هو واقع اليوم ويعرفه أهل العلم انحرفت بعض الطوائف عن هذا المنهج السليم قال الله قال رسول الله قال السلف الصالح، فلا يصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى الخروج عن دائرة الإسلام، لكن بعضهم قد خرجوا عن الإسلام باسم الإسلام، ضربت على ذلك مثلًا في الطائفة

القاديانية، وهذه الطائفة يعرفها أهل العلم الذين لهم مشاركة في معرفة الفرق التي حدثت في العصر الحاضر ومن أشهرها البهائية ثم القاديانية، لا نتكلم في البهائية؛ لأنهم لا يظفر بهم إلا من كان مثلهم؛ لأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون، أما القاديانية فهم على ما هم عليه من الضلال المبين ويشملهم أنهم خالفوا سبيل المؤمنين فهم يصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويشهدون الشهادة الركن الأول من الإسلام خلاف البهائية، ولكنهم خرجوا عن دائرة الإسلام فهل يقولون: أنا نحن لسنا على الكتاب ولسنا على السنة؟ هذه الفرقة اليوم هي أقل فرقة تدعي الإسلام اليوم باسم الإسلام لأنهم أنكروا أشياء معلومة من الدين بالضرورة منصوص عليها بالكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] قالوا: معنى خاتم النبيين: ليس كما تفهمون أنتم معشر المسلمين – هكذا زعموا – أنه لا نبي بعده، وإنما خاتم النبيين أي: زينة الأنبياء، كما أن الخاتم في الإصبع هو زينة الإصبع، وزينة الأصابع واليد كذلك خاتم النبيين معناه أنه عليه الصلاة والسلام زينة الأنبياء، فآمنوا بهذه الآية وهنا الشاهد: ولكن حرفوا معناها ليتطابق هذا المعنى مع عقيدتهم الضالة وهي اعتقادهم أنه يأتي بعد النبي ﷺ أنبياء، وفعلًا يقولون بأنه قد جاء أحدهم في الهند واسمه: ميرزا غلام أحمد القادياني.

وقصة هذا الدجال الذي ادعى النبوة واتبعه ملايين من المسلمين في الهند والباكستان وأوروبا وهم من أنشط الفرق الإسلامية التي تدعو إلى الإسلام ولكن هل هم مسلمون يعلم الذين يستجيبون لدعوتهم هم مسلمون؟ الجواب: لا؛ لأنهم ينكرون بعض العقائد المعلومة من الدين بالضرورة، من أهمها ما ذكرت لكم آنفًا.

فإذًا لا ينبغي أن نغتر بمن يقول: نحن على الكتاب والسنة إلا أن نضيف إلى ذلك: وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح؛ لأن الضميمة هي التي تحفظ المسلمبن

عن أن يميلوا يمينًا أو يسارًا وأن يكونوا من الفرق التي أشار إليها النبي ﷺ للحديث السابق إشارة صريحة أنه من أهل النار، وأشار في حديث آخر إلى أنهم يلتقون مع الخط المستقيم أحيانًا ولكن الشيطان يخرجهم عن هذا الصراط المستقيم إلى الطرق الكثيرة التي تتصل بهذا الصراط المستقيم، كما جاء في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] خط النبي ﷺ ذات يوم على الأرض خطًا مستقيمًا، ثم خط حول هذا الخط خطوطًا قصيرة على جانبيه وتلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] ومر بيده الكريمة على هذا الخط المستقيم، هذا هو الذي أشار إليه رب العالمين: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣] أي: التي حول هذا الخط وهي خطوط قصيرة، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] هذا واقع العالم الإسلامي اليوم.

فمن ... اسمًا عن اتباع السلف الصالح فضلًا عما إذا تبرأ فعلًا فلا شك أنه على طريق من هذه الطرق التي لها صلة دقيقة بالخط المستقيم ولكنه خارج عنه لا يمشي سويًا على صراط مستقيم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَهِّمنا كتاب ربنا وسنة نبينا على منهج سلفنا الصالح لنكون في عصمة من الانحراف يمينًا ويسارًا، أو أن نكون من الفرق الضالة التي أوعدهم رسول الله ﷺ بالنار فيجعلنا من الفرقة الناجية التي بسبب ذلك ننجوا باتباعها، ننجوا أن نكون من أهل النار أعاذنا الله وإياكم منها.

(رحلة النور ٣٦ أ/٤٨: ٠٣: ٠٠)

باب منه

مداخلة: شيخ! هناك من يقول: لم تَتَسَمَّون بالسلفية؟ لا نبحث عن قضية أنه لا مشاحة في الاصطلاح ولكن يقول: لم لا تتسمون بأهل السنة والجماعة؟ الصوفية والرافضة وغيرهم من ... الباطلة يغضبون من هذا الاسم كثيرًا، وأنتم تتركونه ... إلى السلفية.

الشيخ: والحمد لله.

مداخلة: فيقول: لم لا ... هذا الاسم وتضعون اسمًا أنتم أهل السنة والجماعة.

الشيخ: أظنك أخطأت في طرف من السؤال! حينما ذكرت الرافضة، يعني: أنت تظن أننا إذا رفعنا هذا الاسم وقلنا: نحن أهل السنة والجماعة، رضيت الرافضة بهذا الاسم دون الاسم الأول؟ حشوك الرافضة في الموضوع لعله سبق كلام منك..

مداخلة: يغتاضون من التسمية بأهل السنة.. يقصد: أن الذي يغيض الروافض إنما هو التسمية: بأهل السنة.

الشيخ: يعني: ما يغضبهم التسمي بالسلفية واتباع السلف، هكذا أنت تقول؟

مداخلة: هم يقولون هكذا: أنها ما تغضبهم هذه ولا ..

الشيخ: يعني: هذا سؤاله.. طيب! هذا الذي يقول هذا الكلام هو من أهل

السنة؟ نفرضه كذلك، هل هو ينتمي إلى السلف؟ أظن أنه لا؛ لأنه إن انتمى إلى السلف فهم أهل السنة، وحينئذٍ يكون الخلاف بيننا وبينه خلافًا في الاسم وليس خلافًا في المسمى، لكن أنا أعرف من بعض الجماعات القائمة الآن ممن ينتمون إلى السنة اسمًا، ويخالفونها فعلًا، هم لا يرضون بالتسمي بالسلفية أو السلف الصالح؛ لأن هذا صار علمًا لطائفة من أهل السنة وهم الذين يحققون السنة فعلًا وعقيدًة وخلقًا وسلوكًا.

أنا أعرف حينما كنت هنا في الجامعة الإسلامية مُدَرِّسًا منذ نحو ربع قرن من الزمان، وكان هناك أفراداً من بعض الأحزاب يورد هذا السؤال: لماذا أنتم تقولون: سلفية والسلف، لماذا لا ننتسب جميعًا إلى الإسلام وكلنا مسلمون، وهكذا سمانا رب العالمين إلى آخره؟ الحق فالحق أقول: نحن نتسمى بهذا الاسم لسببين اثنين:

السبب الأول: أن كل المسلمين على ما بينهم من اختلاف شديد جدًا، ما منهم من طائفة يتبرأ من الكتاب والسنة، ويتبرأ من أن يسمي نفسه مسلمًا حتى الرافضة، فإذًا: إذا جرينا على رغباتهم هؤلاء أنه لا داعي لكلمة السلفين، وإنما مسلم، طيب! مسلم كل هذه الفرق هم مسلمون، حتى الدروز.. حتى العلويين.. النصيريين أيضًا يقولون مسلمون حتى في زمن الأتراك كانوا يكتبون على الهوية الشخصية مسلم، لكن بالنسبة لليهودي يهودي، وبالنسبة للنصراني نصراني.

يدخل في مسمى مسلم من ليس مسلمًا عندنا إطلاقًا كبعض أولئك الذين ذكرناهم، ثم عندنا الحديث المعروف: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» إلى آخر الحديث، هذه الفرق كلها تشملها دائرة الإسلام، ويطلق عليها اسم ..[انقطاع]

(لقاءات المدينة لعام ١٤٠٨هـ (١) /٠٠:٥٤:٠٠)

الشيخ: من حيث ما ذهبت لو قلت لإنسان ما تعرفه؟ ما هو مذهبك؟ ماذا يقول لك؟ حنفي.. شافعي.. مالكي.. حنبلي.. شيعي.. زيدي.. إلى آخره، طيب! لماذا أنتم تحرصون على رفع اسم السلف وهذه النسبة التي أنا أعتقد أنه لا يجوز لمسلم أن يتبرأ من هذه النسبة؛ لأن التبرؤ من هذه النسبة هو من مشاقة الله والرسول التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] سبيل المؤمنين، من هم هؤلاء سبيل المؤمنين؟ لا شك أنهم الذين قال عنهم رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، بل الحديث المتواتر: «خير الناس قرني» وكثير من الناس يروونه بلفظ: «خير القرون» وما وجدنا له أصلًا في كثير من الروايات التي وقفنا عليها واستطعنا أن نحكم على الحديث بأنه من الأحاديث المتواترة، لا يوجد في طريق من هذه الطرق هذا اللفظ المشهور: خير القرون قرني، لا وإنما اللفظ الصحيح: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» هؤلاء هم المقصودون مباشرةً بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥].

نحن الآن في أوائل القرن الخامس عشر فإلى أي جماعة ننتسب؟ ليس عندنا جماعة ننتسب إلا هذه الجماعة الأولى التي شهد لها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بالخير وبالتزكية، نقول الآن كلامًا جدليًا: متى يتفق المسلمون - ولن يتفقوا - على أن يرفعوا من بينهم كل هذه النسب المذهبية والفكرية؟ حينذاك نلتقي معهم على كلمة سواء وهي: نحن مسلمون؛ لأننا في هذه الحالة نكون قد اتفقنا على الرجوع إلى كتاب الله وإلى حديث رسول الله، وعلى ما كان عليه القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، لكن هل هذا سيكون؟ ما أعتقد ذلك لأن الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود: ١١٨ - ١١٩].

(لقاءات المدينة لعام ١٤٠٨هـ (٢) /٠٠:٠٠:٠٠)

باب منه

مداخلة: الحقيقة ليس عندي تعقيب أو تعليق ولكن عندي إشكال في موضوع التسمية وهو أنه مثلاً يعني: قد يقول قائل: إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما جاء بدعوته وجد أن هذا الاسم يطلق على الماتريدية والأشعرية وغيرهم ومع ذلك الذي اتضح من خلال مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لم يبحث عن اسم آخر وإنما حاول أن يجلي الحقيقة وأن يكشف أن ما سلكه هؤلاء ليس موافقاً لمنهج أهل السنة والجماعة.

ومن جهة أخرى أنا فهمت من خلال الكلام وقد أكون مخطئاً أن سبب تنصيصنا على كلمة السلفية هو أن كلمة أهل السنة والجماعة لا تعبر عن أهل الحق بصورة خاصة مثلاً، فنفترض أن كلمة السلفية توسعت في المستقبل مثلاً ووجدت طوائف تدعي أو تنتحل هذا الاسم وهي مخالفة للسلفية الحقيقة مثلاً، فهل يقال عند هذه الحالة: نبحث عن اسم آخر وهكذا يعني.

الشيخ: قبل كل شيء بارك الله فيك نحن واجبنا أن نعالج أوضاعنا القائمة ولا نفكر بما قد يحدث في المستقبل؛ لأننا سنقول يومئذ لكل حادث حديث، لكن ألا ترى معي أن كلمة أهل السنة والجماعة هي ليست كاسم الذي هو الأصل في الرجوع إليه: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الحج:٧٨] فكلمة مسلم هذا منصوص عليه في القرآن الكريم، هل كذلك هذا الاسم المركب أهل السنة والجماعة؟ الجواب طبعاً: لا، أليس كذلك؟ طيب! إذا كان الأمر هكذا أي: لسنا ملزمين في الأصل أن نتمسك بألفاظ ليست منصوصاً عليها في الكتاب والسنة بل نحن الآن نقول على البيان السابق والذي لا مرد أن كلمة مسلم اليوم لبيان عقيدة المسلم حقاً لا تكفي، إذاً: لا بد من ضميمة أخرى!

فالبحث الآن: هذه الضميمة الأخرى ما هو الاسم المختار للتعبير عنها بأقرب عبارة، أهو: أهل السنة والجماعة التي كانت تستعمل في عهد ابن تيمية كما ذكرت؟ أم نحن بحاجة الآن أن نلفت أنظار أهل السنة والجماعة إلى أن أهل السنة والجماعة حقاً هم الذين يرجعون إلى ما كان عليه السلف الصالح، فما المانع من استعمال هذا الاسم ما دام أنه يعبر عن العقيدة الصحيحة عرفاً عاماً؛ لأنه لا يوجد ناس من هذه الجماعات إلا وكلهم فهموا أن المقصود من كلمة السلف الصالح ليس هم آبائنا وأجدادنا وإنما هم أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية.

فالتعبير هذا المختصر. أولاً والمُعَبِّر عن حقيقة المنهج الصحيح ثانياً ما أرى أنه ينبغي أن يكون هناك إشكال أو توقف في استحسان تبني هذا التعبير، هذا أولاً.

وبهذه المناسبة أنا أذكر جيداً حينما كنت أستاذ مادة الحديث في الجامعة الإسلامية وتعلمون أنه يومئذ وربما الأمر يكون حتى الآن كانت الجامعة تجمع نحو سبعين يعني جزء من الأقوام، فأنا من يومئذ وقبل ذلك كنت أدعو إلى ما ندعو الناس إليه اليوم اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فاعترض سبيلي بعض الإخوان المسلمين من الطلاب، قال: هذا اسم مبتدع ليس له أصل، فشرحت أنا الدعوة ووصلت إلى هذه الكلمة بالذات وأنها هي التي تعبر عن دعوة الحق لكن قلت لهذا السائل أو المستشكل أو المعترض، قلت: هاأنا جدلاً وفرضاً اتفقت معكم أن نسحب هذه الكلمة وأن لا نزيد على قولنا مسلم كما قال صاحبنا في المناقشة فهل أنتم ترجعون عن انتسابكم من الناحية المذهبية حنفي.. شافعي.. مالكي.. حنبلي، من الناحية الحزبية.. إخوان

مسلمين.. حزب التحرير.. يوم ترجعون أنتم عن هذه الانتسابات التي ما أنزل الله بها من سلطان نحن نرجع عن هذه النسبة وهي تؤدي المعنى الحق لكن مسايرة وبقاءً على الأصل وهو: مسلم.

فهل أنتم معنا؟ أنتم أول المخالفين، أنتم الذين اضطرونا إلى أن نأتي بهذا الاسم الذي يعبر عن دعوة الحق، فهذه ملاحظة الحقيقة مهمة جداً؛ لأننا نحن إن لم نستعمل كلمة السلفي لازم نستعمل كلمة أهل السنة والجماعة، لا بد من استعمال كلمة تعبر عن عقيدتنا بعبارة جامعة مانعة كما يقال.

هل الآخرون الذين ينتسبون انتسابات أخرى يرتفعون عن هذه الانتسابات مع أنها لا تمثل إلا دعوة منتسبة إلى شخص أو أشخاص غير معصومين، أما سلفنا الصالح فمن فضل الله أنهم معصومون؛ لأن النبي ﷺ قال كما تعلمون: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وبخاصة أننا نتذكر حينما ننتمي إلى السلف الصالح أن على رأسها نبينا المعصوم حقاً، فما أظن هناك إشكال على هذه الكلمة إن شاء الله؛ لذلك نرجو أن نلتزمها في دعوتنا إن شاء الله.

مداخلة: جزاك الله خيراً يا شيخ! ... هذا تنبيهاً منك على ورود كلمة أهل السنة والجماعة في أحد أسئلتنا، ولكن نحن عندنا هنالك في اليمن وكأني أرى أن هذه المسألة عرفية اشتهرنا بأهل السنة بين الناس، فإذا قيل أهل السنة لا يفهم إلا أنهم السلفيون.. أهل السنة والسلفيون بمعنى واحد في العرف هنالك، وأعتقد أن هذا موجود كان في عرف المتقدمين فمثلاً نجد أبا عثمان الصابوني رحمه الله تعالى في كتابه أو في رسالته التي هي عقيدة السلف وأصحاب الحديث أحياناً يعبر فيقول: أهل السنة والجماعة، وأحياناً يعبر بأتباع السلف وهكذا فكأنها مسميات لمسمى واحد، فمن أجل هذا أردنا أن ننبهك إلى أننا إذا

ورد في أسئلتنا أهل السنة والجماعة؛ لأننا قد اشتهرنا هناك عرفاً بهذا الاسم وهو يعني أو يقابل أو يرادف كلمة السلفيين تماماً.

الشيخ: جزاك الله خيراً، لكني أقول: في علمي أن اليمن فيه بعض المذاهب المنتسبة لأهل السنة والجماعة وهم الشافعية فحينما أنت تقول: أهل السنة والجماعة، هل يفهم في ذلك العرف الخاص في اليمن عندكم أن الشافعية ليسوا منهم؟

مداخلة: لا يفهم يعني في العرف الخاص.. لا يفهم أن الشافعية يدخلون تحت هذا الاسم فأهل السنة يعني السلفيين تماماً، لكن ليس عندنا، يعني: مثل ما في بلاد الشام سني وشيعي ..

الشيخ: لا بأس بارك الله فيك! دعنا معكم يمنيين.. الشافعيون عندكم ماذا يقولون عن أنفسهم.. ما هو التعبير الذين يُعبِّرون عن منهجهم في العقيدة، أليس هو أهل السنة والجماعة؟

مداخلة: يعني: يمكن أن يقولوا: مثلاً يختلفون فقهاؤهم مثلاً.. العلماء منهم ينتسبون إلى المذهب الأشعري في الغالب..

الشيخ: حدت بارك الله فيك.. حدت، أنا سؤالي بارك الله فيك: ألا ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة؟ بلى، هذا هو الجواب.

مداخلة: بلى ينتسبون بلا شك نعم.

الشيخ: إذاً: نحن نريد تعبيراً أدق ويكون صالحاً لاستعماله في كل البلاد التي تجمعهم دعوة الحق.

مداخلة: يعني: لكن في العرف يا شيخ في اليمن إذا قيل: أهل السنة فلا يفهم

أي شخص إلا أنهم السلفيون.

الشيخ: غير معقول يا أستاذ! ما دام أنت تعترف أن هناك شافعية.. وهناك صوفية كثيرون، وقد يكونون هؤلاء الصوفية من البارزين في التمسك بالمذهب الشافعي، وهذا أنتم أعرف ببلادكم؛ لأن أهل مكة أدرى بشعابها، هؤلاء من أهل السنة أيضاً عندهم.

مداخلة: هذا صحيح، لكنهم يقولون مثلاً في أذهانهم لا يقولون هذا نطقاً أنهم ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة بالمفهوم العام؛ لأن لهذا الاسم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة وفي غير ما كتاب له يقول: أهل السنة العامة، وأهل السنة الخاصة، يعني: وكثيراً ما يأتي هذا الاسم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ويريد.. قال أهل السنة.. ومذهب أهل السنة..

الشيخ: ليس الخلاف بارك فيك في هذا، هذا نحن متفقون عليه.. نحن الآن بحثنا لفظي وليس معنوياً فقط.

مداخلة: تعبير شيخ الإسلام شيخنا!

الشيخ: نعم.

شقرة: أهل السنة العامة، وأهل السنة الخاصة، هذا ليس تعبيراً يعبر أو يريد أن يشيعه في الأمة على أنه رسم أو اسم أو تعريف لها، وإنما يريد أن يفرق بين الملتزم وبين غير الملتزم، التزام الصحيح والتزام غير صحيح.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ... الإخوان المسلمين عندما نجادلهم في هذه المسألة أن السلفية حكراً على جماعة واحدة فالسلفية تضم الجميع، وهم يدعون أيضاً أنهم

سلفيين...

الشيخ: والإسلام يضم الجميع! فهل الجميع مسلمون؟!

مداخلة: نعم الجميع مسلمون.. كإسلام الجميع مسلمون..

الشيخ: ليس الآن بحثنا...

مداخلة: لكن هم يقولون مثلاً: أنهم يعني السلفيون والسلفية لا يمكن أن تسمى بها جماعة بعينها وما دام أن الآخرين كذلك جماعات لها سلف.

الشيخ: ليس البحث الآن: هل كل من يقول أنا مسلم هو مسلم حقاً أم لا؟ كذلك ليس بحثنا هل كل من يقول: أنا سلفي هل هو سلفي حقاً؟ آنفاً الأستاذ أبو مالك دندن حول تحقيق هذا المعنى في منطلقنا في حياتنا.. الآن هؤلاء الذين يقولون هذه الكلمة، أنت في اعتقادك هم صادقون أنهم سلفيون؟

مداخلة: لا، ليسوا بصادقين.

الشيخ: فإذاً ما لنا ولهم بارك الله فيك! نحن نريد إشاعة هذه الكلمة مقرونة بالصدق، أما أن أولئك يقولون: أن هذه الكلمة ليست حكراً على طائفة من الناس! نحن نتمنى هذا، لكن هل هم يرضون كما قلت أنا آنفاً أن ينتسبوا في فهم دينهم وإسلامهم إلى السلف الصالح؟ لا يفعلون ذلك، فإذاً: يقولون فليقولوا لكن المهم هل يقرنون العمل مع القول أم مجرد كلمة هو قائلها؟

مداخلة: نفس الإشكال قد يرد على كلمة أهل السنة والجماعة مثلاً عندما يوجد من يقول: أنا من أهل السنة وهو صادق ..

الشيخ: يا أخي! أوردناها على من يقول سلفي، ليس هذا بحثنا، بحثنا: ما هو التعبير الأدق لدعوة الحق؟ فقط.

شقرة: ... شيخنا قياساً على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية نقول للإخوان في اليمن يقولون لهم كلام شيخ الإسلام سلفيون عامون وسلفيون خاصون.

(الهدى والنور / ٧٩٢ / ٠٣: ٠١ : ٠٠)

(الهدى والنور / ٧٩٢ / ٥٢: ٠٩ : ٠٠)

باب منه

الشيخ: ذكرت بارك الله فيك في سؤالك الأول: أنهم ينكرون علينا أن نسمي أنفسنا بالسلفيين، وأن هذا تفريق، فهذه نقطة يجب أن ندلي برأيي فيها؛ لأنها في الحقيقة مسألة هامة، لا يعرفها كثير من إخواننا السلفيين، فضلاً عن أولئك الخصوم الذين يحاربون الدعوة في صميمها وليس في اسمها.

هم يجهلون ما معنى الدعوة السلفية، وإلى ماذا أو إلى من تنتسب هذه الدعوة، ولا يخفى على الحاضرين جميعاً إن شاء الله أن الدعوة السلفية إنما هي تنتسب إلى السلف الصالح، وهم أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، في الحديث الذي تواتر صحته عن النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» فنحن ننتمي إلى هؤلاء السلف في منهجهم.. في فهمهم لشريعة ربهم.. في أصولهم في قواعدهم.

من ذلك مثلاً: وهذا خلاف جذري بيننا نحن معشر السلفيين وبين الطوائف أو الجماعات أو الأحزاب الأخرى، نحن ننتمي إلى السلف الصالح في مناهجهم ومنها: أنهم في طيلة هذه القرون الثلاثة لا يعرفون التمذهب بمذهب شخص معين كما شرحنا آنفاً أن الانتساب والتعصب لإمام معين دون رسول الله ﷺ إنما هو إخلال بإفراد النبي ﷺ بالاتباع، فالسلف الصالح لا يعرفون المذهبية؛

ولذلك فنحن لسنا مذهبيين اتباعاً للسلف الصالح.

فحينما ينكرون علينا انتمائنا إلى السلف الصالح يعني ذلك أحد شيئين:

إما أنهم لا يعرفون من هم السلف، أو يعرفون لكنهم لا يعرفون قدر السلف، أو أنهم يكابرون ويجحدون الحقيقة الشرعية.

أنا أقول: لو أن مسلماً تبرأ من مذهب فلان مهما كان هذا الفلان، ولنسم: مذهب أبي حنيفة.. مذهب الشافعي.. مذهب الأئمة المتبوعين، فهو ليس في خطر من دينه؛ لأنه يتبرأ من مذهب شخص معين لكنه ليس كذلك فيما إذا تبرأ من مذهب السلف الصالح فهو كفر، وبخاصة إذا ما تذكرنا أن على رأس المذهب الصالح هو رسول الله.

فإذاً: هؤلاء بلغ بهم الغفلة والجهالة إلى أنهم يقعون في الكفر أو على الأقل يشرفون على الكفر وهم لا يشعرون، إذاً: نحن لنا الشرف في أن ننتسب إلى السلف الصالح في منهجهم في فهمهم لكتاب الله ولحديث رسول الله، ومن ذلك أضرب مثلاً مكرراً لما قلت أنهم لا يعرفون مذهبياً، ليس فيهم من كان بكرياً.. ليس فيهم من كان عمرياً.. ليس فيهم من كان عثمانياً.. ليس فيهم من كان علوياً في المذهب، ودعنا الآن من المذهب السياسي الشيعي مثلاً أو الأموي أو إلى آخره، نحن نتكلم عن التدين بمذهب لم يكن عند هؤلاء السلف إلا اتباع الكتاب والسنة، ولذلك كان أحدهم إذا تيسر له أن يسأل أبا بكر سأله.. إن تيسر له عمر سأله.. ابن مسعود.. ابن عمر.. أبو هريرة إلى آخره؛ ذلك لأنهم يؤمنون يقيناً أنه لا يجوز الإخلاص في الاتباع لشخص واحد في الدنيا إلا رسول الله ﷺ، فإذاً: هذه أيضاً من ضلال أولئك الجماعة الذين ينكرون علينا انتسابنا إلى السلف الصالح.

وقريباً جداً زارني أحد الكتاب المصريين، وألف كتاباً وجاء إلي لكي نناقشه في بعض مسائل الكتاب، والمقصود الآن: ما يتعلق بموضوع السلف والسلفية، قلت له: وهذه مناقشة فيها تبصير لإخواننا الحاضرين، قلت له: إذا قيل لك يا فلان! ما مذهبك.. ما هو جوابك؟ قال: مسلم، قلت: هذا يكفي؟ قال: يكفي، قلت: لو سألت أي طائفة من الطوائف الإسلامية فسيكون جوابه جوابك، لو سألت الشيعي.. لو سألت الرافضي. ما مذهبك؟ وخاصة والشيعة لديهم التقية المعروفة سيقول لك: مسلم، إذاً: ما هو الفرق بينك وبينه، فانتبه أنه فعلاً لا يكفي هذا الجواب، فضم ضميمة، فقال: مسلم على الكتاب والسنة، قلت: حسناً! هذا قيد ضروري جداً لكن هل يكفي؟ قال: يكفي كتاب وسنة!

مداخلة: ... بالأول ولم يكف.

الشيخ: قلت له: لا يكفي، مع أنه على الكتاب والسنة لا يكفي في هذا الزمان، قال لماذا متعجباً! قلت له: خذ أي طائفة من الطوائف الإسلامية التي تدخل في عموم: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» سلها ستقول قولك هذا: على الكتاب والسنة؛ لأنه لا يوجد مسلم يتبرأ من الكتاب والسنة؛ لأنه إن فعل خرج من الإسلام، إذاً: لا بد أيضاً من ضميمة أخرى تميزك على الطوائف الأخرى التي أنت تتبرأ من مناهجها ومسالكها، قال: فأقول مثلاً ماذا؟ قلت: على منهج السلف الصالح، وقلت له في جملة ما قلت له: أنت هل سمعت.. هو كان قديماً من الإخوان المسلمين، لكن هو الظاهر فيما سمعنا منه وكان أخونا الخطيب أين هو؟

مداخلة: نعم يا شيخ!

الشيخ: كان حاضراً إنه ليس من الإخوان المسلمين (وحكى لنا الحقيقة عن

حسن البنا كلمات طيبات جداً)لم نكن نعرفها من قبل وهو، أي: محدثي هذا كان يعتبر من حواري الشيخ حسن البنا رحمه الله، الشاهد: قلت: ابدأ من جماعتك قديماً: الإخوان المسلمين، وانزل إلى كل الجماعات: حزب التحرير.. جماعة التبليغ.. شباب محمد وماذا يوجد جماعات أخرى! هل تجد أحداً منهم يقول: على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، أم يكتفون إن قالوا على الكتاب والسنة؟ أما أن يقول أحدهم: وعلى منهج السلف الصالح فهذا لا تسمعه إلا من أمثالنا، وهذا أكبر دليل أنه لا يكفي المسلم اليوم أن يقول: أنا مسلم أولاً، ثم لا يكفي أن يقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة فقط ثانياً، بل لا بد من الضميمة التي تفرق بين الحق والباطل وهو: على منهج السلف الصالح.

وذكرت له كما ذكرت لغيره كثيراً وكثيراً وبعض إخواننا الحاضرين سمعوا مني ذلك مراراً وتكراراً، بناءً على قولي آنفاً: أن كل المسلمين يقولون: على الكتاب والسنة، المعتزلة قديماً وأذنابهم حديثاً بأسماء شتى وبراقة قد تكون أحياناً يخالفون السلف الصالح في كثير من عقائدهم ومع ذلك فهم يؤمنون بالكتاب والسنة، فماذا يفعلون بالآيات التي احتج بها السلف الصالح في بعض الأمور الاعتقادية وهؤلاء يخالفونها، هل ينكرون هذه النصوص؟ الجواب: لا، ماذا يفعلون؟ يُؤَوِلون النصوص القرآنية حتى تتفق مع أهوائهم.

فاضرب بهذه المناسبة مثلين لمذهبين، أحدهما: قديم عريق ... هم المعتزلة وأمثالهم، والآخر: جديد حديث وهم القاديانية، المعتزلة مثلاً ومعهم اليوم الشيعة والإباضية ينكرون القدر: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦] ينكرون رؤية الله في الآخرة، لكن لا يُنكرون الآيات سواء ما كان منها في القدر أو ما كان منها في رؤية الله لكنهم يتأولونها يلفُّون يدورون عليها حتى تُطَابِق أهواءهم.

فإذاً: هم يقولون بالكتاب والسنة لكن يخالفون ما كان عليه السلف الصالح، هذا السلف هم المعنيون بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] فسبيل المؤمنين: هم السلف الصالح، ولذلك فلا يكفي أولئك القدامى والمحدثين أن يقولوا على الكتاب والسنة ثم هم يتلاعبون بمعاني هذه الآيات ويأتون بمعاني جديدة لتتفق مع أهوائهم، مثال بسيط جداً ولا نطيل الحديث حوله، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣] المعتزلة ينكرون هذه المنة.. هذه الفضيلة الإلهية التي يمتن بها الله على عباده في جنة النعيم، حيث يرونه كما قال أحد العلماء الأفاضل:

يراه المؤمنون بغير كيف وتشبيه وضرب من مثال

فهل أنكروا الآية؟ لا لم ينكروا الآية لكن قالوا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣] أي: إلى نعيم ربها ناظرة، لفوا على الآية وأنكروا حقيقتها، إذا ما جوبهوا بالأحاديث الصحيحة، كمثل قوله عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦] قال عليه السلام والحديث في صحيح مسلم من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لهم الحسنى: الجنة، وزيادة: رؤية الله في الآخرة» هذه الزيادة، والحديث الآخر وهو أشهر من الأول: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون» وفي رواية: «لا تضامون في رؤيته» إذا جوبهوا بهذا الحديث وذاك، قالوا لك: هذه أحاديث وإن كانت صحيحة فهي أحاديث آحاد لا يُؤْخذ بها في العقيدة.

إذاً: آمنوا بالآية لكنهم كفروا بمعناها، ما الفائدة في هذا الإيمان إذا كفر بالمعنى؟! هذا مثال من الفرق القديمة، والمعتزلة اليوم والشيعة والإباضية على هذا المذهب، وبهذه المناسبة الإباضية الآن لهم نشاط ما كان يعرف من قبل،

ساعدهم على ذلك: يسر الطباعة ويسر النشر وإلى آخره، فهم يؤلفون الآن كتباً ورسائل كثيرة في سبيل ماذا؟ نشر مذهبهم وضلالهم.

المثال الثاني الجديد المتعلق: بالقاديانية، القاديانية لا شك أنهم يَدَّعون الإسلام ولكن الإسلام منهم بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقال في المثل العربي القديم؛ ذلك لأنهم خالفوا سبيل المسلمين في كثير من عقائدهم، فهم مثلاً يعتقدون بأن باب النبوة لم يُختم.. لم يغلق.. باب النبوة لا يزال مفتوحاً، وأكدوا ذلك بادعاء نبيهم الذي كان يسمى: بميرزا غلام أحمد القادياني ادعى النبوة، ولذلك فهم يؤمنون بنبوة: ميرزا غلام أحمد القادياني ويكفروننا نحن معشر المسلمين؛ لأننا لا نؤمن بنبيهم هذا الدجال، طيب! ألا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]؟ يؤمنون طبعاً؛ لأنهم لو أنكروا كفروا وارتدوا عن دينهم، كيف إذاً يؤمنون بهذا النص القرآني ويعتقدون بمجيء نبي ويصرحون بأنه بعد سيأتي أنبياء كثر من أمثال هذا النبي خاصتهم.

اسمعوا الآن ماذا يفعلون بالآية هذه ويخالفون سبيل المؤمنين كما قال رب العالمين، قال: أنتم أسأتم فهم هذه الآية فوقعتم في الخطأ وفي الضلال؛ لأنكم فهمتم من قوله: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الأحزاب:٤٠] أي: آخرهم هذا خطأ، والصواب في فهم الآية: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] أي: زينة النبيين كالخاتم في الإصبع، إذاً: هم آمنوا بالآية لكن كفروا بالمعنى لم يفيدهم شيء؛ لهذا نحن ندندن والبحث في هذا طويل جداً جداً.. ندندن أنه في العصر الحاضر لا يكفي أن نقول: أنا مسلم، بل لا يكفي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة، لا بد من الأداة المميزة بين طائفة الحق التي أشار إليها الرسول في الحديث المعروف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» إلى آخر الحديث، وبين الطوائف الأخرى التي تدعي أنها على الإسلام وهي بعيدة عن الإسلام كُلاً أو جُزْءاً، فلا بد من ضميمة: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

إذاً: يجب أن نكون على سبيل المؤمنين وليس هناك مؤمنون مشهود لهم بالخيرية سوى القرون الثلاثة فهم سلفنا الصالح.

وأخيراً: نقول لهؤلاء: نتفق معكم جدلاً.. جدلاً نكتفي على أن نقول: نحن مسلمون على الكتاب والسنة اتركوا نحن سلفيون جدلاً، لكن هل أنتم لا تنتسبون إلى الإخوان المسلمين.. لا تنتسبون إلى جماعة التبليغ.. لا تنتسبون إلى حزب التحرير.. إلى مذهب حنفي شافعي مالكي حنبلي صوفي إلى آخره نقشبندي قادري جيلاني؟ إن فعلتم أنتم ذلك ولن تفعلوا فنحن معكم لن نفعل، سنظل على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح شئتم أم أبيتم:

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح

نعم.

(الهدى والنور/٥٤٤/ ٤١ : ٠٠ : ٠٠).

(الهدى والنور/٥٤٤/ ١١ : ٠٧ : ٠٠).

(الهدى والنور/٥٤٤/ ١٩ : ١٨ : ٠٠).

تهم وشبهات: التسمي بالسلفية تفريق للأمة

مداخلة: يا شيخ السؤال الذي أنهم يتهموننا على تسمية السلفيون يقولوا: أنها تسمية تفريق وأنه ما ثبت في ذلك؟

الشيخ: يقولون ماذا تفريقه أيش؟

مداخلة: وما ثبت في السنة على تسمية هذه الأمور أننا نقول: نحن سلفيون، ونحن جماعة سلفيون في الجزائر طائفة قليلة ونحن نحب هذا الجيل؛ لأنه كما تعلمنا أنه على منهج السلف الصالح.

الشيخ: وهم ماذا إلى ماذا ينتسبون؟

مداخلة: ينتسبون إلى المنهج الحركي وينتسبون إلى جماعة التبليغ.

الشيخ: فإذاً: ما الفرق بيننا وبينهم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: ما الفرق بيننا وبينهم في ظنهم؟

مداخلة: في ظنهم أننا نحن خالفنا المنهج.

الشيخ: اسمع يا أخي.

مداخلة: نعم.

الشيخ: هنا في قضيتين.

مداخلة: نعم.

الشيخ: القضية الأولى: أننا نحن بدعوتنا السلفية نفرق.

مداخلة: نعم.

الشيخ: والقضية الأخرى: أن هذا الاسم مبتدع ليس له أصل، فالآن إذا تركنا القضية الأولى جانباً، وأخذنا القضية الثانية، أولاً سنبين لهم أنهم يلتقون معنا في اتخاذهم اسماً يُلَقِّبون أنفسهم به يتميزون بهذا اللقب على سائر المسلمين،والجماعات الإسلامية الموجودة اليوم في الساحة كما يقولون: هي من أشهرها جماعة الإخوان المسلمين ثم جماعة الحزب الإسلامي، ثم جماعة عفواً حزب التحرير الإسلامي، ثم جماعة التبليغ، وأخيراً اليوم الجماعة التي كانت من قبل تعرف بجماعة التكفير والجهاد فالآن رفعت كلمة التكفير واقتصرت على كلمة الجهاد، كل هذه الأسماء لم تكن معروفة من قبل، ونحن نقول بالصراحة أيضاً: نحن حينما ننتسب إلى السلف والمنتسب إلى السلف يكون سلفياً والجماعة المنتسبة إلى السلف يكونوا سلفيين، لا ننكر أن هذه التسمية لم تكن من قبل، ولكن لماذا ينقمون علينا ما هم واقعين فيه، لكن نحن نفترق عنهم كل الافتراق في هذه التسمية، ونصر عليها ولا نرضى بها بديلاً في العصر الحاضر على الأقل؛ لأنها تدل على المنهج الصحيح الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه، وليس كذلك بقية الأسماء التي أشرنا إليها، فكل منها لا تدل على منهج المنتسبين إليها.

خُذ مثلاً جماعة الإخوان المسلمين فهم ينتسبون إلى جماعة في العصر الحاضر، ونحن ننتسب إلى جماعة في العصر الغابر، وشتان بين النسبتين كما

قيل: نحن ننتسب إلى السلف الصالح الذين زكاهم الله عز وجل في كتابه وأثنى عليهم نبينا ﷺ في حديثه، وأمرنا في بعض الأحاديث الثابتة عنه أن نتمسك بهديهم، أما الإخوان المسلمين فمن هي الجماعة التي هم ينتسبون إليها؟ هنا نقول:

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح

إذا تركنا الإخوان المسلمين الآن جانباً كاسم ومنهج، وانتقلنا إلى حزب التحرير أيضاً إلى من ينتسب هذا الحزب؟ إلى رجل الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله وغفر لنا وله، (وأنا التقيت به) وأعرفه وأعرف أن منهجه لم يكن على الكتاب والسنة،والتقيت أنا معه مرتين وجرى نقاش بيني وبينه والآن لا مجال للخوض في حكاية ما جرى، لكنه لم يكن على الكتاب والسنة، بل ولم يكن على مذهب من المذاهب المتبعة، سواءً في العقيدة أو في الأحكام.

فيما يتعلق بالعقيدة فلا تعرفه هل هو سلفي العقيدة أي: على منهج السلف الصالح ومنهج أهل الحديث، ولا تعرفه هل هو ماتريدي أم هو أشعري، هذا في العقيدة، وما يتعلق في الأحكام فما تعرفه هل هو حنفي أم شافعي أم مالكي أم حنبلي؟ بل أنا أعرفه أنه ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ولا من هؤلاء، ذلك؛ لأنه يأخذ من كل مذهب ما يناسب العصر في ظنه، وهذا ما سمعته منه مباشرة.

إذاً: إن كان الذين ينكرون علينا هذا الاسم من حزب التحرير، فلينكروا انتسابهم هم إلى حزب التحرير، وكذلك نقول في بقية أسماء الجماعات المعروفة اليوم: فإنها كلها لا تعطي بهذه الأسماء منهجها، ولإن أعطت منهجاً لها فلا تعطي أن منهجها على الكتاب وعلى السنة، كما هي الدعوة السلفية الصريحة في دعوتها إلى الكتاب وإلى السنة،هذا ما يتعلق بالأسماء.

وتمام هذا الكلام: أن نتذكر أن هذه الأسماء لا يترتب أي خطر على المسلم فيما إذا تبرأ من أي اسم من أسمائها، وليس كذلك من تبرأ من الانتساب إلى السلف؛ لأن هذا إن كان يدري ما يقول فإنه يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين؛ لأن السلف الصالح على رأسه نبينا صلوات الله وسلامه عليه، ثم أصحابه ثم التابعون لهم، ثم أتباعهم.

وهذا المعنى صرح به الرسول عليه السلام في الحديث المشهور حديث الفرق حينما قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي التي على ما أنا عليه وأصحابي».

فدعوتنا قد يلتقي مع قسم منها كل الجماعات الإسلامية التي ذكرنا آنفاً بعض أسمائها وما لم نذكر منها، فكل من ينتمي إلى الإسلام لا يسعه أن يقول بصراحة: أنا لست على الكتاب والسنة؛ لأنه إن قال ذلك فقد خرج من دائرة الإسلام، لكن هل يكفي في هذا الزمان أن ينتسب المسلم إلى الكتاب والسنة فقط، والحديث السابق أجاب: بكل صراحة بأن من علامة الفرقة الناجية: أن تكون على ما كان عليه الرسول وأصحابه، فلم يقل عليه الصلاة والسلام في جوابه المحدد لصفة الفرقة الناجية أنها التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ فقط، وإنما ضم إلى ذلك: «وأصحابي» فقال: «ما أنا عليه وأصحابي».

ويؤيد هذا الضميمة قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فالله عز وجل ذكر مع الرسول هنا المؤمنين، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] كان من الممكن أن يقول الله عز وجل: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ولكنه لحكمة بالغة عطف على الرسول فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] ما الحكمة من هذا العطف؟ الحكمة واضحة جداً ذلك؛ لأن المؤمنين يشرحون لنا ما كان عليه الرسول عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير، فهم كانوا أقرب الناس إلى النبي ﷺ صلة، وأقربهم وأصدقهم إليه فهماً وهكذا.

ولذلك لا يجوز للمسلم أن يقتصر على الانتساب في هذا الزمان إلى القرآن وإلى السنة، هذا الانتساب يكفي عهده عليه السلام، أما فيما بعد ذلك حيث دخلت الأفكار الغريبة والآراء الباطلة في الإسلام باسم الإسلام تارة باجتهاد، وتارة بسوء قصد، ووصل إلينا الإسلام على هذا الاختلاف في العقائد وفي الأحكام وفي الأخلاق والسلوك، فاختلف المسلمون خلافاً كثيراً، فلا يكفي اليوم المسلم أن ينتمي في فهمه للإسلام إلى الكتاب والسنة فقط، بل لابد أن يضم إلى ذلك ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله وعليه وآله وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، هذه دعوتنا نحن السلفيين.

فنعود إلى قولهم الذي نقلته آنفاً عنهم: أننا نُفَرِّق، من نُفَرِّق؟ إن كنا نفرق بين الحق وبين الضلال فهذا واجبنا، وإن كنا نفرق بين المحق والضال فهذا واجبنا، فإذاً: هم عليهم أن يحُدِّدوا كلامهم حينما يتهمونا بأننا نفرق ذلك؛ لأن النبي ﷺ هو نفسه فرق، بل القرآن الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام من أسمائه الفرقان، لماذا؟ لأنه يفرق بين الحق والباطل! ومن أسماء الرسول ﷺ

كما جاء في صحيح البخاري: «المفرق» من أسمائه عليه الصلاة والسلام المفرق، وهذا شرف كبير له؛ ذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، ويفرق بين المسلم والمشرك، وبين المؤمن والمنافق، ونحو ذلك.

فإذاً: كلمة التفريق قد تمدح وقد تقدح، ولذلك فلا يجوز أن تطلق هذه الكلمة على سبيل المدح مطلقاً كما لا يجوز أن تطلق على سبيل القدح مطلقاً، هذا يشبه الكثير من المسائل التي تتعلق بالعقيدة، وهذا مما استفدناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بحق رحمه الله حينما يناقش علماء الكلام وعلماء التأويل الذين أنكروا بعض الصفات الإلهية والتي منها: استواء الله تبارك وتعالى على عرشه، وعلوه على خلقه، حيث يقول المعطلة أو على الأقل المؤولة يقولون: إن الله عز وجل ليس في مكان، إن الله عز وجل ليس له جهة. يقول ابن تيمية في مناقشة هؤلاء: نحن لا نقول إن لله مكاناً أو إن له جهة كما أننا لا ننفي المكان عنه، ولا الجهة، وإنما ننظر إلى النافي وإلى المثبت، ننظر إلى كل منهما، ماذا يعني إذا أثبت المكان أو الجهة، أو ماذا يعني إذا نفى المكان أو الجهة؟ فإن كان ما يعنيه هذا أو ذاك مطابقاً للكتاب والسنة قبلنا معناه، ورفضنا لفظه؛ لأن اللفظ لم يرد، فمن قال: إن الله عز وجل ليس له جهة، إن كان يعني ليس له جهة من الجهات الست مطلقاً كما هو طبيعة الإنسان لابد ما يكون في جهة، فهذا قد يقال إلا إذا نفى أن يكون الله عز وجل في جهة العلو حينئذ نقول له: أبطلت؛ لأنك نفيت ما جاءت نصوص الكتاب والسنة متواترة على إثباته وهو: ارتفاع الله عز وجل على عرشه وعلوه على خلقه.

وإن عنيت بالنفي أن الله بحاجة إلى الجهة وإلى المكان، قلنا: نحن معك؛ لأن الله هو الغني عن العالمين، لكن هذا لا يعني أنه ليس له صفة العلو.

فإذاً: كلمة تقال تارة لها معنى صحيح، وتارة لها معنى غير صحيح، فالآن الذين يذموننا ويقولون: أنكم تفرقون فاسألهم نفرق بين ماذا وماذا؟ نحن دعاة إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، فهل أنت معنا؟ فإن قال: أنا

معكم إذاً: نحن ما فرقنا، وإن قال: أنا لست معكم إذاً: أنت افترقت عنا، هذا جواب ما سألته آنفاً.

مداخلة: نعم. بالنسبة لبعض الدعاة في مدينة وهان اتهمونا بأننا لا نخرج معهم للتجمع أو للمسيرة أننا نحن كفار أو فاسقون؟

الشيخ: طيب. يا أخي هذا ليس له علاقة بالعلم يتهموننا فهذه سنة الله في خلقه!)

نحن ندعو إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، فالرد عليهم سهل: هل أنتم تدعون إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف؟ فإن قالوا: نعم. فإذاً: ما الفرق بيننا وبينكم؟!

أنا أقول: الفرق أنهم تكتلوا وتحزبوا وفارقوا المسلمين بتكتلهم، فمن كان معهم في حزبهم فهو مسلم، ومن كان ليس معهم فهو ليس كذلك!

إذاً: هم الذين فارقوا ما دام نحن منهجنا الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح فليقولوا ما شاءوا بعد ذلك، لكن المهم أن تعارضوهم هم يتهمونكم بهذه التهمة، طيب أنتم معنا في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح؟ أي نعم. إذاً: لماذا تقولون نحن منافقون أو خارجون أو ما شابه ذلك، فالمسألة هذه ليس لها تلك الخطورة؛ لأنه مثل هؤلاء الأفاكين الكذابين الذين يكذبون ويفترون هؤلاء لا حيلة لنا معهم سوى أن نكل الأمر إلى الله عز وجل ونقول أولاً – كما روي عن بعض الأنبياء السابقين – حينما حكى رسول الله ﷺ نبياً ضربه قومه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

فنقول هكذا أو نقول: إذا كانوا مصرين على ضلالهم، فينتقم منهم كما ربنا عز وجل يشاء.

(الهدى والنور / ٢٠٠ / ٤٥: ٠٥ : ٠١).

تهم وشبهات: التسمي بالسلفية بدعة

السؤال الأول: يزعم بعض المنتسبين للعمل ويقول: بأن السلفية ليس لها أصل وكذلك يقول بأن الذي يتلفظ ويقول بأني سلفي فهذه الكلمة بدعة، فنود من شيخنا الرد على هؤلاء..

الشيخ: أنا أعتقد أن الذي يقول هذه المقولة هو أولاً يُنكر حقيقة لغوية؛ لأن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع فأقول من الناحية اللغوية فالأمر لا يحتاج إلى بيان، يكفي أنها لفظة عربية النصوص اللغوية مشحونة بالتلفظ بها، لكننا مما نراه أهم من ذلك هو لفت نظر ذلك المُنْكر والمُدّعي بأن هذه اللفظة بدعة أن نُذَكِّره ببعض ما جاء في بعض الأحاديث النبوية مما صح عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها قال لها: وإنكِ أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لكِ، إن النبي ﷺ يعزيها به عليه السلام فيقول لها إنه سيموت قبلها وأنها ستلحق به عمّا قريب، وقد كان ذلك كما هو معلوم في التاريخ، فقد ماتت رضي الله تعالى عنها بعد النبي ﷺ بنحو ستة أشهر، فإذا كان النبي ﷺ يحدث عن نفسه بأنه نعم السلف لابنته فاطمة حيث يتقدمها وفاة وموتاً، فهو عليه الصلاة والسلام هو سلفنا في هذه الدعوة ولا شك، وأما استعمال العلماء لكلمة السلف فأكثر مما أن يمكن أن يتحدث الإنسان أو أن يحصي. ذلك، وحسب المسلم البصير في دينه أن يتذكر ما ينشده علماء السلف والمتّبعين للسلف الصالح حينما يقولون في احتجاجهم في

محاربة كل بدعة حدثت من بعدهم ألا وهو قولهم:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

لذلك أنا أقول إن الذي يُنكر هذه اللفظة من الناحية الشرعية وينكرها أيضاً من الناحية النسبية، فلا يجوز للمسلم أن يقول أنا سلفي كأنه يقول لا يجوز أن يقول المسلم أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة ومن عبادة ومن سلوك، ولا شك أن مثل هذا الإنكار لو أنه كان يعي ما يقول لكن نجد له عذراً في أنه لا يعي ما يقول، لو كان يعي ما يقول فمعنى ذلك أنه التبرؤ عن الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وأُذكر على ضوء هذا الحديث الذي قلناه آنفاً وهو في صحيح مسلم من قوله ﷺ للسيدة فاطمة: ونعم السلف أنا لكِ.

أنا أُذَكِّر هؤلاء الذين ينكرون هذه النسبة بأن التبرؤ من السلف معناه التبرؤ ممن جاء بدعوة السلف، معناه التبرؤ من النبي ﷺ ؛ لأنه هو على رأس السلف الصالح، ومما يشير إلى هذه الحقيقة الحديث المعروف في الصحيحين وفي غيرهما بل أعتقد ببحثي الخاص أنه حديث متواتر صحة ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..» ولا شك أن النبي ﷺ هو على رأس هذا القرن، وقد جاءت أيضاً إشارة إلى أنه كذلك حيث بعث في أول القرن الأول، فإذا كان النبي ﷺ على رأس السلف الصالح فكيف يُعقل لمن يدري ما يتكلم وما يقول أن الانتساب إلى السلف، وأن هذه اللفظة لفظة السلف هذه بدعة في الإسلام..! أنا أعتقد أن هؤلاء هم في غفلة ساهون لغة وشرعاً، فإن السلف الصالح لا يمكن لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إليهم، بينما لو تبرأ من أي نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن يُنسب إلى كفر فيما إذا تبرأ من غير السلف، أما إذا تبرأ أن ينتسب إلى السلف فلا شك أنه يكون غير مسلم؛ لأنه تبرأ من النبي ﷺ الذي هو على رأس السلف.

هذا ما نقوله بالنسبة لهذه الكلمة، لكني أتساءل في نفسي هذا الذي أُشير إليه بأنه أنكر هذه النسبة أو بدّع هذه الكلمة ترى ألا ينتسب هو إلى مذهب من المذاهب سواء كان هذا المذهب متعلقاً في العقيدة أو كان متعلقاً بالفقه؟ يغلب على ظني أنه لا بد أن يكون منتسباً إلى مذهب من هذه المذاهب التي تتعلق إما بالعقيدة أو الفقه، فإما أن يكون ماتريدياً وإما أن يكون أشعرياً وإما أن يكون من أهل الحديث وكما يعبّرون اليوم من أهل السنة والجماعة، وإما أن يكون خارجياً أو معتزلياً أو أو.. إلى آخرهم، ليس لنا الآن علاقة بالمذاهب الأخرى التي لا تدخل في مسمى أهل السنة والجماعة، فقد عرفنا في اصطلاح المتأخرين أن المقصود بأهل السنة والجماعة أول ما يتبادر أو أول ما يقصدون بهذه الجملة هم الأشاعرة والماتريدية، ثم قد يدخلون في أهل السنة والجماعة أهل الحديث، وقد لا يدخلونهم، فعلى كل حال الذي ينكر هذه النسبة فإلى ما هو ينتسب، لا بد من أن ينتسب إلى اصطلاح من هذه الاصطلاحات، إما أن يقول أنا من أهل السنة والجماعة وإما أن يقول أنا من الأشاعرة أو الماتريدية، وهذا أسوأ وأسوأ بكثير؛ لأن الذي ينتسب إلى المذهب الأشعري ينتسب إلى شخص غير معصوم، والذي ينتسب إلى الماتريدي كذلك ينتسب إلى شخص غير معصوم، وقل كذلك بالنسبة للمذاهب الفقهية الأربعة فضلاً عن المذاهب الأخرى الخارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة، فكل هذه الانتسابات تنتسب إلى أفراد هم غير معصومين بلا شك، فكل هذه الانتسابات تنتسب إلى أفراد وإن كانوا من العلماء أصابوا أم أخطؤوا فهم أفراد ليسوا بمعصومين، فليت شعري هل أنكروا مثل هذه الانتسابات، لو أنهم أنكروها لأصابوا؛ لأنها انتسابات إلى أفراد غير معصومين، وليس الأمر كذلك بالنسبة لمن ينتسب إلى السلف الصالح فإنما ينتسب إلى العصمة، ذلك لأن النبي ﷺ قد ذكر من علامات الفرقة الناجية أنها التي تتمسك على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه، فهؤلاء هم السلف، فمن

تمسك بهم كان يقيناً على هدى من ربهم، ومن انتسب إليهم فهذه النسبة تشرّف المنتسب إليها وتيسر له سبيل أن يكون من الفرقة الناجية وليس كذلك من ينتسب إلى أي نسبة أخرى؛ لأنها لا تعدو أحد أمرين: إما انتساب إلى شخص غير معصوم، أو إلى أشخاص يتّبعون منهج هذا الشخص الذي هو غير معصوم، فلا عصمة هنا بينما العصمة قائمة بالنسبة لأصحاب النبي ﷺ الذين أمرنا بأن نتمسك بسنته عليه السلام وسنة أصحابه من بعده، لذلك أعتقد أن الشخص المُرْمَى إليه ينبغي أن يتراجع فوراً عن أن يتلفظ بمثل هذه الكلمة.

وأنا كنت سمعت شريطاً لبعض الدعاة المعاصرين اليوم وأظنه على منهج الكتاب والسنة ولكنه لم يؤت فقهاً في الكتاب والسنة، فسمعت في الشريط أمراً غريباً أن من يصر على الانتساب هذه النسبة أنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل، واحتج بعبارة نقلها عن ابن تيمية رحمه الله، وتلك العبارة في واد وفهمه هو أو فتواه في واد آخر.

الشاهد نحن إنما نُصِرّ ونُلِحّ أن يكون فهمنا للكتاب والسنة على منهج السلف الصالح لكي نكون في عصمة من أن نميل يميناً أو يساراً وأن ننحرف بفهم لنا شخصي ليس هناك ما يدل عليه من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ، هذا ما يحضرني جواباً عن هذا السؤال، وأسأل الله عز وجل أن يهدي به من كان شارداً عنه.

(الهدى والنور / ٦٩٩ / ٠٥: ٠١ : ٠٠)

تهم وشبهات: التسمي بالسلفية تزكية للنفس فلا تجوز

مداخلة: يَدَّعي بعض الإخوة التابعين للمنهج السلفي فيقولون: بأن الإنسان المسلم الذي يتبع المنهج السلفي لا يجوز له أن يقول عن نفسه: أنه سلفي؛ وذلك لأنه يُزَكِّي نفسه، ولا يجوز التزكية.

الشيخ: الله يسامحه.

مداخلة: فأرجو التوضيح يا شيخنا؟

الشيخ: هو موجود هنا حتى نسأله السؤال التالي: هل أنت مسلم ماذا يقول؟

مداخلة: ...

الشيخ: ماذا تظن سوف يقول؟

مداخلة: مسلم.

الشيخ: يعني تزكية، هذه تزكية، وما قلت.. نريد أن تطولوا بالكم علينا قليلاً. وما قلت أني سوف أسأله: هل أنت مؤمن؛ لأن هذا يحتاج إلى بحث طويل؛ لأن الإيمان له تفصيل: هل هو الإقرار الاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان أو لا؟ هذا يحتاج إلى بحث طويل، فقد يقول إذا قلت له: أنا مؤمن، هل أنت مؤمن؟ يمكن يقول لي: أنا مؤمن، نقول له: هل أنت من الذين وصفهم الله:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[المؤمنون:١-٤].. إلى آخره، سيقول ... وفي صلاتهم خاشعون أيضاً هذه نادر جداً أن يتحقق فيه بل سيقول: والله أنا في شك من هذا، إذاً: أنت تشك في إيمانك؟ لا أنا ما أشك في عقيدتي؛ هذه تزكية أكثر من الأولى، إذا قال: أنا مسلم، فهذا الرجل ما يفقه ما هي السلفية حتى يقول: إن هذه تزكية، السلفية هو الإسلام الصحيح، فمن يقول عن نفسه: أنا مسلم وأنا ديني الإسلام، كالذي يقول اليوم: أنا سلفي.

وهذا أمر ضروري جداً، الأمر ضروري جداً بالنسبة للشباب المسلم اليوم أن يعرف الجو الذي يعيشه، الجو الإسلامي وليس الجاهلي، يجب أن يعرف الجو الإسلامي الذي يعيشه والذي يحياه؛ لأن النبي ﷺ قد بَيَّن وفَصَّل لنا القرآن تفصيلاً، ربنا عز وجل يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢]، فالله عز وجل برحمته وفضله حَذَّر عباده المؤمنون أن يكونوا من المشركين، الذين من أوصافهم كما قال: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢].

فأنتم اليوم تعلمون أن هناك طائفة من المسلمين اسمهم: الشيعة، فهم فعلاً وقولاً تفرَّقوا عن المسلمين اسمهم الشيعة، فإذا تركنا هؤلاء جانباً ونظرنا إلى من يُسَمَّون بأهل السنة والجماعة، هؤلاء أيضاً تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وما يوجد مسلم اليوم إلا ويعلم أن المذاهب الفقهية من أهل السنة والجماعة هي أربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، ولا شك أن هؤلاء الأئمة الأربعة هم من أئمة السلف، ولكن الذين اتبعوهم منهم ومنهم، منهم من اتبعوهم بإحسان، ومنهم

من اتبعوهم بإساءة، فالأئمة رحمهم الله أحسنوا إلى المسلمين في بيان الفقه الذي استنبطوه من الكتاب والسنة، لكن الأتباع منهم ومنهم؛ لأنهم تفرقوا شيعاً وأحزاباً، الحنفي ما يصلي وراء الشافعي، والشافعي ما يصلي وراء الحنفي.. وإلى آخره، لا نخوض في هذا الآن كثيراً، والحر كما يقال تكفيه الإشارة، لكن هناك مذاهب في العقيدة، منها مذهبان بل ثلاثة، لكن قلت مذهبان؛ لأن المذهبين ما يعترفوا على المذهب الثالث وهو المذهب الحق، في العقيدة التي أنا قلت ثلاثة مذاهب: أهل الحديث، والماتريدية، والأشاعرة، هؤلاء المذهبين الماتريدية والأشاعرة هم الذين يقصدون بكلمة: أهل السنة والجماعة، قديماً وحديثاً، لكن بعض إخواننا السلفيين الدعاة منهم يحاولون الآن أن يطلقوا هذا الاسم: أهل السنة والجماعة على أتباع السلف الصالح، وهذا سيأخذ معهم جهداً طويلاً وطويلاً جداً حتى يتركوا العرف العام، علماء الأزهر مثلاً حينما يقولون: أهل السنة والجماعة لا يقصدون إلا الماتريدية والأشاعرة، هؤلاء يختلفون عن المذهب الأول، مذهب الحديث مذهب الفرقة الناجية يختلفون كل الاختلاف، غير أيضاً الخوارج والإباضية الذين موجودون اليوم في عمان وفي الجزائر في بعض البلاد الجزائرية في المغرب.. إلى آخره، هذه الأحزاب كلها لا يمكن الانتماء إلى شيء منها إلا إلى مذهب واحد وهي التي تمثل الفرقة الناجية التي وصفها الرسول عليه السلام بأنها التي تكون على ما كان عليه هو عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام.

فهذا الإنسان الذي أنت تشير إليه هذا يجب أن يعرف هذه الحقيقة الغيبية التي أخبر الرسول عنها من الاختلاف الذي أشارت إليه الآية الكريمة آنفاً المذكورة آنفاً، وفصلها الرسول عليه السلام في أحاديثه تفصيلاً خاصة في حديث الفرق وهو قوله: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»،

فهذا المسكين لا يعرف الفرقة الناجية؛ ولذلك يقول: ما يجوز أن تقول عن نفسك: أنا سلفي؛ لأنك تزكي نفسك، إن لم يقل هو عن نفسه سلفي، فهو يقول: أنا مسلم، وقد يقول: أنا مؤمن، وكلاهما تزكية ولا شك، ربنا عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦]، فالمسلم يميز نفسه عن الكافر فيقول: ديني الإسلام، إذا قال: ديني الإسلام، كلمتان ما مختصر. هاتين الكلمتين؟ مسلم، فإذا قال: ديني الإسلام كما لو قال: أنا مسلم، طيب هل أنت مسلم جغرافي أو أنت حقيقة مسلم؟ قد كان في عهد الرسول عليه السلام مسلمون منافقون، تعرفون هذه الحقيقة، ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾[التوبة:١٠١] في صريح القرآن الكريم، لكن كانوا يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلون مع المسلمين ويصومون، لكنهم لم يؤمنوا بقلوبهم.

فإذاً: الإسلام إذا لم يقترن مع الإيمان في القلب هذا الإسلام فلا ينفعه إسلامه إطلاقاً، وهذا معروف في القرآن الكريم.

لذلك مثل هذا المسلم الذي ينصح بتلك النصيحة الباطلة يجب أن يعرف أين يضع قدمه من هذه الفرق الهالكة التي ليس فيها فرقة ناجية إلا التي تكون على ما كان عليه الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام؛ لذلك نحن لنكون مع هؤلاء نقول: الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

ونسأل الله عز وجل أن يحيينا على ذلك، وأن يميتنا على ذلك. غيره.

مداخلة: بعض إخواننا الدعاة يقول: أنا أقول: أنا سلفي؛ خشية أن أقع يعني... والناس تنظر إلي بنظرة حزبية، فهل هذا الكلام ....أم عليه أن أبين للناس ...؟

الشيخ: هو هذا الأخير. أنا أروي الآن مناقشة جرت التي جرت بيني وبين أحد الكتاب الإسلاميين الذين هم معنا على الكتاب والسنة.

المناقشة جرت كالتالي، وأرجو لإخواننا طلاب العلم أن يحفظوا هذه المناقشة؛ لأنها في ثمرتها مهمة جداً.

قلت له: إذا سألك سائل: ما مذهبك، ما هو جوابك؟

قال: مسلم.

قلت: هذا جواب خطأ.

قال: لم؟

قلت له: لو سألك سائل: ما دينك، ماذا تقول؟

قال: مسلم؛ لأنه ما سألتك ما دينك، أنا سألتك: ما مذهبك؟ هذا أولاً.

وثانياً: أنت تعلم أن في الأرض الإسلامية اليوم مذاهب كثيرة وكثيرة جداً، أنت معنا في الحكم على بعضها بأنها ليست من الإسلام بسبيل إطلاقاً، كالدروز مثلاً والإسماعيليين والعلويين.. ونحوهم، مع ذلك فهم يقولون: نحن مسلمون، وهناك طوائف أخرى قد لا نقول إنها كتلك الطوائف الأولى إنها خرجت من الإسلام، وإنما لا شك أنها تكون من الطوائف الضالة التي خرجت في كثير عن الكتاب والسنة، مثلاً: كالمعتزلة والخوارج والمرجئة والجبرية.. ونحو ذلك، أيش رأيك هذا موجود عندك اليوم أو لا؟

قال: نعم.

قلت: فإذا سألنا شخصاً من هؤلاء الأشخاص: ما مذهبك؟ سيقول قولك متحفظاً: مسلم، فأنت مسلم وهو مسلم، إذاً: نحن نريد أن توضح في جوابك عن

مذهبك بعد إسلامك ودينك.

فعرف الرجل وهو كما قلنا هو معنا.

قال: إذاً أنا أقول في الجواب: أنا مذهبي الكتاب والسنة.

قلت: أيضاً هذا الجواب لا يكفي.

قال: لم؟

قلت: لأن من ذكرناهم أنهم يعني يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون أيضاً لا أحد منهم يقول: أنا لست على الكتاب والسنة، كل واحد يقول.. كل الشيعة الآن، هل الشيعة يقولون: نحن ضد الكتاب والسنة؟ لا، يقولون: نحن على الكتاب والسنة، وأنتم منحرفون عن الكتاب والسنة.

فلا يكفي يا أستاذ أقول لصاحبي أن تقول: أنا مسلم لكن على الكتاب والسنة، فلا بد من ضميمة أخرى، ما هو رأيك هل يجوز نحن اليوم الذين نعتمد على الكتاب والسنة أن نفهم الكتاب والسنة فهماً جديداً، أم لا بد أن نلتزم في فهمهما ما كان عليه السلف الصالح؟

قال: لا بد من ذلك.

قلت: هل أنت تعتقد أن أصحاب المذاهب الأخرى من كان خارجاً عن الإسلام ويدعي الإسلام، ومن كان لا يزال في بداية إسلامه لكنه ضل عن بعض أحكامه، هل تعتقد أنهم يقولون معك ومعي أنا: نحن على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؟

قال: لا ما يشتركون معنا.

قلت: إذاً أنت لا يكفي أن تقول: أنا على الكتاب وعلى السنة، لا بد من

ضميمة أخرى.

قال: نعم.

قلت: إذاً: ستقول على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

الآن نأتي إلى بيت القصيد، قلت له وهو رجل أديب وكاتب نحرير، قلت: ألا يوجد كلمة واحدة في اللغة العربية تجمع لنا الإشارة إلى هذه الكلمات كلها: مسلم على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، ما في كلمة تغنينا عن هذه الكلمات كلها، فهي مثلاً: أنا في.. قال هو كذلك وأسقط في يده. هذا هو الجواب.

فإذا أحد أنكر عليك لا تقل: سلفي، قل له أنت.. قبل هذا الكلام الذي ذكرناه: وأنت ماذا؟ سيقول لك: مسلم. أمشي بقى في القضية.

مداخلة: هو شيخنا يقول: أنا سلفي، لكن يقول: أنا سلفي، أنا ما وصلت حقيقة إلى درجة السلف كي أقول عن نفسي سلفي، فنسأل الله أن نكون سلفيين، يقول هكذا.

الشيخ: لكل سؤال جواب، هو وصل إلى درجة سلفي إسلامي؟

مداخلة: ما وصل.

الشيخ: فإذاً ما يقول مسلم، سبحان الله! ماذا يفعل الجهل بصاحبه يرميه على أُمِّ رأسه.

(الهدى والنور / ٧٢٥ /١٥: ٠٠ : ٠٠)

(الهدى والنور / ٧٢٥ /٤٥: ٣١- ٠٠)

(الهدى والنور / ٧٢٥ /٣٦:٣٦: ٠٠)

١٧

ضعف المسلمين والحل للخروج منه

المستقبل للإسلام

[قال الإمام]:

قال الله عز وجل : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون﴾ .

تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته و ظهوره و حكمه على الأديان كلها ، و قد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ و عهد الخلفاء الراشدين و الملوك الصالحين ، و ليس كذلك ، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق ، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله : «لا يذهب الليل و النهار حتى تعبد اللات و العزى ، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون﴾ أن ذلك تاما ، قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله» . الحديث .

رواه مسلم و غيره ، و قد خَرَّجته في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص ١٢٢) .

و قد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام و مدى انتشاره ، بحيث لا يدع مجالا للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله و توفيقه .

و ها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سببا لشحذ همم العاملين للإسلام ، و حجة على اليائسين المتواكلين:

١ - «إن الله زوى (أي جمع و ضم) لي الأرض، فرأيت مشارقها و مغاربها و إن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» . الحديث .

و أوضح منه و أعم الحديث :

٢- «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل و النهار، و لا يترك الله بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام و ذلا يذل به الكفر» .

و مما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم و مادياتهم و سلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان، و هذا ما يبشرنا به الحديث : «عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي و سئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال : فأخرج منه كتابا قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : «مدينة هرقل تفتح أولا . يعني قسطنطينية».

و (رومية) هي روما كما في «معجم البلدان» و هي عاصمة إيطاليا اليوم .

و قد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى و لابد، و لتعلمن نبأه بعد حين .

و لا شك أيضا أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، و هذا مما يبشرنا به ﷺ بقوله في الحديث :

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم

تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت».

هـذا و إن مـن المبشرـات بعـودة القـوة إلى المسـلمين و اسـتثمارهم الأرض استثمارا يساعدهم على تحقيق الغرض، و تنبىء عن أن لهم مستقبلا باهرا حتى من الناحية الاقتصادية و الزراعية قوله ﷺ :

«لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا و أنهاراً».

و قد بدأت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات و بركات و آلات ناضحات تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء و هناك فكرة بجر نهر الفرات إلى الجزيرة كنا قرأناها في بعض الجرائد المحلية فلعلها تخرج إلى حيز الوجود، و إن غدا لناظره قريب .

هذا و مما يجب أن يعلم بهذه المناسبة أن قوله ﷺ :

" لا يأتي عليكم زمان إلا و الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم " .

رواه البخاري في " الفتن " من حديث أنس مرفوعاً.

فهـذا الحـديث ينبغـي أن يفهـم عـلى ضـوء الأحاديـث المتقدمـة و غيرهـا مثـل أحاديث المهدي و نزول عيسى عليه السلام فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ أسأل الله أن يجعلنا مؤمنين به حقا .

الصحيحة(١/١/٣١-٣٦) بتصرف.

حض الإسلام على استثمار الأرض وزرعها

قال رسول الله ﷺ:«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» .

وقال: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة و ما سُرِق منه له صدقة و ما أكل السبع منه فهو له صدقة و ما أكلت الطير فهو له صدقة و لا يرزؤه (أي ينقصه و يأخذ منه) أحد إلا كان له صدقة (إلى يوم القيامة)».

وقال: «إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها».

[بوب الإمام لهذه الأحاديث بقوله]: حض الإسلام على استثمار الأرض وزرعها.

[ثم قال]:

و لا أدل على الحض على الاستثمار من هذه الأحاديث الكريمة، لاسيما الحديث الأخير منها فإن فيه ترغيبا عظيما على اغتنام آخر فرصة من الحياة في سبيل زرع ما ينتفع به الناس بعد موته فيجري له أجره و تكتب له صدقته إلى يوم القيامة .

الصحيحة (١/١/٣٧-٤٠) بتصرف.

التكالب على الدنيا يورث الذل

[قال الإمام]:

ذكرت في المقال السابق بعض الأحاديث الواردة في الحض على استثمار الأرض، مما لا يدع مجالا للشك في أن الإسلام شرع ذلك للمسلمين و رغَّبهم فيه أيما ترغيب .

و اليوم نورد بعض الأحاديث التي قد يتبادر لبعض الأذهان الضعيفة أو القلوب المريضة أنها معارضة للأحاديث المتقدمة، و هي في الحقيقة غير منافية لها، إذا ما أُحسن فهمها، و خلت النفس من اتباع هواها !

الأول : عن أبي أمامة الباهلي قال – و رأى سكة و شيئا من آلة الحرث فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل».

و قد وَفَّق العلماء بين هذا الحديث و الأحاديث المتقدمة في المقال المشار إليه بوجهين اثنين :

أ – أن المراد بالذل ما يلزمهم من حقوق الأرض التي تطالبهم بها الولاة من خراج أو عشر، فمن أدخل نفسه في ذلك فقد عرَّضها للذل .

قال المناوي في «الفيض» : «و ليس هذا ذماً للزراعة فإنها محمودة مُثَاب عليها لكثرة أكل العوافي منها، إذ لا تلازم بين ذل الدنيا و حرمان ثواب البعض».

و لهذا قال ابن التين : «هذا من إخباره ﷺ بالمغيبات، لأن المشاهد الآن أن

أكثر الظلم إنما هو على أهل الحرث».

ب - أنه محمول على من شغله الحرث و الزرع عن القيام بالواجبات كالحرب و نحوه، و إلى هذا ذهب البخاري حيث ترجم للحديث بقوله :

«باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحد الذي أمر به».

فإن من المعلوم أن الغلو في السعي وراء الكسب يلهي صاحبه عن الواجب و يحمله على التكالب على الدنيا و الإخلاد إلى الأرض و الإعراض عن الجهاد، كما هو مشاهد من الكثيرين من الأغنياء .

و يؤيد هذا الوجه قوله ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة، و أخذتم أذناب البقر و رضيتم بالزرع و تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

فتأمل كيف بَيَّن هذا الحديث ما أُجمل في حديث أبي أمامة المتقدم قبله، فذكر أن تسليط الذل ليس هو لمجرد الزرع و الحرث بل لما اقترن به من الإخلاد إليه والانشغال به عن الجهاد في سبيل الله، فهذا هو المراد بالحديث، و أما الزرع الذي لم يقترن به شيء من ذلك فهو المراد بالأحاديث المرغبة في الحرث فلا تعارض بينها و لا إشكال .

تنبيه: من البواعث على كتابة هذا المقال : أن مستشرقا ألمانيا زعم لأحد الطلاب المسلمين السوريين هناك أن الإسلام يحذر أهله من تعاطي أسباب استثمار الأرض واحتج بهذا الحديث، وقال:إنه في البخاري، متعاميا عن المعنى الذي ذكره البخاري نفسه في ترجمته للحديث السابق.

[ثم أورد الإمام حديث]:

«لا تتخذوا الضَيِّعة فترغبوا في الدنيا».

ثم قال: و اعلم أن هذا التكثر المفضي إلى الانصراف عن القيام بالواجبات التي منها الجهاد في سبيل الله هو المراد بالتهلكة المذكورة في قوله تعالى ﴿و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ و في ذلك نزلت الآية خلافا لما يظن كثير من الناس!

الصحيحة (١/١/٤٠-٤٦) بتصرف.

الانشغال بالدنيا عن الدين سبب الهلاك

قال الإمام عن الانشغال بالدنيا:

وهذا ما أصاب أكثر المسلمين اليوم فشُغِلوا بإصلاح أموالهم وتنميتها عن الاهتمام بدينهم والدفاع عن بلادهم، وقد غزاها أذل الناس، فصدق فيهم قول نبيهم: إذا تبايعتم بالعينة..الحديث، وفيه : وتركتم الجهاد في سبيل الله سلَّط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم.

صحيح موارد الظمآن (١١٩/٢).

العودة إلى الدين هو الطريق للخلافة الإسلامية

قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

قال الإمام: قوله : (ما أقاموا الدين) أي : مُدَّة إقامتهم أمور الدين، و مفهومه أنهم إذا لم يقيموا الدين خرج الأمر عنهم، و في ذلك أحاديث أخرى تقدم أحدها (١٥٥٢) و انظر الآتي بعده . و إليها أشار الحافظ في شرحه لهذا الحديث بقوله (١٣ / ١١٧) : «و يؤخذ من بقية الأحاديث أن خروجه عنهم إنما يقع بعد إيقاع ما هُدِّدوا به من الله أولا، و هو الموجب للخذلان و فساد التدبير، و قد وقع ذلك في صدر الدولة العباسية، ثم التهديد بتسليط من يؤذيهم عليهم، و وجد ذلك في غلبة مواليهم حيث صاروا معهم كالصبي المحجور عليه، يقتنع بلذاته و يباشر لأمور غيره، ثم اشتد الخطب فغلب عليهم الديلم، فضايقوهم في كل شيء حتى لم يبق للخليفة إلا الخطبة، و اقتسم المتغلبون الممالك في جميع الأقاليم، ثم طرأ عليهم طائفة بعد طائفة، حتى انتزع الأمر منهم في جميع الأقطار، و لم يبق للخليفة إلا مجرد الاسم في بعض الأمصار» . قلت : ما أشبه الليلة بالبارحة، بل الأمر أسوأ، فإنه لا خليفة اليوم لهم، لا اسما ولا رسما، و قد تغلبت اليهود و الشيوعيون و المنافقون على كثير من البلاد الإسلامية . فالله تعالى هو المسؤول أن يوفق المسلمين أن يأتمروا بأمره في كل ما شرع لهم، و أن يلهم الحكام منهم

أن يتحدوا في دولة واحدة تحكم بشريعته، حتى يعزهم الله في الدنيا، و يسعدهم في الآخرة، و إلا فالأمر كما قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، و تفسيرها في الحديث الصحيح : «إذا تبايعتم بالعينة، و أخذتم أذناب البقر، و رضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» ، فإلى دينكم أيها المسلمون حكاما و محكومين.

الصحيحة (٨٤٦/٢/٦).

باب منه

قال رسول الله ﷺ: «أما بعد: يا معشر قريش ! فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم كما يُلحي هذا القضيب - لقضيب في يده».

[بوب عليه الإمام بقوله]:

الخلافة في قريش ما أطاعوا الله.

[ثم قال]:

و هذا الحديث عَلَم من أعلام نبوته ﷺ، فقد استمرت الخلافة في قريش عدة قرون، ثم دالت دولتهم، بعصيانهم لربهم، و اتباعهم لأهوائهم، فسلط الله عليهم من الأعاجم من أخذ الحكم من أيديهم و ذل المسلمون من بعدهم، إلا ما شاء الله . و لذلك فعلى المسلمين إذا كانوا صادقين في سعيهم لإعادة الدولة الإسلامية أن يتوبوا إلى ربهم، و يرجعوا إلى دينهم، و يتبعوا أحكام شريعتهم، و من ذلك أن الخلافة في قريش بالشروط المعروفة في كتب الحديث و الفقه، و لا يُحَكِّموا آراءهم و أهواءهم، و ما وجدوا عليه آباءهم و أجدادهم، و إلا فسيظلون محكومين من غيرهم، و صدق الله إذ قال : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم﴾ . و العاقبة للمتقين .

الصحيحة (٤/٧٠).

سبب ضعف المسلمين

بيان الشيخ حرمة الدخان ونصيحته المسلمين بتقوى الله وطلب الرزق الحلال، مع التنبيه على السبب الأساسي الذي أدى إلى ضعف المسلمين وتكالب الكفار عليهم .

الشيخ: الدخان [...] ومضر في الناحية وفي العلاقات الاجتماعية، فأنت تركب الباص أو تركب القطار وأنت ممن عافاك الله من شرب الدخان، فَتُبْتَلى بشخص يشرب الدخان، فيملأ الباص والغرفة من هالدخان الخبيث – الرائحة – ويضيق على الناس الذين حوله ولا يبالي، هذا الدخان الخبيث أصبح إذا تحدث أحد أهل العلم حوله بشيء من التفصيل وقد يأخذ ذلك نصف ساعة أو ساعة أحياناً ليُقيم الحجة بعد الحجة والدليل بعد الدليل على أن الدخان شربه حرام لا فرق في ذلك بين الغني والفقير، وإذا بأحد اللامبالين في المجلس يقول : يا أخي إن كان حراماً حرقناه وإن كان حلالاً شربناه، هذه تسمعوها كثير .

الحضور : إيه نعم .

الشيخ: لهذا فالكلمة هذه تمثل واقع العالم الإسلامي اليوم إلا من شاء الله وقليل ما هم، فأكثرهم لا يتقون الله في تحصيلهم لكسبهم ورزقهم، مع أن النبي ﷺ كان يقول : «يا أيها الناس إن أحدكم لنْ يموت حتى يستكمل رزقه وأجله، فأجملوا في الطلب فإن ما عند الله لا يُنال بالحرام»، « إن أحدكم لنْ يموت حتى يستكمل رزقه وأجله، فأجملوا في الطلب» أي : اسلكوا الطريق والسبيل

الجميل، أي : المشروع في طلب الرزق، لأنه لنْ يموت أحدكم حتى يستوفي الرزق كله، لا يدع من وراءه ولا فلس كما أنه أيضا يستوفي أجله [....]، كما قال تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ والساعة في الآية : ليست الساعة التي عندنا (٢٤)، لا، الساعة في الآية: اللحظة، يعني : ﴿لا يستأخرون ساعة﴾ أي : لحظة، ﴿ولا يستقدمون﴾ الشاهد: مع كل هذه الأوامر الشرعية والضمانات الإلهية بأن الإنسان سينال رزقه شاء أم أبى، فنحن نهتم بهذا الرزق إلى درجة أننا لا نسأل : حرام أو حلال، أما الغاية التي من أجلها خُلقنا : وهي أن نعبد ربنا فقد جعلنا ذلك نسياً منسياً، فبتلاقي هالمسلمين كالكفار يعملون ليلاً نهاراً في سبيل طلب ما هو مضمون، ويهملون ما من أجله خُلقوا، وهو عبادة الله تبارك وتعالى، ولذلك فكثير من عامة المسلمين - بل وبعض خاصتهم – يجهلون السبب الحقيقي الذي به وقع المسلمون في هذا الذل وفي هذا الاستبداد والاستعمار من الكفار جميعاً وبخاصة اليهود الذين احتلوا بلادنا، ما يعرفون السبب إلا قضاء الله وقدره، هيك [هكذا]، الله كاتب علينا، وكثير منهم من ينتقد ويعترض على الله، ويقول : شو اليهود أحسن منا ؟ مو إحنا مسلمين ؟ شلون حل اليهود محلنا في بلادنا ؟ ذلك من جهلهم، لأن الله عز وجل في هذا الكون سنناً وقوانين ونظم، من أخذ بها وصل إلى غاياتها ومن أعرض عنها وتأخر سواء في الدين أم في الدنيا، لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « ستتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها» قالوا: أَوَ مِنْ قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال : « لا، بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة من صدور عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن» قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : «حب الدنيا وكراهية الموت».

رجل من الحضور : يُطَبِّق – سيدي – هذا الحديث ...

الشيخ: نعم ؟

الرجل : يُطَبَّق هالوقت ؟

الشيخ: يُطَبَّق ؟ أطَّبق وخَلَص، وهذا بيؤكد لك الحديث الثاني : قال عليه السلام : «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله...» ... [هنا قطع في الشريط])، هاي اليهود احتلوا بلادنا، شو بدهم المسلمين ذل أكثر من أن يُستذلوا من أذل الناس ضُرِبَت عليهم الذلة والمسْكَنَةُ فباؤوا بغضب من الله ؟ وإذا بهؤلاء يستذلوننا نحن المسلمين، هل نحن اسْتُذْلِلْنا من أذل الناس لأننا أعزة – كما قال ربنا عز وجل في القرآن : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾؟ لا، خبر الله لا يتأخر، ﴿لله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ لكن من هم هدول المؤمنين ؟؟ هم الذين يتقون الله تبارك وتعالى وبيمشوا على شريعته، فنحن مصيبتنا اليوم أننا أعرضنا عن المبدأ الأساسي الذي من أجله خلقنا، وهو : عبادة الله تبارك وتعالى، فأكثرنا لا يعبد الله، والقليل الذي يعبد الله لا يعرف كيف يعبده، فمن الأشياء التي نسيناها، وهي في القرآن المحفوظ، الذي امتن الله عز وجل علينا فقال : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فمما جاء في القرآن : ﴿ومَنْ يَتَّقِ الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أصبحت هذه الآية كأنها منسوخة من القرآن، مش مسطرة يقرأها المسلمون ليلاً نهاراً، لكن شو فائدة القرآن المسطور في الصحف والمصاحف والذي تُزَين به الجُدُر أما القلوب فهي خاوية على عروشها ؟ هل القرآن أُنْزِلَ لنُزَيِّن به بيوتنا ولنتلوه على أمواتنا ونبعده عن أحيائنا تطبيقاً ؟ لا، مو عملاً، قال تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حياً وَيحِقَّ القول على الكافرين﴾ فالقرآن أُنْزَلَ للأحياء أولاً، وليس للأموات، ثم أنزل للأحياء ليعملوا به، لا ليُزَيِّنوا به

بيوتهم وجدرانهم، فهذه آية مما جاء في القرآن، لكن أكثر المسلمين – وخاصة الذين أنعم الله عليهم بشيء من المال – يحرصون على المحافظة عليه ويَخْشَوْنَ ضياعه أو أن يُسرق منهم، بخاصة هؤلاء نسوا هذه الآية : ﴿ومن يَتَّقِ الله يجعل له مخرجا* ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ هذه الآية تعطي أمرين هامين جداً لمن يتقي الله :

الأمر الأول : إذا وقع في ضيق جعل له مخرجاً، وإذا ضاق عليه الرزق، رزقه من حيث لا يحتسب، لأنه اليوم إذا وقعنا في ضيق ربما أحدنا يكفر بالله عز وجل ولا يلجأ إلى الله ولايتضرع إليه ولا يتوسل إليه بما يحبه ويرضاه، كما وقع لبعض من قبلنا ممن حدثنا بحديثهم نبينا صلوات الله وسلامه عليه، قصة وقعت لبعض الأقوام الذين كانوا قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، فحكى القصة نبينا لنا لنتخذ ذلك عبرة ولا ننسى، مثل: الآية السابقة : ﴿ومن يَتَّقِ الله يجعل له مخرجا﴾ هؤلاء قال فيهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «بينما ثلاثة نفر ممن قبلكم يمشون إذا أخذهم المطر فلجؤوا إلى غار في جبل – ما يجرهم المطر والسيل في الصحاري – فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم – كانوا في مشكله يخشونها فإذا بهم يواقعونها، خايفين من المطر يشتد ويصير سيل ويروحوا مع السيل، ولجؤوا إلى الجبل يتحصنون به، وإذا من أعلى الجبل تلك الصخرة الضخمة لا تزحزحها الآلات الحديثة اليوم، وكأن الله وضعها في وجه الغار الذي هم فيه، هم ثلاثة أشخاص – فقال أحدهم : يا هؤلاء، انظروا أعمال عملتموها صالحة لله، لعل الله يفرجها عنكم – شافوا جبل انحط أمام وجهه في الغار، من الذي بيزيح الجبل ؟ هو الذي أنزله، رب العالمين سبحانه وتعالى، لكن هذا رجل عاقل ورجل مؤمن تقي، يقول لأصحابه : شوفوا أعمالاً عملتموها يوماً ما صالحة وقصدتم بها وجه

الله، فتوسلوا بها إلى الله، لعل الله بيزيح الصخرة عن وجه الغار – فقام أحدهم وقال: اللهم إن كنت تعلم أنني كان لي أبوان شيخان كبيران، وامرأتي وكان لي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت حلبت فبدأت بأبويَّ قبل بَنِيّ، فنأى بي ذات يوم شجر فرجعت، وقد أمسيت فحلبت كما كنت أحلب، وجئت بالحلاب إليهما، فوجدتهما قد ناما .متأخر – قال: فكرهت أن أوقظهما من نومهما، وكرهت أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون من الجوع عند قَدَميّ – شو بيقول هذا الرجل؟ يقول أنه كان عنده غنمات وله أبوين وزوجة وأولاد، كل يوم الصبح بكير بيأخذ الغنمات وبيسرح يتطلب إيش؟ الكلأ، النبات، من شان يرعى الغنم، الظاهر: قطع مسافة كبيرة ما وجد قريب، ولما رجع ما وصل إلى البيت إلا وقد أمسى المساء، وهو كعادته الطيبة إللي تدل على بره بأبويه، يأخذ هالوعاء إللي بيحلب فيه حليب، بيمليه حليب وبيبدأ بأبويه قبل عائلته، فحلب، أول ما جاء من البرية لما رجع المساء، وراح دخل عليهم وإذا بهم نايمين، شو بيسوِّي هذا الرجل؟ عنده عادة: بيبدأ بأبويه بالسقي قبل زوجه وأولاده، الآن وقع في مشكلة، أبوه وأمه نايمين، وولاده الصغار صايحين من الجوع، كل النهار ما جاء لعندهم، قال: فوقفت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن اسقي الصبية قبلهما، والصبية بيتضاغون من الجوع عند قَدَميّ من الجوع، يعني: بيصيحوا – قال: فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ...».

(الهدى والنور / ٤ / ١٥: ١٢: ٠٠)

الحل للخروج من ضعف المسلمين وإقامة دولة الإسلام..

الشيخ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

بمثل هذه المناسبة المذكورة نُذَكِّر عادةً بقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سَلَّطَ الله عليكم ذُلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»، والحكومات العربية منذ سنين عديدة تحاول الوقوف أمام العدو هذا اليهودي الغاصب الذي كان أذل الشعوب على وجه الأرض، ولكن مع الأسف لم يأخذوا بأسباب النصر والتي جمعها ربنا عز وجل في جملة قصيرة من آياته الكريمة هي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧] ولذلك فحينما ينصرف المريض عن تعاطي العلاج النافع الناجح الناجع،فسوف لا يشفى، فكيف به إذا أخذ داء على داء؟! وهو لا شك أنه في ازدياد من المرض.

لقد تنبهت بعض الدول إلى ضرورة الأخذ بأسباب القوة والمنعة ظناً منهم أن هذه الأسباب هي التي تحقق النصر لهم على عدوهم، ولكن بسبب ابتعادهم عن دينهم من الناحيتين السابقتين بياناً ألا وهما: الناحية العلمية أو الفقهية، والناحية العملية، ظنوا أن نصرهم على عدوهم سيكون بنفس الوسيلة التي انتصر بها

عدوهم عليهم، ألا وهي: القوة المادية فقط؛ ولذلك فقد توجهوا بكل هممهم ولو بعد لَأْي وبعد زمن طويل إلى الأخذ بهذه الأسباب المادية، ولكنهم لم يصلوا ولن يصلوا إلى الهدف المنشود وهو التغلب على عدوهم والانتصار عليهم إلا إذا ضموا إلى هذه الأسباب المادية أخذهم بالأسباب الشرعية وربما جاز لنا أن نسميها بالأسباب الروحية، كما يقال في بعض اصطلاحات العصر الحاضر.

ذلك هو ما ضمنه رَبُّنا عز وجل في الآية السابقة وشرحه نبينا صلوات الله وسلامه عليه في غير ما حديث صحيح من ذلك الحديث السابق، ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سَلَّطَ الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة من صدور عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

وهناك أحاديث أخرى قد تنص على جزء من جزئيات هذين الحديثين الصحيحين كالحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه»: أن النبي ﷺ رأى آلة حرث فقال عليه الصلاة والسلام: «ما دخل هذا بيت أحد إلا ذله» وهذا مأخوذ من الحديث السابق: «إذا أخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع» إلى أخره والحديث الثالث هذا الأخير كناية عن التكالب على السعي وراء الكسب

المادي.

ولعل من ذلك أيضاً أو من تلك الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام: «يأتي زمان على أمتي لا يبالي المرء من أي طريق أكل أمن الحلال أم من الحرام» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، ولذلك فيجب على جميع المسلمين الحريصين حقاً على أن يعود إليهم مجدهم وعزهم الغابر أن يعودوا إلى الله، والعودة إلى الله ليس لفظاً يستعمل لإثارة العواطف وتحريك النفوس وإثارتها ثم لا شيء بعد ذلك إلا أن تبقى هذه النفوس في أماكنها على طريقة النظام العسكري المعروف في بعض البلاد مكانك راوح، في حركة وفي اجتهاد ولكن ليس هناك تقدم، لماذا؟ لأننا لم نأخذ بسببين اثنين عليهما مدار النصر على أعداء الله تبارك وتعالى:

السبب الأول: هو العلم.

والسبب الآخر: هو العمل بالعلم.

وكل منهما يحتاج إلى تذكير بأمور هامة جداً جداً، والأمر كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٧] أما العلم فهو قسمان:

علم نافع، وعلم - لا أقول الآن: إنه علم ضار لكن على الأقل أقول-: إنه علم غير نافع، فما هو العلم النافع؟ لا شك أن الجواب سيكون متفقاً عليه حينما يقدم هذا العلم إلى الناس مجملاً كأن يقال: العلم النافع هو قال الله قال رسول الله؛ لأن المسلمين لا يختلفون أبداً بأن العلم الشرعي هو ما كان مأخوذاً من الكتاب والسنة، ولكن هل هذا الإجمال بالتعبير وفي لفت نظر الناس اليوم يكفي للفت نظر المسلمين إلى أن أسباب النصر محصورٌ بالعلم النافع ثم بالعمل بهذا العلم، هل يكفي لنقول للناس: أن العلم قال الله قال رسول الله؟ وهي كلمة

كما قلنا آنفاً لا يختلف فيها اثنان ولا ينتطح فيها أيضاً عنزان كما قيل في قديم الزمان.

لكننا إذا دخلنا في التفاصيل فهناك سنجد أن المسلمين اليوم مختلفون مع الأسف في هذا العلم النافع الذي هو السبب الأول لنصر الله عز وجل لعباده المؤمنين، لماذا؟ لماذا يكون الخلاف في تعريف العلم النافع؟ ذلك لأنه مضى على المسلمين قرون كثيرة وسنين عديدة وهم قد انصرفوا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ دراسةً وتفقهاً فيهما هذا الفقه الذي أراده نبينا صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح المتفق عليه: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» الفقه في الدين أخذ تعريفاً خاصاً وهو: أن يتفقه الإنسان على مذهب من المذاهب المتبعة اليوم، لا أقول الآن المذاهب الأربعة؛ لأن كلامي ليس محصوراً في المسلمين المعروفين بأهل السنة، وإنما كلامي ينصب على كل المسلمين الذين تجمعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حيث يصلون صلاتنا ويستقبلون قبلتنا ويأكلون ذبائحنا، كل من فعل ذلك كان منا وكان له ما لنا وعليه ما علينا.

هؤلاء المسلمين كافة انصرفوا لا أعني أيضاً حتى ما يتبادر إلى ذهن البعض مالا أقصده ولا أعنيه: لا أعني أفراد المسلمين العامة، وإنما أعني خاصتهم حينما أقول: إنهم انصرفوا عن التفقه في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ إلى التفقه في دائرة محدودة جداً ألا وهي دائرة المذهبية الضيقة، أما أهل السنة فهم يتبعون الأئمة الأربعة، أما الآخرون فحدث ولا حرج فإنهم يتبعون أئمة آخرين هم بلا شك من أفاضل علماء المسلمين ولكن أقوالهم واستنباطاتهم الفقهية لم تصل إلى أتباعهم بالطرق العلمية الصحيحة كما وصلت أقوال الأئمة الأربعة

إلى أتباعهم من أهل السنة والجماعة.

الشاهد: أن خاصة المسلمين ركنوا إلى التقليد المذهبي إلا من شاء الله وقليل ما هم، وهؤلاء بلا شك مما ربنا عز وجل يمتن ويتفضل على عباده في كل زمان وفي كل مكان أن يقيض للمسلمين كافة أفراد من هؤلاء العلماء الذين يأخذون من المنبعين الصافيين: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، لكن هؤلاء كما جاء في الحديث الصحيح: غرباء، أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبا فطوبى للغرباء» ليس كلامنا الآن في هؤلاء الغرباء الذين يتفقهون في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ لقلتهم وغربتهم، وإنما كلامنا في جماهير العلماء الذين قنعوا بتقليد مذهب من المذاهب.

هذا التقليد هل هو العلم الذي نحن في صدد التحدث عنه؟ الجواب: لا؛ ذلك لأن العلم باتفاق علماء المسلمين لا فرق بين مجتهديهم ومتبعيهم ومقلديهم: أنه العلم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، أقول: لا فرق في تعريف العلم بهذا بين كل علماء المسلمين سواء كانوا مجتهدين أو متبعين أو مقلدين.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك: ما جاء في كتاب: القضاء من كتاب «الهدايه» من كتب الحنفية المعتمدة حيث قال: ولا يجوز تولية الجاهل على القضاء، قال الشارح: ابن الهمام رحمه الله في كتابه المسمى: بفتح القدير شرحاً لكلمة الجاهل قال: أي: المقلد، وهذا شيء مهم جداً، لا يجوز نصب الجاهل على القضاء إلا أن يكون عالماً، فمن هو العالم؟ العارف بالكتاب والسنة، من هو الجاهل؟ هو المقلد لمذهب من المذاهب المتبعة للأئمة المجتهدين.

لماذا كان هذا التقليد ليس علماً؟ لسببين اثنين:

أولهما: نقليٌ، والآخر: عقليٌ واقعي.

أما الأمر النقلي: فهو حين قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩] فالعلم بالشيء ليس له علاقة بالتقليد؛ لأنه يستلزم القطع بالمعلوم والجزم به وبخاصة ما كان متعلقاً بالعقيدة وبصورة أخص ما كان منها متعلقاً بأُس العقيدة وأصلها ألا وهو التوحيد - لا إله إلا الله - فالعلم إذاً لا يعني إلا المعرفة الجازمة بما جاء عن الله ورسوله؛ لأن ما سوى ذلك لا يكون علماً، يكون ظناً، والظن قد يخطئ وقد يصيب.

يأتي بعد ذلك كإتمام لدلالة الآية السابقة قوله عليه الصلاة والسلام، وهذا الحديث إذا ما تأملتم معنا فيه فستجدونه يدل على الواقع الذي هو شاهد لما قلت آنفاً، ألا وهو قوله ﷺ: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من صدور العلماء ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» من أجل ذلك أمر الله تبارك وتعالى المسلمين كافة أنهم إذا اختلفوا في شيء أن يرجعوا فيه إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ؛ لأن الكتاب والسنة هما الحكم الفصل للقضاء على الخلاف الذي قد يقع بين اثنين فكيف بكم إذا كان واقعاً بين جماهير المسلمين.

الحل قد جاء ذكره في الكتاب الكريم في مثل قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

فهل نحن بصفتنا أمة إسلامية محمدية إذا اختلفنا في شيء ما رجعنا وتحاكمنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا، أم قنع كلٌ منا بما عرف من الدراسة التي درسها إن كان دارساً لها في فقه من فقه المذاهب الأربعة، الواقع اليوم.. وأعود لأقول: لا أعني

العامة أعني الخاصة أنهم أعرضوا عن تحكيم هذه الآية بالكلية: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩] لهذا ظل المسلمون مختلفين .

والاختلاف بنص القرآن الكريم، وأيضاً يشهد عليه الواقع هو سبب من أسباب الضعف، وسبب من أسباب التفرق، فإذا أردنا أن نقضي على هذا السبب الذي أدى إلى التفرق وجب علينا أن نعود إلى الكتاب والسنة، بذلك بشرنا رسول الله ﷺ حينما قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» .

وإذا كان خاصة المسلمين وفقهائهم قنع كل منهم بأن يتعلم الدين على نمط مذهبي محدود فماذا يكون حال الأفراد من عامة المسلمين؟! لا شك أنهم سيكون حالهم كحال فقهائهم من الجمود على التقليد المذهبي.

هنا شبهة كثيراً ما تساور بعض النفوس وتظهر في كثير من الأحيان على بعض الألسنة، هذه الشبهة تقول: أليس كل من الأئمة الأربعة قد أخذ مذهبه من الكتاب والسنة؟ نقول: معهم نعم، بل نحن أعلم منهم؛ لأنهم حينما أصلوا أصولهم وفرعوا فروعهم إنما كان ذلك اعتماداً منهم على الكتاب والسنة، ولكن هؤلاء العلماء كلهم يشهد بأن العلم المنصوص في الكتاب والسنة، أو بعبارة أدق: العلم الوارد في الكتاب والسنة بعضه صريح وبعضه يتطلب استنباطاً وفقهاً خاصاً، كما جاء في صحيح البخاري أن أبا جحيفة السوائي من أصحاب النبي ﷺ: «سأل علياً رضي الله عنه قال: هل خَصَّكم معشر أهل البيت رسول الله ﷺ بشيء من العلم؟ قال: لا، اللهم إلا ما في قراب سيفي هذا» وأخرج من بيت السيف ورقة مكتوب فيها بعض الأحاديث المتعلقة بالجراحات والقصاص ثم

قال وهنا الشاهد: «وإلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه» فهنا في الفهم قد يقع الخلاف بين الفقهاء الكبار، وحينئذٍ مثل هذا الخلاف يجب الرجوع به إلى الكتاب والسنة.

وأنا لا أذهب بكم بعيداً ولا أُكثر على مسامعكم الضرب من الأمثلة الكثيرة لكن حسبي مثال واحد؛ لأنه أولاً: يشترك الجميع في فهمه لسهولته وثانياً: لكثرة ابتلاء الناس به، ألا وهو: مسألة تتعلق بصحة الصلاة أو الوضوء أو بطلانهما ألا وهي: خروج الدم مثلاً من بدن الإنسان فهناك في المذاهب المعروفة اليوم لأهل السنة ثلاثة أقوال في مسألة واحدة:

القول الأول: أن خروج الدم ينقض الوضوء مهما كان قليلاً، وعلى العكس من ذلك تماماً لا ينقض الدم مهما كان كثيراً، ومذهب وسط بين هذا وهذا فَصَّل وقال: إن كان كثيراً نقض وإن كان قليلاً لم ينقض، هذه ثلاثة أقوال في مسألة يبتلى بها الناس في كل يوم ما شاء الله على حسب مهنهم وصنائعهم، هل عاد المسلمون في هذه المسألة إلى السنة ...

لا سمح الله فناء الشعب الفلسطيني وخلوا الأرض من المسلمين تماماً، ولكن في الآية كما أشرت آنفاً ... شيء آخر وهو إذا لاحظنا الخطاب الموجه لمن: وأعدوا معشر المسلمين ما استطعتم من قوة، ترى: هؤلاء المسلمون الذين وُجِّه إليهم مثل هذا الخطاب هل كانوا يوم وُجِّه إليهم الخطاب قد تهيأت نفوسهم للقيام بواجب الجهاد في سبيل الله أم لا؟

ماذا تظنون؟ أو غير مفهوم كلامي؟

كلامي واضح لما ربنا عز وجل خاطب المسلمين بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] إلى آخرها لم يكن هذا في العهد المكي إنما كان

هذا في العهد المدني، أي: يوم علم الله عز وجل أن المسلمين قد تهيؤوا نفسياً ورُبُّوا أخلاقياً لينهضوا بقتال الأعداء يومئذٍ قال الله عز وجل لهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[الأنفال:٦٠] واضح هذا الكلام؟

الآن هل العالم الإسلامي ككل كما يقولوا اليوم، ومنه العالم الفلسطيني قاموا بهذا الواجب؟ أنا أقول آسفاً: لا، فإذاً: لا مجال للنصر. بالحجارة حتى ولو كنا استعددنا الاستعداد الأول وهو الاستعداد الروحي؛ لأنه ينقصنا حين ذاك الاستعداد المادي المذكور صراحةً في هذه الآية، فإذاً: أنا أقول للمسلمين الآن في كل العالم الإسلامي: في أمل كما قيل في بعض حكم العصر الحاضر: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم.

الدولة في الأرض لا تقام إلا إذا أقامها أفراد المسلمين في نفوسهم، ومثال بسيط جداً ولعل هذا يكون نهاية الجواب عن ذاك السؤال: إذا مسلم عنده بيت صغير هذا البيت الصغير لا يستطيع أن يقيمه على الإسلام ترى؟! هل يستطيع أن يقيم الدولة على وجه الأرض على الإسلام؟طبعاً لا، إذاً: حينما يجمع المسلمون أمرهم ويقيمون دولة الإسلام في قلوبهم حينئذٍ معنى ذلك استطاعوا أن يقابلوا الأعداء ويجاهدوا في سبيل الله.

وهذا بحث يتفرع منه أشياء كثيرة وكثيرة جداً: اليوم مثلاً المسلمون مختلفون أشد الاختلاف، دعونا من أحزاب الشيوعية واللا دينية وإلى آخره، لنأخذ الأحزاب التي تجمعها الإسلام هل هم متفقون أم مختلفون؟ مختلفون مع الأسف هذا الاختلاف يكون سبب النصر. فيما لو تهيأت لهم أسباب الجهاد في سبيل الله هل هذا الاختلاف يكون سبب النصر. أو سبب الخذلان لا سمح الله؟ لذلك العملية كما يقولون عندنا في الشام: تريد هز أكتاف يعني: تريد عمل..

تريد جهاد طويل الأمد جداً ومدارهما على هذه الكلمتين السابقتين: العلم النافع والعمل الصالح.

(الهدى والنور /٣٤٠/ ٠٨: ٠١ : ٠٠)

(الهدى والنور /٣٤٠/ ٣٩: ٥٥ : ٠٠)

أسباب الوَهَن وسبيل النهوض بالأمة

مداخلة: ماذا لو كانت نصيحة متعلقة بالاجتماع والمؤتمر الذي اجتمعنا نحن مع الإخوة بسببه وهو عنوانه: واقع الأمة الإسلامية أسباب الوهن وسبيل النهوض، وجزاكم الله خيراً.

الشيخ: نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لمعرفة الحق ولاتباعه.

وجواباً على ما سألت، أقول: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تمَُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإنه مما لا يخفى عليكم جمعياً أن ما عليه المسلمون اليوم من واقع الأمر السيئ في هذا العصر الذي نعيشه هو بلا شك أسوأ ما أصاب المسلمين في كل عصورهم المتأخرة مما لا يحتاج أحد إلى أن يوصف له؛ لأنه يحياه ويعايشه، فكلنا يعلم انتشار أنواع الفسق والفجور في العالم الإسلامي وقليل ممن لا يزالون يعتصمون بكلمة الحق وباتباع الكتاب والسنة، أما الأكثرون فكما قال رب العالمين: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٧] وكما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف:١٠٦].

فواقع الأمة اليوم مما تحدث عنه رسول الله ﷺ قبل أن نرى ما رأينا، بل وقبل أن يرى ما رآه أجدادنا من قبل من الفرقة والتحزب والتفرق في الدين خلافاً لقول رب العالمين: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١ - ٣٢]، وكما قال رب العالمين في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

وقد بَيَّن رسول الله ﷺ هذه السبل في الحديث الصحيح الذي صَوَّر تفرُّق المسلمين وخروجاً من الكثيرين منهم عن الخط المستقيم فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خَطًّا على الأرض مستقيماً، ثم خط حوله خطوطاً قصيرة، ثم تلا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]،

ثم قال عليه السلام وقد مر بأصبعه الشريفة على الخط المستقيم: هذا صراط الله، وأشار إلى الخطوط القصيرة التي على جانبي الطريق بقوله عليه الصلاة والسلام: هذه طرق وعلى كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه».

فقد بَيَّن ﷺ في هذا الحديث أن الطريق الموصل إلى الله عز وجل إنما هو طريق واحد وليس كما يقول بعض الصوفية، أو على الأقل بعض المتصوفة، قالوا أو زعموا: إن الطرق الموصلة إلى الله عز وجل هي بعدد أنفاس الخلائق، هذا كانوا يقولونه قديماً، أما اليوم فقد تعددت الطرق إلى تعدد الجماعات والأحزاب: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:٥٣] مع أن هؤلاء المسلمين اليوم جميعاً يعلمون قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١ - ٣٢]، ويعلمون أيضاً قول النبي ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: هي الجماعة» هذه هي الرواية المشهورة والصحيحة، والرواية الأخرى وهي مفسِّرة للأولى، قال: «هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي» فقوله عليه الصلاة والسلام في هذه الرواية الثانية وهي رواية حسنة كما بينت ذلك في بعض كتبي، فقوله عليه السلام: «ما أنا عليه وأصحابي» يحدد منهج الفرقة الواحدة والطائفة المنصورة الناجية وهي التي تأخذ بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

وهنا نكتة لا بد لي من ذكرها بمناسبة قوله عليه السلام: «وأصحابي» لأنه من الواضح أن النبي ﷺ لو اقتصر على قوله ما أنا عليه لكان جوابه وافياً كافياً،

ولكنه لحكمة بالغة زاد على ذلك وعطف فقال: «وأصحابي» والحكمة هي أن أصحاب النبي ﷺ كانوا جميعاً على هدى من ربهم؛ لأنهم تلقوا الوحي النازل على قلب نبيهم ﷺ غضاً طرياً كما أنزله الله عز وجل قبل أن يتسلط على مفاهيمه وعلى دلالاته العجمة أو الهوى الذي ران على قلوب بعض الذين جاءوا من بعد السلف الصالح من الآراء والأفكار المباينة والمخالفة لما كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

لهذا ذكرهم وعطفهم على ما كان عليه ﷺ؛ لأنه يعلم علم اليقين أن أصحابه سيكون له متبعين تمام الاتباع، وكذلك أثنى رسول الله ﷺ على القرون الذين يأتون من بعد أصحابه ﷺ ومجموع تلك القرون هي كما قال عليه السلام في الحديث الصحيح، بل الحديث المتواتر في نقدي وفي علمي وتتبعي ألا وهو قوله ﷺ: «خير الناس قرني» وبعض الناس يروونه بلفظ: «خير القرون قرني» فأرى من الواجب عليَّ أن أُذَكِّر والذكرى تنفع المؤمنين أن لفظ الحديث الصحيح: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» فهؤلاء القرون الثلاثة هم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية وهم المقصودون بالآية الكريمة وهي قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فقوله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] منه اقتبس نبينا ﷺ قوله سابقاً: «وأصحابي» فالنكتة في هذا الحديث كالنكتة في هذه الآية الكريمة، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المسلمين جميعاً في هذه العصور المتأخرة أنه لا يجوز لهم أن يخالفوا سبيل المؤمنين.. سبيل المؤمنين الأولين؛ لأنهم كانوا على هدى من ربهم.

ولذلك أيضاً ذكر رسول الله ﷺ أصحابه من المفضلين على أصحابه الآخرين ألا وهم الخلفاء الراشدون المهديون كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن ولي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» هكذا ذكر رسول الله ﷺ مع سنته في هذا الحديث سنة الخلفاء الراشدين بتلك النكتة التي أشرنا إليها في الآية، وفي حديث الفرقة الناجية.

وفي كل هذه النصوص الثلاثة منهاج يوجب على المسلمين في العصر الحاضر أن يلتزموه وألَّا يكونوا بعيدين عنه كما هو شأن كثير ممن يشاركنا في الدعوة إلى الكتاب والسنة ولكنهم يخالفوننا في منهجنا في رجوعنا إلى فهم الكتاب والسنة إلى فهم هؤلاء السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ذلك مما يجب على كل مسلم أن يَتَّخِذه منهجاً له لكي لا ينحرف عن ما كان عليه سبيل المؤمنين.

فلا يكفي اليوم أن نقول: نحن على الكتاب والسنة، ثم يختلفون في فهم الكتاب والسنة، فالرجوع إلى السلف الصالح هو ضمان وصيانة من أن يقع المسلمون اليوم في مثل ما وقع المسلمون الذين جاءوا بعد السلف فاختلفوا اختلافاً كثيراً؛ ذلك لأنهم قد كانوا لم تتوفر لديهم أولاً نصوص السنة التي تتولى بيان القرآن الكريم كما قال رب العالمين: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤] هذا هو السبب الأول الذي كان من أسباب الخلاف الذي وقع بين المتقدمين حتى بين بعض الأئمة المجتهدين من العلماء والزهاد

والصالحين.

ولكن هناك أسباب أخرى وهي تسلط الأهواء والآراء الخاصة ببعض الناس ولو كانوا على شيء من العلم بل والزهد والصلاح؛ ولذلك فنحن نقول: إنه لا ضمان لكي لا يقع المسلمون في مخالفة الكتاب والسنة إلا بالرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح فأنا أعتقد أن من واقع الأمة الإسلامية اليوم هو اختلافهم في تفسيرهم لبعض نصوص الكتاب والسنة بسبب اعتمادهم على غير هذا المنهج الذي نسميه بالمنهج السلفي، هذا ما ينبغي أن نعرفه في واقع الأمة الإسلامية اليوم لكي يتمكنوا من العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح والذي اقترن بهم أن الله عز وجل أعزهم ومَكَّن لهم في الأرض كما هو معلوم في التاريخ الإسلامي الأمجد.

هذا ما يحضرني الآن جواباً عن هذه القطعة من السؤال، وهو واقع الأمة الإسلامية.

وقبل أن أنتقل إلى التحدث عن أسباب الوهن أريد أن أسمع من بعضكم على الأقل لكي أطمئن هل وصلكم كلامي وصوتي واضحاً بَيِّناً إن شاء الله حتى أتابع الكلام والجواب.

مداخلة: واضح جداً يا شيخنا.

الشيخ: بَشَّرك الله الخير، وأنا أتابع إن شاء الله فأقول: أما أسباب الوهن فهي عند العلماء كثيرة وكثيرة جداً:

وقد يعلمون كلهم أو على الأقل بعضهم أن النبي ﷺ جمعها في جملة واحدة في الحديث الثابت الصحيح عنه ﷺ وهو قوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال:

لا، بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة من صدور عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» وصدق رسول الله ﷺ.

فليس يخفى على كل مسلم عاقل أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنه سبب كل معصية وبلية، كيف لا! وهو الذي يحمل الناس على الشح بالمال والنفس التي تجاهدها بالإنفاق بالمال العزيز لديها وبالنفس التي هي أعز من المال؛ ولذلك قال ﷺ: «اتقوا الشح فإن الشُحَّ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» كما ورد في كثير من كتب السنة، ومنها صحيح الإمام مسلم.

وإن مما يجب ذكره وبيانه بهذه المناسبة: أن استحلال المحارم المهلك يكون على وجهين اثنين:

الأول: ارتكاب المحارم مع العلم بحرمتها، وهذا أمر مشاهد فاش مع الأسف الشديد بين المسلمين اليوم بكل أشكاله وأنواعه حتى الكبائر ألا وهو الإشراك بالله عز وجل الذي يتجلى واضحاً في بعض الجماعات أو الأفراد الذين ينادون غير الله عز وجل في الشدائد ويستغيثون بغير الله وينذرون ويذبحون لغير الله فضلاً عن أن أكثرهم يحلفون بغير الله كل هذه من الشرك.. من أنواع الشرك الفاشية اليوم بين المسلمين وأكثرهم لا أقول: أكثر عامتهم، بل أقول: أكثر خاصتهم لا يدندنون حول التحذير من هذه الأنواع من الشركيات والوثنيات، هذا أكبر الكبائر كما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، الإشراك بالله عز وجل، ومنها قتل النفس بغير حق، وعقوق الوالدين، وأكل الربا وما أدراكم ما أكل الربا فقد انتشر أيضاً في هذا الزمان بسبب قيام ما يسمونه بالبنوك، وكذلك من الكبائر

شرب الخمر وتبرج النساء وبناء المساجد على القبور وغيرها كثير وكثير.

والقسم الآخر من المحارم المحرمة ارتكابها دون معرفة حكمها أو حرمتها؛ وذلك للجهل بها، وهذا بلا شك شر منتشر. أيضاً بين كثير من المسلمين، وإما باستحلالها بطريق الاحتيال عليها على نحو احتيال اليهود على صيد السمك المذكور في القرآن كما هو معلوم مشهور، وكاحتيالهم على أكلهم الشحوم، كما في قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم أكل شيء حرم ثمنه» هذا الحديث من الأحاديث التي قَلَّما نسمعها من ألسنة الخطباء والوعاظ وهو من الأحاديث المهمة جداً جداً التي تحذر المسلمين أن يقعوا فيما وقع فيه اليهود من قبلهم وحذرهم رسول الله ﷺ من أن يقعوا في مثل ما وقعوا هم فيه في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن!» أو قال: «فمن الناس!».

وأقول محذراً: وهذا النوع من الارتكاب والاستحلال لما حرم الله عز وجل بأدنى الحيل قد وقع أيضاً فيه كثير من المسلمين في بعض معاملاتهم وعقودهم: من أشهر ذلك نكاح التحليل الملعون فاعله، في السنة الصحيحة بقوله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له» ومع ذلك فلا يزال في المسلمين اليوم بعض المتفقهة يجيزون نكاح التحليل رغم لعن النبي ﷺ فاعله كمثل ما سمعتم آنفاً.

وكذلك مما فشا في العصر. الحاضر: بيع التقسيط بزيادة في الثمن على ثمن بيع النقد، وكذلك بيع العينة المنتشر في بعض البلاد الإسلامية، وآسف أن أقول

ولا يتسع المجال الآن لشرح ذلك كله، وإنما أردت أن أذكر الإخوان بحديث يناسب المقام ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» ففي هذا الحديث بيان واضح لبعض الأدواء والأمراض الناتجة من حب الدنيا وهو التكالب عليها والانغماس في الأخذ بأسباب جمع المال الذي يترتب منه ما هو واقع المسلمين اليوم مما ذكره عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث عطفاً على داء التبايع بالعينة، والأخذ بأذناب البقر، والرضا بالزرع، فقال عليه الصلاة والسلام: «وتركتم الجهاد في سبيل الله عز وجل» فترك الجهاد الذي أصبح عاماً اليوم يشمل مع الأسف الشديد كل الدول العربية والإسلامية رغم كونها عندها من وسائل الجهاد والقتال ما لا تملكه الشعوب المسلمة المتحمسة للدفاع عن بلادها وعن أراضيها، بل وعن أعراضها.

كان هذا كنتيجة طبيعية سنة الله عز وجل ولن تجد لسنة تبديلاً أن يقعوا في مثل هذه المخالفات والاستحلال لما حرم الله عز وجل كان أمراً طبيعياً أن يسلط الله عليهم ذلاً، هذا الذل الذي نراه قد ران على بلاد المسلمين كافةً ولو أنهم كانوا في الظاهر أحراراً ولكنهم مع الأسف الشديد لا يستطيعون أن يتحركوا بما يأمرهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ كمثل ما جاء في الحديث الصحيح: «جاهدوا المشركين بأموالكم وألستنكم وأنفسكم» نحن الآن قد ألغينا الجهاد بالنفس وركنا إلى الجهاد إلى الجهاد بالأموال لوفرتها لدينا، وباللسان لسهولة ذلك علينا، أما الجهاد بالأنفس فذلك مما أصبح مع الأسف في خبر كان؛ ولذلك فالنبي ﷺ قد وصف في هذا الحديث الصحيح الداء مع الدواء، حيث ذكر نماذج من الأمراض التي ستصيب المسلمين في أول هذا الحديث حديث العينة،

ثم بين في آخره عليه الصلاة والسلام الدواء فقال: «لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» وهذا الدواء هو العلاج الوحيد للمسلمين إذا أرادوا أن يعود إليهم عزهم ومجدهم وأن يمكن الله لهم في الأرض كما مكن للذين من قبلهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والمجد والتمكين في الأرض، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب».

إذاً: قوله ﷺ في هذا الحديث: «حتى ترجعوا إلى دينكم» يفسح لي المجال للدخول في الإجابة عما جاء في آخر السؤال وهو: ما هو سبيل النهوض بهذه الأمة التي أصابها من الذل والهوان ما لم يصب الأمة من قبل هذا الزمان؟ فنقول: إن النبي ﷺ حينما وصف الدواء في هذا الحديث بالرجوع إلى الدين إنما انطلق من مثل قوله عز وجل: ﴿إن الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم* وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١٠-١١] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال:٥٣] فما هو السبب الذي غير الله فينا نعمة القوة والعزة والتمكين في الأرض الذي كان عليه المسلمون من قبل؟ ذلك لأننا غيرنا نعمة الله عز وجل وبدلنا فأخذنا بأسباب الدنيا وتركنا الجهاد في سبيل الله عز وجل كنتيجة شرعية وكونية أن المسلم إذا لم ينصر الله عز وجل لم ينصره الله كما هو صريح قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧].

هنا لا بد لي من وقفة: إذا كان الله عز وجل قد جعل على لسان نبيه ﷺ العلاج لهذا المرض العضال الذي أصاب المسلمين في أرضهم الإسلامية كلها مع الأسف الشديد إنما هو الرجوع إلى دينهم، والدين كما تعلمون إنما هو الإسلام وقد قال رب الأنام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥] .. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

ويعجبني بمناسبة هذه الآية ما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه العظيم «الاعتصام»، ذكر عن الإمام مالك أنه قال: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة وحاشاه، ثم قال: اقرءوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] قال رحمه الله: ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً.

كنا نستدل بهذا الأثر الثابت عن الإمام مالك إمام دار الهجرة أنه لا يجوز للمسلم أن يحدث في الإسلام بدعة مهما كانت يسيرة وفي الأخلاق أو العبادات وليست في العقائد.. كنا نحتج بهذا الأثر اعتماداً على هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل أتم النعمة علينا بإتمام ديننا، ألا وهو الإسلام.

فما بالنا اليوم وقد أصبحنا بعيدين عن الإسلام ليس فقط فيما يتعلق بما يسمى بالسنن التي تخالفها البدع، بل أصبحنا بعيدين كل البعد عن الإسلام ليس في هذه الجزئيات أو في هذه الأمور التي يسميها بعضهم بأنها من الأمور الثانوية والتي ليست بجوهرية وإنما أصبحنا بعيدين عن الإسلام الذي ارتضاه الله لنا ديناً حتى في قضائنا... حتى في أفكارنا وعقائدنا، فإذا أردنا فعلاً وجادين مخلصين أن نتعاطى هذا العلاج الذي وصفه ربنا عز وجل على لسان نبيه ﷺ وهو أن نرجع إلى الدين، فبأي مفهوم نفهم هذا الدين؟

هناك أولاً مفهومان معروفان لدى كثير من العلماء الذين يعرفون الخلاف بين علماء السلف وبين علماء الخلف، هناك مذهبان:

مذهب ينتمي إلى السلف، ومذهب ينتمي إلى الخلف، ومذهب السلف، يقول أولئك الذين ينتمون إلى مذهب الخلف.. يقولون عن مذهب السلف بأنه أسلم، لكنهم يقولون بأن مذهب الخلف أعلم وأحكم، فيا ترى! هل نعود في عقائدنا أولاً إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، أم نعود إلى مذهب هؤلاء الخلف الذين يُصَرِّحون بأن مذهب السلف أسلم ولكن مذهب الخلف أحكم وأعلم؟

لا شك أنه يتبين من النصوص التي ذكرناها أن واجبنا نحن في هذا الزمن الذي أحيط بنا من كل جانب أن نعود أولاً في العقائد إلى ما كان عليه سلفنا الصالح، ثم نعود فيما دون ذلك من العقائد، وأعني بذلك: الأحكام والأخلاق والسلوك، لا بد أيضاً في كل ذلك أن نرجع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح الذي كان لا يرضى له بديلاً عن الاعتماد على الكتاب والسنة حينما يقع تنازع ما بين بعض أفراد الأمة كما قال ربنا عز وجل في القرآن الكريم: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

اليوم مع الأسف الشديد لا نجد هذه الجماعات وهذه الأحزاب تتفق معنا على تعاطي هذا الدواء الذي لا علاج للمسلمين في الرجوع إلى عزهم ومجدهم الغابر إلا بالرجوع إلى دينهم، هذه النقطة أن الدواء هو الرجوع إلى دين الإسلام نقطة لا خلاف فيها بين كل مسلم مهما كان اتجاهه ومهما كان تحزبه وتكتله، ولكن الخلاف مع الأسف الشديد هو في فهم هذا الدين، فهناك كما ذكرنا مذهبان: مذهب السلف ومذهب الخلف، السلف ما كانوا يختلفون في الأصول.. ما كانوا يختلفون أولاً في أن المرجع عند التنازع إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فهم كانوا يتحاكمون إلى هذين المصدرين ويُسَلِّمون لهما

تسليماً كما ذكرنا تلاوة الآية السابقة بذلك، ولكن الاختلاف قد كان بينهم بالسبب الأول الذي سبقت الإشارة إليه: وهو أن بعضهم كان لا يصله الحديث عن النبي ﷺ، فيجتهد فيقع في خطأ غير قاصد إليه.

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب له أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد» فلذلك ينبغي الرجوع من هؤلاء المسلمين إلى هذه القاعدة التي لا ينبغي أن يقع فيها اختلاف ألا وهي: فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه السلف الصالح، فإذا التفتنا إلى هذا النظام وجعلناه لنا منهجاً وسبيلاً نتعاون على فهمه أولاً وعلى تطبيقه ثانياً، فهنا يأتي الأمر الهام والهام جداً وهو خلاصة الجواب عن هذا السؤال ألا وهو سبيل النهوض لا بد للمسلمين اليوم من أن يفهموا دينهم فهماً صحيحاً، ثم أن يُطَبِّقوه كل بحسبه تطبيقاً صحيحاً.

المحكوم غير الحاكم.. الحاكم له سلطة عليا.. المحكوم سلطته محدودة فإذا قام كل من الحاكم والمحكوم بفهم الإسلام أولاً فهماً صحيحاً، ثم بتطبيق هذا الإسلام تطبيقاً كاملاً كل بسحب ما يستطيعه كما أشرت إليه آنفاً في اعتقادي يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ولكنني أرى أن كثيراً من الدعاة الإسلاميين الذي يلهجون دائماً وأبداً بدعوة الحكام إلى الحكم بما أنزل الله عز وجل، وهذه دعوة حق لا شك ولا ريب فيها؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤] وفي الآية الأخرى: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧] وفي الثالثة: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة:٤٥].

هذا حق أي: أن يقوم الحكام بتطبيق الإسلام في دساتيرهم وفي قوانينهم وعلى شعوبهم كلها، هذا حق واجب ولكن نحن نُذَكِّر أفراد الشعوب المسلمة

الـذين ينـادون بكلمـة الحـق هـذه وهـو الحكـم بـما أنـزل الله أن علـيهم ألا ينسـوا أنفسهم كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائـدة:١٠٥] فلـذلك عـلى أفـراد المسـلمين أن يفهمـوا الإسـلام فهـماً صـحيحاً ثـم أن يطبِّقـوه تطبيقـاً كـاملاً في حـدود اسـتطاعتهم عـلى أنفسـهم وعلى من لهم ولاية عليهم من رعاياهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «كلكـم راع وكلكـم مسـؤول عـن رعيتـه، فالرجـل راعٍ وهـو مسـؤول عـن رعيتـه، والمـرأة راعيـة وهـي مسـؤولة عـن رعيتهـا» إلى هـذا المعنـى مـن التربيـة للـنفس يشـير إليـه بعـض الـدعاة الإسـلاميين بالكلمـة التـي تـروى عنـه ألا وهـي قولـه: أقيمـوا دولـة الإسـلام في قلـوبكم تقـم لكـم في أرضـكم، في هـذه الكلمـة التـي تعجبنـا كثـيراً ولكن لا يعجبني الذين ينتمون إلى قائل هذه الكلمة حيث أنهم لا يعنون بها ولا يهتمون بتطبيقها؛ لأن ذلك يُكَلِّفهم أمراً يتطلب جهداً جهيداً ألا وهو الرجوع إلى فهـم الإسـلام عـلى الوجـه الصـحيح الـذي سبق بيانـه آنفـاً اعتمـاداً عـلى كتـاب الله، وعلى حديث رسول الله، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح.

فـأقول: العـودة إلى هـذا الـدين الـذي هـو الـدواء لمـا أصـاب المسـلمين اليـوم يتطلب أمرين اثنين، طالما أُكَنِّي عنهما: بالتصفية والتربية، وأعني بالتصفية: أن يقوم علماء المسلمين الذي يتبنون هذا المنهج الصحيح من فهم الإسلام على ما كان عليه سلفنا الصالح، أن يقوم كل منهم بتصفية هذا الإسلام مما دخل فيه مما هـو بريء منه بـراءة الـذئب مـن دم ابـن يعقـوب كـما يقـال في بعـض الأمثـال، وأن يدعو الناس إليه سواء ما كان متعلقاً بالعقيدة أو بالأحكام التي اختلف فيها كثيراً، أو في الأخـلاق وفي السـلوك، لا بـد مـن تصـفية الإسـلام في كـل مـا يتعلـق بهـذا الإسلام الـذي أتمـه الله عـز وجـل علينـا كـما سبق في الآيـة وأؤكـد ذلـك بالحـديث الصـحيح وهـو قولـه ﷺ: «مـا تركـت شـيئاً يقـربكم إلى الله ويبعـدكم عـن النـار إلا

وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم إلى النار إلا ونهيتكم عنه» فمن كان يريد أن يتمشى مع هذا المنهج الصحيح فهنا يرد بيان لا بد لي منه:

كثير من العلماء قديماً وحديثاً يعلمون فكرة أن السنة دخل فيها ما لم يكن منها حتى في القرن الأول حيث بدأ بعض الفرق الضالة ترفع أصواتها وتدعوا إلى مخالفة الكتاب والسنة باتباعها لأهوائها كما جاء عن أحد الخوارج حينما هداه الله عز وجل إلى السنة فقال: انظروا من أين تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً؛ ولذلك جاء عن ابن سيرين رحمه الله وهو التابعي الجليل الذي كان يكثر من الرواية عن حافظ الصحابة للسنة والحديث ألا وهو أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: انظروا من أين تأخذون دينكم، وقد روي هذا حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ولكن لا يصح رفعه والصحيح أنه مقطوع موقوف على ابن سيرين رحمه الله.

ولذلك قال بعض أئمة الحديث: الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء في الدين، إذا كان الأمر كذلك باتفاق العلماء نظرياً وأعني ما أقول حينما أقول نظرياً؛ ذلك لأني أريد أن أقول حقيقة مُرَّة ألا وهي: أن هذا الإسناد لم يهتم به جماهير العلماء الاهتمام الواجب به، وإنما اهتمَّ به طائفة من علماء المسلمين وهم أئمة الحديث كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام يحيى بن معين، وعلي بن المديني وتلامذتهم كالإمام البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث والنقاد الذين تكلَّموا في الرُواة جرحاً وتعديلاً، هؤلاء هم الذين يجب الرجوع إليهم والاعتماد عليهم لإجراء التصفية في هذه السنة التي يجب الرجوع إليها بعد تصفيتها.

كتب السنة الآن متوفرة وذلك من تمام عناية الله عز وجل بهذه الأمة ووفاءً

بالحكم الذي ذكره في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] وبهذه المناسبة: لا بد لي من التذكير بأن هذه الآية الكريمة حينما تذكر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] يتوهم بعض الناس ممن لا علم عندهم بالسُّنة، أو لا يقيمون وزناً للسنة يظنون أن الحفظ الذي ضمنه الله عز وجل في هذه الآية إنما هو خاص بالقرآن الكريم.

فأقول: نعم ربنا عز وجل ذكر الذكر في الآية فهو قد حفظ القرآن بحروفه ولكنه حفظ معانيه بسنة نبيه ﷺ؛ ولذلك فلا يمكن تحقيق هذا التصفية للسنة إلا من طريق علماء الحديث، وبالتالي لا يمكن فهم القرآن إلا بطريق هذه السنة المصفاة وإلا وقع المسلمون فيما وقعت فيه الفرق الخارجة عن الفرقة الناجية؛ وذلك بأن القرآن كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن القرآن حمَّال وجوه، أي: يتحمل عدة معان؛ ولذلك قال ربنا عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤] وأنزلنا إليك الذكر يا محمد لتبين للناس بسنتك ما نزل إليهم من القرآن الكريم.

ففي هذه الآية ما يشير إلى أن فيها ما هو مبَيَّن، وما هو مبَيِّن فالمبيَّن هو القرآن المنزل المَكْنِيّ عنه بالذكر، والمبيِّن هو رسول الله ﷺ المخاطب بهذه الآية؛ ولذلك فلا سبيل إلى فهم القرآن إلا بالسنة والسنة الصحيحة.

ولذلك حَذَّر النبي ﷺ من أمرين اثنين ليتحقق هذا البيان تحققاً صحيحاً:

الأمر الأول: حذر أمته من أن يقولوا عليه ما لم يقل، ففي الحديث المتواتر عنه: «من كَذَبَ عَليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وفي لفظ آخر: « من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» هذا هو الأمر الأول، حذر النبي ﷺ أمته من أن يتقولوا عليه شيئاً حتى تبقى السنة كما تلفظ بها النبي ﷺ أو كما فعلها أو

كما أقرها.

والأمر الآخر الذي نبه رسول الله ﷺ أمته: هو وجوب الرجوع إلى السنة كما يرجعون إلى القرآن؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يقول: هذا كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً حللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله».

بالجمع بين هذا الأمرين اللذين نبه النبي ﷺ يمكننا أن نفهم الدين الذي جعله عليه الصلاة والسلام دواءً من أدوائنا التي حلت بنا وأحاطت بنا من كل جانب، هذا هو الأمر الأول.

والأمر الآخر الذي أُكني عنه: هو التربية بعد أن يقوم العلماء بهذا الواجب من التصفية وقد بينت بذلك ما أعني بهذه الكلمة.. أقول: لا بد لهم من أن يقرنوا مع هذه التصفية تربية ذويهم ورعيتهم على هذا الإسلام المصفى، ذلك لكي لا نكون من الذين يقولون ما لا يفعلون وقد قال ربنا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢-٣] ولذلك جاء الوعيد الشديد في حق من لا يعمل بعلمه؛ ولذلك قلنا في الحديث السابق الذي قال فيه عليه السلام: «بشر هذه الأمة بالرفعة والسناء والمجد والتمكين في الأرض» قال عليه الصلاة والسلام: «فمن عمل عملاً للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب» فهذا الحديث يوجب علينا أننا إذا عملنا بديننا المصفى أن يكون عملنا خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة:٥].

أريد في نهاية هذه الكلمة أن أبين أن سبيل النهوض ينبغي علينا أن نبتعد عن

المحرمات التي نعرفها يقيناً كبعض الأمثلة التي سبق ذكرها سابقاً من المحرمات من الشرك وقتل النفس بغير الحق والربا ونحو ذلك، لكنني أريد أن أذكر الآن بالداعي الأول الذي ذكره الرسول ﷺ في حديث التبايع بالعينة فإن هذا الداء هو مستشر في بعض البلاد وأكثر الناس كما قال رب العالمين لا يعلمون.

إن بيع العينة هو نوع من البيوع أو المعاملات الربوية التي لا يجوز التعامل بها ومع الأسف إن بعض الناس يتعاملون بها على أنها من المعاملات الجائزة شرعاً، وبيع العينة معروفة عند العلماء وهي مشتقة من عين الشيء أو ذاته ونفسه فيأتي الرجل مثلاً إلى تاجر يبيع مثلاً سيارات فيساومه على سيارة ويشتريها منه بسعر التقسيط وليس نقداً فيشتريها منه مثلاً بعشرين، ثم يعود هذا الشاري بايعاً فيقول للتاجر: هل تشتري مني هذه السيارة فيعرف التاجر بأن الرجل يريد منه المال فيتفقان على سعر دون السعر الذي اشتراه فليكن مثلاً بأقل، بألفين أو ثلاثة - المقصود هو ضرب المثل - فيعود هذا الذي اشترى ثم باع قد سجل عليه العشرون ألف، وإنما أخذ أقل من ذلك بألفين أو أكثر، هذه المعاملة هي بيع العينة التي نهى عنها النبي ﷺ؛ لأن الصورة من الواضح جداً جداً عند من يبتعد عن اتباع الهوى أو على الأقل اتباع ما اعتاده من بيع العينة؛ ذلك لأن الصورة الحقيقة المراد من هذا البيع إنما هو أن يأخذ بأقل مما سجل عليه، لا فرق بين هذه الصورة التي سترت الربا فيها بالبيع وبين ما لو جاء إلى هذا التاجر وقال له: أعطني ثمانية عشر ألفاً وأعطيك عشرين ألفاً.

كل المسلمين والحمد لله إلى اليوم يعتقدون جازمين أن هذه معاملة ربوية لا تجوز، لماذا؟ لأنه نقد أخذ أقل مما سجل عليه، ولكن ما الفرق بين هذه الصورة وبين بيع العينة؟ البيع هنا اتخذت وسيلة لاستحلال الربا، هذا هو الذي حذرنا

النبي ﷺ في بعض الأحاديث التي سبق ذكرها وهو نهيه ﷺ عن اتباع السنن الذين من قبلنا، وذكر لنا اليهود بخاصة حينما حرم الله عز وجل عليهم الشحوم كما قال رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[النساء:١٦٠] من هذه الطيبات المحرمة أيضاً بنص القرآن هي الشحوم، وقد جاء في الحديث السابق: «لعن الله اليهود حُرِّمَت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله عز وجل إذا حرم أكل شيء حرم ثمنه» هنا نجد أن اليهود تلاعبوا بالحكم الشرعي ألا وهو تحريم الشحوم ، ربنا عز وجل حكيم عليم بظلم اليهود ،حرم عليهم الشحوم أي: كان اليهود إذا ذبح الشاة أو الكبش السمين أكل اللحم الأحمر فقط ورمى الشحم إلى الأرض ائتماراً منه بأمر الله عز وجل، ثم لم يصبر اليهود على هذا الحكم الشرعي فاحتالوا على استحلاله فذوبوا هذا الشحم ذلك معنى قوله ﷺ: فجملوها أي: ذوبوها ألقوا الشحوم في هذه القدور وأوقدوا النار من تحتها فأخذت الشحوم شكلاً آخر وهو استواء الشحم كاستواء الماء السطح مستو، أوهمهم الشيطان وسول لهم وزين لهم أن الشحم الآن خرج عن كونه شحماً وهم يعلمون أنه لا يزال في طبيعة تركيبه وطعمه ولذته لا يزال شحماً، إذاً: هم غيروا الشكل من أجل الأكل كما يقال في بعض البلاد ولكنهم في هذا التغيير استحلوا ما حرم الله..

لم يقص رسول الله ﷺ قصة استحلال اليهود لهذه الشحوم بهذه الحيلة ومع قص ربنا عز وجل قصة اليهود في احتيالهم الصيد للسمك يوم السبت بحصر. السمك في الخلجان كما هو مذكور في التفاسير.. ما قص الله علينا ذلك ولا نبينا ﷺ من أجل التأريخ فقط، وإنما كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾[يوسف:١١١] فالعبرة هنا في القصتين: قصتهم مع السمك، وقصتهم مع الشحم ألا نقع فيما وقعوا من الاحتيال على ما حرم الله.

فبيع العينة حرمها النبي ﷺ لكي لا يقع المسلمون في احتيال الربا الذي صورته أن يستقرض أقل مما يُسَجَّل عليه وهو هنا أيضاً يستقرض أقل مما سُجِّل عليه ولكن من وراء بيع شكلي صورةً، كما أن اليهود غيروا الشحوم حينما أذابوها شكلاً.

وأنا حين أقول هذا أعلم بيع العينة يحرمه كثير من العلماء وكما أن بعضهم ممن لم يبلغه هذا الحديث أو لم يصح عنده؛ لأنه ليس من تخصصه يقول بجواز هذا البيع تمسكاً بلفظ البيع، ولكن أهل العلم يعلمون أن مجرد ورود لفظة البيع في معاملة ما لا يجعل تلك المعاملة بيعاً إلا إذا كان الشرع لم يحرمه، وإذا رجعنا إلى هذا الحديث وجدناه أن النبي ﷺ ذكر التبايع بالعينة أول مرض من الأمراض التي ساقها من بعده ألا وهو التكالب على الدنيا وترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، فوجب إذاً أن نعتبر بهذا الحديث وأن لا نقع في هذا المحظور أو في هذه الأدواء التي ذكرها النبي ﷺ ذلك لكي نعود كما أرادنا ربنا عز وجل أن نكون في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨].

هذا ما أردت أن أقوله بمناسبة هذه الأسئلة الطيبة التي وردت من هذه الجمعية المباركة إن شاء الله جمعية القرآن والسنة، نسأل الله عز وجل أن يلهمنا وإياكم أن نفهم الإسلام فهماً صحيحاً على ضوء الكتاب والسنة، والسنة الصحيحة وعلى منهج السلف الصالح وأن يوفقنا حكاماً ومحكومين للعمل بهذا الإسلام المصفى.

أسأل الله عز وجل بأنه الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يتقبل دعاءنا هذا، وأن ينصرنا على أعدائنا جميعاً إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

(الهدى والنور / ٦٩٠/ ..: ٠١ : ٠٠)

(الهدى والنور / ٦٩١ / ٢٣: ٠١ : ٠٠)

الطريق الرشيد نحو بناء الكيان الإسلامي

السائل: فضيلة الشيخ نود وأنت تعرف الآن الشباب الإسلامي، وما يعانونه في كل مكان في سبيل العودة إلى تحقيق الكيان الإسلامي فثمة عراقيل كثيرة تعترض العودة الرشيدة، أو الخطوات الرشيدة، مما قد تصطنعه الأنظمة الجائرة، أو ينتج عن أخطاء الشباب الإسلامي كالتطرف في التدين أو التفريط... فما هي، في رأيك الخطوات الرشيدة التي تنصح المسلمين بالعمل بها للوصول إلى تحقيق ما ينشدونه؟

أقول وبالله التوفيق: إن وضع المسلمين اليوم من حيث إنهم محاطون بدول كافرة قوية في مادتها ومبتلون بحكام كثير منهم لا يحكم بما أنزل الله، أو لا يحكمون بما أنزل الله إلا في بعض النواحي دون بعض، مما لا يساعدهم على أن يعملوا عملاً جماعياً وسياسياً لو كان ذلك في مكنتهم وفي طوقهم. فإني أرى أن العمل الذي ينبغي على الجماعات الإسلامية أن يتوجهوا إليه بكليتهم ينحصر في نقطتين اثنتين وضروريتين ولا أعتقد أنه هناك مجال للخلاص من هذا الضعف والهوان والذل الذي عليه المسلمون، أقول ما أقول وأخص به المسلمين الثقات المتمثلين في الشباب الواعي الذي عرف أولاً مأساة المسلمين، واهتم، ثانياً، بالبحث الصادق عن الخلاص، وبكل ما أوتيه من قوة... بينما الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي أو في تذكرة

النفوس [1]... فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث.

أعود فأقول إن الخلاص على أيدي هؤلاء الشباب يتمثل في أمرين لا ثالث لهما: التصفية والتربية وأعني بالتصفية تقديم الإسلام إلى الشباب المسلم مصفى من كل ما دخل فيه على مدِّ هذه القرون والسنين الطوال من العقائد ومن الخرافات والبدع والضلالات. ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة، فلابد من تحقيق هذه التصفية لأنه بغيرها لا مجال أبداً لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين الذين نعتبرهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع. فالتصفية هذه إنما يراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة حينما كان العرب أذلاء، وكانوا يستعبدون من الأقوياء ممن حولهم من فارس والروم والحبشة ونحو ذلك من جهة، وكانوا يعبدون غير الله تبارك وتعالى من جهة أخرى.

فهذا الإسلام كان هو العلاج الوحيد لإنقاذ العرب مما كانوا فيه من ذلك الوضع السيء، والتاريخ كما يقال يعيد نفسه، والعلاج إذا كان هو العلاج السابق نفسه فسيقضي حتماً -إذا استعمله المريض- على مرضه الذي هو عين المرض السابق. الإسلام هو العلاج الوحيد، وهذه كلمة لا اختلاف فيها بين الجماعات الإسلامية أبداً.

وذلك من فضل الله على المسلمين، ولكن هناك اختلافاً كبيراً بين الجماعات الإسلامية الموجودة اليوم على الساحة، ساحة الإصلاح، ومحاولة إعادة الحياة الإسلامية، واستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الدولة الإسلامية هذه الجماعات مختلفة مع الأسف الشديد أشد الاختلاف حول نقطة البدء بالإصلاح، فنحن

(١) الجنسية أو شهادة الميلاد.

نخالف كل الجماعات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معاً، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خراباً يباباً، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيداً عن الشريعة. والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «إسلام» عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتلين حول أولئك الدعاة، ومن ثم ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في ذوات أنفسهم فيما يمكنهم أن يطبقوه بكل سهولة، بحيث لا أحد مهما كان متكبراً جباراً يدخل بينه وبين نفسه.

وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا لله، ولابد أن يكون الحكم بما أنزل الله. وهذه كلمة حق، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان أكثر المسلمين اليوم لا يقيمون حكم الله في أنفسهم ويطالبون غيرهم بأن يقيموا حكم الله في دولتهم فإنهم لن يستطيعوا تحقيق ذلك ففاقد الشيء لا يعطيه، لأن هؤلاء الحكام هم من هذه الأمة، وعلى الحكام والمحكومين أن يعرفوا سبب هذا الضعف الذي يعيشونه، يجب أن يعرفوا لماذا لا يحكم حكام المسلمين اليوم بالإسلام إلا في بعض النواحي، ولماذا لا يطبق هؤلاء الدعاة الإسلام على أنفسهم، قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه في دولهم؟!.

الجواب: واحد، وهو إما أنهم لا يعرفون الإسلام، ولا يفهمونه، إلا إجمالاً، وإما أنهم لم يربوا على هذا الإسلام في منطلقهم، وفي حياتهم، وفي أخلاقهم، وفي تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم... والغالب، كما نعلمه بالتجربة، أنهم يعيشون في العلة الأولى الكبرى وهي بُعدهم عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً، كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعتبر السلفيين بأنهم يضيعون عمرهم في التوحيد،

ويا سبحان الله، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل لأنه يتغافل، إن لم يكن غافلاً حقاً، عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ بل إن نوحاً -عليه الصلاة والسلام- أقام ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يصلح ولا يُشَرِّع، ولا يقيم سياسة... بل يا قوم اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت...!

هل هناك إصلاح؟ هل هناك تشريع؟ هل هناك سياسة؟! لا شيء، تعالوا يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فهذا أول رسول، بنص الحديث الصحيح، أرسل إلى الأرض، استمر في الدعوة ألف سنة إلا خمسين لا يدعو إلا إلى التوحيد، وهو شغل السلفيين الشاغل.. فكيف يسف كثير من الدعاة الإسلاميين وينحطون إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين؟!

إن من فضائل السنة أنها توضح مشاكل قد تعترض الأمة فيضع لها العلاج مسبقاً بعد أن ينبههم على مرضهم وعلتهم، وكلنا يعلم قول الرسول ﷺ: « ستتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة من صدور عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن؟ قالوا: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت »(١) .

ففي هذا الحديث بيان مرض من الأمراض التي ستصيب المسلمين ويكون ذلك سبباً أو سنة كونية شرعية في آن واحد، أن يتسلط على المسلمين الأعداء، وأن يهجموا عليهم من كل صوب كما تتداعى الأكلة على قصعتها، أقول في هذا

(١) رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما وأحمد والطبراني في الكبير وابن عدي وأبو نعيم في الحلية وهو صحيح.

الحديث بيان مرض من الأمراض التي تؤدي بالمسلمين إلى هذا الوضع المشين ألا وهو « حب الدنيا وكراهة الموت » وهذا له علقة بما قلت آنفاً من أنه لابد من « التصفية والتربية ».

والشطر الثاني من هذه الكلمة يعني أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم تربية على أساس ألا يُفْتَنوا كما فُتِن الذين من قبلهم بالدنيا، ويقول الرسول ﷺ: « ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تفتح عليكم زهرة الحياة الدنيا فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم» ولهذا نرى أنه قل من يتنبه لهذا المرض فيربي الشباب، لا سيما الشباب الذين فتح الله عليهم كنوز الأرض وأغرقهم في خيراته تبارك وتعالى وفي بركات الأرض، قلما ينبه إلى هذا، مرض يجب على المسلمين أن يتحصنوا منه، وأن لا يصل إلى قلوبهم « حب الدنيا وكراهة الموت»، إذاً فهذا مرض لابد من معالجته وتربية الناس على أن يتخلصوا منه.

نعود إلى الشق الأول، وهو الأهم بلا شك، وهو قولنا إنه لابد أن يكون البدء بالتصفية مقرونة بالتربية. وثمة حديث للرسول ﷺ يشير فيه إلى هذه التصفية، ألا وهو قوله عليه الصلام والسلام:

« إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم ».

في هذا الحديث وصف الداء والدواء، إنه يقول في أول الحديث « إذا تبايعتم بالعينة » والعينة بيع من البيوع الربوية، وهي، مع الأسف، قائمة اليوم في بعض البلاد الإسلامية بل العربية، وهي البلدان التي يفترض فيها أن تفهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ خيراً مما يفهمه الأعاجم المسلمون، «العينة» أن يشتري الشاري حاجة من التاجر بثمن أكثر من ثمن النقد، يشتري به إلى أجل أو ما

يسمونه اليوم بالتقسيط، بثمن أكثر من ثمن النقد، والحقيقة أن فاعله ما جاء ليشتري، وإنما جاء ليأخذ الدراهم أو الدنانير ليشتغل بها ولتكون نواة لعمل له.

ونظراً لفساد المجتمع وانفكاك الرباط الديني الذي يربطهم بالإسلام لو كانوا به عاملين، يضطر المحتاج إلى أن يضمن لنفسه مالاً يعمل به عن طريق الاحتيال على ما حرم الله، فيأتي هذا المحتاج إلى التاجر ويشتري منه، على سبيل المثال سيارة بمبلغ عشرين ألفاً مثلاً، تقسيطاً... بينما هي في حقيقة الأمر تساوي أقل من ذلك... ومكمن المصيبة في الخطوة التالية وهي أن المشتري المحتاج لا يتسلم السيارة وإنما يبيعها « نقداً » للبائع بمبلغ أقل، سبعة عشر ألفاً مثلاً... ويقبض هذا الثمن ثم يبقى عليه أن يسدد الأقساط الكبيرة التي اتفق عليها أولاً وذلك على سنة أو ستة أشهر...!!

هذا هو بيع العينة وهذا أمر واقع اليوم في بعض البلاد كما ذكرنا آنفاً. يقول الرسول ﷺ: « إذا تبايعتم بالعينة » أي احتلتم على ما حرم الله فاستحللتموها، وبالإضافة إلى ذلك أخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وهذا من التكالب على الدنيا وأدى ذلك إلى ترك الجهاد في سبيل الله ماذا تكون عاقبة هؤلاء المسلمين الذين يحتالون على أحكام الله ويستحلون حرمات الله بأدنى الحيل ثم يعرضون عن القيام بواجبهم، كالجهاد في سبيل الله التهاءً منهم بالتكالب على الدنيا وما مصيرهم؟

العاقبة والمصير أن يسلط الله عليهم ذلاً لا ينزعه منهم حتى يرجعوا إلى دينهم. إذاً وبصورة عامة فإن الأمراض التي يبتلى بها المسلمون تتلخص في ناحيتين:

الأولى: معروف ومعلوم من الدين بالضرورة كالجهاد في سبيل الله بسبب

تكالبهم على الدنيا.

الثانية: الاحتيال على ما هو معلوم تحريمه من السنة كبيع العينة باسم أنه بيع وهذا مثال، والأمثلة كثيرة جداً، فهناك حتى اليوم كما نذكر في هذه المناسبة من يفتي بإباحة « نكاح التحليل » الذي قال فيه الرسول عليه السلام: « لعن الله المحلل والمحلل له ». وحجتهم في ذلك التمسك في الظاهر بأن هذه المطلقة ثلاثاً رضيت بهذا الرجل الذي يريد أن يحللها لزوجها الأول، رضيت بدلاً زوجاً، وكذلك ولي الأمر وكلهم متواطئون على أن هذا الزواج إنما قصد به استحلال ما حرم الله ومخالفة قوله تبارك وتعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾، ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾.

فجاؤوا بمن سماه الرسول ﷺ بالتيس المستعار، وسموه زوجاً؛ وهو ليس بزوج لأنه لا يتزوجها ليحصِّن نفسه بها وتُحَصِّن نفسها به وإنما لتحليل ما حرم الله من أن هذه المرأة لا يجوز لها أن تعود لمُطَلِّقها ثلاثاً حتى تتزوج زوجاً على الطريقة الشرعية نفسها التي تزوجها بها الزوج الأول. وقد أشار إلى ذلك ربنا في قوله تعالى: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾، ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فهو يتزوجها ولا يسكن إليها ولا تسكن إليه وإنما يقضي معها تلك الليلة وينزو عليها كما ينزو التيس على العنزة فإذا أصبح الصباح أخلى سبيلها لأنه لم يتزوجها لهذه الغاية الشريفة، وإنما استحلالاً لما حرم الله عز وجل.

فقوله ﷺ: « إذا تبايعتم بالعينة » ذكره كمثال لما قد يقع فيه المسلمون من استحلال ما حرم الله والاحتيال عليه وليس هكذا صراحة، كما يستحل المسلمون اليوم الربا، ويحتال له بعض المسلمين فتكون مصيبتهم مصيبتين:

أولاً: ارتكاب المحرم، وثانياً: اللَّف والدوران حول استحلاله، وقد ذكرت منذ زمن قريب أن هناك من ألَّف رسالة ذكر فيها متفاخراً بأن الحيلة في أن لا يقع المسلم في الربا أن ينذر لله أنه كلما استقرض من إنسان مالاً أن يعطيه عشرة في المائة شكراً لله، فإن نوى هذا في نفسه أصبح هذا قدراً واجب الوفاء...!! نعم إلى هذا الحد وصل الأمر ببعض المشايخ أن يلفوا ويدوروا حول أحكام الإسلام واستحلال ما حرم الله.. وهذا هو سبيل اليهود لا غير في التعامل الربوي، هو سبيل خطيرة الآثار، بعيدة الخطر... لهذا حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من أن من يفعل ذلك يسلط الله عليه ذلاً لا ينزعه عنه حتى يرجع إلى دينه. والرجوع إلى الدين قضية العصر، وهو قضية كبرى، ولابد من شيء من التفصيل فيها... ذلك أن بعض الكُتَّاب والدعاة يرون-مع الأسف الشديد- أن الدين ذو مفاهيم عدة مختلفة، والاختلاف فيها اختلاف في الفروع لا في الأصول. ولكننا نقول: إن الاختلاف قائم في الأصول كما هو قائم في الفروع... وحين أذكر الخلاف فأول من أعني به العلماء من كل الفرق، ومن ثم الخلاف بين عامة المسلمين... ولو أننا عدنا إلى هذه الفرق-قديمها وحديثها-لوجدنا الخلاف نفسه قائماً... وهو خلاف في الفروع كما هو في الأصول... وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر بما تعتقد به طوائف كبيرة من المسلمين في شتى بقاع الإسلام اليوم من أن النبي ﷺ هو أول خلق الله، وتحتج هذه الطوائف بحديث لا أصل له... في السنة الصحيحة «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وتجد عامة أهل العلم، وهم يسمعون هذه الضلالة، بل وهي تعلن من على رؤوس المنابر، تصغي ولا تنكر، وتؤمن بذلك على الرغم من وضوح الضلالة فيه... ولا يتصدى لذلك سوى السلفيين الذين نصبوا أنفسهم لإنكار مثل هذه الخرافات، وهذه الضلالات. وهذا الخلاف بين علماء المسلمين-كما هو

ظاهر- خلاف في العقيدة وليس في فرع فقهي... ولو أردنا الإطالة فالأمثلة كثيرة ولكنني أفضل عدم الخوض... وأؤثر أن أنتقل إلى الخلاف القائم بين العلماء الذين يرون أن ما هو قائم في الفروع فحسب وأنه لا يضر... ونحن أمام شقين: الخلاف في الفروع، وهذا الخلاف في الفروع لا يضر... وكلاهما خاطئ وغير صحيح:

أولاً: الخلاف في الفروع خاطئ: لتوضيح هذا أُذَكِّر بالخلاف القائم بين الحنفية من جهة، وسائر المذاهب الأخرى من جهة ثانية في قضية الإيمان؛ هل يزيد وينقص أو أنه ثابت لا يزيد ولا ينقص؟

إن الخلاف في الحقيقة قائم بين « الماتريدية » من جهة، والأشاعرة وأهل الحديث من جهة أخرى؟!!

وعن هذا التساؤل يتفرع تساؤل آخر: هل الإيمان يزيد وينقص أو أنه ثابت لا يزيد ولا ينقص؟؟

والحقيقة أن القرآن الكريم يعلن أن الإيمان يزداد: ﴿وليزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وثمة آيات كثيرة في هذا المجال.. وكذلك السنة فهي تزيد دلالات الآيات في زيادة الإيمان وضوحاً، ومن ذلك قول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه بين الشيخين: « الإيمان بضع وستون وشعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » ومع ذلك فإننا نجد الماتريدية اليوم، وهم من الناحية الفرعية حنفية، يصرحون بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، بل يذكرون عن إمامهم بأنه كان يقول: «إيماني كإيمان جبريل عليه السلام » وهذا يعني أن إيمان أفجر الناس قد يكون من يصرح بذلك فيهم بأنه يساوي إيمان جبريل عليه السلام، وهذا الكلام -وإن كان خطأ- منسجم مع اعتقادهم في أن

الإيمان لا يقبل زيادة ولا نقصاناً. وهم يقولون: إذا قلنا بأن الإيمان يزيد فهو ينقص، وإذا نقص الإيمان فذلك مما يخرج صاحبه عن الإيمان... وهذا الكلام ينسجم تماماً مع ما يعتقدونه من أن الإيمان اعتقاد فقط.

أما اعتقاد أهل السنة من الأشاعرة وأهل الحديث في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب العمل الصالح وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعصية فهذا من الخلاف الذي حدث قديماً واستمر إلى اليوم، ثم نشأ من وراء ذلك خلاف عقائدي آخر، ارتبط به كلام عملي ألا وهو: هل يقول المسلم أنا مؤمن إن شاء الله أو يخضع بقوله أنا مؤمن ولا يستثني؟ من قال إن الإيمان يزيد وينقص يقول أنا مؤمن إن شاء الله لأنه يخشى على نفسه أن يكون مقصراً في أعماله الصالحة. ومن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص قطع بقوله: أنا مؤمن، ولا يقول إن شاء الله، إذ أنه إذا قال: إن شاء الله فمعنى ذلك عنده أنه شك في اعتقاده الذي يستقر في قلبه.

وبناءً على ذلك الخلاف نشأ خلاف آخر وهو هل يجوز الاستثناء أو لا يجوز؟ ولم يقف الخلاف في هذه المسألة الفقهية عند جواز القول باستثناء أو عدمه، بل تعداه إلى مسألة خطيرة مَزَّقت المسلمين شر ممزق، حتى أدى الأمر إلى أن يشبه المسلم بالكافر. فقد جاء في بعض كتب الحنفية سؤال: هل يجوز للمرأة الحنفية أن تتزوج من الرجل الشافعي؟ وكان الجواب بالرفض لأن الحنفية يشكون في إيمان الشافعيين. وقد عمل المسلمون بهذه الفتوى في بلاد ما وراء النهرين سنين طوالاً لا يبيح أهلها لبناتهم أن يتزوجوا من الرجل الشافعي.

وظل الأمر كذلك إلى أن جاء رجل من كبار علماء الحنفية، يعرف بمفتي الثقلين، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وهو تفسير أبو السعود، الذي

واجه القضية وأفتى فيها بجواز أن تتزوج الحنفية من الشافعي ولكن بتعليل لا أدري ماذا أقول فيه.

لقد أجاز أبو السعود ذاك زواج الحنفي من الشافعية تنزيلاً لها منزلة أهل الكتاب وقياساً على ما تعامل به المرأة اليهودية أو النصرانية!! فأعجب يا أخي المسلم... أنه يجيز هذا ولكنه لا يجيز العكس... لقد حصل هذا في بلاد المسلمين وما يزال يحدث إلى اليوم، فهذا رجل من عامة الناس، سمعته بنفسي. يبدي إعجابه، وهو الحنفي المذهب، بأحد خطباء مسجد بني أمية بدمشق الشام ويقول: لولا أنه شافعي لزوجته ابنتي! وأرجو أن لا يتسرع أحد الغافلين ويتهمني بالتجني ويقول: إنما هذه خلافات انقضت ومضى عهدها، فإلى هذا وأمثاله قدمت هذا المثل الذي عرفته بنفسي دليلاً على استمرار هذه الخلافات. هذا على مستوى العرب فإذا انتقلت إلى المسلمين الأعاجم لوجدت ما هو أمر وأقسى من هذه الخلافات العجيبة.

ثانياً: الخلاف في الفروع لا يضر:

أما قولهم الخلاف في الفروع لا يضر، فنقول، الضرر واضح في كون الخلاف في الأصول، كما أسلفت، وبناءً على هذا فإن الضرر ينتقل إلى الفروع... ويكفي ضرراً أن هذا الخلاف يسبب تفرق الأمة وتمزقها على ما وضحنا.

ونتساءل الآن: ما هو الحل؟

الحل وارد في ختام حديث الرسول ﷺ الذي أوردته، وهو « حتى ترجعوا إلى دينكم ».. الحل يتمثل في العودة الصحيحة إلى الإسلام... الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته. وتحديداً للإجابة عن السؤال الوارد في بداية هذا الرد أعود فأقول: لابد أن نبدأ بالتصفية والتربية،

وإن أي حركة لا تقوم على هذا الأساس لا فائدة منها إطلاقاً.

ولكي ندلل على صحة ما نذهب إليه في هذا المنهج، نعود إلى كتاب الله الكريم، ففيه آية واحدة تدل على خطأ كل من لا يتفق معنا على أن البداية تكون بالتصفية ومن ثَمَّ التربية.

يقول تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ هذه هي الآية المقصودة، وهي التي أجمع المفسرون على أن معنى نصر الله إنما هو العمل بأحكامه، ومن ذلك أيضاً، الإيمان بالغيب الذي جعله سبحانه وتعالى الشرط الأول للمؤمنين ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾... فإذا كان نصر الله لا يتحقق إلا بإقامة أحكامه فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عملياً، ونحن لم ننصر الله وفق ما اتفق عليه المفسرون؟!

كيف ندخل الجهاد وعقيدتنا خراب يباب؟ كيف نجاهد وأخلاقنا تتماشى مع الفساد؟!! لابد إذاً، قبل الشروع بالجهاد، من تصحيح العقيدة، وتربية النفس... وأنا أعلم أن الأمر لن يسلم من المعارضة، لمنهجنا في التصفية والتربية، فثمة من سيقول: إن القيام بالتصفية والتربية أمر يحتاج إلى سنين طويلة.. ولكني أقول: ليس هذا هو الهام في الأمر، بل الهام أن ننفذ ما يأمرنا به ديننا وربنا العظيم... والهام أن نبدأ بمعرفة ديننا أولاً ولا يهم بعد ذلك أن يطول الطريق أو يقصر، إنني أتوجه بكلامي إلى رجال الدعوة المسلمين، وإلى العلماء والموجهين وأدعوهم إلى أن يكونوا على علم تام بالإسلام الصحيح، وعلى محاربة لكل غفلة أو تغافل، ولكل خلاف أو تنازع ﴿فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ وحين نقضي على هذا التنازع وعلى هذه الغفلة، ونحل محلهما الصحوة والائتلاف والاتفاق نتجه إلى تحقيق القوة المادية ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فتحقيق القوة المادية أمر بديهي، إذ لابد من بناء المصانع ومصانع الأسلحة وغيرها... ولكن لابد قبل كل شيء من العودة الصحيحة إلى الدين كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة، وفي العبادة، وفي السلوك، وفي كل ما يتعلق بأمور الشريعة... ولا تكاد تجد أحداً في المسلمين يقوم بهذا سوى السلفيين فهم الذين يضعون النقط على الحروف، وهم وحدهم ينصرون الله بما أمرهم به من تصفية وتربية توجد الإنسان المسلم الصحيح... وهم وحدهم الذين يمثلون الفرقة الناجية من النار من الفرق الثلاث والسبعين التي سئل عنها الرسول، وقال: هي في النار...!

ولهذا أعود فأقول: ليس من طريق للخلاص سوى الكتاب والسنة، وسوى التصفية والتربية في سبيلهما... وهذا يستدعي المعرفة بعلم الحديث وتمييز الصحيح من الضعيف كي لا نبني أحكاماً خاطئة كتلك التي وقع بها المسلمون بكثرة بسبب اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة، ومن ذلك مثلاً ما تقع به بعض الدول الإسلامية حين تطبق قانوناً إسلامياً، كما تسميه، ولكنه ليس مدعوماً بالسنة المحمدية، فتقع في بعض الأخطاء القانونية والجزائية ومن ذلك أن عقوبة المسلم تكون القتل حين يقتل ذمياً ينضوي في لواء هذه الدولة المسلمة إذا كان القتل عمداً، وككون دية القتيل الذمي هي دية المسلم نفسها إن قتله المسلم خطأ... وهذا خلاف ما جرى في عهد الرسول ﷺ فكيف، بعد هذا، يمكن أن نقيم الدولة ونحن في ظل هذا التخبط وهذه الأخطاء، وهذا البعد عن الدين؟؟!!

هذا على صعيد العلم، فإذا انتقلنا إلى التربية وجدنا أخطاء قاتلة؛ فأخلاق المسلمين في التربية خراب يباب ولا بد من التصفية والتربية والعودة الصحيحة إلى الإسلام، وكم يعجبني في هذا المقام قول أحد الدعاة الإسلاميين، من غير

السلفيين، لكن أصحابه لا يعملون بهذا القول يقول: « أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم دولته في أرضكم »... إن أكثر الدعاة المسلمين يخطئون حين يغفلون مبدأنا هذا، وحين يقولون: إن الوقت ليس وقت التصفية والتربية وإنما هو وقت التكتل والتجمع... إذ كيف يتحقق التكتل والخلاف قائم في الأصول وفي الفروع... إنه الضعف والتخلف الذي استشرى في المسلمين... ودواؤه الوحيد يتلخص فيما أسلفت في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية ولعل في هذا القدر كفاية والحمد لله رب العالمين.

«حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه»(١/ ٣٧٧-٣٩١)

السبيل إلى تغيير واقع الأمة السيء

الملقي: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد من الله تبارك و تعالى عليّ بلقاء أحد علماء الإسلام السائرين على نهج خير الأنام وصحبه الكرام، الذين جمع الله لهم بين العلم والعمل، والفهم والعقل، وما أعظم الإنسان إذا اجتمعت فيه هذه الصفات فهو إمام بحق، من الذين قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]، ألا وهو فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وذلك في تاريخ الثالث عشر من الشهر العاشر لسنة ١٤١٣هـ، وذلك ضمن تسجيلات سلسلة الهدى والنور الذي يقوم بتسجيلها الأخ الكريم أبو ليلى محمد بن أحمد وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد.

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا ورسولنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين:

لا شك أن فضيلة الشيخ ناصر الألباني حفظه الله وسلمه وبارك فيه يعلم أن واقع الأمة الديني واقع مرير من حيث الجهل في العقيدة والفساد العقدي، ومن حيث الافتراق في المناهج، ومن حيث إهمال ونسف الشريعة الإسلامية في أكثر

بقاع الأرض، هذا الواقع: الغيورون من المسلمين لهم رغبة عظيمة في تغييره وإصلاحه، إلا أنهم تختلف مآخذهم في تصحيح هذا الوضع، كما يعلم فضيلتكم من خلال الحركات الإسلامية والجماعات الإسلامية التي جاهدت في إصلاح واقع الأمة الإسلامية ومع ذلك لم تفلح، بل ربما وقعت للأمة بسبب تلك الحركات نكبات ومصائب عظيمة، الشباب المسلم في حيرة وفي حيرة عظيمة، كيف يقابلون وكيف يعالجون هذا الواقع، وقد يشعر الواحد منهم أنه حُمِّل جبالاً عظيمة، فما هي نصيحتكم للشباب المسلم، وما هي الطرق النافعة الناجعة لمواجهة هذا الواقع، وكيف تبرأ ذمة المسلم عند الله عز وجل يوم القيامة.

الشيخ: إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار:

بالإضافة إلى ما جاء في تضاعيف سؤال الأخ أبي عبد الرحمن عبد الله من سوء واقع المسلمين فكذلك نقول: إن هذا الواقع الأليم ليس شراً مما كان واقع العرب في جاهليتهم وحينما بعث إليهم رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، فلا شك أن واقع أولئك العرب الجاهليين كان أسوأ بكثير مما عليه المسلمون اليوم، وبناءً على ذلك نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما

عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم جميعهم أن يعالجوا واقعهم الأليم ومعنى هذا واضح جداً، متذكرين فيه قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه هو أسوتنا في معالجة مشكلة المسلمين في زمننا، وذلك بأن نبدأ بما بدأ به النبي ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانياً، ومن سلوكهم ثالثاً، ولست أعني بهذا الترتيب هو الفصل بين الأمر الأول الأهم ثم المهم ثم ما دونه، وإنما أريد أن يهتم المسلمون وأعني بهم بطبيعة الأمر الدعاة منهم، ولعل الأصح أن نقول: العلماء منهم، لأن الدعاة اليوم مع الأسف الشديد صار يشمل كل مسلم ولو كان على فقر مدقع من العلم، فصاروا يعدون أنفسهم دعاة إلى الإسلام، ونعلم جميعاً القاعدة المعروفة لدى لا أقول العلماء، بل والعقلاء جميعاً، تلك هي التي تقول: فاقد الشيء لا يعطيه، فنحن نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جداً جداً، يعدون الملايين من المسلمين إذا ما أطلقت لفظة الدعاة انصرفت هذه اللفظة إليهم، وهم جماعة الدعوة أي جماعة التبليغ، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٧]، ومع ذلك فهم جماعة الدعوة حينما يطلق جماعة الدعوة ينصرف هذا الاسم إليهم، ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول أو بالأمر الأهم من الأمور الثلاثة التي ذكرتها آنفاً، العقيدة والعبادة والسلوك، فتركوا وأعرضوا عن إصلاح ما بدأ به الرسول عليه السلام، بل ما بدأ به كل الأنبياء تبعاً للرسل من مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فهم لا يعنون بهذا الأصل الأصيل، وهو الركن الأول من أركان الإسلام، كما هو معلوم لديكم جميعاً، وهذا الأصل الذي قام يدعو إليه رسول من الرسل الكرام ألا وهو

نوح عليه الصلاة والسلام قرابة ألف سنة، وهو يدعو إلى التوحيد، وأنتم تعلمون أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام المعاملات والعبادات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه خاتمة الشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث في قومه، قد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فيما إذاً كان اهتمامه؛ أن يفهموا عنه التوحيد، و مع ذلك فكما تعلمون من القرآن الكريم، أعرضوا عن دعوته، وقالوا: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾[نوح:٢٣] إلى آخر الآية، فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي للدعاة حقاً إلى الإسلام هو أن يهتموا بالدعوة إلى التوحيد، ذلك لأنه معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩]، هكذا كانت سنة النبي ﷺ فعلاً وتعليماً، أما فعله فما يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان جهده ودعوته محصورة في الغالب أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أما تعليماً فتعلمون حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه الوارد في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ حينما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، إلى آخر الحديث، «فإن استجابوا لك» أو «فإن أطاعوك فمرهم بالصلاة» تمام الحديث هو معروف إن شاء الله، فإذاً قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدأوا بما بدأ به، وهو أن يدعوهم إلى شهادة التوحيد، لا شك أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين أولئك العرب المشركين من حيث أنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم، وبين العرب المسلمين اليوم والذين ليسوا بحاجة إلى أن يدعوا إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإنهم قائلون بها مهما اختلفت مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم يقول: لا إله إلا الله، ولذلك فالدعاة اليوم ليسوا بحاجة إلى أن يدعوا المسلمين إلى أن ينطقوا بهذه الكلمة لكن هم في الواقع بحاجة أكثر من العرب في الجاهلية إلى أن يفهموا معنى هذه الكلمة الطيبة، هذا الفرق فرق

جوهري جداً بين العرب الأولين الذين إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله يستكبرون كما هو صريح القرآن الكريم، لماذا يستكبرون؟ لأنهم يفهمون أن معنى هذه الكلمة أن لا يتخذوا مع الله أنداداً، وأن لا يعبدوا مع الله غيره، وهم كانوا يعبدون غيره، فهم ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله، فضلاً عن التوسل بغير الله، فضلاً عن النذر لغير الله، والذبح لغير الله من هذه الوسائل الشركية الوثنية المعروفة، كانوا هم يفعلونها، ولكنهم كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة من حيث اللغة العربية أن يتبرأوا من كل هذه الأمور لمنافاتها لكلمة: لا إله إلا الله، أما المسلمون اليوم الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، لكنهم لا يفقهون معناها، بل لعلهم يفقهون معناها فهماً معكوساً مقلوباً تماماً، فكما تعلمون جميعاً أن بعضهم ألف رسالةً في معنى لا إله إلا الله، ففسرها بالمعنى الذي كان عليه المشركون الذين كانوا يؤمنون به: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥]، فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقاً لا شريك له في ذلك، ولكنهم مع ذلك كانوا يجعلون لله أنداداً وشركاء في عبادته، فهم يؤمنون بأن الرب واحد، لكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة، ولذلك قال تعالى في الآية المعروفة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، فهم كانوا يعلمون أن قول لا إله إلا الله، ينبغي أن يتبرأ قائلها من كل عبادة سوى عبادة الله عز وجل، أما المسلمون اليوم فقد فسروا الكلمة الطيبة بـ «لا رب إلا الله»، فإذا قال المسلم لا إله إلا الله، وهو يعني هذا المعنى لا رب إلا الله، فهو والمشركون سواء؛ عقيدةً، أما لفظاً فهو مسلم؛ لأنه يقول: لا إله إلا الله، بخلاف المشرك لأنه يأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فهو ليس مسلماً لا ظاهراً ولا باطناً، أما جماهير المسلمين اليوم فهم مسلمون، لأن الرسول عليه السلام يقول: «فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»، ولذلك فأنا أقول كلمة ربما تكون نادرة الصدور مني وهي: إن واقع المسلمين اليوم شر مما كان عليه العرب من حيث سوء الفهم لهذه الكلمة الطيبة؛ لأن العرب كانوا يفهمون لكنهم لا يؤمنون، أما المسلمون اليوم فيقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله وهم يكفرون بمعناها، ولذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين حقاً هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بالتلخيص، ثم تفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة من الإخلاص لله عز وجل في العبادات بكل أنواعها؛ لأن الله عز وجل لما حكى عن المشركين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، فكل عبادة توجه إلى غير الله فهو كفر بالكلمة الطيبة لا إله إلا الله، لهذا أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقاً من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم على تركهم في ضلالهم في بعدهم عن فهم هذه الكلمة الطيبة فذلك لا يفيد في الدنيا قبل الآخرة، نحن نعلم جميعاً أن قول النبي ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه؛ حرم الله بدنه على النار»، وفي أحاديث أخرى: «دخل الجنة»، فلا يمكن ضمان دخول الجنة ولو بعد لأي، ولو بعد عذاب يمس القائل والمعتقد الاعتقاد الصحيح لها لكلمة فإن هذا قد يعاقب بناءً على ما ارتكب واجترح من المعاصي والآثام، ولكن سيكون مصيره دخول الجنة، وعلى العكس من ذلك من قال هذه الكلمة الطيبة بلسانه، ولما يدخل الإيمان إلى قلبه، فذلك لا يفيد شيئاً في الآخرة، قد يفيد في الدنيا النجاة من القتال ومن القتل، أما في الآخرة فلا يفيده شيئاً إلا إذا قالها فاهماً لمعناها أولاً، ومعتقداً لهذا المعنى؛ لأن الفهم والمعرفة وحدها لا يكفي إلا إذا اقترن مع الفهم الإيمان بهذا المفهوم، وهذه نقطة أظن أن كثيراً من الناس عنها غافلون، وهي: لا يلزم من الفهم الإيمان، لا بد أن يقترن كل من الأمرين مع الآخر حتى يكون مؤمناً، ذلك

لأنكم تعلمون إن شاء الله أن كثيراً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمداً ﷺ رسول صادق فيما يدعيه من الرسالة والنبوة، ولكن مع ذلك، أي مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربنا تبارك وتعالى حين قال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[البقرة:١٤٦]، ومع ذلك فهذه المعرفة ما أغنتهم شيئاً، لماذا؛ لأنهم لم يصدقوه فيما عرفوا منه من ادعاء النبوة والرسالة، ولذلك فالإيمان يسبقه المعرفة ولا تكفي وحدها، لا بد أن يقترن معها الإيمان، فإذاً إذا قال المسلم لا إله إلا الله بلسانه، فعليه أن يضم إلى ذلك معرفة معنى هذا الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل، فإذا عرف وصدق وآمن، فهو الذي يصدق عليه تلك الأحاديث التي ذكرت بعضها آنفاً، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام مشيراً إلى شيء من التفصيل الذي ذكرته آنفاً ألا وهو قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره»، أي كانت هذه الكلمة الطيبة بعد معرفة معناها وهذا أكرره لكي يرسخ في الأذهان، بعد معرفة معناها والإيمان بهذا المعنى الصحيح، ولكنه قد لا يكون قام بمقتضياتها وبلوازمها من العمل الصالح والانتهاء عن المعاصي فقد يدخل النار كجزاء لما فعل وارتكب من معاصي، أو أخل ببعض الواجبات، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة، هذا معنى قوله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره»، أما من قالها بلسانه ولم يفقه معناها، أو فقه معناها ولكنه لم يؤمن بهذا المعنى فهذا لا ينفعه قوله: لا إله إلا الله، إلا هنا في العاجلة وليس في الآجلة، لذلك لا بد من تركيز الدعوة إلى التوحيد في كل مجتمع أو تكتل إسلامي يسعى حثيثاً وبحق إلى ما يدندن به كل الجماعات الإسلامية، أو لعل الأدق أن نقول: جل الجماعات الإسلامية، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله، هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية التي أجمعوا على تحقيقها وعلى السعي حثيثاً

إلى جعلها حقيقة واقعة إلا بالبدء بما بدأ به رسول الله ﷺ، أعيد التنبيه إلى أنه لا أعني بهذا الكلام في بيان الأهم فالمهم وما دونه، هو أن يقتصر الدعاة فقط على الدعوة إلى هذه الكلمة الطيبة وفهم معناها؛ لأن الإسلام بعد أن أتم الله عز وجل علينا النعمة بإكماله لدينه، فلا بد لهؤلاء الدعاة أن يحملوه كلاً لا يتجزأ، وأنا حين أقول هذا أقول بعد ذاك البيان الذي خلاصته أنه يجب على الدعاة الإسلاميين حقاً أن يهتموا بالأهم مما جاء به الإسلام وهو تفهيم المسلمين العقيدة الصحيحة النابعة من الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله، لكني أريد أن ألفت النظر إلى أن هذا لا يعني أن يفهم المسلم فقط أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله فقط، بل هذا يستلزم أن يفهم العبادات التي ينبغي أن يتعبد ربنا عز وجل بها، ولا يوجه شيئاً منها لعبد من عباد الله تبارك وتعالى، هذا التفصيل لا بد أن يقترن بيانه أيضاً مع ذلك المعنى الموجز للكلمة الطيبة، يحسن أن نضرب مثلاً أو أكثر من مثل حسب ما يبدو لي وأنا أرتجل هذه الكلمة لبيان أن هذا البيان الإجمالي لا يكفي فأقول: إن كثيراً من المسلمين الموحدين حقاً والذين لا يوجهون عبادةً من العبادات إلى غير الله عز وجل ذهنهم خالي من كثير من العقائد والأفكار الصحيحة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة،

(الهدى والنور / ٧٥٠ / ١٤: ٠٢ : ٠٠)

بماذا تبرأ ذمة المسلم الذي لا يستطيع أن يُغَيِّر واقعه؟

الملقي: بارك الله فيك، قلت: بماذا تبرأ ذمة المسلم في هذا العصر، إذا كان لا يمكنه مثلاً تغيير منكرٍ عظيم يكرهه ويبغضه؟ أو تغيير واقع كما تفضَّلت قبل قليل؟

الشيخ: كلٌ من المسلمين بحسبه، العالم يجب عليه ما لا يجب على غير العالم، وكما أقول في مثل هذه المناسبة إن الله عز وجل قد أكمل النعمة بكتابه وجعله دستوراً للمسلمين والمؤمنين به، من ذلك أن الله عز وجل حينما قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]، فهو تبارك وتعالى في هذه الآية قد جعل المجتمع الإسلامي قسمين: عالم، وغير عالم، وأوجب على كل منهما ما لم يوجبه على الآخر، أوجب على القسم الآخر الذين ليسوا بعلماء أن يسألوا أهل العلم، وأوجب على هؤلاء أن يجيبوهم عما سألوهم عنه، فإذاً هناك عالم واجبه أن يُعَلِّم، وغير عالم واجبه أن يتعلم، فإذاً الواجبات تختلف باختلاف الأشخاص، فالعالم اليوم عليه أن يدعو إلى دعوة الحق وفي حدود الاستطاعة، وغير العالم عليه أن يسأل عما يهمه فيما يتعلق بنفسه وبمن كان هو راعياً عليه، كزوجة أو ولد أو نحوه، فإذا قام كل مسلم من الفريقين العالم وغير العالم بما يستطيع فالله عز وجل يقول: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]، نحن مع الأسف نعيش في مأساة ألمَّت بالمسلمين لا يعرف التاريخ الإسلامي لها

مثيلاً وهو أن الكفار تداعوا على محاربة المسلمين كما أخبر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في مثل قوله المعروف والصحيح والحمد لله: «ستداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، قالوا: أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «لا، أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة من قلوب عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»، فواجب العلماء إذاً أن يجاهدوا في المسلمين بتعليمهم، أما أن يجاهدوا هؤلاء الكفار الذين تداعوا من كل جانب على محاربة المسلمين فما دام أنهم ليست لهم قيادة، وليس لهم إمام يقودهم ويوجههم، فهم لا يستطيعون الآن مثل هذا الجهاد، ولكن عليهم أن يتخذوا كل وسيلة بإمكانهم أن يتخذوها، نحن الآن كأفراد لا نستطيع أن نتسلح سلاحاً مادياً، ولو استطعنا فلا نستطيع أن نتحرك فعلاً؛ لأن هناك قيادات وهناك حكام يتبنون سياسة لا تتفق مع السياسة الشرعية مع الأسف الشديد، لكننا نستطيع أن نحقق الأمرين العظيمين اللذين ذكرتهما آنفاً وهما: التصفية، والتربية، حينما يقوم المسلمون أو دعاة المسلمون بمثل هذا الواجب في بلد ما، ويتكتلون على هذا الأساس، فأنا أعتقد أنهم يومئذٍ يصدق فيهم قوله تبارك وتعالى، يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله تبارك وتعالى، إذاً واجب كل مسلم أن يعمل استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

الملقي: تباعاً لهذا يا شيخ سؤال يعني يلحق بهذا.

الشيخ: نعم.

الملقي: هل نفهم من كلامك يا شيخ أنه لا تلازمُ بين إقامة التوحيد الصحيح، والعبادة الصحيحة، وبين إقامة الدولة الإسلامية؟

الشيخ: لا، لا تلازم لأن هناك بلا شك، وهذا أمر معروف، أن بعض الأزمنة قد تكون العزلة هي خير من المخالطة، فيعتزل المسلم في شعب من هذه الشعاب، ويعيش هناك وحده يعبد ربه عز وجل، ويكتفي شر الناس إليه وشره إليهم، فهذا أمر قد جاءت فيه أحاديث كثيرة وكثيرة جداً، وإن كان الأصل كما جاء في حديث ابن عمر: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»، الدولة المسلمة بلا شك هي وسيلة لإقامة حكم الله في الأرض، ولذلك نحن في مثل هذه المناسبة نقول لبعض الدعاة الإسلاميين الذين يهتمون بإقامة الدولة المسلمة، وهذا ليس في ملكهم ولا في قدرتهم ولا في طاقتهم من عجائبهم أنهم يهتمون بما لا يستطيعون القيام به، ويدعون في أنفسهم مجاهدة أنفسهم وإقامة الدولة كما قال ذلك الداعية المسلم الذي نصح جماعته بقولته تلك ثم هم لم يستنصحوا: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم؛ تقمْ لكم في أرضكم، فنحن نجد كثيراً من هؤلاء الذين يدعون مثلاً كما يقولون لتخصيص وإفراد الله عز وجل بالحكم يعبرون عن ذلك بالعبارة المعروفة: الحاكمية لله، لا شك أن الحكم لله وحده ولا شريك له في ذلك ولا في غيره، ومع ذلك فهم لا يحققون الـ لا حكم إلا لله؛ في أنفسهم وذلك في طاقتهم وفي قدرتهم، مثلاً: بعضهم لا يزال يصر على التمسك بعبادة الله على ما وجد عليه آباءه وأجداده وأحسن منه من درس مذهباً من المذاهب الأربعة المتبعة اليوم ثم حينما تأتيه السنة الصحيحة الصريحة يقول: لا هذا خلاف مذهبي، فأين الحكم بما أنزل الله، هم يطالبون غيرهم، بما هم لا يطالبون به أنفسهم، من السهل جداً أن تطبق حكم الله في دارك، في بيعك، في شرائك، بينما من الصعب جداً أن تحول هذا الحاكم الذي يحكم في كثير من أحكامه بغير ما أنزل الله، فلماذا تترك الميسر إلى المعسر، هذا يدل على أحد شيئين، إما هناك

سوء تربية وسوء توجيه، وإما أنه هناك سوء عقيدة هي التي تصرفهم إلى الاهتمام بما لا يستطيعون تحقيقه عن الاهتمام بما هو في استطاعتهم القيام به، لهذا بارك الله فيك نحن نهتم دائماً وأبداً بالتصفية والتربية وإذا انصرف أحد الدعاة عن واحد من هذين الأمرين لم ينجح في دعوته، فإذاً على كل مسلم عالم أو غير عالم أن يعمل وأن يتق الله عز و جل في حدود استطاعته، وأن يقدم الأهم على المهم، وأن يدع الأمور التي لا فائدة منها سوى إثارة الحماس وإثارة الفتن والمشاكل التي لا بد منها يوماً ما، لكن يوم تكون هذه الإثارة خيرها أكثر من شرها، وضررها أقل من نفعها، أما اليوم فأنا أرى الاشتغال كل الاشتغال بالتصفية والتربية، وكل في حدود استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(الهدى والنور / ٧٥٠ / ٠٠: ٠٠ : ٠٠)

وسائل النهوض بالعالم الإسلامي

مداخلة: ما هي الأسس التي ترونها خلال مرئياتكم أنه يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بها؟

الشيخ: الذي أعتقده هو ما جاء في النص الحديثي الصحيح وهو جواب عن مثل هذا السؤال وعن كثير من الأسئلة التي تطرح في العهد الحاضر، وهو قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلًا، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» فالأساس هو الرجوع إلى الإسلام، وهذا الأمر قد أشار إليه إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله في كلمة مأثورة عنه تكتب كما كانوا يقولون قديمًا: بماء الذهب، وهي قوله رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعًة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، اقرؤوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] قال مالك رحمه الله: فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد فيما يتعلق بالجواب عن ذاك السؤال، حيث قال رحمه الله: ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فكما أن الأمة العربية في عهدها في الجاهلية ما صلح أمرها إلا بعد أن جاءهم نبيهم ﷺ بوحي السماء الذي أسعدهم في الدنيا وفي الأخرى.

لذلك: فالأساس الذي ينبغي أن تقوم فيه الحياة الإسلامية السعيدة في هذا الزمن ليس إلا هو إلا الرجوع إلى الكتاب وإلى السنة، غير أن هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل لكثرة الجماعات أو الأحزاب الإسلامية الموجودة الآن في الساحة؛ لأن كل جماعة تدعي لنفسها أنها هي التي وضعت المنهج الذي به يمكنهم أن يحققوا المجتمع الإسلامي والحكم بالإسلام، فكلهم يدعي كما قيل قديمًا:

وكلهم يدعي وصلًا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

ونحن نعلم من كتاب الله ومن حديث رسول الله ﷺ أن السبيل الذي به يمكن تحقيق السعادة في الدنيا ثم السعادة في الآخرة إنما هو سبيل واحد، فلا بد من تحديد هذا السبيل ليسلك عليه من كان حقًا يبتغي العمل لصالح الدعوة الإسلامية والأمة الإسلامية، هذا السبيل هو ما ذكره الله تبارك وتعالى في غير ما آية في القرآن الكريم، فربنا عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] فالطريق التي تؤدي إلى ما ينشده كل مسلم اليوم، ولكن الجماهير ما يعرفونه إنما هو السبيل الذي أشير إليه في هذه الآية الكريمة.

ولقد أوضح النبي ﷺ هذا السبيل المذكور في الآية الكريمة بمثل رائع جدًا رسمه لأصحابه على الأرض التي كان من عادته أن يجلس عليها دون أي عظمة أو كبرياء، فقد خط لهم رسول الله ﷺ يومًا خطًا مستقيمًا على الأرض، ثم خط على جانبيه خطوطًا قصيرة، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وهو يمر بإصبعه الشريفة على الخط المستقيم الآية السابقة: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] ثم أشار إلى الخطوط التي على جانبي الخط المستقيم

بقوله بتمام الآية الكريمة: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

فاعتقادي أن الطريق هو واحد كما ينشده كل جماعة أو فرد من هذه الأمة من السعادة لها في الدنيا والآخرة فلا يوجد هناك إلا هذا السبيل، وبخاصة أن النبي ﷺ قد أتم بيان خطورة الحيدة عن الطريق المستقيم في قوله في تمام الحديث السابق، حيث قال: «هذا صراط الله، وهذه طرق، وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه» الدعاة إذًا كثيرون، ولكن الداعية الحق إنما هو الذي يدعو الناس أن يسيروا على ما كان عليه الرسول ﷺ، وما اتبعه أصحابه ثم من جاءوا من بعدهم بإحسان.

وقد أكد ربنا عز وجل في آية أخرى في القرآن الكريم ما ذكر في الآية السابقة مع شرح الرسول عليه السلام لها للحديث المذكور آنفًا، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فإذًا: السبيل دائمًا يذكر في القرآن مفردًا وليس هناك سبل تتبع، ولو أن السالكين على هذه السبل والسائرين على تلك الطرق كانت مقاصدهم ونواياهم حسنًة، وإن افترض فيهم ذلك فهم لن يصلوا إلى بغيتهم ما دام أنهم لم يسلكوا الطريق الوحيد المستقيم الذي يؤدي بهم إلى مقصدهم المشروع، ولقد جاء في الحديث الصحيح الذي تتفق عليه كل الجماعات والأحزاب الإسلامية، ولكنهم يختلفون في تطبيقه سلوكًا، أعني به قول النبي ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:

هي الجماعة» هذه هي الرواية المشهورة، وثمة رواية أخرى تفسر الأولى وهي قوله عليه السلام: «هي التي على ما أنا عليه وأصحابي».

فإذاً: واحدة من ثلاثة وسبعين فرقة هي الفرقة الناجية كما صرح على ذلك العلماء قاطبةً، وهذه الفرقة الناجية هي فقط التي تستطيع أن تنهض بالأمة الإسلامية اليوم، وأن تحقق السعادة لهم، ثم لغيرهم من الأمم الأخرى التي لم تهتدي بهدي الإسلام، ولعل من أسباب ذلك أن المسلمين أنفسهم لم يعودوا مع الأسف كما كانوا من قبل دعاةً لأفعالهم وأعمالهم، والأقوال وحدها لا تفيد ...

لما ذكر النبي ﷺ أن الفرقة الناجية هي فرقة واحدة، ولكي لا يضل المسلمون عن معرفة وصفها هذا الضلال الذي يلزم منه أن يضلوا ... أجاب عن ذاك السؤال: من هي هذه الفرقة الناجية من بين الثلاث وسبعين فرقة؟ قال: هي التي على ما أنا عليه وأصحابي، ونلاحظ هنا بوضوح تام أن النبي ﷺ لم يقتصر في جوابه عن ذاك السؤال على قوله فقط: التي هي على ما أنا عليه، لم يقتصر ولم يقف في كلامه إلى هنا: على ما أنا عليه وفقط، لا عطف على ذلك قوله: وأصحابي.

ذلك لأن أصحاب النبي ﷺ هم كما لا شك ولا إشكال فيه، هم الذين تلقوا الوحي من رسول الله ﷺ بقسميه القرآن والسنة غضًا طريًا، ثم عملوا به وطبقوه أحسن تطبيق، ثم نقلوه كما فهموه وكما طبقوه إلى من جاء من بعده، وهكذا حتى سخر الله عز وجل للمسلمين من جمع لهم السنة من بعد أن سخر للأولين من جمع لهم القرآن الكريم بين دفتين، وبذلك اجتمع الوحيان المشار إليهما في القرآن في عديد من الآيات كمثل قوله تبارك وتعالى مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤] ففي هذه

الآية نص صريح أن بيان النبي ﷺ هو شيء زائد عن القرآن، وأن القرآن مبين ببيانه عليه السلام، فالمبيَن شيء والمبِين شيء آخر.. شيء زائد عليه، وإن كان لا يخرج عن أنه مستقى من مشكاة واحدة، كما جاء النص يصرح بذلك، ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يقول: هذا كتاب الله فما وجدنا فيه حلالًا حللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» في حديث آخر: «ألا إنما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»... بأن الله عز وجل كما صرح بالآية السابقة أنزل القرآن على قلب النبي عليه السلام وكلفه أن يبينه للناس، هذا البيان هو السنة.

لكن هنا شيء آخر أشارت إليه تلك الرواية السابقة حينما سئل النبي عليه السلام عن الفرقة الناجية، فقال: «هي التي على ما أنا عليه وأصحابي» فأصحاب الرسول عليه السلام ذكروا في هذا الحديث لهذه النكتة التي سبق ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فنحن نقول: في هذه الآية حكمة بالغة، كالحديث السابق: وأصحابي، فذكر في الحديث عطفًا على سنته عليه السلام ... أصحابه الكرام، كذلك هنا في الآية الكريمة عطف سبيل المؤمنين على ما جاء به الرسول، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] لم يقل رب العالمين: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.. وإنما أدخل جملة عطفها على ما قبلها فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] كأن النبي ﷺ حينما قال: أنا وأصحابي، كان إن لم يكن

ذلك وحيًا من الله مباشرًة منه تعالى إليه، كان اقتباسًيا من الآية التي كان الله عز وجل أوحى بها إليه حين قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] ما هي النكتة، و ما هي الحكمة في ذكر الله عز وجل في هذه الآية سبيل المؤمنين، وفي عطف الرسول عليه السلام أصحابه على نفسه في الحديث السابق؟

الجواب: أن هؤلاء الصحابة الكرام كما أشرنا سابقًا هم الذين تلقوا الوحيين من رسول الله ﷺ مبينًا منه لهم مباشرًة دون واسطة كما هو شأن من جاء من بعدهم، ولا شك أن الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث معروف: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» ولذلك كان إيمان الصحابة الأولين أقوى من إيمان من جاء من بعدهم، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله في الحديث الصحيح بل المتواتر: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وعلى ذلك فلا يستطيع مسلم أن يستقل بفهم الكتاب والسنة بشخصه، بل لا بد أن يستعين على فهمهما بالرجوع إلى الأصحاب الكرام الذين تلقوا ذلك عن النبي ﷺ مفسرًا مبينًا تارًة بقوله عليه السلام وتارًة بفعله وتارًة بتقريره.

ولعلكم تعلمون جميعًا أن السنة تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة: قول، وفعل، وتقرير، فإذا ما صرف صارف ما نظره عن هذه السنة وأراد أن يستقل بفهم القرآن مقتصرًا على ذلك باللغة العربية فسوف لا يستطيع أن يصل إلى فهم مراد الله تبارك وتعالى من آياته، وأكبر دليل على ذلك أن هناك بعض الآيات يتردد فيها لفظ معين، كاليد مثلًا في آية التيمم، واليد في آية حد السارق ونحو ذلك، فتجد الآية تفسر على ضوء ما جاء في السنة، فلا يجوز حينئذٍ أن يستقل إنسان ما لفهم الآية دون أن يستعين على ذلك بسنة النبي ﷺ بأقسامها الثلاثة التي ذكرتها آنفًا.

فآية مثلًا: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة:٣٨] اليد في اللغة إذا أطلقت فقد يراد: الكف، وقد يراد: الكف والذراع، وقد يراد ما فوق ذلك إلى المنكب، فبأي هذه المعاني يستطيع من لا يعود إلى السنة التي هي بيان للقرآن كما ذكرنا آنفًا أن يفسر. مثل هذه الآية، ثم كلمة السارق وهي تشمل كل سارق مهما كانت قيمة ما سرق منحطًا وقليلًا ولا قيمة لها تذكر، لا بد في هذا وفي هذا وكثير من ذلك أن يرجع إلى السنة بأقسامها الثلاثة.

وأوضح مثل معروف عند العلماء بها: الصلاة التي أمرنا بها في القرآن الكريم، والحج، والصيام، والزكاة ونحو ذلك، لا يستطيع أحد مطلقًا أن يفهم هذه الأركان التي أمرنا بها في القرآن إلا على ضوء بيان الرسول عليه السلام لها بقوله وفعله وتقريره.

إذ الأمر كذلك فلا بد من الرجوع إلى السنة مع القرآن؛ لأن السنة تبين القرآن كما ذكرنا آنفًا في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤].

يبقى هناك شيء آخر وهو بيت القصيد الآن من كلمتي هذه في آخر هذه الكلمة أو هذا الجواب، وهو: الصحابة الذين نقلوا إلينا أقواله عليه السلام وأفعاله وتقاريره، أقواله ﷺ ما نعرفها من القرآن الذي مروي بالتواتر كما هو معلوم، وإنما نعرف ذلك من السنة، تقاريره عليه السلام رأى شيئًا فأقره، لا نعرف ذلك إلا من نقل الصحابة وليس من قوله عليه السلام، فإذًا: كان من الضروري جدًا أن نضم إلى الدعوة إلى الكتاب والسنة كما نقول دائمًا في مثل هذه المناسبة: وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، إعمالًا لما سبق ذكره في بعض الآيات والأحاديث المتقدمة، حينما ذكر الله سبيل المؤمنين، وذكر نبيه الكريم

أصحابه، لم يكن ذلك إلا لحكمة بالغة، وهي: أنه يجب الرجوع إلى فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه سلفنا الأول الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

على هذا: يأتي هنا شيء هام جدًا يغفل عنه كثير من الجماعات الإسلامية أو الأحزاب الإسلامية القائمة اليوم على وجه الأرض، ألا وهو: ما هو السبيل إلى معرفة ما كان عليه الرسول عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير، ثم معرفة ما كان عليه أصحابه من فهم وتطبيق لهذه السنة؟ لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى علم يعرف عند العلماء قاطبةً بعلم الحديث، علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، له قواعده وله اصطلاحاته بها يتمكن العلماء من أن يعرفوا ما صح عن النبي ﷺ مما لم يصح، أكثر الجماعات الإسلامية لا يرفعون اليوم رؤوسهم أولًا إلى ما يعرف بالسنة، والسنة في لغة الشرع أعم وأشمل منها في عرف الفقهاء؛ ذلك لأن الفقهاء يطلقون لفظة السنة على ما كان من العبادات غير المفروض على المسلم ففريضة وسنة، لكن السنة في لغة الشرع هي الطريقة والمنهج والسلوك الذي سلكه الرسول عليه السلام في تفسيره في بيانه للقرآن وتطبيقه إياه.

وعلى هذا جاء قوله عليه السلام في الحديث الصحيح والمتفق عليه بين الشيخين من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من رغب عن سنتي فليس مني» فليس المقصود هنا: من رغب عن سنتي سنة الفجر.. سنة الظهر القبلية والبعدية إلى آخر ما هنالك من السنن الرواتب، ليس هذا هو المقصود في هذا الحديث، وإنما المقصود به السنة والطريقة التي جاء بها النبي عليه السلام لهذه الأمة، كبيانه للقرآن كما سبق عليه الكلام.

والذي يؤكد لنا هذا المعنى شيئان اثنان: أحدهما يتعلق بسبب ورود الحديث،

والشيء الآخر: اتفاق الأمة أن من حافظ على الفرائض وانتهى عن المحرمات فهو إن شاء الله من أهل الجنة كما جاء في صحيح مسلم: «أن رجلًا قال يا رسول الله! أرأيت إن أنا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وحللت الحلال، وحرمت الحرام، أأدخل الجنة؟ قال: نعم، إن أنت صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وحللت الحلال، وحرمت الحرام فأنت من أهل الجنة» فإذًا: هنا لا شيء مما يسمى في اصطلاح الفقهاء بالسنة يمنع من قام بما سبق ذكره في الحديث من الفرائض يحول تركه للسنة بينه وبين دخول الجنة، لكنه على العكس من ذلك إذا ترك السنة بمعناها الشرعي فلازم ذلك أنه حاد عن سبيل الرسول عليه السلام التي هي سبيل المؤمنين.

أما سبب الحديث وهو الشيء الأول الذي يدل على المعنى الصحيح لهذه الجملة: «فمن رغب عن سنتي ..» ... تقالوها، أي: وجدوا عبادته عليه السلام قليلة، وجدوها قليلة بالنسبة لما كان يدور في ذهنهم من أن الرسول عليه السلام ينبغي أن يكون أعبد العباد فيما يتصورون هم العبادة، وهو بلا شك أعبدهم جميعًا، لكن ليست العبادة بكثرة صلاة وصيام إنما هي بكثرة الإتيان من العبادات حسب ما جاء به الرسول عليه السلام، فبناءً على ما كان قائمًا في أذهانهم من المبالغة في العبادة وجدوا عبادته عليه السلام قليلة، وكأنهم شعروا بأن هذا نقص في حق الرسول عليه السلام فجاءوا بتعليل من أبطل ما يكون نرجو أن الله عز وجل يغفره لهم بسبب صحبتهم لنبيهم ﷺ حيث قالوا بعد أن تقالوا العبادة: هذا رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، كأنهم يقولون: لماذا يتعب الرسول ﷺ نفسه، ولماذا يجهدها ويتعبها وقد حصل غاية المنى ألا وهو كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ١ - ٢].

فإذًا: الرسول عليه السلام قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يبق هناك ما يدعوه إلى أن يقوم الليل كله، ويصوم النهار كله، ويبتعد عن النساء بكله، ولذلك عادوا إلى أنفسهم: أما نحن فلم نظفر بعد بمغفرة الله فيجب أن نسعى إلى عبادة الله عز وجل لعل الله يغفر لنا، فتعاهدوا بينهم، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وقال الثاني: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، والثالث قال: أما أنا فلا أتزوج النساء، وانصرفوا متعهدين على هذا.

ولما جاء الرسول عليه السلام إلى أزواجه وأخبرنه خبر الرهط، صعد عليه السلام المنبر وخطب في أصحابه قائلًا: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا» يعيد أقوال كل منهم، هذا يقول أصوم النهار الدهر ولا أفطر، وذاك يقول: أقوم الليل ولا أنام، والثالث يقول: لا أتزوج النساء، وهذا من أدبه عليه السلام أنه يكني ويعرض ولا يصرح فيقول: ما بال فلان قال كذا وفلان قال كذا لا، ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؛ لأن المقصود ليس هو التشهير، وإنما هو التعليم.

فقال عليه السلام: «أما أنا فإني أخشاكم لله وأتقاكم لله، أما إني أصوم وأفطر، وأقوم الليل وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» هذا موضع هذا الحديث، وهذا هو سبب ورود هذا الحديث: «فمن رغب عن سنتي فليس مني» أي: من جاء بعبادة يتعبد الله بها ويتقرب إلى الله زلفى لم أتعبد الله بها فهو قد رغب عن طريقي وعن منهجي فهو ليس مني، لو أن رجلًا لم يقم الليل مطلقًا ولم يصم من الدهر شيئًا أكثر من شهر رمضان فهو الذي يستحق أن يكون من أهل الجنة بشهادة ذلك الحديث، ولا يقال فيه: قد رغب عن سنة الرسول عليه السلام، ولكنه لو صام مع رمضان صام كل الأيام التي ينهى الشارع الحكيم عن صيامها، ثم قام الليل في السنة كلها والليل كله بطوله فهو الذي رغب عن سنته

عليه السلام.

ولذلك فشتان ما بين القانع بالفرائض والذي يزيد على السنن ظانًا بأنه قد زاد في الطاعة والعبادة، والواقع أنه قد خالف منهج الرسول وسيرته؛ لأجل ذلك قال عليه السلام في الحديث الصحيح: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

إذا عرفنا أن سنة الرسول عليه السلام التي نقلها إلينا أصحابه الكرام وجب علينا أن نعرفها كما لو كنا نحياها معه عليه السلام، وكذلك بيان الصحابة لما بينه الرسول عليه السلام لهم، كان لا بد من الرجوع كما قلت آنفًا إلى علم الحديث، وعلم الحديث علم مستقل عن سائر العلوم الشرعية، ولا سبيل إلى التفقه في الدين وإلى فهم القرآن الكريم إلا بطريق هذه السنة.

لذلك أعتقد وهذا إن شاء الله يكون نهاية هذا الجواب: أنه لا بد للمسلمين اليوم، أو بعبارة أوضح: للمسلمين الذين يريدون أن يعيدوا العز للإسلام والمجد للإسلام والحكم للإسلام، لا بد لهؤلاء أن يحققوا أمرين اثنين:

أن يعيدوا إلى أذهان المسلمين شريعة الإسلام مصفاةً من كل ما دخل فيها مما لم يكن منها يوم أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] إعادة هذا الأمر اليوم كما كان في العهد الأول، هذا بلا شك يحتاج إلى جهود جبارة من عديد من علماء المسلمين في مختلف أقطار الأرض ينشرون العلم الصحيح الذي هو القرآن ببيان السنة وبنقل الصحابة وفهمهم لها.

إن الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة في فهم الشريعة أمر هام جدًا هذا الشيء الأساسي في إعادة المفهوم الصحيح للإسلام بعد أن تفرقت السبل وتعددت

الطرق حتى قال بعض غلاة الصوفية: إن الطرق الموصلة إلى الله تبارك وتعالى هي بعدد أنفاس الخلائق؛ لأن ذلك يعني أنهم ليسوا بحاجة إلى أن يدرسوا علم الكتاب وعلم السنة، بل يخلو أحدهم في خلوة ويشترط فيها أن تكون مظلمة ولا يكتفي في ذلك، بل يغمض عينيه، ولا يقتصر على ذلك بل يضع رأسه بين ركبتيه ظلمات بعضها فوق بعض، مع ذلك فهو يهيئ نفسه بزعمه أن يتلقى لا يقولون الوحي؛ لأنهم إن قالوا ذلك خرجوا من دائرة الإسلام، لكن يقولون: يتلقى الإلهام من رب الأنام، فهو يعمل بمقتضى هذا الإلهام، فإذًا: هم ليس عندهم طريق واحدة توصل إلى الله تبارك وتعالى، خلافًا لكل ما سبق بيانه.

فأنا أقول: أنه لا بد لعلماء المسلمين حقًا أن يقربوا هذا الإسلام مصفًى من كل ما دخل فيه.. ما دخل في العقائد.. ما دخل في الأحاديث في السنة من أحاديث ضعيفة وموضوعة.. ما دخل في الفقه من آراء فجة وأقوال غريبة جدًا، فالإسلام يتبرأ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما كان يقال، ثم ما دخل في السلوك والأخلاق من انحراف مما كان عليه الرسول عليه السلام وأصحابه من الاعتدال.. ما دخل في السلوك من الغلو في الزهد في الدنيا والانصراف عن الناس، والرسول عليه السلام يقول: إن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.

هؤلاء العلماء يُصَفُّون الإسلام من كل شائبة ومن كل دخيل في هذا الإسلام من أي جانب كان، سواء في العقائد أو في الفقه أو في الحديث أو في السلوك، ثم الشيء الثاني مع هذه التصفية ينبغي أن يقترن العمل بهذا العلم، ولذلك أنا أُلخِّص ذلك بكلمتين، لا بد للجماعة المسلمة حقًا أن تقوم بواجب أمرين اثنين: التصفية والتربية، تصفية الإسلام مما ذكرنا آنفًا، بحيث يعود المسلمون إلى فهم

دينهم كما لو كانوا بصحبة نبيهم، أو على الأقل بصحبة أصحابه عليه الصلاة والسلام، يجدون الإسلام غضًا طريًا كما أنزل.

ثم يكونون حريصين على تطبيق هذا الإسلام المصفى تطبيقًا عمليًا صحيحًا، فيوم يهيأ للمسلمين مثل هذه التصفية ويوجهون ويربون على أساس العمل بها، يومئذٍ أعتقد يفرح المؤمنون بنصر الله تبارك وتعالى.

هذا ما يمكنني أن أقوله بهذه المناسبة، ونسأل الله لنا ولعامة المسلمين أن يفهمنا الإسلام فهمًا صحيحًا على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأن يوفقنا للعمل بذلك، إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

مداخلة: يا شيخ! هناك من يوجه حديث: «ما أنا عليه وأصحابي» وبالطائفة المنصورة في جماعة من الجماعات، يعني: الموجودة في الساحة الآن، فهم يوجهون هذا الحديث كما وجهه بعض أئمة الحديث بأنهم إن لم يكونوا هم أهل الحديث فلا أدري كما قال بذلك الإمام أحمد والإمام البخاري وعلي بن المديني، ويقول: هم أهل الحديث مما لا شك فيهم السلفيون، فمن لم يكن على هذا المنهج فهو خارج من هذا الحديث، فما رأي فضيلتكم؟

الشيخ: نحن نعتقد هذا جازمين؛ لأن كل من يدعي دعوى لا بد أن يخرج عن دعواه بالدليل، والحقيقة: أن كل جماعة نلاحظ اليوم أن هناك صحوة عامة، وصحوة خاصة، الصحوة العامة: تشمل كل المسلمين الذين كانوا من قبل من الراقدين فربتهم الحوادث والتجارب سواء كانت تجارب شخصية أو جماعية أنه لا بد للمسلمين من أن يعودوا إلى دينهم، فعاد الكثيرون منهم إلى دينهم، لكن كلمة الدين بالمفهوم العام، لكن نحن يهمنا المفهوم الخاص للدين، وهو كما

قلنا في الحديث السابق: «ما أنا عليه وأصحابي» هذا الفهم الخاص هو الذي يفيد المؤمنين فهو الذي يخلصهم من هذا الذل الذي أصابهم وران عليهم.

لما وجدت هذه الصحوة بدأنا منذ عهد قريب جدًا نسمع ممن كنا لا نسمع منهم من قبل كلمة الكتاب والسنة، وإنما كنا نسمع منهم كلمة الإسلام والدين وكلمات عامة، أما الرجوع إلى الكتاب والسنة فأصبحت ممكن أن أقول: موضة العصر الحاضر، أي: إن بعض الجماعات التي لا تتبنى الإسلام دينًا لها وسياسةً لها وإلى آخره يقولون: نحن على الكتاب والسنة، ولكنك لو نظرت إليهم في أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم لوجدتهم أبعد الناس عن الكتاب والسنة؛ لأنهم ليس عندهم من معرفة بالكتاب والسنة إلا ما يشترك معهم عامة الناس، أما أن يكون عندهم علم تفصيلي أولًا بالخلافات التي توارثناها في هذه القرون الطويلة، ثم معرفة الراجح من المرجوح من هذه الموروثات، فهذا الواقع لا نكاد نجد أحدًا من هذه الجماعات من يقوم بتحقيق ذلك إلا من ينتمي إلى أهل الحديث وإلى أهل السلف، ولذلك ففاقد الشيء لا يعطيه.

إذا كان كل جماعة الآن تدعي أنها على الكتاب والسنة لماذا؟ لأنه صار معروفًا عند جميع المسلمين أن الدعوة إلى الكتاب والسنة هو الإسلام، فلم يعد يتمكن أحد من الدعاة مهما كان اقترابه أو ابتعاده عن منهج الكتاب والسنة أن يغض النظر عن الدعوة إلى الكتاب والسنة، فإذا ما ادعى مدعون أنهم على الكتاب والسنة قلنا لهم: ذلك ما نبغي أولًا وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ثانيًا.

ونحن في حدود ما علمنا واطلعنا من الجماعات الموجودة اليوم على وجه الأرض لا نجد من يحاول الاقتراب من الكتاب والسنة إلا الذين إما أن يطلق

عليهم اسم أهل الحديث، أو اسم أنصار السنة في بعض البلاد، أو السلفيين في بلاد أخرى، أو أهل الحديث في بعض أخرى وهكذا.

أما الذين ينتمون إلى جماعات أخرى لا يتردد على ألسنتهم الاستدلال بالكتاب والسنة في كل شؤون حياتهم الذاتية الشخصية أو العامة أو الفكرية أو السياسية أو نحو ذلك، ما نجد عندهم من يدندن دائمًا حول الكتاب والسنة إلا كلمة الكتاب والسنة، نحن معكم على الكتاب والسنة! لكن هاتوا ما عندكم من دليل على أنكم على الكتاب والسنة، فلا ... جوابًا.

إن بين أيدينا الآن مثالًا قريب العهد ومؤسفًا في وقت واحد: هذا الغزالي المصري، هو لا يتبرأ من الكتاب والسنة، ولا يقول أنا لا أدعو إلى الكتاب والسنة؛ لأنه لو قال ذلك انفضح أمره وانكشفت سريرته، فهو يقول على الكتاب والسنة، لكن الكتاب والسنة ما هو عنده، إن كان من السنة فهو السنة ما صح عنده في منظاره الشخصي العقلي وليس ما صح عند علماء الحديث الذين كرسوا حياتهم طيلة هذه القرون الطويلة لمعرفة السنة الصحيحة من الضعيفة، كل هذه الجهود في كل هذه القرون مثل هذا الإنسان وأمثاله كثيرون مع الأسف الشديد، لا يقيم لهذه الجهود وزنًا! كل ما في الأمر الحديث الذي يوافق هواه أو منطقه أو ثقافته فهو صحيح، وما خالف ذلك فهو الضعيف ولو أخرجه البخاري ومسلم.. ولو اتفقت الأمة على تلقي هذا الحديث بالقبول! مثل هذا النوع كمثال لا يقول: أنا لست على الكتاب والسنة ولكن الكتاب والسنة بريئان منه؛ لأن السنة عنده تبعًا لهواه، والقرآن يفسره أيضًا تبعًا لهواه، الفرق عنده أن القرآن لا يجرؤ أن يقول هذا لا يصح، لكن يقول: هذا الفهم لا يصح، بينما هذا الفهم هو الذي جاءنا عن الصحابة وعن السلف، أما الحديث فما أجرأه على الإنكار لأنه أهون وأخف ... عنده لهدم السنة أن يقول كما يقول غيره كثيرون من الدعاة زعموا: هذا حديث آحاد، وحديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، ولذلك ترد بهذا

المعول وتهدم أحاديث صحيحة لا إشكال عند علماء الحديث في صحتها.

فإذًا: ليس المهم ادعاء طائفة من الناس أو حزب أو جماعة من الناس أننا على الكتاب والسنة؛ لأننا نقول لهم: نريد أفعالًا ولا نريد أقوالًا، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، ونحن نعلم أن الجماعات التي تنتمي إلى أسماء معينة أو أحزاب سياسية أو نحو ذلك فهذه لا تهتم بدراسة السنة إطلاقًا بل قد يصرحون بأن هذه الدراسة تفرق الأمة وتفرق الجماعة، وأن البحث في أن هذا حديث صحيح أو غير صحيح.. أن هذا سنة وهذا بدعة، هذا سابق لأوانه، فبعضهم يقولون في مثل ذلك: هذه ليست من اللباب إنما هي من القشور.

فلا شك ولا ريب أن الدليل الناهض على أن الذين يصدق عليهم أنهم من الفرقة الناجية كما جاء في الحديث الصحيح آنفًا إنما هم الحريصون كما قلنا آنفًا على فهم الكتاب والسنة في كل شؤون حياتهم، ويطبقون ذلك حسب قدرتهم وطاقتهم، فهي الجماعة والفرقة الناجية، ومن علامة هؤلاء أنهم لا يتحزبون لحزب واحد، ولا ينتمون لرأس واحد يأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يشاء، إنما مرجعهم كلهم إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

فالفرقة الناجية هي فرقة أهل الحديث والسنة، وليست هي أهل السنة والجماعة كما يقولون اليوم؛ لأن هذا الاسم اصطلحوا على أن يدخلوا تحته.. تحت أهل السنة والجماعة يدخل الأشاعرة.. يدخل الماتريدية.. أخيرًا يدخل أهل الحديث الذي ينبغي أن يذكروا مقدمًا وسلفًا، بينما هؤلاء لا يتبنون الرجوع كما نتبناه إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، أعني: الأشاعرة والماتريدية، فهم من علماء الكلام الذي اضطروا أن يقولوا كلمة حق لكن يراد

بها باطل، وهي قولهم: علم السلف أسلم، وعلم الخلف أعلم وأحكم، إذًا: نسبوا الجهل إلى السلف ونسبوا العلم إلى الخلف، وهذا عكس لكل ما ذكرنا آنفًا ولغير ذلك من النصوص:

فأهل الحديث هموا أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ونسأل الله أن يجعلنا من أهل الحديث العارفين بكتاب الله ثم بصحيح سنة رسول الله، ثم العاملين بذلك على منهج أصحاب رسول الله ﷺ.

مداخلة: بعض الإخوة الذين ينتسبون إلى هذه الدعوة، وأعني بها الدعوة السلفية يقولون: نحن الآن في زمان يكاد يكون اتصل العالم بعضه ببعض، وصار من الإدارة والتخطيط وإلى غير هذا من ما ينكر به الإسلام ويكيدوا له، فيقولون: مما لا شك فيه أننا لا نستطيع أن نواجه هذه الدعوة المضادة للإسلام عمومًا وللدعوة السلفية خصوصًا إلا بعمل منظم، كما هم منظمون يعني: أعداء الإسلام منظمون، فيتأولوا ويقولون: لا بد لنا من أن نقوم بعمل منظم.. عمل ما يسمونه، فيرتبون العمل على أن يكون هناك رئيس وهناك أسر تكون، هناك أشياء سرية للغاية لا يعرفها إلا خواص المنتسبون لهذا ... أو هذا التنظيم، فكيف السبيل في توجيه هؤلاء الإخوة، الذي نعلم أنهم حريصون على الدعوة السلفية وعلى دعوة الناس إلى الخير الكتاب والسنة.

الشيخ: إذا كان المقصود بالتنظيم تنظيم الدعوة هذا لا شك أمر لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان كما قيل في قديم الزمان، أما إذا كان المقصود بالتنظيم للجماعة السلفيين تنظيمًا سريًا كما وقع فيه قديمًا الإخوان المسلمون ثم لاقوا مصيبتهم التي أرجعت لدعوتهم القهقرى، فالتنظيم ما بحاجة إليه اليوم إطلاقًا، وأنا في اعتقادي أن واجب الدعاة السلفيين أن يستمروا في طريقة الدعوة إلى الكتاب وإلى السنة هكذا علنًا لا خفاء فيها إطلاقًا؛ لأن هذه الدعوة من طبيعتها

أنها أقرب قبولًا وألصق بالقلوب الصافية الفطر السليمة، ولا شك في أن الأمر في النهاية ستكون الدولة لها وليس بحاجة أن يعملوا سرًا.

ويوم تجتمع قلوب المسلمين كما أشرنا آنفًا على فهم الإسلام فهمًا صحيحًا وتطبيقه تطبيقًا صحيحًا يومئذٍ ستقوم قائمة الدولة الإسلامية المنشودة لدى الجميع وتحكيم الكتاب والسنة كما هو أيضًا مقصود الجميع، أما العمل السياسي والسري سواء حتى لو كان عملًا سياسيًا جهرًا لا سر فيه أنا أعتقد أنه من الصوارف التي تصرف الدعاة إلى الله عن دعوتهم إلى الله إلى اشتغال بالأمور السياسية، ستصرفهم عما هو أوجب واجب عليهم من الدعوة، أنا قلت آنفًا: أن أوجب ما يجب على علماء المسلمين أن يصفوا هذا الإسلام مما دخل فيه، وأن يقترن ذلك بتربية الذين صفي الإسلام لهم على هذا الإسلام المصفى، أين هذه الجماعة التي قامت بالواجب الأول ثم بالواجب الثاني ولم يبق عندهم إلا العمل السياسي؟ أنا لا أجد هذا الآن ولن أجده مهما طال بي الزمان؛ لأن هذا يحتاج إلى زمن كبير وكبير جدًا؛ لأنني أنظر إلى النبي ﷺ والذي كان ممدودًا بحبل السماء ومشدودًا قواه بالقوي الأمين جبريل عليه السلام ظل في قومه ثلاث وعشرين سنة يدعو إلى الله، في آخر أمد من حياته استطاع أن يضع النواة للدولة المسلمة، ثم بارك الله فيها بأصحابه الذين ورثوا الخلافة من بعده، وانتشر الإسلام كما هو معلوم لدى الجميع، فلا فائدة من التكرار، هكذا التاريخ يعيد نفسه، فأنا لا أجد الآن على وجه الأرض جماعة إن كانوا مثلًا مائة أو كانوا ألفًا، أو ألوفًا أو يزيدون على ذلك، إنهم على قلب رجل واحد فهمًا للإسلام فهمًا صحيحًا وتربيةً لأنفسهم..

(فتاوى جدة- أهل الحديث والأثر (١) /٢٦:٥٨:٠١)

حول حديث: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم...)[1]

[السؤال]:

ورد المجلة سؤال من أحد الأساتذة المحامين في بغداد يرجو فيه التحقيق من قبل الأستاذ ناصر الدين الألباني في صحة الحديث المشهور: « تتداعى عليكم الأمم... » ويقول:

« إنني أرتاب في صحة هذا الحديث لسببين:

الأول: أنه يخبر عن الغيب، ولا يعلم الغيب غير الله.

والثاني: يهدف إلى حمل الناس على الرضا بما نحن فيه والبقاء عليه وعدم العمل على تغييره ».

ثم يستنتج من ذلك أنه:

« لابد أن يكون الحديث من وضع عدو للإسلام ولدينهم ».

[الجواب]:

وجواب الأستاذ الألباني: إن الحديث صحيح بلا ريب، وهو يخبر عن أمر غيبي بإطلاع الله تبارك وتعالى له عليه، وهذا أمر سائغ جائز لا غبار عليه بل هو

(١) « مجلة التمدن الإسلامي » (٢٤/ ٤٢١-٤٢٦).

من مستلزمات النبوة والرسالة، والحديث يهدف إلى خلاف ما ظنه السائل، هذا مجمل الجواب، وإليك التفصيل:

١-صحة الحديث:

لا يشك حديثي في صحة هذا الحديث البتة، لوروده من طرق متباينة وأسانيد كثيرة، عن صحابيين جليلين:

الأول: ثوبان مولى رسول الله ﷺ.

والثاني: أبو هريرة-رضي الله تعالى عنه- الذي حفظ لنا ما لم يحفظه غيره من الصحابة-رضوان الله عليهم- من سنة النبي ﷺ فجزاه الله عن المسلمين خيراً.

أما ثوبان-رضي الله عنه- فله عنه ثلاث طرق:

١-عن أبي عبد السلام، عن ثوبان، قال قال رسول الله ﷺ: « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: « بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن »، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: « حب الدنيا، وكراهية الموت ».

أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢١٠) والروياني في مسنده (ج٢٥/ ١٣٤/ ٢) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عنه، ورجاله ثقات كلهم غير أبي عبد السلام هذا فهو مجهول، لكنه لم يتفرد به بل توبع-كما سيأتي- فالحديث صحيح.

٢-عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان مثله.

أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٧)ومحمد بن محمد بن مخلد البزار في «حديث ابن

السمان » (ق١٨٢-١٨٣) عن المبارك بن فضالة، حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي، أنا أبو أسماء الرحبي به، وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وإنما يخشى من المبارك التدليس، وقد صرح بالتحديث [1] فأمنا تدليسه.

٣-عن عمرو بن عبيد التميمي العبسي، عن ثوبان مختصراً.

أخرجه الطيالسي في مسنده (ص١٢٣)، (٢/ ٢١١) من ترتيبه للشيخ البنا وسنده ضعيف لكنه قوي بما قبله.

فالطريق الثاني حجة وحده لقوة سنده، وبانضمام الطريقين الآخرين إليه يصير الحديث صحيحاً لا شك فيه.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه أحمد في المسند أيضاً (٢/ ٢٥٩) عن شبيل بن عوف، عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان:

« كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم...» الحديث نحوه وسنده لا بأس به في الشواهد، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢٨٧): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وإسناد أحمد جيد! ».

وجملة القول: إن الحديث صحيح بطرقه وشاهده، فلا مجال لرده من جهة إسناده، فوجب قبوله والتصديق به.

٢-إخباره ﷺ عن الغيب:

من المستغرب جداً عندنا الشك في صحة الحديث بدعوى «أنه يخبر عن الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله » ومن المؤسف حقاً أن تروج هذه الدعوى عند

(١) في الأصول « بالتدليس » والصواب ما أثبته كما هو واضح. (طالب).

كثير من شبابنا المسلم فقد سمعتها من بعضهم كثيراً، وهي دعوى مباينة للإسلام تمام المباينة، ذلك لأنها قائمة على أساس أن النبي ﷺ بشر. كسائر البشر. الذين لا صلة لهم بالسماء، ولا ينزل عليهم الوحي من الله تبارك وتعالى.

٣-هدف الحديث:

عرفنا مما سبق أن الحديث المسؤول عنه صحيح الإسناد عن النبي ﷺ، وأن ما فيه من الإخبار عن أمر مغيب إنما هو بوحي من الله تعالى إليه ﷺ، فإذا تبين ذلك استحال أن يكون الهدف منه ما توهمه السائل الفاضل من « حمل الناس على الرضا بما نحن فيه... » بل الغاية منه عكس ذلك تماماً، وهو تحذيرهم من السبب الذي كان العامل على تكالب الأمم وهجومهم علينا، ألا وهو «حب الدنيا وكراهية الموت » فإن هذا الحب والكراهية هو الذي يستلزم الرضا بالذل والاستكانة إليه والرغبة عن الجهاد في سبيل الله على اختلاف أنواعه من الجهاد بالنفس والمال واللسان وغير ذلك، وهذا هو حال غالب المسلمين اليوم مع الأسف الشديد.

فالحديث يشير إلى أن الخلاص مما نحن فيه يكون بنبذ هذا العامل والأخذ بأسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، حتى يعودوا كما كان أسلافهم « يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة ».

وما أشار إليه هذا الحديث قد صرح به حديث آخر فقال ﷺ: « إذا تبايعتم بالعينة [1]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله

(١) هي أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ثم يشتريها منه نقداً بأقل من الثمن الذي باعها به.

عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »[1].

فتأمل كيف اتفق صريح قوله في هذا الحديث «لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » مع ما أشار إليه الحديث الأول من هذا المعنى الذي دل عليه كتاب الله تعالى أيضاً، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١].

فثبت أن هدف الحديث إنما هو تحذير المسلمين من الاستمرار في «حب الدنيا وكراهية الموت »، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تنبهوا له وعملوا بمقتضاه لصاروا سادة الدنيا، ولما رفرفت على أرضهم راية الكفار، ولكن لابد من هذا الليل أن ينجلي، ليتحقق ما أخبرنا به رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، من أن الإسلام سيعم الدنيا كلها، فقال عليه الصلاة والسلام:

« ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر »[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٠٠) وأحمد (رقم٤٨٢٥، ٥٠٠٧، ٢٥٦٢) والدولابي في « الكنى » (٥٢) والبيهقي (٥/ ٣١٦) من طرق عن ابن عمر، صحح أحدها ابن القطان، وحسن آخر شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » (٣/ ٣٢، ٢٧٨).[منه]

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ١٢٦/ ٢) والحاكم (٤/ ٤٣٠) وابن بشران في « الأمالي » (٦٠/ ١) وابن منده في « كتاب الإيمان » (١/ ١٠٢) والحافظ عبد الغني المقدسي في « ذكر الإسلام » (٢/ ١٢٦) من طريق أحمد عن تميم الداري مرفوعاً، وسنده صحيح، وصححه الحاكم أيضاً ووافقه الذهبي وقال المقدسي: «حديث حسن صحيح »، وله شاهدان: أحدهما عن المقداد بن الأسود أخرجه ابن منده والحاكم وسنده صحيح، والآخر عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه الحاكم (١/ ٤٨٨).[منه]

ومصداق هذا الحديث من كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٢-٣٣].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص:٨٨].

«مقالات الألباني» (١٥٧-١٦٣)

١٧

متى الوصول؟!

نصيحة.. حول متى الوصول؟!

الشيخ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨] فقد ذكرنا مع هذه الآية الآية الأخرى التي تقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠] وأشرنا إلى أن هذه الآية الثانية تعطينا شرطين اثنين: أن يكون العمل صالحاً، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موافقاً للسنة، والشرط الثاني: أن يكون خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى، دار الكلام مع شيء من البسط والشرح حول هذين الشرطين، ولكن ما يتعلق بالآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨] علقت أنا على قوله تعالى آمراً نبيه عليه السلام أن يقول: «هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» لكن قبل هذا التعليق هناك تعليق آخر يجول في نفسي: كل تالٍ لهذه الآية الكريمة ويقف التالي الذي يريد أن يتحقق بهذا الأمر الإلهي - أن يكون على بصيرة من دينه اتباعاً لأمر ربه لنبيه ﷺ- يجب عليه أن يقف طويلاً وطويلاً جداً عند هذه الكلمة الطيبة: (سبيلي) حيث يعلم كل مسلم أوتي شيئاً من الفقه والفهم في اللغة العربية أن السبيل هذا اللفظ المذكور في الآية هو مفرد وليس جمعاً، أي: أن الله عز وجل قال: (قل هذه سبيلي) ولم يقل: قل هذه سبلي. فلحكمة ما قال ربنا: سبيلي ولم يقل سبلي، ذلك لأن الطريق المؤدي إلى الله تبارك وتعالى في كل زمان وفي كل مكان وفي كل مصر. وقطر إنما هو سبيل واحد، وهذا ما وضحه نبينا صلوات الله وسلامه عليه كما هو شأنه في كل شيء يكون أصله مذكوراً في الكتاب فتأتي السنة

لتشرح ذلك ولتبينه، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً لأصحابه وهو جالس على الأرض من تواضعه ومن حوله كثير من أصحابه: فخط لهم على الأرض خطاً، ثم خط من حوله خطوطاً قصيرة، ثم تلى وهو يمر بأصبعه الشريفة على الخط الطويل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، لقد فسر النبي ﷺ بهذه الآية الثانية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام:١٥٣] يشرح قوله السابق: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف:١٠٨] لذلك يقول علماء التفسير وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن سار مسيره كابن القيم الجوزية وابن دمشق ابن كثير صاحب التفسير المعروف بتفسير ابن كثير، كلهم يقولون: يجب على كل باحث وعالم أن يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة التي هي أيضاً وحي من الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، كما جاء في الحديث الصحيح عنه من قوله: «لا يقعدن أحدكم متكئاً على أريكته يقول: هذا كتاب الله، ما وجدنا فيه حلالاً حللناه، وما وجدناه حراماً حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» المثل هنا هي سنة الرسول عليه السلام، ولذلك قال من أشرنا إليهم من بعض أهل العلم آنفاً بأنه ينبغي تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة لأنها أيضاً من وحي الرحمن على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام كما قال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:١-٤] فإذاً: هناك وحيان وحي متلو ألا وهو القرآن، ووحي متعبد به لفهم القرآن.

فالآية السابقة حينما خط الرسول ﷺ ذلك الخط المستقيم الطويل تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] أي: ولو طال عليكم الأمر امشوا في هذا الطريق المستقيم ولو طال عليكم، لأن الأمر كما قال عليه السلام في صحيح البخاري ومسلم: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» المكاره هو

السير في هذا الطريق المستقيم، طويل، متى نصل، أنت المهم أنك تمشي. ولو أول خطوة، فلو مت فيها فأنت يقيناً من أهل الجنة، كما جاء أيضاً في الحديث الصحيح: «أن رجلاً من الأعراب في عهد النبي ﷺ جاء إليه وآمن به، قال له: أرأيت إن أنا جاهدت وقاتلت معك في سبيل الله ومت أأدخل الجنة؟ قال: نعم، فما كان منه إلا أن خاض المعركة وما خرج منها إلا شهيداً، ولم يصل لله صلاة»، لماذا؟ لأنه أخذ الخط المستقيم، ومشى فيه ولو خطوة أولى، فليس من المهم على السائر في هذا الطريق المستقيم الطويل أن يصل إلى نهايته، ولكن أن يمشي ولو خطوة أو أكثر من ذلك حسب ما ربنا عز وجل ييسر. له ويموت على ذلك، ويعجبني بهذه المناسبة بيت الشعر الذي يروى عن امرئ القيس الجاهلي، وأنا أقول: أنا لست بشاعر ولا أحفظ الشعر جيداً، ولذلك فأستسلم سلفاً فأقول لمن يحفظ الشعر: فإذا وجدني قد أخطأت فليعني وليمدني بمدده، فماذا قال امرئ القيس، قال:

بكى صاحبي لما رأى الـدرب دونـه　　　وأيقـــن أنــــا لاحقـــان بقيصرـــا

فقلـــت لــــه: لا تبـــك عينـــك　　　إنما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

انظر الجاهلي، لكنه عاقل

لا تبك عينك　　　إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

فإذاً: المهم في المسلم أن يأخذ الخط المستقيم ويموت عليه، ولذلك أقول هذا الكلام أنه بعض الناس يستطيلون السير على المنهج الإسلامي، متى يا أخي؟ بعضهم يستعجل مثلاً لإقامة الدولة المسلمة، وهذا أمر واجب ولابد منه، ولكن إقامة الدولة المسلمة تعجبني بهذه المناسبة يا شيخ علي أنت وعلي كلاكما ما شاء الله إن الطيور على أشكالها تقع، يعجبني بهذه المناسبة كلمة

لبعض الدعاة المعاصرين، قال هذا الداعية المعاصر كلمة في منتهى الحكمة، وأعتقد أنه لو كان هناك وحي بعد رسول الله ﷺ أو كان هناك مثل عمر الذي قال عنه نبينا ﷺ: لقد كان فيمن قبلكم محدثون، أي: ملهمون، فإن يكن في أمتي فعمر.

فإذاً: لو كان هناك نبي لقلت إن هذا الكلام الذي ستسمعونه هذا وحي من الله، لكن على الأقل أن يقال: إنه إلهام من الله تبارك وتعالى، ماذا قال هذا الداعية.

مداخلة: أبو الأعلى.

الشيخ: لا، إنما هو حسن البنا رحمه الله، قال: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم على أرضكم. إذاً: السعي لإقامة الدولة المسلمة كما يقولون عندنا في دمشق تريد هز أكتاف، والشيء بالشيء يذكر، وليتحملنا بعض إخواننا المستعجلين لما قد يكون في نفوسهم من سؤال أو أسئلة، هناك حديث من المبشرات، ألا وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: كنا في مجلس مع النبي ﷺ، فسأله سائل: أي المدينتين نفتحها أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ رومية يعني روما عاصمة الطليان إيطاليا، أي المدينتين نفتحها أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ هذا السؤال يوحي إلينا بأن النبي ﷺ كان قد بشر المسلمين بأنهم سيفتحون كلتا المدينتين، قسطنطينية ورومية، لكن ما كان بين لهم إلى تلك الساعة أيها تفتح أولاً، فجاء السؤال، فقال عليه الصلاة والسلام: قسطنطينية، الجواب: قسطنطينية أولاً، وهذا الحديث من أعلام نبوته عليه السلام الغيبية، ما يدريه أن هذه المدينة العظيمة وهي عاصمة الروم يومئذٍ كما هي الآن لإيطاليا وفي خصوص عاصمة روما هي عاصمة النصارى، ولذلك

مركـز البابـا هنـاك كـما تعلمـون، فـما الـذي أدرى الرسـول عليـه السـلام بـأن قسطنطينية وهي في يدي الكفار المشركين الروم تفتح أولاً؟ ذلك من وحي الله تبارك وتعالى.

فإذاً: هذه بشارة عظيمة، فتحت القسطنطينية فلم يبق على المسلمين إلا أن يفتحوا روما، وسيكون ذلك يقيناً لأن الرسول كما قلنا آنفاً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤] لكني كنت أقول وهنا الشاهد: فتح مدينة عاصمة كروما في هذا الزمان لا يمكن أن تفتح من المسلمين في آخر الزمان وهم كما نراهم متفرقين شذر مذر، طرق ومذاهب وأحزاب وهم يقرؤون القرآن الكريم: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢] وأنتم ترون الآن إقليم من أقاليم المسلمين وهي أفغانستان مضى عليها عشر سنوات ولم يستطع المسلمون أن يقضوا على الحاكم الكافر في بلادهم، الذي احتلها رغم أنوفهم، لماذا؟ لأن الأفغانيين يقاتلون وحدهم، والمسلمون يتفرجون عليهم كأنه لا يجب عليهم أن يمدوا إخوانهم بالأشخاص وبالأموال وبالسلاح وكل شيء، فكيف يستطيع المسلمون أن يفتحوا عاصمة كروما، وأنا أقول: إن المسلمين هكذا كنت أقول هناك في وضعهم الحاضر لا يستطيعون أن يفتحوا قرية عندنا كدوما، كيف يستطيعون أن يفتحوا روما.

إذاً: فيجب علينا أن نقف متفكرين جداً في هذا الحديث، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] هذا واقع المسلمين اليوم، فقد تفرقوا منذ قرون طويلة إلى طرق كثيرة، وهذه الطرق من حكمة الرسول عليه السلام، وأنا في الحقيقة معجب بشيء ما أحد يعني فكر فيه، أو

ربما فكر ولكن ما عبر عنه، وهو أن الرسول عليه السلام رسام ماهر، لكنه إنما يرسم ما يجوز وليس ما يحرم، لأنه حرم التصوير لذوات الأرواح، ولكنه هنا صور الخط المستقيم والخطوط الأخرى المعاكسة له، فصور الخط المستقيم خطاً طويلاً، وصور حوله ليس خطوطًا طويلة، وهذه المهارة في الرسم، وإنما هي خطوط قصيرة، لماذا؟ لحكمة بينها الرسول في تمام الحديث، لما تلا بعد أن صور هذه الصورة الرائعة وقرأ عليها الآية قال: هذا صراط الله، وهذه طرق، وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليها. ما معنى هذا الكلام؟ فيه هنا كلام يتلفظ به لسان الرسول عليه السلام، لكن هناك كلام لم يتلفظ به، وإنما رسمه لأصحابه على الأرض، وهو أن هذه الطرق قصيرة مغرية للسائرين على الدرب الطويل، فإن على كل رأس طريق من هذه الطرق القصيرة شيطان، كأنه يقول للسالكين على الصراط الطويل: أين ذاهبين، متى تصلون، انظروا ما أقرب هذا الطريق، فإلي إلي.

مداخلة: ....

الشيخ: هو هذا، ولذلك تجد ليس فقط الضالين الشاردين الخارجين عن دائرة الإسلام، بل وبعض المسلمين أنفسهم انغشوا بنصيحة الشيطان، والشيطان عمره ما نصح مسلماً.

(الهدى والنور/٢٩٠/ ١٠ : ٢٩ : ٠٠)

(الهدى والنور/٢٩٠/ ٤٨ : ٤٣ : ٠٠)

١٧

تهم وشبهات حول الدعوة السلفية والرد عليها

١٧

اتهام:
التسمي بالسلفية تفريق للأمة

مداخلة: يا شيخ السؤال الذي أنهم يتهموننا على تسمية السلفيون يقولوا: أنها تسمية تفريق وأنه ما ثبت في ذلك؟

الشيخ: يقولون ماذا تفريقه أيش؟

مداخلة: وما ثبت في السنة على تسمية هذه الأمور أننا نقول: نحن سلفيون، ونحن جماعة سلفيون في الجزائر طائفة قليلة ونحن نحب هذا الجيل؛ لأنه كما تعلمنا أنه على منهج السلف الصالح.

الشيخ: وهم ماذا إلى ماذا ينتسبون؟

مداخلة: ينتسبون إلى المنهج الحركي وينتسبون إلى جماعة التبليغ.

الشيخ: فإذاً: ما الفرق بيننا وبينهم؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: ما الفرق بيننا وبينهم في ظنهم؟

مداخلة: في ظنهم أننا نحن خالفنا المنهج.

الشيخ: اسمع يا أخي.

مداخلة: نعم.

الشيخ: هنا في قضيتين.

مداخلة: نعم.

الشيخ: القضية الأولى: أننا نحن بدعوتنا السلفية نفرق.

مداخلة: نعم.

الشيخ: والقضية الأخرى: أن هذا الاسم مبتدع ليس له أصل، فالآن إذا تركنا القضية الأولى جانباً، وأخذنا القضية الثانية، أولاً سنبين لهم أنهم يلتقون معنا في اتخاذهم اسماً يلقبون أنفسهم به يتميزون بهذا اللقب على سائر المسلمين،والجماعات الإسلامية الموجودة اليوم في الساحة كما يقولون: هي من أشهرها جماعة الإخوان المسلمين ثم جماعة الحزب الإسلامي، ثم جماعة عفواً حزب التحرير الإسلامي، ثم جماعة التبليغ، وأخيراً اليوم الجماعة التي كانت من قبل تعرف بجماعة التكفير والجهاد فالآن رفعت كلمة التكفير واقتصرت على كلمة الجهاد، كل هذه الأسماء لم تكن معروفة من قبل، ونحن نقول بالصراحة أيضاً: نحن حينما ننتسب إلى السلف والمنتسب إلى السلف يكون سلفياً والجماعة المنتسبة إلى السلف يكونوا سلفيين، لا ننكر أن هذه التسمية لم تكن من قبل، ولكن لماذا ينقمون علينا ما هم واقعين فيه، لكن نحن نفترق عنهم كل الافتراق في هذه التسمية، ونصر عليها ولا نرضى بها بديلاً في العصر الحاضر على الأقل؛ لأنها تدل على المنهج الصحيح الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه، وليس كذلك بقية الأسماء التي أشرنا إليها، فكل منها لا تدل على منهج المنتسبين إليها.

خُذ مثلاً جماعة الإخوان المسلمين فهم ينتسبون إلى جماعة في العصر الحاضر، ونحن ننتسب إلى جماعة في العصر الغادر، وشتان بين النسبتين كما

قيل: نحن ننتسب إلى السلف الصالح الذين زكاهم الله عز وجل في كتابه وأثنى عليهم نبينا ﷺ في حديثه، وأمرنا في بعض الأحاديث الثابتة عنه أن نتمسك بهديهم، أما الإخوان المسلمين فمن هي الجماعة التي هم ينتسبون إليها؟ هنا نقول:

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح

إذا تركنا الإخوان المسلمين الآن جانباً كاسم ومنهج، وانتقلنا إلى حزب التحرير أيضاً إلى من ينتسب هذا الحزب؟ إلى رجل الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله وغفر لنا وله، (وأنا التقيت به) وأعرفه وأعرف أن منهجه لم يكن على الكتاب والسنة،والتقيت أنا معه مرتين وجرى نقاش بيني وبينه والآن لا مجال للخوض في حكاية ما جرى، لكنه لم يكن على الكتاب والسنة، بل ولم يكن على مذهب من المذاهب المتبعة، سواءً في العقيدة أو في الأحكام.

فيما يتعلق بالعقيدة فلا تعرفه هل هو سلفي العقيدة أي: على منهج السلف الصالح ومنهج أهل الحديث، ولا تعرفه هل هو ماتريدي أم هو أشعري، هذا في العقيدة، وما يتعلق في الأحكام فما تعرفه هل هو حنفي أم شافعي أم مالكي أم حنبلي؟ بل أنا أعرفه أنه ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ولا من هؤلاء، ذلك؛ لأنه يأخذ من كل مذهب ما يناسب العصر في ظنه، وهذا ما سمعته منه مباشرة.

إذاً: إن كان الذين ينكرون علينا هذا الاسم من حزب التحرير، فلينكروا انتسابهم هم إلى حزب التحرير، وكذلك نقول في بقية أسماء الجماعات المعروفة اليوم: فإنها كلها لا تعطي بهذه الأسماء منهجها، ولإن أعطت منهجاً لها فلا تعطي أن منهجها على الكتاب وعلى السنة، كما هي الدعوة السلفية الصريحة في دعوتها إلى الكتاب وإلى السنة،هذا ما يتعلق بالأسماء.

وتمام هذا الكلام: أن نتذكر أن هذه الأسماء لا يترتب أي خطر على المسلم فيما إذا تبرأ من أي اسم من أسمائها، وليس كذلك من تبرأ من الانتساب إلى السلف؛ لأن هذا إن كان يدري ما يقول فإنه يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين؛ لأن السلف الصالح على رأسه نبينا صلوات الله وسلامه عليه، ثم أصحابه ثم التابعون لهم، ثم أتباعهم.

وهذا المعنى صرح به الرسول عليه السلام في الحديث المشهور حديث الفرق حينما قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي التي على ما أنا عليه وأصحابي».

فدعوتنا قد يلتقي مع قسم منها كل الجماعات الإسلامية التي ذكرنا آنفاً بعض أسمائها وما لم نذكر منها، فكل من ينتمي إلى الإسلام لا يسعه أن يقول بصراحة: أنا لست على الكتاب والسنة؛ لأنه إن قال ذلك فقد خرج من دائرة الإسلام، لكن هل يكفي في هذا الزمان أن ينتسب المسلم إلى الكتاب والسنة فقط، والحديث السابق أجاب: بكل صراحة بأن من علامة الفرقة الناجية: أن تكون على ما كان عليه الرسول وأصحابه، فلم يقل عليه الصلاة والسلام في جوابه المحدد لصفة الفرقة الناجية أنها التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ فقط، وإنما ضم إلى ذلك: «وأصحابي» فقال: «ما أنا عليه وأصحابي».

ويؤيد هذه الضميمة قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

فالله عز وجل ذكر مع الرسول هنا المؤمنين، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] كان من الممكن أن يقول الله عز وجل: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ولكنه لحكمة بالغة عطف على الرسول فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] ما الحكمة من هذا العطف؟ الحكمة واضحة جداً ذلك؛ لأن المؤمنين يشرحون لنا ما كان عليه الرسول عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير، فهم كانوا أقرب الناس إلى النبي ﷺ صلة، وأقربهم وأصدقهم إليه فهماً وهكذا.

ولذلك لا يجوز للمسلم أن يقتصر على الانتساب في هذا الزمان إلى القرآن وإلى السنة، هذا الانتساب يكفي عهده عليه السلام، أما فيما بعد ذلك حيث دخلت الأفكار الغريبة والآراء الباطلة في الإسلام باسم الإسلام تارة باجتهاد، وتارة بسوء قصد، ووصل إلينا الإسلام على هذا الاختلاف في العقائد وفي الأحكام وفي الأخلاق والسلوك، فاختلف المسلمون خلافاً كثيراً، فلا يكفي اليوم المسلم أن ينتمي في فهمه للإسلام إلى الكتاب والسنة فقط، بل لابد أن يضم إلى ذلك ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله وعليه وآله وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، هذه دعوتنا نحن السلفيين.

فنعود إلى قولهم الذي نقلته آنفاً عنهم: أننا نفرق من نفرق؟ إن كنا نفرق بين الحق وبين الضلال فهذا واجبنا، وإن كنا نفرق بين المحق والضال فهذا واجبنا، فإذاً: هم عليهم أن يحددوا كلامهم حينما يتهمون بأننا نفرق ذلك؛ لأن النبي ﷺ هو نفسه فرق، بل القرآن الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام من أسمائه الفرقان، لماذا؟ لأنه يفرق بين الحق والباطل! ومن أسماء الرسول ﷺ

كما جاء في صحيح البخاري: «المفرق» من أسمائه عليه الصلاة والسلام المفرق، وهذا شرف كبير له؛ ذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، ويفرق بين المسلم والمشرك، وبين المؤمن والمنافق، ونحو ذلك.

فإذاً: كلمة التفريق قد تمدح وقد تقدح، ولذلك فلا يجوز أن تطلق هذه الكلمة على سبيل المدح مطلقاً كما لا يجوز أن تطلق على سبيل القدح مطلقاً، هذا يشبه الكثير من المسائل التي تتعلق بالعقيدة، وهذا مما استفدناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بحق رحمه الله حينما يناقش علماء الكلام وعلماء التأويل الذين أنكروا بعض الصفات الإلهية والتي منها: استواء الله تبارك وتعالى على عرشه، وعلوه على خلقه، حيث يقول المعطلة أو على الأقل المؤولة يقولون: إن الله عز وجل ليس في مكان، إن الله عز وجل ليس له جهة. يقول ابن تيمية في مناقشة هؤلاء: نحن لا نقول إن لله مكاناً أو إن له جهة كما أننا لا ننفي المكان عنه، ولا الجهة، وإنما ننظر إلى النافي وإلى المثبت، ننظر إلى كل منهما، ماذا يعني إذا أثبت المكان أو الجهة، أو ماذا يعني إذا نفى المكان أو الجهة؟ فإن كان ما يعنيه هذا أو ذاك مطابقاً للكتاب والسنة قبلنا معناه، ورفضنا لفظه؛ لأن اللفظ لم يرد، فمن قال: إن الله عز وجل ليس له جهة، إن كان يعني ليس له جهة من الجهات الست مطلقاً كما هو طبيعة الإنسان لابد ما يكون في جهة، فهذا قد يقال إلا إذا نفى أن يكون الله عز وجل في جهة العلو حينئذ نقول له: أبطلت؛ لأنك نفيت ما جاءت نصوص الكتاب والسنة متواترة على إثباته وهو: ارتفاع الله عز وجل على عرشه وعلوه على خلقه.

وإن عنيت بالنفي أن الله بحاجة إلى الجهة وإلى المكان، قلنا: نحن معك؛ لأن الله هو الغني عن العالمين، لكن هذا لا يعني أنه ليس له صفة العلو.

فإذاً: كلمة تقال تارة لها معنى صحيح، وتارة لها معنى غير صحيح، فالآن الذين يذموننا ويقولون: أنكم تفرقون فاسألهم نفرق بين ماذا وماذا؟ نحن دعاة إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، فهل أنت معنا؟ فإن قال: أنا

معكم إذاً: نحن ما فرقنا، وإن قال: أنا لست معكم إذاً: أنت افترقت عنا، هذا جواب ما سألته آنفاً.

مداخلة: نعم. بالنسبة لبعض الدعاة في مدينة وهان اتهمونا بأننا لا نخرج معهم للتجمع أو للمسيرة أننا نحن كفار أو فاسقون؟

الشيخ: طيب. يا أخي هذا ليس له علاقة بالعلم يتهموننا فهذه سنة الله في خلقه!)

نحن ندعو إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، فالرد عليهم سهل: هل أنتم تدعون إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف؟ فإن قالوا: نعم. فإذاً: ما الفرق بيننا وبينكم؟!

أنا أقول: الفرق أنهم تكتلوا وتحزبوا وفارقوا المسلمين بتكتلهم، فمن كان معهم في حزبهم فهو مسلم، ومن كان ليس معهم فهو ليس كذلك!

إذاً: هم الذين فارقوا ما دام نحن منهجنا الكتاب والسنة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح فليقولوا ما شاءوا بعد ذلك، لكن المهم أن تعارضوهم هم يتهمونكم بهذه التهمة، طيب أنتم معنا في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح؟ أي نعم. إذاً: لماذا تقولون نحن منافقون أو خارجون أو ما شابه ذلك، فالمسألة هذه ليس لها تلك الخطورة؛ لأنه مثل هؤلاء الأفاكين الكذابين الذين يكذبون ويفترون هؤلاء لا حيلة لنا معهم سوى أن نكل الأمر إلى الله عز وجل ونقول أولاً – كما روي عن بعض الأنبياء السابقين – حينما حكى رسول الله ﷺ نبياً ضربه قومه وهو يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

فنقول هكذا أو نقول: إذا كانوا مصرين على ضلالهم، فينتقم منهم كما ربنا عز وجل يشاء.

(الهدى والنور / ٢٠٠ / ٤٥: ٠٥ : ٠١).

باب منه

الشيخ: ذكرت بارك الله فيك في سؤالك الأول: أنهم ينكرون علينا أن نسمي أنفسنا بالسلفيين، وأن هذا تفريق، فهذه نقطة يجب أن أدلي برأيي فيها؛ لأنها في الحقيقة مسألة هامة، لا يعرفها كثير من إخواننا السلفيين، فضلاً عن أولئك الخصوم الذين يحاربون الدعوة في صميمها وليس في اسمها.

هم يجهلون ما معنى الدعوة السلفية، وإلى ماذا أو إلى من تنتسب هذه الدعوة، ولا يخفى على الحاضرين جميعاً إن شاء الله أن الدعوة السلفية إنما هي تنتسب إلى السلف الصالح، وهم أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، في الحديث الذي تواتر صحته عن النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» فنحن ننتمي إلى هؤلاء السلف في منهجهم.. في فهمهم لشريعة ربهم.. في أصولهم في قواعدهم.

من ذلك مثلاً: وهذا خلاف جذري بيننا نحن معشر السلفيين وبين الطوائف أو الجماعات أو الأحزاب الأخرى، نحن ننتمي إلى السلف الصالح في مناهجهم ومنها: أنهم في طيلة هذه القرون الثلاثة لا يعرفون التمذهب بمذهب شخص معين كما شرحنا آنفاً أن الانتساب والتعصب لإمام معين دون رسول الله ﷺ إنما هو إخلال بإفراد النبي ﷺ بالاتباع، فالسلف الصالح لا يعرفون المذهبية؛ ولذلك فنحن لسنا مذهبيين اتباعاً للسلف الصالح.

فحينما ينكرون علينا انتماءنا إلى السلف الصالح يعني ذلك أحد شيئيين:

إما أنهم لا يعرفون من هم السلف، أو يعرفون لكنهم لا يعرفون قدر السلف، أو أنهم يكابرون ويجحدون الحقيقة الشرعية.

أنا أقول: لو أن مسلماً تبرأ من مذهب فلان مهما كان هذا الفلان، ولنسم: مذهب أبي حنيفة.. مذهب الشافعي.. مذهب الأئمة المتبوعين، فهو ليس في خطر من دينه؛ لأنه يتبرأ من مذهب شخص معين لكنه ليس كذلك فيما إذا تبرأ من مذهب السلف الصالح فهو كفر، وبخاصة إذا ما تذكرنا أن على رأس المذهب الصالح هو رسول الله.

فإذاً: هؤلاء بلغ بهم الغفلة والجهالة إلى أنهم يقعون في الكفر أو على الأقل يشرفون على الكفر وهم لا يشعرون، إذاً: نحن لنا الشرف في أن ننتسب إلى السلف الصالح في منهجهم في فهمهم لكتاب الله ولحديث رسول الله.

ومن ذلك أضرب مثلاً مكرراً لما قلت أنهم لا يعرفون مذهبياً، ليس فيهم من كان بكرياً.. ليس فيهم من كان عمرياً.. ليس فيهم من كان عثمانياً.. ليس فيهم من كان علوياً في المذهب، ودعنا الآن من المذهب السياسي الشيعي مثلاً أو الأموي أو إلى آخره، نحن نتكلم عن التدين بمذهب لم يكن عند هؤلاء السلف إلا اتباع الكتاب والسنة، ولذلك كان أحدهم إذا تيسر له أن يسأل أبا بكر سأله.. إن تيسر له عمر سأله.. ابن مسعود.. ابن عمر.. أبو هريرة إلى آخره؛ ذلك لأنهم يؤمنون يقيناً أنه لا يجوز الإخلاص في الاتباع لشخص واحد في الدنيا إلا رسول الله ﷺ، فإذاً: هذه أيضاً من ضلال أولئك الجماعة الذين ينكرون علينا انتسابنا إلى السلف الصالح.

وقريباً جداً زارني أحد الكتاب المصريين، وألف كتاباً وجاء إلي لكي نناقشه في بعض مسائل الكتاب، والمقصود الآن: ما يتعلق بموضوع السلف والسلفية،

قلت له: وهذه مناقشة فيها تبصير لإخواننا الحاضرين، قلت له: إذا قيل لك يا فلان! ما مذهبك.. ما هو جوابك؟ قال: مسلم، قلت: هذا يكفي؟ قال: يكفي، قلت: لو سألت أي طائفة من الطوائف الإسلامية فسيكون جوابه جوابك، لو سألت الشيعي.. لو سألت الرافضي ما مذهبك؟ وخاصة والشيعة لديهم التقية المعروفة سيقول لك: مسلم، إذاً: ما هو الفرق بينك وبينه، فانتبه أنه فعلاً لا يكفي هذا الجواب، فضم ضميمة، فقال: مسلم على الكتاب والسنة، قلت: حسناً! هذا قيد ضروري جداً لكن هل يكفي؟ قال: يكفي كتاب وسنة!

قلت له: لا يكفي، مع أنه على الكتاب والسنة لا يكفي في هذا الزمان، قال لماذا متعجباً! قلت له: خذ أي طائفة من الطوائف الإسلامية التي تدخل في عموم: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» سلها ستقول قولك هذا: على الكتاب والسنة؛ لأنه لا يوجد مسلم يتبرأ من الكتاب والسنة؛ لأنه إن فعل خرج من الإسلام، إذاً: لا بد أيضاً من ضميمة أخرى تُمَيِّزك على الطوائف الأخرى التي أنت تتبرأ من مناهجها ومسالكها، قال: فأقول مثلاً ماذا؟ قلت: على منهج السلف الصالح، وقلت له في جملة ما قلت له: أنت هل سمعت.. هو كان قديماً من الإخوان المسلمين، لكن هو الظاهر فيما سمعنا منه وكان أخونا الخطيب أين هو؟

مداخلة: نعم يا شيخ!

الشيخ: كان حاضراً إنه ليس من الإخوان المسلمين وحكى لنا الحقيقة عن حسن البنا كلمات طيبات جداً لم نكن نعرفها من قبل وهو، أي: محدثي هذا كان يعتبر من حواري الشيخ حسن البنا رحمه الله، الشاهد: قلت: ابدأ من جماعتك قديماً: الإخوان المسلمين، وانزل إلى كل الجماعات: حزب التحرير..

جماعة التبليغ.. شباب محمد وماذا يوجد جماعات أخرى! هل تجد أحداً منهم يقول: على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، أم يكتفون إن قالوا على الكتاب والسنة؟ أما أن يقول أحدهم: وعلى منهج السلف الصالح فهذا لا تسمعه إلا من أمثالنا، وهذا أكبر دليل أنه لا يكفي المسلم اليوم أن يقول: أنا مسلم أولاً، ثم لا يكفي أن يقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة فقط ثانياً، بل لا بد من الضميمة التي تفرق بين الحق والباطل وهو: على منهج السلف الصالح.

وذكرت له كما ذكرت لغيره كثيراً وكثيراً وبعض إخواننا الحاضرين سمعوا مني ذلك مراراً وتكراراً، بناءً على قولي آنفاً: أن كل المسلمين يقولون: على الكتاب والسنة، المعتزلة قديماً وأذنابهم حديثاً بأسماء شتى وبراقة قد تكون أحياناً يخالفون السلف الصالح في كثير من عقائدهم ومع ذلك فهم يؤمنون بالكتاب والسنة، فماذا يفعلون بالآيات التي احتج بها السلف الصالح في بعض الأمور الاعتقادية وهؤلاء يخالفونها، هل ينكرون هذه النصوص؟ الجواب: لا، ماذا يفعلون؟ يؤولون النصوص القرآنية حتى تتفق مع أهوائهم.

فاضرب بهذه المناسبة مثلين لمذهبين، أحدهما: قديم عريق ... هم المعتزلة وأمثالهم، والآخر: جديد حديث وهم القاديانية، المعتزلة مثلاً ومعهم اليوم الشيعة والإباضية ينكرون القدر: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦] ينكرون رؤية الله في الآخرة، لكن لا ينكرون الآيات سواء ما كان منها في القدر أو ما كان منها في رؤية الله لكنهم يتأولونها يلفون يدورون عليها حتى تطابق أهواءَهم.

فإذاً: هم يقولون بالكتاب والسنة لكن يخالفون ما كان عليه السلف الصالح، هذا السلف هم المعنيون بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] فسبيل المؤمنين: هم السلف الصالح، ولذلك فلا يكفي أولئك القدامى والمحدثين أن يقولوا على الكتاب والسنة ثم هم يتلاعبون بمعاني هذه الآيات ويأتون بمعاني جديدة لتتفق مع أهوائهم، مثال بسيط جداً ولا نطيل الحديث حوله، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣] المعتزلة ينكرون هذه المنة.. هذه الفضيلة الإلهية التي يمتن بها الله على عباده في جنة النعيم، حيث يرونه كما قال أحد العلماء الأفاضل:

يراه المؤمنون بغير كيف وتشبيه وضرب من مثال

فهل أنكروا الآية؟ لا لم ينكروا الآية لكن قالوا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣] أي: إلى نعيم ربها ناظرة، لفوا على الآية وأنكروا حقيقتها، إذا ما جوبهوا بالأحاديث الصحيحة، كمثل قوله عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦] قال عليه السلام والحديث في صحيح مسلم من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لهم الحسنى: الجنة، وزيادة: رؤية الله في الآخرة» هذه الزيادة، والحديث الآخر وهو أشهر من الأول: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون» وفي رواية: «لا تضامون في رويته» إذا جوبهوا بهذا الحديث وذاك، قالوا لك: هذه أحاديث وإن كانت صحيحة فهي أحاديث آحاد لا يؤخذ بها في العقيدة.

إذاً: آمنوا بالآية لكنهم كفروا بمعناها، ما فائدة في هذا الإيمان إذا كفر بالمعنى؟! هذا مثال من الفرق القديمة، والمعتزلة اليوم والشيعة والإباضية على هذا المذهب، وبهذه المناسبة الإباضية الآن لهم نشاط ما كان يعرف من قبل، ساعدهم على ذلك: يسر الطباعة ويسر النشر وإلى آخره، فهم يؤلفون الآن كتباً

ورسائل كثيرة في سبيل ماذا؟ نشر مذهبهم وضلالهم.

المثال الثاني الجديد المتعلق: بالقاديانية، القاديانية لا شك أنهم يدعون الإسلام ولكن الإسلام منهم بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقال في المثل العربي القديم؛ ذلك لأنهم خالفوا سبيل المسلمين في كثير من عقائدهم، فهم مثلاً يعتقدون بأن باب النبوة لم يختم.. لم يغلق.. باب النبوة لا يزال مفتوحاً، وأكدوا ذلك بادعاء نبيهم الذي كان يسمى: بميرزا غلام أحمد القادياني ادعى النبوة، ولذلك فهم يؤمنون بنبوة: ميرزا غلام أحمد القادياني ويكفروننا نحن معشر المسلمين؛ لأننا لا نؤمن بنبيهم هذا الدجال، طيب! ألا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]؟ يؤمنون طبعاً؛ لأنهم لو أنكروا كفروا وارتدوا عن دينهم، كيف إذاً يؤمنون بهذا النص القرآني ويعتقدون بمجيء نبي ويصرحون بأنه بعد سيأتي أنبياء كثر من أمثال هذا النبي خاصتهم.

اسمعوا الآن ماذا يفعلون بالآية هذه ويخالفون سبيل المؤمنين كما قال رب العالمين، قال: أنتم أسأتم فهم هذه الآية فوقعتم في الخطأ وفي الضلال؛ لأنكم فهمتم من قوله: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] أي: آخرهم هذا خطأ، والصواب في فهم الآية: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠] أي: زينة النبيين كالخاتم في الإصبع، إذاً: هم آمنوا بالآية لكن كفروا بالمعنى لم يفيدهم شيء؛ لهذا نحن ندندن والبحث في هذا طويل جداً جداً.. ندندن أنه في العصر الحاضر لا يكفي أن نقول: أنا مسلم، بل لا يكفي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة، لا بد من الأداة المميزة بين طائفة الحق التي أشار إليها الرسول في الحديث المعروف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» إلى آخر الحديث، وبين الطوائف الأخرى التي تدعي أنها على الإسلام وهي بعيدة عن الإسلام كلاً أو جزءً، فلا

بد من ضميمة: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج الصالح، وهذا من معاني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

إذاً: يجب أن نكون على سبيل المؤمنين وليس هناك مؤمنون مشهود لهم بالخيرية سوى القرون الثلاثة فهم سلفنا الصالح.

وأخيراً: نقول لهؤلاء: نتفق معكم جدلاً.. جدلاً نكتفي على أن نقول: نحن مسلمون على الكتاب والسنة اتركوا نحن سلفيون جدلاً، لكن هل أنتم لا تنتسبون إلى الإخوان المسلمين.. لا تنتسبون إلى جماعة التبليغ.. لا تنتسبون إلى حزب التحرير.. إلى مذهب حنفي شافعي مالكي حنبلي صوفي إلى آخره نقشبندي قادري جيلاني؟ إن فعلتم أنتم ذلك ولن تفعلوا فنحن معكم لن نفعل، سنضل على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح شئتم أم أبيتم:

وحسبكم وهذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح

(الهدى والنور/٥٤٤/ ٤١ : ٠٠ : ٠٠)

باب منه

عن جبير بن نفيرقال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه و سلم، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم

تعرفون ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم صلى الله عليه و سلم قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه و سلم على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء وفترة وجاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى ولده أو والده أو أخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها التي قال الله : ﴿الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ الآية

[علق الإمام عند عبارة : وهو يعلم أن حبيبه في النار بقوله:]

قلت: ليتأمل في هذه الكلمة الرائعة من هذا الصحابي الجليل المعبرة تمام التعبير عن حقيقة دعوة النبي ﷺ من يقول من الأحزاب الإسلامية الذين تجلت لهم الدعوة السلفية بالرجوع إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، يقولون بلسان الحال وبعضهم بلسان المقال: إنها دعوة حق ولكنها تفرق، ونحن اليوم بحاجة إلى التجمع والتكتل. فنقول: على ماذا؟ على خليط من : سلفية صوفية، وسنية شيعية، فهل من معتبر بما كان عليه قائدنا ﷺ.

صحيح موارد الظمآن(١٣٠/٢).

اتهام: تطبيق السنن يسبب الفرقة

كثر الكلام في موضوع السنة وتطبيق السنن في كثير من البلدان الإسلامية ومنها السعودية، ونرى بعض المتكلمين الآن ممن نحسن بهم الظن إذ جرت على ألسنتهم عبارات أن تطبيق بعض السنن قد يفرّق المسلمين، فهل هذه المقولة لها وجه من الصحة؟ وما تعليقكم على هذا، كيف يعني نرد على مثل هؤلاء؟ وهم سلفيون ولهم دور في الدعوة فلعلنا ننقل إليهم شيئاً من رأيكم في هذا.

الشيخ: والله لا أعتقد أنا شخصياً أن عالماً سلفياً يتكلم بمثل هذا الكلام، قد يكون سلفياً ناشئاً وهذا من باب حسن الظن، وإلا أكاد أقول أنه ليس سلفياً مطلقاً، كيف تكون السنة مفرقة للأمة؟ بل والواقع أن السنة هي التي يجب أن تجمع الأمة، لأن النبي ﷺ قال في الحديث المعروف صحته عندهم جميعاً: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض.. وإذا كان التمسك بالسنة هو العصمة في تكتل الأمة وتجمعها والصيانة عن أن يقع الخلاف والفرقة فلا شك أن كل من يدّعي أن التمسك بالسنة هو سبب تفرق الأمة، هذا شيء، شيء آخر ليس هناك مفهوم محدد كل التحديد لكلمة السنة التي يطلقها هؤلاء الناس الذين أشرت أنت إليهم فقد تكون السنة من باب الأمور المندوبة التي يعنونها وقد تكون من الأمور المستحبة، وقد تكون من السنن المؤكدة، وقد تكون من السنن الواجبة،

فأي السنن التي يطلقون هذه الكلمة حولها ويدّعون أنها تكون سبباً لتفريق الأمة بها تفضل.

مداخلة: حتى تتضح الصورة.

الشيخ: نعم.

مداخلة: ضرب بعضهم مثلاً: لو أن رجلاً أراد أن يصلي بجماعة وكانوا يرون الجهر بالبسملة قبل الفاتحة وهو لا يرى ذلك، ولو أنه صلى بهم ولم يجهر لكان مجالاً للنزاع فيرى هنا أن يتنازل عما يعتقده في ذلك ويجهر بالبسملة، ويرون أيضاً مثالاً آخر الاختلاف في موضوع صلاة التراويح.

الشيخ: نعم.

مداخلة: أنه القول عشرين وثلاثة وعشرين وإحدى عشر ثلاثة عشر.. صلي مع الإمام ما يصلي دون أن تُثير هذا النزاع.. هذه الأمثلة التي يضربونها.

الشيخ: جميل، كيف يكون إحياء السنن التي أُميتت مع الزمن، وإماتة البدع التي أُحييت مع الزمن إذا كان الداعية العالم يريد أن يساير الجمهور باسم من الأسماء المبتكرة المختلف فيها إلى آخره؟ كيف يكون؟ أليس معنى هذه أننا ندعوا الناس إلى قلب الحقائق الشرعية بسبب سياسة لا شرعية.

أنا لا أنكر أن الإمام إذا كان عالماً ودرس المجتمع الذي يعيش فيه أنه إذا جهر أو أسر إذا كان الجمهور يجهر، فإذا أسر بالبسملة بين يدي الفاتحة يغلب على ظنه أنه يترتب من وراء ذلك مفسدة بين الجماعة التي هو يريد أن يحيى فيها ويعيش فيها، فأقول لا بأس من الجهر ليس مسايرة لهم، وليس تنازلاً عمّا يعتقده من السنة بل استعمالاً منه لسنة أخرى ثبتت لدينا عن النبي ﷺ في الحديث الذي

يقول بأن أبو قتادة الأنصاري يقول: «إن النبي ﷺ كان يؤمنا في صلاة الظهر أو العصر أو كليهما معاً وكان يسمعنا الآية أحياناً»، فإذاً يُسمعنا الآية أحياناً والصلاة سرية كانت لحكمة وهي لحكمة تعليم الناس.. طيب اقتدى بهذه الحكمة الفاروق رضي الله عنه فكان يجهر أحياناً بدعاء الاستفتاح سبحانك اللهم وبحمدك، أيضاً تعليماً للناس، فلا شك أنه الأصل أن الرسول عليه السلام راعى هذه الحكمة والفرع أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك، لكن الحكمة ليست محدودة النطاق يمكن أن تكون الحكمة من باب دفع الشر الأكبر بالشر الأصغر، كما فعل الرسول عليه السلام يوم قال لعائشة وقد أرادت أن تدخل الكعبة تصلي ركعتين اقتداءاً بالرسول قال: «صلي في الحجر فإنه من الكعبة، وإن قومكِ قصُرتِ بهم النفقة، ولولا أن قومكِ حديثي عهد بالشرك لهدمت الكعبة...» إلى آخر الحديث إذاً هو استعمل الحكمة عليه السلام بمعنى آخر هنا فيمكن لإمام المسلمين العالم الفقيه الذي لا يريد أن يساير الناس وإنما يريد أن يصلح قلوب الناس وأن يجلبها إليه له أن يجهر بالبسملة أحياناً، ولكن هل العالم الحكيم يقتصر فقط على الجهر بالبسملة ولا يظل يُلقي دروساً بين الناس حتى يفتح قلوبهم ويجعلها تُقبل على سنة الرسول عليه السلام ليقول لهم تارة وتارة، أن الحديث الصحيح يقول: كان يسر بالبسملة، ولذلك لا يتعصبوا كثيراً للجهر بالبسملة، فإن جهر فصلاته صحيحة، وإن أسر صلاته صحيحة لكن السنة هكذا فإذا كان هو من جهة يعلمهم ومن جهة يداريهم ويسايسهم؛ فهذا لا بأس فيه.

بل نضعه عين الحكمة، أما أن يساير الناس ويمشي مع الناس بالحجة السابقة أن التمسك في السنة تفرق الأمة..، هذا الحقيقة هو منتهى قلب الحقائق.

مداخلة: يعني نستطيع أن نقول تكون المسايرة فترة مرحلية حتى يتم تعليمهم

وإقرار السنة فيهم

الشيخ: وهو كذلك نيجي بقى لموضوع التراويح كمثال أتيت به.

مداخلة: نعم.

الشيخ: التراويح من الأمر المجمع عليه بين علماء المسلمين أنها سنة، وليست بفريضة لأنها من قيام الليل، وأن هذه السنة يمكن أن يصليها ركعتين وأربعاً وستاً..، إلى آخره إلى أن يصل الموضوع للحد المختلف فيه، فما الذي يفرض على المسلم المتحمس للاقتداء بنبيه ﷺ بصلاة القيام، أن يقال تابع الجماعة يا أخي، بينما هو لو صلى ركعتين ثم ولى الأدبار ما أحد يقول له لماذا، لماذا؟ لأنه قائم في الذهن أن هذه نافلة وليست بفريضة، لكن إذا جاءت المسألة لمحل النزاع هنا بقى دخلت كما يقولون عندنا في الشام:

ست نفوس، أيه لازم يكمّيل، لماذا هون لازم يكمل وهناك ما لازم يكمل؟ لأن هناك مقولة قديماً أن الإنسان يصلي ما يشاء، وهنا لأنه مع الزمن أنا أَنسَبى وأنا أُلقي في نفسك قرأت رسالة الأخ لا أدري ما اسمه الذي تكلم في صلاة التراويح حسب القواعد العلمية الأصولية.

مداخلة: نعم .. نعم.

الشيخ: وجدته مع الأسف أيضاً مسحوب مع الجمهور لماذا؟ ما يجادل بإنصاف، نحن نقول أن صلاة التراويح تتراوح بين الزيادة والنقص، لكن أكثر شيء ورد هو إحدى عشر، وهو يقول في رواية ثلاثة عشر. وأنا ذاكرها هذه ما أنا يعني كاتمها أو جاهلها.

مداخلة: بس يا شيخ صحيح.

الشيخ: نعم هو بيطوي عنها صفحاً ويذكر كأنه يستدرك عليّ أنه لا فيه أيضاً رواية ثلاثة عشر، أنا لو كنت جاهلها هذه الرواية وقلت: طيب ثلاثة عشر فيه خمسة عشر إلى آخره؟ ما في، هذا شيء، الشيء الثاني كيف يقول الشيخ كذا وكذا، وهذا الرسول كان يصلي تارة سبعة، تارة تسعة.. إلى آخره؟ يا أخي أنت فقط قل لي صلي أكثر من إحدى عشر، صلى أكثر من ثلاثة عشر؛ هذه يطويها ولا يتعرض لها أبداً، نعم هذا ليس على الأصول هذه...

مداخلة: ..... طيب جداً.

الشيخ: الحمد لله لكن ما منا من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد، غيره.

(الهدى والنور / ٢٣٧/ ٥٠: ١٩: ٠٠)

شبهة: الوقت ليس وقت اختلاف، بل توحُّد لمحاربة الشيوعيين والعلمانيين

مداخلة: جزاك الله خيراً وأثابك الله! يقول السائل: أين ... أن كثرة ... بين أهل العلم ... وفي هذا تشتت للفكر أو فهمًا ... وهذا الوقت ليس وقت رد وإنما هو وقت ... وتوفير، ووقفة في وجه ... الصليبية ... والرأسمالية والماسونية والعلمانية، فينبغي ... والالتفات إلى الخطر الأعظم، فما تعليق فضيلتكم على ذلك؟

الشيخ: كلام نسمعه في كثير من البلاد التي فيها بعض الشباب المتحمسين للإسلام الذين لو سألتهم: ما هو الإسلام؟ لقالوا مثل ذلك الرجل الأعجمي الذين ضرب به المثل في جهله بالإسلام حين لقي رجلًا من اليهود ممن يسمونهم اليوم مواطنين، وهذه التسمية من بدع العصر الحاضر وإنما اسمهم في الإسلام: الذميين، فإن كلمة: المواطنين تعطي أنه لا فرق بين مسلم وكافر يقيم بين ظهراني المسلمين، أما التسمية الشرعية وهي أنهم من أهل الذمة، أي: أعطيت لهم ذمة الله أن تصان أموالهم وأعراضهم مقابل خضوعهم للحكم للإسلام في الأرض التي هم يعيشون فيها.

الشاهد: لقي هذا الرجل الأعجمي رجلًا من اليهود من أهل الذمة، فأخرج ... الخنجر من غمده وهدد هذا الرجل بقتله، قال له: ... أسلم وإلا قتلتك،

فارتعشت فرائص هذا اليهودي وقال: دخلك! ماذا أقول؟ قال: لا أدري، فهذا المتحمس للإسلام حتى هم بقتل رجل ذمي يقول حينما خضع الذمي لأمره إياه بالإسلام ... يقول: لم يحسن أن يقول له: قل: لا إله إلا الله، لأن الرسول عليه السلام قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» ومع ذلك فهذا الأعجمي من جهله أنه لا يعلم ما هو ... لأنه من أهل الذمة فلا يجوز أن يفرض عليه الإسلام؛ لأن في مثله قال رب الأنام: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[البقرة:٢٥٦].

إن هذا النوع من الأسئلة إنما تنبع من ناس لا يقدرون الإسلام حق قدره، ولا يهتمون ... به، من هم هؤلاء المسلمون الذين يقول عنهم: إنه يجب أن عليهم أن ... لمحاربة الكفار بأشكالهم وأنواعهم كما جاء في السؤال، آلذين فهموا الإسلام أم الذين جهلوه؟ لا شك أنه من أنصف وتجرد عن الحزبية والعصبية الجاهلية لقال جواباً عن هذا السؤال: إنما هم الذين عرفوا الإسلام، نقول: عرفت فالزم.

إذًا: يأتيك السؤال التالي: من هؤلاء الذين بإمكانهم أن يقفوا أمام الكفار على أنواعهم واختلاف عقائدهم؟ أهؤلاء المسلمين الذين فهموا الإسلام وطبقوه على أنفسهم وعلى ذراريهم وأهاليهم، أم الذين أهملوا الإسلام جانبًا واكتفوا بالصياح والزعاج؟ ... دعوا الاختلافات بينكم وتوجهوا لمحاربة الأعداء، قد قال آنفًا: أن هؤلاء إن لم يكونوا عارفين بالإسلام لا يستطيعون أن يجاهدوا الكفار، فقلنا له: عرفت فالزم.

والآن نقول: عارفين بالإسلام ولكن لا يعملون بالإسلام، فهؤلاء لا يستطيعون أن يقفوا ... محاباة أو رياء أم لا بد أن يكونوا عاملين للإسلام لا

يكتفون فقط على معرفته، فإن قال كما هو ... لا بد أن يكونوا أيضًا عاملين للإسلام، فحينئذٍ نقول له ولأمثاله من المغرورين بالدعاوى الفارغة: قم وحارب الكفار وادعوا للخلافة، نقول لهم كما قال رب العالمين: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

والعالم كما مثلنا آنفًا ينبغي أن يكون على علم، فكيف تفعل أنت يا مسكين إذا وجدت قولين للعلماء من تلك الأقوال الكثيرة التي غضضت الطرف عنها وأمرتهم بأن يستجيبوا لأمرك الفج بأن يتفقوا، إذا قيل لك مثلًا في طرف من أطراف العقيدة المتعلقة بالله عز وجل.. إذا قيل لك: أين الله؟ فستسمع جوابين متناقضين متنافرين، وهو يفتش ... من الاصطلاح، فبعضهم وهم أهل السنة يقولون بما قالت به الأئمة المتقدمون تبعًا لأصحاب الرسول عليه السلام، فبعد ... والسنة الصحيحة فيقولون جوابًا لهذا السؤال: أين الله؟ الله في السماء كما قال الله عز وجل في القرآن: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك: ١٦ - ١٧].

ستجد قولًا آخر يقول: الله في كل مكان.. الله موجود في كل الوجود، ومن الأمكنة الدهاليز والمجاري القذرة والكنف ونحو ذلك من الأمكنة، فقد أدخلوا معبودهم الحق في هذه ... التي بعضها لا يدخلونها مطلقًا، وبعضها يدخلونها ... أهكذا يجوز أن ... في رب العالمين؟! ما ... إلا الشاب المتحمس، والذي تدعو الناس إلى أن يتجاهلوا هذا الاختلاف الواقع بينهم، فمع أي طريق أنت؟ سواء كنت مع هؤلاء أو مع هؤلاء أيمكنك أن تجمع بين المخلوقين في ذهنك

وتقول: الذي يقول: إن الله في السماء كما قالت الجارية جوابًا لرسول الله ﷺ حينما سألها: أين الله؟ فهو على حق، والذين يقولون: إن الله في كل مكان، ومن تلك الأمكنة من أمكنة القاذورات كما ذكرنا، وإن قلت: أن كلًا على سواء خالفت صريح القرآن ألا وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ﴾[يونس:٣٢].

إن كان قول الأولين: الله في السماء حقًا وهو كذلك، ... قول ... كما سمعتم، فضلًا عن آيات وأحاديث أخرى، يقول ... القول المخالف لهم ... بنص القرآن، وإن قلت العكس: أن قول الآخرين هو الصواب، لا يلزم من ذلك أن قول الأولين باطل، فكيف تجمع بنفسك قولين متناقضين متنافرين ثم تريد من كل هؤلاء العلماء وأنت لست منهم يقينًا؛ لأن الذي يقول هذا الكلام من يعرف الإسلام ويقرأ هذه الآية، ولئن كما قرأها كما فهمها: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ﴾[يونس:٣٢] وهناك قوله عليه السلام: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد» فإذًا المسألة إذا كان فيها قولان متناقضان فلا شك أن أحدهما صواب والآخر خطأ، فليت شعري كيف يعيش ... المسلمون من الشباب المتحمس لماذا؟ ... باسم الإسلام، ولكن إن سألته ..

(رحلة النور ٤٢b/٣٧: ٣٤: ٠٠)

تهم وشبهات.. الدعوة إلى العقيدة تفريق للناس

مداخلة: فضيلة الوالد حفظك الله! ما هو ردكم على من يقول: إن الدعوة إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة ومنهج السلف يفرق الناس وجزاك الله خيرًا؟

الشيخ: الله أكبر! وهل من يقول في هذا الزمان: إن الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ومنهج السلف الصالح يفرق الأمة سبحان الله! ذلك القول هو الضلال البعيد، هذا السؤال يذكرني بحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه في حديث لا أستحضر لفظه الآن وإنما فيه أن من أسماء النبي ﷺ: المفرق، وهذا بلا شك قد تستغربونه من أسماء النبي: أحمد ومحمد والماحي، ونحو ذلك مما هو وارد في الحديث الصحيح، لكن حديث في صحيح البخاري فيه أن من أسمائه عليه الصلاة والسلام: المفرق، ترى! لماذا كان هذا الاسم من أسمائه ﷺ؟ ذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، والقرآن من أسمائه: الفرقان يفرق من تمسك به واهتدى به بين الحق والباطل، يهدي إلى صراط مستقيم، ومن دعا إليه فهو أيضًا مفرق، فرسول الله بحق مفرق، ثم من تمام هذا الاسم أو من لوازمه أن نتيجة الدعوة إلى الحق والتفريق بينه وبين الباطل هو التفريق من نتائج ذلك حتمًا والتاريخ الأول يؤكد ذلك أن يفرق بين الرجل وابنه.. بين الزوجة وزوجها لماذا؟ لأن الزوجة أسلمت وبقي زوجها على الكفر فأوجب عليها الإسلام أن تفارقه، أسلم الابن ففارق أباه بل وربما قتله إذا

لقيه في المعركة وهكذا، فأين هؤلاء الذين يقولون: إن الدعوة إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح يفرق الأمة سبحان الله! كأنهم يتجاهلون الحديث الذي ذكرناه قبل صلاة المغرب وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» إلى آخر الحديث.

فالفرقة قائمة وموجودة فما حلها وما الخلاص منها وما النجاة من هذه الفرقة؟ أليس هو قال الله قال رسول الله؟! أليس هو اتباع سبيل المؤمنين كما قال رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] هذا أمر واضح لا يحتاج إلى زيادة بيان، لكني أقول جدلًا: إذا تركنا لا سمح الله الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؛ لأنه بزعمهم يفرق الأمة، فما الذي يجمع الأمة ليت شعري؟ ما الذي يجمعها إذا تركنا الكتاب والسنة، والنبي ﷺ حينما بعث في قومه العرب فكلنا يعلم أنهم كانوا مستعبدين من فارس والروم فما الذي جعلهم أعزاء ومتسلطين على الأمم التي هي أقوى منهم مادياً؟ أليس أن الله جمعهم على كلمة سواء هي: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فنصرهم الله بسبب ذلك، فكيف يقول هؤلاء أن هذه الدعوة تفرق؟ فما هو الدليل؟ لا أعتقد إلا أنهم يريدون خلاف ما يظهرون، يريدون القضاء على دعوة الإسلام الصحيحة وإقامة إسلام إما أن يكون إسلامًا أو ... أو إسلامًا أمريكيًا أو إسلامًا خلفيًا كل هذا وهذا لا يقربنا إلى الله زلفى إلا كما سمعتم في الآية السابقة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] ومن هذه السبل من يقول هذه الكلمة الباطلة التي هي الكفر بعينه، وقد شهد النبي ﷺ على أمثال هؤلاء بالحديث الصحيح

الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» فهؤلاء الناس الذين يفتون الناس بمثل هذه الكلمات هم الذين عناهم الرسول عليه السلام بقوله: «اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» نسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمنا العلم النافع وليس هو إلا العلم بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح ثم أن يقوينا ويساعدنا على العمل به إنه سميع مجيب، نعم.

(رحلة النور ٣٣ ب/٥١: ١١: ٠٠)

التفريق ليس مذمومًا لذاته

قال المقداد رضي الله عنه: «والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة و جاهلية، ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق و الباطل و فرق بين الوالد و ولده حتى إن كان الرجل ليرى والده و ولده أو أخاه كافرا، و قد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه و هو يعلم أن حبيبه في النار، و إنها للتي قال الله عز وجل : ﴿الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين﴾».

[بوب له الإمام بقوله]: دعوة الحق والخلاف حولها. ثم قال:

التفريق المذكور في هذا الحديث له أصل في «صحيح البخاري» (رقم ٧٢٨١) من حديث جابر بن عبد الله قال : «جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ و هو نائم، فقال بعضهم : إنه نائم، و قال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان .. » الحديث، و فيه : «فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله، و من عصى محمدا فقد عصى الله، و محمد فرق بين الناس» . قلت : ففي الحديث دليل صريح أن التفريق ليس مذموما لذاته، فتنفير بعض الناس من الدعوة إلى الكتاب و السنة، و التحذير مما يخالفهما من محدثات الأمور، أو الزعم بأنه ما جاء وقتها بعد ! بدعوى أنها تنفر الناس و تفرقهم - جهل عظيم بدعوة الحق و ما يقترن بها من الخلاف و التعادي حولها كما هو مشاهد في كل زمان و مكان، سنة الله في خلقه، و لن تجد لسنة الله تبديلا و لا تحويلا، ﴿و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾.

«**الصحيحة**»(٧٧٩/٢/٦، ٧٨١).

١٧

[السلفية والوهابية]

الوهابية!

السائل: ترددت كلمة الوهابية في كلام أخونا الشيخ أبو أحمد جزاه الله خير، فحبذا لو تُوضَّح فإنها كلمة يعتريها كثير من كلام، والناس ما بيعرفوها على حقيقتها هل هي فعلاً كما ذكر أو أيش المقصود بالوهابية ونسبة لأيش حتى تتضح الصورة وجزاكم الله خيراً؟

الشيخ: حسن سؤال طيب الواقع أن هذه اللفظة الوهابية هي خطأ لغة وخطأ عرفاً، أما اللغة فالوهابية نسبةً إلى الوهَّاب، والوهَّاب اسم من أسماء الله وهاب، والذين ينتسبون إلى هذا الوهاب فهم الوهابيون، فهذه النسبة إذا أخذناها من الناحية العربية هي نسبة تشريف، فلان وهابي يعني منسوب إلى الوهاب، وهو الله تبارك وتعالى، والوهابيون هون منسوبون لمن ينسب بهذه النسبة، فالمقصود بكلمة الوهابيين كما لا يخفى على الجميع هم النجديون والنجديون ليس فيهم من ينتمي إلى هذا الاسم مع أنه خلاف ما يستعمل هو اسم تشريف وهابي وليس اسم ذم وتقبيح، لكن من حكمة الله عز وجل ليظهر خطأ المفترين على المسلمين ينسبون هؤلاء الناس النجديين إلى كونهم وهابيين بزعم أن هذه النسبة إلى إمام لهم.

وإمام النجديين وفي جانب من الشريعة وليس في كل الشريعة إنما هو محمد بن عبد الوهاب، وليس الوهاب لأن الوهاب هو الله تبارك وتعالى، عبد الوهاب هو والد محمد الذي جدد لهم دعوة التوحيد، فلو نُسب منتسب ما إلى عبد

الوهاب لم تكن النسبة إليه وهابي فهي خطأ مزدوج لأن الذي جدد لهم دعوة التوحيد هو محمد بن عبد الوهاب، وليس والده عبد الوهاب، ثم النسبة إلى عبد الوهاب ليس وهابياً وإنما هو ممكن يقال عبدلي أو نحو ذلك فهذا خطأ من حيث التعبير اللغوي، ومن حيث كما قلنا من حيث الواقع، فليس هناك من ينتمي إلى هذا الاسم الوهابية إطلاقاً، بينما الفرق الموجودة قديماً وحديثاً كلها حينما تنسب إلى نسبة تعترف بهذه النسبة كالشيعة والزيدية والإباضية ونحو ذلك، ولكن لا يوجد على وجه الأرض الإسلامية أبداً رجل يقول أنا وهابي، والسبب ما ذكرناه آنفاً من ناحيتين: ناحية اللغة العربية، والناحية الواقعية، لكن هذه الكلمة مع الأسف شاعت وأذيعت بين عامة المسلمين في زمن أواخر دولة الأتراك وقصدوا بذلك تنفير المسلمين جميعاً عن الدعوة التي سميت بالدعوة الوهابية، علماً أن هذه الدعوة الوهابية ليس فيها إلا الدعوة إلى توحيد الله عز وجل بالمعنى الجامع لكلمة التوحيد، وهذا في الواقع مما يمتاز به النجديون على كل الجماعات والطوائف والفرق الإسلامية في كل بلاد الدنيا منذ أن جاء محمد بن عبد الوهاب حتى هذه الساعة، ذلك لأنهم يفهمون التوحيد بالمعنى الأعم والأشمل والصحيح، بينما كثير من المسلمين الآخرين يفهمونه بمعنى ضيق جداً، ذلك أن التوحيد الذي أنزل الله عز وجل به الكتب وبعث به الرسل يعني أموراً ثلاثة الأمر الأول: إنما هو توحيد الربوبية، ومعنى ذلك أنه لا رب إلا الله، وأن الله هو الذي تفرد بخلق السموات والأرض، كما هو معروف بإجماع كل من يؤمن بالله على اختلاف كل الملل، لكن الفرق بين الدعوة الإسلامية الحقة والتي جاءت بهذا التوحيد الذي أحيى معناه الصحيح محمد بن عبد الوهاب هنا تختلف الدعوة الإسلامية هذه الحقة عن اليهودية والنصرانية فهي بالإضافة إلى أنها توجب على كل مسلم أن يعتقد بأنه لا خالق إلا الله، فهي

توجب عليه في الوقت نفسه أن لا تعبد مع هذا الخالق سواه، ولذلك فعلماء المسلمين متفقون جميعاً أن معنى لا إله إلا الله لا يساوي لا رب إلا الله وإنما هذه الكلمة الطيبة لا إله إلا الله، تعني معنى أوسع من معنى لا رب إلا الله، ذلك أنها تعني لا معبود بحق في الوجود إلا الله تبارك وتعالى فهذه الكلمة الطيبة التي هي مفتاح الجنة كما جاء في بعض الآثار، وبها ينجو المسلم من الخلود في النار كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ جمعت بين التوحيدين توحيد الربوبية، أي: لا خالق مع الله، لا رب مع الله سواه، وتوحيد الإلوهية، ويعبر عن هذا التوحيد أحياناً بتوحيد العبادة أي أن يُعْبَد الله وحده لا شريك له، فإذا فسر- مفسر- ما هذه الكلمة الطيبة لا إله إلا الله بمعنى لا رب إلا الله لم يكن موحداً، هذه نقطة الفصل بين المسلمين حقاً وبين الآخرين، المسلم يوحد الله عز وجل في ذاته، ويوحده في عبادته، بينما الاخرون من اليهود والنصارى يوحدونه في ذاته إلا من ضل منهم ضلالاً بعيداً، ولكنهم يعبدون معه سواه، لهذا يجب على المسلمين جميعاً أن يعرفوا أولاً هذا المعنى الحقيقي لكلمة لا إله إلا الله، وأنها لا تعني لا رب إلا الله فقط، وإنما تعني إضافة على ذلك أنه لا معبود مع الله أيضاً بحق، وكلمة بحق هي احتراز من إنكار أن هناك معبودات في الأرض قديماً وحديثاً يعبد من دون الله تبارك وتعالى، فلا يجوز أن يقال لا معبود إلا الله لأن المعبودات كثيرة وكثيرة جداً، لكن إنما يصح التفسير بقيد (بحق) لا معبود بحق في الوجود إلا الله تبارك وتعالى، وإلا قد عُبِـدَت اللات والعزى وعبدت الطواغيت حتى الآن فكيف يستطيع المسلم أن يقول لا معبود إلا الله، لأن المعبودات موجودة بكثرة ولكنها بالباطل والمعبود بحق إنما هو الله تبارك وتعالى.

كذلك بالإضافة إلى هذين النوعين من التوحيدين توحيد الربوبية وتوحيد

العبادة أو الألوهية هناك توحيد ثالث، به يتم التوحيد، وبه تقبل شهادة الموحد لا إله إلا الله، وإلا فهي مردودة عليه، ما هو هذا التوحيد الثالث: توحيد الله في صفاته، فكما أنه عز وجل واحد في ذاته، وواحد في ألوهيته، فهو واحد أيضاً في صفاته لذلك قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] هذه الدعوة التي جاء بها محمد ﷺ، وعرفها السلف الصالح، والأئمة جميعاً، ولكن خلف من بعدهم خلف ليسوا فقط أضاعوا الصلاة بل وأضاعوا التوحيد لأنهم فهموا هذه الكلمة الطيبة بالمعنى الأول الضيق لا إله إلا الله: لا رب إلا الله، ونحن نرى رسائل في العصر الحاضر مؤلفة ومطبوعة وفسرت هذه الكلمة الطيبة بهذا التوحيد الوحيد فقط وهو لا إله إلا الله أي لا رب إلا الله هذا لا يجوز للمسلم أن يفهم هذه الكلمة الطيبة بهذا المعنى الضيق.

لذلك كان من آثار ذلك لما أخلوا جماهير المسلمين وبخاصة عامتهم لما أخلوا بفهم هذه الكلمة الطيبة أخلوا عملياً في تطبيقها فهم يعبدون مع الله آلهة أخرى وهم لا يشعرون، وهذه من أكبر المصائب التي حلت في المسلمين، والسبب في ذلك يعود إلى أمرين إثنين ذكرنا أنفاً أحدهما: أنهم لم يفهموا من كلمة التوحيد توحيد الله في العبادة، والأمر الآخر أنهم لم يفهموا معنى العبادة، فإذا قلت لإنسان أن تعبد مع الله آلهة أخرى، قال لك: لا أنا لا أعبد إلا الله، أنا لا أصلي إلا لله عز وجل، نقول إلى هنا نحن معك أنت لا تصلي إلا لله عز وجل ولكن ألست تدعو غير الله عند الشدة فتقول يا سيدي أحمد، يا سيدي بدوي، يا سيدي شعيب، يا كذا، يا كذا، هذا هو عبادة الله، أو هذا من عبادة الله تبارك، وتعالى والله عز وجل قد أنزل علينا كتاباً كريماً، وافتتحه بسورةٍ هي سورة الفاتحة، وفيها يقول المسلم مخاطباً ربه عز وجل في كل ركعة من صلواته ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فأنت تعبد الله وحده لا شريك له، لكنك تستعين

بغيره، هذه الاستعانة سواءً علينا سميناها استعانة، وهي تسمية صحيحة، أو سميناها استغاثة، وهي أيضاً تسمية صحيحة، أو سميناها توسلاً، وهي تسمية خاطئة، هذه الأسماء تدل على مسمى واحد، بعض هذه الأسماء صحيح كالاستغاثة والاستعانة، وبعضها توسل، هذا تسمية الاستعانة بغير الله والتوسل بغير الله توسلاً من باب قوله عليه السلام في غير هذه المناسبة (يسمونها بغير اسمها).

فقول القائل: يا رسول الله أغثني زعموا أن هذا توسل، لا هذا دعاء لغير الله، وهذا استعانة بغير الله، وهذا إشراك بتوحيد العبودية، لأن الذي ينادي غير الله خاصة في الشدائد فقد عبده من دون الله عز وجل، ومن الدليل على ذلك وهو مذكور في القرآن وفي السنة قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ تدعون، ما قال تعبدون، لكن الحقيقة أن هذه الآية تعني تدعون أي تعبدون، فسواء قلت يعبدون غير الله، أو يدعون غير الله، فكلا التعبيرين يؤدي إلى حقيقة واحدة، وهي أنهم يستعينون بغير الله عز وجل، وهذا إخلال بتوحيد الإلوهية، وليس إخلالاً بتوحيد الربوبية، ولذلك من لا يعرف هذا التفصيل الذي جاء في الكتاب والسنة وجرى على ذلك سلف الأمة إلى ما قبل قرون قليلة، ثم انحرف الخط على بعض المسلمين ففهموا لا إله إلا الله بمعنى لا رب إلا الله، وهذا المعنى ما كفر به المشركون بل كانوا يؤمنون به، لكنهم كفروا بهذا المعنى الصحيح الذي جهله كثير من المسلمين ألا وهو توحيد الألوهية أو توحيد العبودية أو العبادة.

في سورة من القرآن ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ إذاً المشركون يؤمنون بتوحيد الربوبية، لا يعتقدون بأن هناك كما هو دين المجوس بأن هناك خالقاً للخير وخالقاً للشر مثلاً، وإنما يعتقدون أن الخالق هو الله وحده لا شريك له، إذاً من أين جاء شركهم؟ ولماذا قاتلوا نبيهم إذا دعاهم إلى لا إله إلا

الله مع ذلك يستكبرون كما قال في القرآن الكريم ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ إذاً مفهوم لفظة الإله عند العرب في الجاهلية غير مفهوم الرب لأنهم كانوا يؤمنون بأنه لا رب إلا الله أي لا خالق ولا مربي ولا رازق إلا الله، أما الإله فهو الذي لا يخضع إلا له تبارك وتعالى، وهم كانوا يخضعون لغير الله من الأوثان والأصنام المعروفة في التاريخ، ولذلك كان من غرائب شرك المشركين قبيل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا يطوفون حول الكعبة ويقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً تملكه وما ملك، شريك تملكه وما ملك، لماذا؟ لأنهم يعتقدون أن لا خالق مع الله لكن جعلوا لله شركاء أي يعبدونهم من دون الله تبارك وتعالى، كما في الآية التي كان في مطلع كلمة الأخ محمد ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] فهذه الآية صريحة بأن الهدف الأساسي عند المشركين هو الله ومع ذلك فهم يعبدون معه سواه لكن إذا سئلوا لماذا تعبدون هؤلاء قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

فهذه حقيقة مؤسفة جداً أنهم يؤمنون بأن الله واحد لا شريك له، ومع ذلك جعلوا له شركاء في ماذا جعلوا له شركاء؟ في العبادة.

ولذلك يجب أن نتنبه لأمر في ظني أن كثيراً من الناس غفلوا عنه ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أيش معنى أنداداً؟ أنداداً في الخلق، أنداداً في الرزق، أنداداً في الإحياء والإماتة ؟.. لا، وإنما أنداداً في العبادة، وهذا هو كان شرك المشركين في الجاهلية، وهذا بحث طويل، والغرض منه التنبيه إلى أن النجديين هؤلاء ينبزون بلقب الوهابية هذه نسبة كما ذكرنا خطأ، وإنما هم أرادوا أن ينسبوهم إلى محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأت

بشيء جديد مطلقاً، وإنما هو من المجددين الذين ذكرهم الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح « إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة» المجددون كما يذكر الإمام السيوطي وغيره لا ينبغي أن نتصور أن المجدد يكون واحداً في كل عصر، وإنما يمكن أن يكون هناك مجددون في كل عصر، مجددون كثيرون، لكن لكل منهم اختصاصه في التجديد فمجدد في التوحيد، مجدد في الحديث، مجدد في التفسير، وفي اللغة، وفي كل شيء تعلق بإحياء فرض كفاية لفهم الإسلام فهماً صحيحاً، والغرض أن محمد بن عبد الوهاب جدد التوحيد الذي لا تزال آثار الإخلال به مع الأسف الشديد في كل البلاد الإسلامية إلا هذه البلاد النجدية بفضل دعوة محمد بن عبد الوهاب، ولا أقول بفضل الدعوة الوهابية، علماً أن تلك البلاد قبل محمد بن عبد الوهاب كان شأنها شأن البلاد الأخرى وأظن أنه لا يخفى على الحاضرين جميعاً ما يوجد في مصر من مقابر الحسين مثلاً أو السيدة زينب وما يقع في تلك الأمكنة من الوثنيات والشركيات التي تنافي لا إله إلا الله من الطواف حول قبور هؤلاء الأولياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، مثل هذا يوجد في هذه البلاد، وفي سوريا، وفي أكثر البلاد الإسلامية، ما هو السبب؟ السبب تقصير علماء المسلمين ببيان دعوة التوحيد دعوة الحق التي جاءت في الكتاب والسنة وماتت هذه الدعوة في كثير من البلاد الإسلامية ثم جددها محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فمحمد بن عبد الوهاب ليس له جهد بارز سوى هذه الناحية وكفى له بذلك فضلاً؛ لأن البلاد النجدية كانت كالبلاد المصرية والسورية ونحو ذلك من حيث انتشار الآثار الوثنية وعبادة القبور والاستغاثة بها من دون الله عز وجل، أما البلاد حتى الآن مع الأسف مع أنه بدأت الحركة الإسلامية الصحيحة في تلك البلاد تضعف رويداً رويداً، لكن لن تجد هناك يعني وثنية تذكر، حتى ولا رفع القبر من على وجه

الأرض، لا يوجد هذا الشيء إطلاقاً، بينما إذا طُفْتَ البلاد الإسلامية كلها فأنت واجد فيها من المخالفات الشيء الكثير، أرونا بلداً لا يوجد فيها مسجد فيه قبر مع شدة تحذير الرسول عليه السلام للمسلمين أن يتخذوا مساجد على القبور كما قال عليه السلام «لعنة الله على اليهود والنصارى، أو لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» والأحاديث في هذا كثيرة أكثر من عشرة أحاديث، ومنها ما يتعلق بالأمة الإسلامية قوله عليه السلام «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون قبور أنبياءهم مساجد» فعندكم مثلاً المقام المعروف بسيدي شعيب، وهناك مسجد يقصد للصلاة فيه من أجل أيش؟ سيدي شعيب وعندنا مقام أخر أسمه يوشع، نعم؟

مداخلة: أبو عبيدة

الشيخ: لا أقول، هنا يوشع غير أبو عبيدة أيضاً هذه في الأغوار إلى آخره، كل هذه المقامات بنيت على قبور مزعومة إن كانت هذه القبورة حقيقة لمن نسبت إليه من الصحابة أو الأنبياء فالأمر أشكل؛ لأنه مخالفة صريحة لمثل هذه الأحاديث التي تنهى عن بناء المساجد على القبور.

لماذا هذا النهي؟ ولماذا هذا اللعن الشديد في سبيل المحافظة على التوحيد؟ ذلك لأنه وجود قبر في المسجد مدعاة إلى أن يُدْعَى من دون الله تبارك وتعالى، كم وكم من أناس نراهم يقفون خاشعين متبتلين يدعون -هم صحيح أنهم يدعون الله عز وجل- ولكن يتوسلون بهذا الميت، فمحمد بن عبد الوهاب خلاصة القول بناء على سؤال الأستاذ علي هنا هو مجدد لدعوة التوحيد وهذا أمر لا يمكن إنكاره أبداً؛ لأنه كما قيل:

هــذه آثارنـــا تـــدل علينـــا ... فـــانظرو بعـــدنا إلى الأثـــار

(الهدى والنور/١٩٥/ ١٢ : ٢١ : ٠٠)

باب منه

السؤال: أحد الناس يسأل فيقول: نسمع كثيراً عن الوهابية، ونسمع أنهم يكرهون الصلاة على النبي ﷺ، ولا يزورون قبر النبي ﷺ، ويقول بعض المشايخ: أن الرسول تنبأ عنهم حينما قال ﷺ: «نجد قرن الشيطان» فما هو جوابكم على هذا الكلام؟

الشيخ: الحقيقة أن هذا السؤال مع الأسف الشديد راسخ أثره في كثير من المسلمين، والوازع عليه قديماً هي السياسة، لكن هذه السياسة قد مضى زمنها وانقضى؛ لأنها كانت سياسة من دولة الأتراك، ولا أطيل في هذا إنما هي لفتة نظر فقط كانت سياسة من دول الأتراك يوم خرج رجل من أهل العلم والإصلاح وهو المسمى بمحمد بن عبد الوهاب في بعض البلاد النجدية، يدعو من حوله إلى الإخلاص الذي أشرنا إليه آنفاً في عبادة الله وحده، فلا يشرك معه غيره، ومن ذلك مثلاً مما هو لا يزال مع الأسف الشديد آثاره لا تزال قائمة في بعض البلاد الإسلامية خلافاً لذلك الإقليم الذي خرج فيه ذلك المصلح محمد بن عبد الوهاب، هذا الإقليم إلى الآن والحمد لله لا يوجد فيه نوع من الشرك بينما ذلك يوجد في كثير من البلاد الإسلامية المصرية الأردنية السورية، فضلاً عن البلاد الأعجمية، فضلاً عن إيران وما خبر الخميني ووفاته والإعلان عن اتخاذ قبره كعبة يحج إليها الإيرانيون ما ذلك الخبر عنكم ببعيد، هذا الرجل لما خرج ودعا إلى عبادة الله عز وجل وحده اتفق لحكمة يريدها الله عز وجل أنه كان هناك أمير

من أمراء نجد وهو سعود جد العائلة القائمة الآن، فتعاون الشيخ مع الأمير تعاون العلم مع السيف، وأخذوا ينشرون التوحيد دعوة التوحيد في بلاد نجد، فيدعون الناس تارة بالكلام وتارة بالسنان، من أجاب للكلام فهذا هو المطلوب، وإلا لم يأت إلا بالقوة، فانتشرت هذه الدعوة حتى وصلت إلى بعض البلاد الأخرى، علماً أنه البلاد النجدية وسائر البلاد الإسلامية من حولها من العراق ومن الأردن كانت كلها محكومة بحكم الأتراك، الخلافة المتوارثة، فلما بدأ اسم هذا الرجل بعلمه، وذلك الأمير بإدارته ينتشر وينتشر. خشي الأتراك أن تظهر هناك في العالم الإسلامي دولة تناهض دولة الأتراك، فأرادوا أن يقضوا عليها وهي لا تزال في عقر دارها بإشاعة الإشاعة الباطلة عنهم والكاذبة والمفتراة مما جاء في السؤال أو غير ذلك مما نسمعه كثيراً وكثيراً.

فأنا قلت آنفاً: أن السبب الأساسي سياسي وهذا هو، لكن السياسي هذا قضي عليه، ولسنا الآن في بحث تاريخي، لكن السبب الآخر هو جهل الناس، جهل الناس بحقيقة هذه الدعوة، وهذا الجهل يذكرني بقصة كنت قرأتها في بعض المجلات، أن رجلين وهما يتناقشان في الطريق حول دعوة محمد بن عبد الوهاب التي يسمونها بالوهابية، لو كان الناس يفكرون فيما به يتكلمون لكانت هذه النسبة وحدها مذكرة لهم بخطئهم فيما يقولون، لأن لفظة الوهابية إذا أردنا أن ننظر إلى اشتقاقها وإلى أي شيء كانت نسبتها الوهابية نسبة للوهاب، ومن هو الوهاب؟ هو الله تبارك وتعالى، إذاً: بالنسبة للوهابية هذا أمر يشرف ولا يسقط، لكن قام مثلما يقولوا عندنا في سوريا في آذانهم شيء ... مثل البعبع، شيء مخيف جداً، الوهابية ما يعتقدوا بالرسول، ما يؤمنوا إلا بالله، ذكرني هذا البحث بأولئك الاثنين وهما يتناقشان.

وإذا وهما يتناقشان ويدعي الجاهل أنه هؤلاء ما يعتقدوا إلا بالله وبس أما محمد رسول الله لا يعتقدوا، ما يقولوا إلا لا إله إلا الله، وعندنا في الشام القصة باعتبارها شامية لازم نروي لكم إياها باللغة الشامية، بيقولوا: مرت سيارة القنصل أو سفير السعودي في ذلك البلد، وإذا العلم تبع السيارة يرفرف بصورة واضحة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يا جماعة! اتقوا الله كيف تقولوا في هؤلاء الناس ما يؤمنوا إلا بالله وعلمهم هو العلم الوحيد في الدنيا الذي يكتب عليه إشارة التوحيد الذي قال عليه السلام فيها: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله»، كيف تقولوا: هؤلاء الجماعة تفتروا عليهم وهذا علمهم المرفوع ينبئ عما في صدورهم من الإيمان؟

هذا شيء، الشيء الأكبر والأهم هذا علم، ممكن أن يقال علم مزور دعاية مغرضة..إلخ، لكن ما بالهم حتى اليوم يحجون كل يوم بأمان واطمئنان لم يكن ذلك يَحْظَوْن به في زمن الأتراك الذين أشاعوا عنهم تلك الفرية الكاذبة، أنتم تعلمون أن في كثير من السنين بالنسبة لآبائنا فضلاً عن أجدادنا كان لابد أن يصاحب كل قافلة حجاج من أي بلد جماعة مقاتلة مستعدون للمحافظة على هذه القافلة من الحجاج من قطاع الطرق، يا سبحان الله! هذا الشيء مر وانقضى، بأي سياسة؟ بالسياسة التي يسمونها بالسياسة الوهابية حتى هذه الساعة، فإذا افترضنا أن هذا العلم الذي يلوح بالإيمان الصحيح والتوحيد الصحيح المقرون بالإيمان بأن محمداً رسول الله زور وبهتان، ألا ترونهم في المساجد هناك يعبدون الله ويؤذن المؤذن كما يؤذن في كل البلاد، اللهم إلا الزيادة التي تذكر في البلاد الأخرى في مقدمة الأذان ومؤخرة الأذان، فلا يقال هناك اتباعاً منهم للسنة، لا إنكاراً لكون الرسول عليه السلام هو رسول الإسلام ورسول الأنام

جميعاً في كل زمان وفي كل مكان، وإنما اتباع للسلف، وكما قيل:

وكـل خـير في اتبـاع مـن سـلف   وكل شر في ابتـداع مـن خلـف

فـإلى الآن يحـج الناس ويسـمعون هـذا الأذان بالشـهادة لله بالوحدانيـة، وللنبي بالرسالة، ثـم يصلون صلاتنا، ويذكرون الرسول عليه السلام كلما ذكر يصلون عليه ربما أكثر من أولئك الناس الذين يقولون عنهم: هؤلاء وهابية ما يحبوا الرسول، ما يصلوا على الرسول، يا جماعة! اتقوا هذه فرية يبطلها واقع هؤلاء الجماعة، بحيث لا يمكن أن يقال: هؤلاء في بلادهم يداهنون الساكنين خارج بلادهم، إنما هذا نابع من قلوبهم الإيمان بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والسير على منهاج رسول الله ﷺ بدون زيادة، ولا أقول: دون نقص، لأن هذا النقص بطبيعة الإنسان لا يستطيع الإنسان أن ينهض، لكن من حيث العقيدة دون زيادة أو نقصان، من حيث العبادة دون زيادة قد يكون هناك نقصان، مثلاً بعضهم قد لا يقوم الليل والناس نيام، هذا نقص، لكن هذا نقص لا يخدش في عقيدته، لا يخدش في إسلامه، فهذه الكلمة حتى اليوم فيها اتهام للجماعة بما هم بريئين منه كما يقال براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وحسبنا يا أبا يحيى.

(الهدى والنور ١٠/٢٩٠: ٢٩: ٠٠)

باب منه

مداخلة: شيخنا باقي قضية الوهابية توضحها للأخ حسان .

مداخلة: كلمة الوهابية هذه الحقيقة سياسة تركية أفشتها في زمن انحراف الأتراك عن الحكم بالإسلام، في زمن كان ابن بلدنا ما اسمه؟ في مصر.، محمد علي باشا.

الشيخ: هذا ألباني الأصل، فهو كان حاكم مصر.في زمانه وكان بطبيعة الحال يعني يزعم أنه عائش تحت سلطنة الدولة العثمانية، خرج في بلاد نجد رجل من أهل العلم اسمه محمد بن عبد الوهاب، مش عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب وطاف في البلاد الإسلامية يومئذ المعروفة بالعلم مثل مصر ـ ومثل القاهرة والشام، طاف البلاد وحصل ما حصل من العلم، رجع إلى بلده، اللي كان اسمها الدرعية فبطبيعة الحال لما الرجل يتعلم وجد قومه في جاهلية جهلاء يعبدون القبور كما هو لا يزال في كثير من البلاد الشامية بلدي، والمصرية بلاد إخواننا هؤلاء ولا مؤاخذة، البلاء عم وطم يعني كل البلاد.

فالرجل بدأ ماذا؟ بدأ يعلم الناس ويحذرهم من الشر.كيات الوثنيات، ودعوته أفادت وتقوت بسبب السلطان الملك السعودي يومئذ الأول، الجد الأول كان ربنا هداه واتبع هذا الشيخ فاقترن السيف وماذا؟

مداخلة: العلم.

الشيخ: والعلم مع بعض، هؤلاء إذا اقترنوا يفيدوا كما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ونمت الحركة ونمت بسبب قوة السلطان وانتشرت الدعوة وبدؤوا الجماعة يعني شكلوا جيش إسلامي لأول مرة وبدؤوا يدعو القرى اللي حولها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واستجاب من استجاب ووصلت دعوتهم إلى العراق وهناك تعرف الشيعة وما أدراك ما الشيعة وشركهم وضلالهم إلى آخره وأهل السنة متأثرين بشيء من هذه الشركيات، جرت معارك طاحنة مع الأسف، من تحرك؟ محمد علي باشا من مصر، من حركه؟ الأتراك؛ لأن الأتراك كانت الخلافة في أيديهم، وكانوا حاكمين البلاد الإسلامية كلها فلما رأوا حركة عربية نشأت في جزيرة العرب خافوا عاقبة أمرها، خافوا إن هؤلاء يقضوا على الحكم العثماني أو التركي بالمعنى الأصح، لذلك أوعزوا إلى محمد علي أنه يرسل جيش لقتال هؤلاء النجديين ولا أقول: الوهابيين لما سيأتي بيانه، وأرسل محمد علي باشا ابنه إبراهيم باشا بجيش عرمرم ضخم من مصر إلى البلاد النجدية وجرت الدماء هناك أنهاراً وبنهاية الأمر تغلبت القوة الغاشمة على الدعوة الصحيحة وقتل من قتل وكان من جملة وسائل الأتراك كما هو اليوم تماماً الدعاية تعرفوا لها يعني: تأثير ربما أكثر من السلاح، فبثوا دعاية ضد الجماعة هؤلاء في العالم الإسلامي حتى العالم الإسلامي يكون مع الأتراك وما يكون مع الدعوة هذه الحديثة الفتية؛ لأنها تدعو إلى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأذاعوا في المسلمين أن هؤلاء لا مذهب لهم، مذهبهم خامسي، هؤلاء يقولوا لواحد منهم عصايتي أشرف من الرسول عليه السلام، كله كفر وزور وبهتان، تأثرت الجماعات المسلمة في كل بلاد الدنيا، ولذلك كان من تمام التأثر والخطأ فيه أن سموا الجماعة بماذا؟ بالوهابية، هذا من حجج الله على عباده الذين

يعقلون، وهابية نسبة إلى وهابي وهابي إذا درسناها بالنسبة للغة العربية نسبة لماذا؟ للوهاب، من هو الوهاب؟

مداخلة: الله.

الشيخ: هو الله تبارك وتعالى، هي نسبة تشرف ما تحقر المنتسب لها، لكن السياسة التركية الغاشمة خاصة أكثر من ينتمون تحت راية الأتراك من الأعاجم وهم ما عندهم الفقه هذا في اللغة العربية، وهابي وهابي، يعني: أصبحت كلمة وهابي في ذاك الزمان تساوي زنديق، ومر زمن طويل مع الأسف والعالم الإسلامي مضلل بهذه الكلمة... إلى أن شاء الله تبارك وتعالى أن الملك عبد العزيز دخل بطريقة ما لنا فيها الآن الرياض واستولى عليها وأخرج آل الرشيد منها وإلى آخره، وبدأ يطبق الأحكام الشرعية يعني إلى حد كبير جداً جداً، واستقر الأمن في البلاد النجدية اللي كان فيها السرقة والنهب والقتل وتبع ذلك البلاد الحجازية اللي كانت كما نعلم جميعاً من التاريخ التركي ما يستطيع الحجاج إن يحجوا إلا ومعهم عسكر، عسكر من الأتراك يحفظه من اللصوص وقطاع الطرق إلى آخره، أصبح الأمر في زمن عبد العزيز أصبح الحجاج يلاقوا كل راحة وكل يسر، وأصبحت الأخبار تتناقل من لسان إلى لسان إلى كل بلاد الدنيا إن والله هؤلاء جماعة إحنا ما عدنا نرى منهم إن والله ما يؤمنوا بالرسول عليه السلام، وما يؤمنوا بغير الله ويقولوا في حق الرسول كذا وكذا، وكما أيضاً يحكون نكتة قد تكون واقعة صحيحة وقد تكون تعبير عن هذا الواقع الذي كان الناس يتحدثون به يخالفون واقع هؤلاء الجماعة.

زعمت هذه القصة انه اثنين دخلوا في نقاش حول هذا الموضوع، إن هؤلاء الوهابيين ما يعتقدوا بالرسول عليه السلام شوية نقاش وسرعان ما مرت سيارة

السفير السعودي وعليه العلم هو يرفرف ومكتوب عليه ماذا؟

مداخلة: لا إله إلا الله.

السؤال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، شوف يا رجل، اتق الله، تقول: هؤلاء ما يؤمنوا برسول الله، علمهم في الدنيا كلها علم وحيد، لا تجد راية في العالم الإسلامي كله إن كان عربي وإلا إن كان تركي ما نشوف راية لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا راية هؤلاء الجماعة الذي أنتم تتهمونهم إن ما يؤمنوا بمحمد رسول الله، وبعدين ما سمعتوا الأذان في مكة، ما سمعتم الآذان في المدينة، الأذان اللي نأذن إحنا وأحسن منه أن هؤلاء ما يزيدوا على الأذان النبوي ونحن نريد مقدمه ومؤخرة، لكن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله إلى غيره، كل ما مضى. زمان كل ما تبين للناس أن هذه التهمة فاجرة كاذبة لا حقيقة لها، سواء من الناحية الواقعية، هؤلاء جماعة مسلمين، ومذهبهم حنابلة كما من شان خاطرك، ليس مذهبهم يعني كما نحن ندعو إليه الكتاب والسنة إلا بعض الأفراد من المشايخ هناك يدعون إلى الكتاب والسنة كما ندعوا تماماً والحمد لله.

وبعدين بالإضافة إلى هذا فهم يصلون على الرسول عليه السلام ولا بد منكم الكثير يعني حج إلى بيت الله الحرام وزار مسجد الرسول عليه السلام وسمع خطبهم، وأن كلما ذكروا الرسول يصلوا عليه، انكشف الضباب عن العالم الإسلام بسبب كثرة ماذا؟ اتصال المسلمين والعالم الإسلامي بهذه البلاد فعرفوا أنهم كانوا يعيشون في مضللات، نشأت هذه المضللات من ماذا؟ من الدعايات التركية لتحطيم الحركة الإسلامية الصحيحة التي نشأت من محمد بن عبد الوهاب، ودعمها الملك السعودي يومئذ أو الأمير سعود؛ لأنه ما كان في ملك

يومئذ، فالآن من الخطأ الفاحش أن نسمي الجماعة هؤلاء وهابية لماذا؟ لأنه في الأصل هذه كلمة منفرة، والحقيقة من الناحية العربية تشريف لهم، وهابية نسبة إلى الوهاب وهو الله تبارك وتعالى، ولذلك قال أحد المشائخ لما كانوا يردوا على المضللين لعامة المسلمين: الإمام الشافعي في زمانه اتهم بتهمة تشبه اتهام هؤلاء، اتهم بأنه رافضي من كثرة ما كان يلهج بماذا بآل بيت الرسول وحبه لهم فقيل عنه رافضي، فكان أن قال:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

قال قائل هؤلاء الذين ينبزون بلقب الوهابية.

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا أقر بأنني وهابي

وقوله: متوهباً يعني وهابي.

لأنه أنا ما أتبع غير الرسول عليه السلام.

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي

أنا أنصح أخيراً كل مسلم يخشى الله ويتقيه أن يسحب من فكرته أنه فيه جماعة اسمهم الوهابية، هؤلاء في جماعة اسمهم زيدية، في جماعة اسمهم شيعة، فيه جماعة اسمهم إباضية، كلهم ما ينكرون هذه النسب؛ لأنها واقعة، لكن ما فيه جماعة على وجه الأرض يقولوا: نحن وهابية، لا، إنما إما أن يقولوا: نحن من أهل السنة أهل الكتاب والسنة، وإما أحناف شوافعة مالكية، حنابلة...

(الهدى والنور / ١٧٦ / ٠٨: ٥٤ : ٠٠)

١٧

اتهام السلفيين بأنهم لا يعتنون إلا بالقشور

اتهام السلفيين بأنهم لا يعتنون إلا بالقشور وأنهم نسوا المعركة الكبرى مع أعداء الإسلام

مداخلة: شيخنا تتمة للموضوع، قد يُلَبِّس الشيطان على البعض فيلطف من عبارة أن هذا من الأشياء التافهة وما شابه ذلك، فيقول: هذه قشور، وإنما يهمنا اللباب وما شابه ذلك، وهذه كثيراً ما نسمعها، ولعلها تلقى في بعض النفوس، خاصة أن كلامكم كان عن قضية من القضايا الشخصية الإسلامية، فحبذا لو توضح هذه القاعدة؟

الشيخ: الحقيقة أن هذه الكلمة التي ذكرها الأخ، نسمعها أيضاً أحياناً، لكن كل الدروب على الطاحون سواء قيل هذا من توافه الأمور، أو هذه من القشور، فكل من اللفظتين من إحدى الكبر؛ لأنه لا يصح لنا أيضاً كما قلنا بالنسبة لمن يقول من توافه الأمور، هذا أمر تافه، كذلك لا يصح لنا أن نقول بعد أن عرفنا ما تعلق من الأحكام ومن الأحاديث بموضوع إعفاء اللحية، ما ينبغي أن يقال هذه من القشور.

ولكن إذا قيل بهذا اللفظ دون اللفظ الآخر انفتح أمامنا أمر آخر لتعزيز هذه الكلمة لو صح النطق بها، هم يعنون بلا شك حينما يقولون بأن هذه المسألة أو تلك من القشور، بقولهم: دعونا من القشور وخلينا نهتم باللباب، يعنون بذلك الأمور التي يجوز للمسلم أن يتركها، لكن إن عنوا ذلك فقد أخطأؤا مرتين:

الخطأ الأول: أنهم أعطوا حكم السنة أنه يجوز لمسلم أن يتركها ولا إثم عليه في ذلك، أعطوا هذا الحكم حكم السنة لما هو فرض لازم.

الخطأ الثاني: هب أن الأمر سنة، ولكن التعبير أيضاً عن السنة بلفظة قشر أيضاً هذا خطأ؛ لأنهم حينما يتلفظون بهذه الكلمة يعنون أن لا نبالي بهذه السنن على افتراض، ونقول هذا جدلاً، على افتراض أنهم يعنون السنن فقط.

أيضاً لا يجوز أن نطلق لفظة القشور على السنن التي فعلها الرسول عليه السلام، وتقرب بها إلى الله زلفى، لماذا لا يجوز؟

لسببين اثنين: السبب الأول: أن هذه السنن هي لها وزن في الشريعة، لكنهم لا يعلمون، وزنها في الشريعة أنها في كثير من الأحيان تكون سبباً لتدارك ما فات من النقص في الفرائض، وهذا صريح في قوله عليه السلام: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة، فإن تمت فقد أفلح وأنجح، وإن نقص فقد خسر».

في حديث آخر: «وإن نقصت، قال الله عز وجل لملائكته: انظروا هل لعبدي من تطوع فتتموا له به فريضته» تطوع يعني: سنة، يعني غير الواجب.

فهذا الحديث يصرح بأن السنن تتم بها الفرائض، فكيف يبيح المسلم ألا يحض المسلمين عليها بل هو يبعدهم عنها بكلمة منفرة، هذه قشور لا قيمة لها.

هذا خطأ مزدوج، أولاً: من حيث المعنى؛ لأنه لها قيمة كما ذكرنا مثالاً مثل: «..فأتموا له فريضته».

ثانياً: من حيث أنهم يطلقون كلمة قشور كالتوافه من الأمور، يطلقونها على ما شرع الرسول عليه السلام، ولو بطريق الاستحباب، وحينذاك نحن نقول: من أين أخذوا كلمة القشور؟

أخذوها من بعض الثمار التي لها قشور، فيأكل لبها ويرمى قشرها.

حسناً هذا الاستعمال أخذ من قياس الأحكام الشرعية على القشور التي خلقها الله في بعض الثمار، نعود هنا لنقول: هل خلق الله هذا القشر المحافظ

المحيط للب هو عبث؟ لولا هذا القشر ما سلم اللب، وهذا يا جماعة واضح في هذا المثال المادي، يعني في الثمار.

هذه القشور ما خلقت عبثاً، وإنما فائدتها معروفة حتى عند أصحاب كلمة القشور، هذه الفائدة المادية معروفة عندهم، لكن سبحان الله: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

إذا كان القشر في ثمر ما مفيد لهذا الثمر، ومحافظ على اللب، وهذا معروف حتى عند الكفار، أفلا يكون معروفاً عند المسلمين أن ما يسمونه من الأحكام الشرعية بأنه من القشور، هو شأنه تماماً كشأن القشور في الثمار، فلم تكن القشور في الثمار خلقاً من الله عبثاً، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فكذلك لم تكن هذه القشور بلفظهم التي يطلقونها على السنن، لم تكن شرعاً من الله عبثاً، وإنما الأمر واضح جداً، الإنسان الذي يكثر من الاجتهاد بهذه العبادات ولو كانت في مستوى السنن والمستحبات، فهو بلا شك يزداد بذلك تقرباً إلى الله، ويزداد بذلك حسنات ودرجات عند الله، وبخاصة الحديث السابق أن رب العالمين يستدرك لعباده المقصرين في بعض الفرائض، يتمم تلك الفرائض من هذه السنن والنوافل.

إذاً: نهاية المطاف في هذا البحث أن استعمال لفظة (القشور) كلفظة (التوافه من الأمور) هذا خطأ شرعاً من كل النواحي، سواء من ناحية شرعية أو من ناحية قياسية، فواضح جداً أن القشر في الثمر ضروري وجوده، وإلا لولاه لن نأكل الثمر، كذلك هذه السنن الذي يسمونها ظلماً وبغياً وعدواناً بقشور، لولا هذا لسنن لما ازداد الإنسان تقرباً بها إلى الله تبارك وتعالى، ولما سد بها نقص وقع له في فرضه.

هذا تعليق على سؤال الأخ جزاه الله خيراً.

(الهدى والنور / ١٧٥ / ٠٤: ٥٨ : ٠٠)

باب منه

السائل: شيخنا! ما هي حقيقة الدعوة السلفية؛ لأن كثيراً من الناس يطيرون هذه المقالة أنهم لا يهتمون إلا بالجزئيات الفرعية، كمثل القبض بعد الركوع، أو النزول باليدين، أو بالركبتين أو القنوت بالفجر من عدمه، ويتركون الرد على الشيوعيين والعلمانيين والمذاهب الهدامة، فيقولون إن معركة السلفيين إنما هي المسلمين بخلاف غيرهم، كمعركتهم مع أعداء المسلمين؟

الشيخ: جوابي على هذه الشبهة أنها شنشنة نعرفها من أخزم، إن هؤلاء الذين يتهموننا؛ لأننا لا نبحث، ولا ندعو إلا حول هذه المسائل التي ضربوا بها مثلاً، وهذا في حقيقته يعود إلى أمر من أمرين اثنين لا ثالث لهما، إما أن يكون الجهل بواقع الدعوة الإسلامية السلفية من جهة، والدعوة المتعلقة بأهل الدعوة إلى الدعوة السلفية من جهة أخرى، أو أن يعود الأمر إلى تجاهلهم لحقيقة الدعوة والدعاة، فهو إما جهلاً، وإما تجاهلاً بهذا الواقع الحسن، الواجب على كل مسلم أن يكون على بصيرة منه، وكما يقال في مثل هذه المناسبة، وأحلاهما مر.

أنا أقول كلمة صريحة، نحن لا نرد على الشيوعيين ولا على الدهرين؛ لأن الله عز وجل حينما أرسل نبيه ﷺ، بل والرسل من قبله مبشرين ومنذرين، لم يعنوا العناية التي يعنى بها هؤلاء الذين ينقمون على الدعوة السلفية ما ينقمون، من عدم تعرضهم للشيوعية وأمثالها، ذلك باتباعنا لدعوة نبينا ﷺ، حيث وأنه كانت دعوته في أول منطلقها: ﴿أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، فالآن

هؤلاء الذين يتهموننا بهذه التهمه لا شك أنهم يعلمون أن الدعوة السلفية أول ما تبدأ إنما تبدأ بمعالجة العقيدة، وتصحيح مفهوم الناس للتوحيد بأنواعه الثلاثة التي أصبح الأطفال في مدارسهم يعرفونها على الوجه الصحيح الذي جاء في الكتاب والسنة، خيراً مما يعرفه هؤلاء الدعاة الذين يزعمون أنهم حملوا راية الرد على الشيوعيين وعلى الملاحدة.

نحن في اعتقادنا أن هؤلاء الدعاة الذين يردون على الشيوعيين وأمثالهم، أول ما يردون عليهم ما يتعلق بتوحيد الربوبية، أما ما يتبع توحيد الربوبية من توحيد الإلوهية وتوحيد الصفات، هذا التوحيد الذي لا يتم علم القائل لا إله إلا الله إلا بأن يعرف أولاً ما هو الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات، لا بد أن يعرف الفرق بين ذلك كله، ثم أن يقترن معه الإيمان الجازم به عملاً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩]، فمن كان مشتغلاً دهراً طويلاً بدعوة جماهير المسلمين إلى معرفة حقيقة (لا إله إلا الله)، وأنه لا معبود في الوجود بحق إلا الله تبارك وتعالى، فكيف يصح لمن كان مؤمناً حقاً ويخشى ربه عز وجل فلا يفتري على المؤمنين، ولا يتهمهم بانشغالهم عن العقائد بالفرعيات كما يقولون.

أولئك الناس الذين يشتغلون بالرد على الشيوعيين ما يَرُدُّون انطلاقاً من دراسة الكتاب والسنة، وإنما ينطلقون من دراسة الفقه، ولا أقول مبدئياً الرأي، أي أنهم يحكمون عقولهم التي تستند إجمالاً على الإسلام، ولكنهم لم يعرفوا الإسلام على حقيقته كما أنزله الله عز وجل في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، نحن نعلم من واقع دراسة العلم أن أي طالب علم يدرس العلم على المنهج العلمي، إنما يبدأ بما هو الأهم كما قيل:

العلـــــم إن طلبتـــــه كثـــــير والعمـــر عـــن تحصـــيله قصـــير

فقدم الأهم منه فالأهم.

هل الأهم للمسلم أن يعنى بغيره من المشركين أمثال الشيوعيين والدهريين، أم يبدأ بنفسه فيصلحها وذلك بأن يحملها على اتباع الكتاب والسنة في العقيدة قبل كل شيء، ثم في العبادات وفي الأخلاق وفي السلوك، التهمة تنعكس عليهم تماماً، ويصدق عليهم حينئذ قول من قال في قديم الأمثال: (رمتني بدائها وانسلت)، فإننا إذا سألنا هؤلاء الذين يزعمون ويتفاخرون بأنهم يردون على الشيوعيين وعلى الملاحدة والدهريين، إذا سألناهم عن التوحيد، بل عن معنى (تعلم أنه لا إله إلا الله)، لحاروا في الجواب ولم يعلموا الجواب الصحيح في ذلك، وهذا في الواقع يشمل كثيراً من الإسلاميين، الذين ينتمون إلى بعض المذاهب المتبعة منذ القديم، مع أولئك الذين يتفاخرون بردهم على الشيوعيين، توحيد الأسماء والصفات هم أبعد الناس معرفة به، ولذلك فطالما ناقشنا كثيراً منهم بما جاء في الكتاب والسنة من الآيات والأحاديث الكريمة فيما يقولونه بألسنتهم في سجودهم، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، مع الأسف، يقولون معنا في السجود: سبحان ربي الأعلى، يكررونها في كل سجدة ثلاث مرات، وفي كل ركعات الصلاة، فإذا ما سألتهم السؤال الذي توارثناه عن النبي ﷺ، حينما سأل الجارية يمتحنها عن إيمانها: أين الله؟ فأجابت: في السماء. إذا وجهنا هذه السؤال إلى هؤلاء الذين يتهمون الأبرياء بما ليس فيهم هذا السؤال: أين الله؟ دارت أعينهم في محاجرهم حيرة وضلالاً وبعضهم يزداد ضلالاً فيقول: هذا السؤال لا يجوز في الإسلام، وهم يعلمون أو لا يعلمون والله يعلم بما في قلوبهم أن النبي ﷺ هو الذي سن للمسلمين حقاً هذا السؤال لمعرفة الإيمان المنجي عند الله من الإيمان الذي لا ينجي، يعلمون أو لا يعلمون، لكننا بفضل

الله عز وجل لقد تلقينا هذا الحديث الذي فيه هذا الحديث أو هذا السؤال عن النبي ﷺ من طرق أئمة أهل الحديث كالإمام مسلم في «صحيحه»، ومن قبله الإمام مالك في «موطئه»، ثم الإمام أحمد في «مسنده»، وغيرهم من أئمة السنة فقد رووا حديث الجارية فهو حديث معروف، ولا أريد الخروج عن السؤال... بتمامه، لكن الشاهد أن النبي ﷺ لما سألها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال لها: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فالتفت عليه الصلاة والسلام إلى سيدها وقال له: اعتقها؛ فإنها مؤمنة.

فاعتبر النبي ﷺ جوابها بقولها أن الله في السماء دليلاً على إيمانها، فماذا نقول بإيمان هؤلاء الذين يتهمون الأبرياء، ثم يريدون أن يهدوا من أذل الله من الشيوعيين والدهريين وأمثالهم، وهم لو هدوهم لما اهتدوا إلى أكثر من أن الله موجود، أي: ما استطاعوا أن يثبتوا لهم إلا ما كان المشركون في الجاهلية الأولى وفي كل جاهلية، وفي كل عصر ـ ومكان، يعتقدونه ألا وهو وجود الله تبارك وتعالى، أما هذا الواجب الوجود كما يقول بعض العلماء، أي هذا الله عز وجل ما الذي يليق به؟ وما يجب على كل مسلم أن يعتقده في ذات الله تبارك وتعالى؟ فهذا شيء لا يعلمونه بل يزيدون على ذلك فينكرون من يؤمن بما جاء في الكتاب والسنة.

قد ذكرنا ما أكثركم يعلم ذلك أننا إذا وجهنا السؤال النبوي: أين الله؟ أنكروا هذا السؤال، وبالتالي ما يحسنون الجواب، بل يكون جوابهم هو الاشتراك مع كل المؤمنين بالتوحيد الأول توحيد الربوبية يكون جوابهم؛ لأنهم لم يهدوا بالله عز وجل بكتابه وسنة نبيه لا يغنيهم شيء؛ ذلك لأن جوابهم يكون: الله في كل مكان، الله في كل الوجود، فهل يستطيع هؤلاء أن يدعوا الكفار إلى التوحيد

الذي أمر الله عز وجل محمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩]، ونحن نعلم جميعاً أن فاقد الشيء لا يعطيه، فلو أننا فرضنا فرضاً مستحيلاً أن هؤلاء الذين يهتمون كل الاهتمام بغيرهم، وينسون أنفسهم أنهم استطاعوا أن يجعلوا الشيوعيين يؤمنون بالإسلام، لكننا لو سألنا هؤلاء الذين اهتدوا على يد من هدوهم إلى الإسلام، ما هو التوحيد الذي فهمتموه، عاد جوابي السابق: فاقد الشيء لا يعطيه.

فإذاً: هم في الواقع يخالفون مبادئ في القرآن الكريم منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥]، فنقول لهؤلاء الذين ينكرون علينا ويتهموننا بما ليس فينا، هل فهمتم حق لا إله إلا الله وحق محمد رسول الله ﷺ، إن فعلتم ذلك فلا باس أن تدعو الناس إلى ما هداكم الله إليه، أما أن تظلوا دهراً طويلاً لا تفهمون كلمة التوحيد إلا بالمعنى الذي كان يفهمه أهل الجاهلية الأولى حينما يقولون: لا رب إلا الله، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥].

فإذاً: هم لا ينقمون على المسلمين أنهم يؤمنون بوجود الله، بل هم يشتركون معهم، لكن يختلفون عنهم؛ لأنهم يعبدون مع الله آلهة أخرى، ترى هل يفهم هؤلاء المتهمون للسلفيين بما ليس فيهم، هل يفهمون معنى هذا التوحيد، وهو لا إله إلا الله وأنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله... إلى اليوم لا يعرف معنى العبادة، ما هي العبادة التي إذا توجه بها المسلم إلى غير الله عز وجل، أشرك بالله ولم ينفعه شيء ما قوله لا إله إلا الله.

أنا أعلم أن بعض الشيوخ في دمشق الشام ألفوا رسالة عنوانها: لا إله إلا الله، فلما جاء إلى تفسيرها قال: لا رب إلا الله، فماذا صنع هذا المسلم الذي يزعم أنه

مسلم، أنه فسر كلمة التوحيد، بمعنى توحيد الربوبية فقط، هذا التوحيد الذي كان يؤمن به المشركون، ولكنهم أعني المشركين، كانوا إذا قيل لا إله إلا الله يستكبرون، هؤلاء المشركين الذين سمعتم آنفاً إنهم إذا سئلوا: من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله، هؤلاء إذاً في الوقت نفسه إذا سمعوا الرسول عليه السلام يدعوهم إلى لا إله إلا الله يستكبرون عن هذه الكلمة، ويسخرون من الداعي إليها، لماذا؟

من عجائب الأمور أن أولئك المشركين في ضلالهم، في شركهم، كانوا يعرفون معنى لا إله إلا الله حقاً، ولذلك كانوا يفرون من هذا المعنى الصحيح، ويستكبرون عن أن يقولوا لا إله إلا الله؛ لأنها تعني شيئاً آخر أكثر مما كان أولئك المشركون عليه، وهو أن يعبدوا الله، هذا المعنى الآخر أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، كانوا يستنكرون ذلك، ويقولون كما حكى القرآن الكريم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥].

نحن نجد العالم الإسلامي اليوم مع الأسف الشديد غريقاً في شرك العبادة أو شرك الإلوهية، وشرك الأسماء والصفات، فهم يقولون لا إله إلا الله، ولكنهم العالم الإسلامي اليوم الذي انشغل عنه أولئك الدعاة الإسلاميين زعموا، والذين يتهمون الدعاة السلفيين بأنهم يشتغلون بالأمور التي يسمونها التافهة كبعض الأمثلة التي جاء ذكرها في السؤال، العالم الإسلامي اليوم غرق في الجاهلية التي كان عليها المشركون، الذين بعث إليهم الرسول عليه السلام فهم لجهلهم بالإسلام، ولجهلهم بحقيقة لا إله إلا الله يظنون أن المسلمين على خير، فلذلك فهم ينصرفون عنهم إلى أولئك المشركين ولا نعيد الشيوعيين وأمثالهم؛ لأن المسلمين على خير، مع أن كثيراً من البلاد الإسلامية ليس فقط، بعض أو كثير

من البلاد الأعجمية بل وبعض البلاد العربية لا يزال الشرك يعمل عمله فيها، وهم يصلون ويصومون، ويشهدون أن لا إله إلا الله، فلماذا ترك أولئك الدعاة هؤلاء الإخوان المسلمين الذين هم إخوانهم بحكم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠]، لماذا تركوهم في ضلالهم ليس في الأمور الثانوية بل في أصل العقيدة، وهي التوحيد؛ ذلك لأنهم لا يعرفون التوحيد، ويفهمون التوحيد كمفهوم العامة، وأن العامي الذي يصلي ويصوم إذا طاف حول القبور أو نذر لها النذور أو دعاها من دون الله تبارك وتعالى، هذا في زعم الدعاة المشار إليهم لا ينافي قوله: لا إله إلا الله، ولذلك تركوا عامة المسلمين، بل وفيهم بعض الخاصة في ضلالهم يعمهون، ثم توجهوا إلى دعوة وإرشاد وهداية مَنْ؟ الذين لا يؤمنون بالله، ولو على إيمان المشركين كالدهريين مثلاً، وتركوا الناس الذي يعيشون بينهم وهم يذكرون بشهادة أن لا إله إلا الله، عملياً يؤمنون قولاً، ويكفرون عملياً، ذلك لأن المشركين كانوا أفهم بهذه الكلمة، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥]، أما هؤلاء المتأخرون أو هؤلاء الدعاة المزعومون هؤلاء لم يفهموا أن من تمام هذا التوحيد، توحيد العبادة، وأن ذلك يستلزم ألا يعبد إلا الله، لا بالتوجه إلى قبر ولي ولا بمناداته ولا بالاستغاثة به ونحو ذلك.

فلجهلهم بحقيقة الإسلام انصرفوا عما نحن متوجهون إليه بفضل الله ورحمته إلى الاشتغال بالآخرين، بدعوتهم إلى الإيمان لا يسمن ولا يغني من جوع.

لو أنهم آمنوا بدعوة هؤلاء الدعاة؛ لأن هؤلاء الدعاة أنفسهم ليسوا على معرفة بالإيمان المنجي عند الله تبارك وتعالى، هذا أولاً: وخلاصة ذلك أنها تهمة صريحة فظيعة، حينما يتجاهلون دعوة الحق، دعوة لا إله إلا الله، وبياناً لكل

المسلمين بحقائقها التي أجمع عليها علماء السلف، يتجاهلون هذه الحقائق، ويتهمون السلفيين أنهم لا يفعلون ولا يدعون الناس إلا إلى رفع اليدين وتحريك الإصبع، ونحو ذلك من السنن.

ثانياً: لقد قررنا أكثر من مرة تبعاً لأئمتنا سابقاً ولاحقاً أن القرآن الكريم لا يمكن فهمه إلا على ضوء السنة، بقول الله عز وجل، مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، فنقول لهؤلاء الدعاة زعموا هل أنتم معنا؛ لأنه لا يمكن فهم الكتاب إلا من طريق السنة المحمدية في ظني أنهم سيكون جوابهم بالموافقة ولو قولاً.

ولسنا مكلفين أن نصل إلى ما في قلوبهم، حينئذ نقول لهم: وهل تعلمون أن السنة قد دخل فيها ما ليس منها؟ إن أجابوا أيضاً بالإيجاب، قلنا فهل من العلم الضروري تصفية هذه السنة، مما دخل فيها أم تصفية هذه السنة، إنما هو من توافه الأمور أيضاً، ومن الشيء الذي هو نافلة، أم هو من الواجبات الذي لا يمكن فهم القرآن إلا بهذه التصفية لهذه السنة، فإن وافقوا معنا وظني أنهم لا سبيل لهم إلا أن يوفقوا معنا، وحينئذ نقول لهم: هل فعلتم معنا شيئاً في هذا الصدد، بل هل باستطاعتكم أن تعملوا شيئاً من تصفية السنة وتمييز صحيحها من ضعيفها؟ إن قالوا نعم، قلنا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، ولسنا بحاجه إلى أن نطالبهم بالبراهين، فإن كتبهم التي يؤلفونها في الرد على الكفار بعامة في كثيراً من الأحيان نجد فيها تفاسير لآيات على خلاف ما جاء التفسير المأثور، وكثيراً ما نرى أن فيها أحاديث لا صحة لها، لا سنام ولا خطام.

نحن لا نريد أن نقول أنه يجب على كل الجماعات الإسلامية أن يعملوا وأن يقوموا جميعاً بواجب تصفية السنة مما دخل فيها، لكني أريد أن أذكر هؤلاء بمثل قوله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَى﴾[المائدة:٨]، هم يعلمون أن الذين يقومون بتصفية العقيدة مما دخل فيها من الشركيات والوثنيات هم السلفيون هم أنصار السنة، هم أهل الحديث هم الطائفة أسماء تتعدد بسبب اختلاف البلاد والمسمى واحد، الذين يقومون بتصفية العقيدة مما دخل فيها مما ليس منها، إنما هم السلفيون الذين اتهموهم بأنهم يشتغلون بتوافه الأمور.

كذلك هم يعلمون يقيناً أن الذين يقومون بتصفية السنة مما دخل فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتي كثيراً من هذه الأحاديث كان الواضعون لها بعض الفرق التي أرادت الكيد للإسلام والمسلمين، وأرادوا صرفهم عن الدين باسم الدين، فوضعوا تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة فهم يعلمون حقاً أن الذين يقومون بهذه التصفية أيضاً هم السلفيون، وليس أولئك الدعاة الذين زعموا، الذين يهتمون بالرد على الشيوعيين وأمثالهم، ثم من هم الذين يهتمون بتصحيح عبادات المسلمين من صلاة وصيام وحج وعمرة، ومعرفة بالزكاة ونصبها وشروطها ونحو ذلك، لا ينهض بذلك إلا من جمع بين الكتاب والسنة الصحيحة.

لا شك أن اتهام السلفيين بما سبق من بعض الأمثلة هذا المجتمع المبارك في هذه البلاد المقدسة، فعلاً أكبر دليل على أن السلفيين بُرءاء براءة الذئب من دم ابن يعقوب من تلك التهمة؛ لأن المفروض أننا نحن والحمد لله أن نكون على كلمة سواء، أن نعرف التوحيد ونعرف الصلاة ونعرف الحج ونحو ذلك، ومع ذلك فقد تكلمنا في مجالس عديدة ليس في الطهارة وليس في رفع اليدين والقبض ونحو ذلك، وإنما تكلمنا في كثير من الأحيان في أصول تتعلق بالقواعد الإسلامية التي يجهلها أولئك الناس لعلي بهذه الكلمة أجبت عن السؤال أو بقي شيء فيه.

(الهدى والنور / ٣٩٦ / ٠٦: ٠٤ : ٠٠)

باب منه

الشيخ: أن بعض الجماعات الإسلامية اليوم ليس فقط لا يقيمون وزناً [للقواعد] الشرعية الهامة، بل يزيدون على ذلك قولاً وهو أنهم يقولون: هذه قشور، ويجب أن نشتغل باللباب، هذه في الحقيقة من أكبر المصائب التي حلت في كثير من الشباب في العصر الحاضر، لأنه لو كان هذا التمييز أو هذا التفريق بين القشر واللب لو كان شرعاً لتطلب علماء في الشرع ليميزوا بين الأمرين ويصنفوهما كما فعل الفقهاء حينما ميزوا الفرض عن السنة، هذا عند عموم الفقهاء والحنفية خاصة، ميزوا بين الفرض والواجب، فهذا التمييز بين الفرض والسنة بلا شك يحتاج إلى علم بالشريعة بكتابها وبسنة نبيها ﷺ، فكان يمكن بالنسبة للعلماء لو كان حقاً أن في الإسلام قشوراً إضافة على اللب فمن الذي يستطيع أن يميز بين القشر واللب؟ هم العلماء، فمن الذي يقول: يجب أن لا نشتغل اليوم بالقشور وعلينا باللب؟ هم الجهال، هم القشور، لذلك يترتب من وراء هذا هدم الإسلام، لأننا سنقول: أنت تقول: الشيء الفلاني قشر، فما أدراك لعله لب، ثم ما تسميه لباً ما يدريك لعله قشر، وكل من الصنفين المعارضين للب والقشر كلاهما اليوم واقع، فكثير من المسائل الاعتقادية حينما تثار يثورون، ويقولون: دعونا الآن من المسائل الخلافية، وأي مسألة ليست من المسائل الخلافية، فإذاً: ما فائدة تفصيل هذا؟

إذا تحدثنا عن اللب قالوا: دعونا من هذا، هذا يفرق الصف ويفرق

الجماعات، وإذا تحدثنا فيما يسمونه بالقشر. قالوا: هذه قشور لا نريدها في هذا الزمان، مع أن الله عز وجل كما كان حكيماً في خلقه لكل ما خلق كذلك كان حكيماً في كل ما شرع، فحينما خلق البشر. خلق الذكر والأنثى، وحينما خلق كثيراً إن لم نقل: كل، يعني: لست متخصصاً في الزراعة، لما خلق الفواكة وخلق الحبوب خلق لها قشراً ولباً، هل كان هذا الخلق من الله تبارك وتعالى عبثاً؟

حاشاه، فإذا كان قد جعل في الشرع على حد تعبير أولئك الناس لباً وقشراً ما كان هذا الخلق أيضاً عبثاً، وإنما لحكمة، وكما أن الحكمة في الخلق الأول أي: في الفواكه والحبوب ونحو ذلك واضحة جداً، فلولا القشر لفسد اللب، فكذلك تماماً في الشرع.

ولذلك مشيراً إلى هذه الحقيقة جاءت أحاديث عن النبي ﷺ منها في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به».. وهكذا، وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة، فإن تمت فقد أفلح وأنجح، وإن نقص فقد خاب وخسر» في حديث آخر قال عليه السلام: «وإن نقصت قال الله عز وجل لملائكته: انظروا هل لعبدي من تطوع فتتم له به فريضته» إذاً: التطوع لا يجوز للمسلم أن يستغني عنه، هذا التطوع الذي يسميه أولئك الناس بالقشر، لأن في ذلك خسارة للب وإضاعة له.

ونحن إذا تذكرنا أن الإنسان ﴿خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾، لكن هؤلاء المصلين كما جاء في الحديث الآخر الصحيح لا تخلو صلاتهم من نقص إما كماً وإما كيفاً، إما بأن يضيع شيئاً من فرائضها أن يؤديها في أوقاتها، وإما أن يحافظ عليها ويؤديها في أوقاتها، ولكن ينقص من

كيفيتها، فكلا النقصين لا يخلو منه البشر عامة، أما الأفراد منهم فيختلفون.

إذا كان -وأرجو أن أكون دقيقاً في قولي- إذا كان ولم أقل إن كان، إذاكان يوجد في هؤلاء البشر من يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها ولا يضيع صلاة من صلواتها مطلقاً فلا يخلوا منهم جميعاً أن يضيعوا شيئاً من صفاتها وكيفياتها، إذا كان الأمر كذلك يأتي هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليصلي الصلاة وما يكتب له منها إلا عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها نصفها» أين ذهب النصف الثاني؟ وراء الزرع ووراء الضرع ووراء التجارة وراء الهندسة وراء وراء .... إلخ، وهذا لابد منه لأنه بشر، وربنا عز وجل حينما وصف المؤمنين كان من أول صفاتهم أن قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون:١-٢].

فمن منا يستطيع أن يحكم على نفسه اليوم بأنه في صلاته يحصل الأجر كاملاً بالمائة مائة، لا أحد، من منا يستطيع أن يقول عن نفسه اليوم: إنه خاشع في صلاته، خاشع صفة لازمة، أما خاشع بمعنى خشع فهذا لا يخلو إن شاء الله فرد منا، أن يخشع في صلاة ما وفي يوم ما، أما أن يكون صفة لازمة له فهو خاشع في صلاته هذا كما كانوا يقولون قديماً: أندر من الكبريت الأحمر، فإذا كان هذه طبيعة الإنسان بعامة أن صلاته تكون ناقصة فبما يستدرك هذا النقص؟

بصلوات نوافل ولا شك أن هذه الصلوات ستكون كالفرائض، أي: فيها نقص، لكن ما يكون فيها من كمال يضم إلى النقص الذي حصل في الفرض، ومن هنا يتبين لكم أهمية قوله عليه السلام حينما يقول الملائكة: «انظروا هل لعبدي من تطوع فتتموا له به فريضته» إذاً: المقصود من هذا أخيراً هو أنه يجب على المسلم ألا يكون دأبه دأب ذلك الأعرابي الذي قال: والله يا رسول الله لا

أزيد عليهن ولا أنقص. ذلك لأن ذلك الأعرابي أولاً كان على الفطرة، وثانياً: شهد له الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: أفلح الرجل إن صدق، دخل الجنة إن صدق. أما نحن اليوم فليس عندنا مثل هذه الشهادة ليقال فينا كما قيل لذلك الأعرابي، أو كما قيل لحاطب بن بلتعة: «وما يدريك لعل الله عز وجل قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم» لسنا نحن هناك، ولذلك فعلينا أن نهتم على حد تعبير أولئك وأعوذ بالله من تعبيرهم ولا أقول: من أولئك، يجب أن نهتم باللباب والقشور، لأن القشرة لم يشرع أبداً كما أنه لم يخلق عبثاً، إنما للمحافظة على اللب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧].

(الهدى والنور /٤٨٠/ ٤٥: ٠٠ : ٠٠)

القشر واللب

مجلس تحت عنوان: ثلاث مسائل مهمةً الأولى: حفظ القشر للباب، الثانية: حكم الاجتهاد في العقيدة، الثالثة: الرد على بعض شبه المكفرين.

تم تسجيل هذا المجلس في اليوم الثالث من ربيع الثاني ١٤١٦هـ، الموافق لليوم الأول من الشهر التاسع ١٩٩٥م.

الشيخ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إننا في زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه، ومن هؤلاء بعض الذين ينتمون إلى بعض الأحزاب الإسلامية ويدعون أنهم من الدعاة إلى الإسلام، وفي سبيل دعوتهم هذه قد يستجيزون استعمال عبارات لا تليق استعمالها وإطلاقها على الشرع وأحكامه.

من ذلك أن بعضهم يقسمون الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية إلى قسمين اثنين ويعبرون عنهما بقولهم: أن قسماً منها لب، والقسم الآخر قشر.

الذي أريد أن أذكر به بين يدي الدخول في المسألة هو بمقدمة وجيزة وهي: أنه أولاً: لا يجوز للمسلم أن يقسم الإسلام إلى تعبيرين غير مشروعين أن نقول: الإسلام قشر ولب، وأن على المسلمين أن يهتموا باللب دون القشر، هذا التقسيم

ما أنزل الله به من سلطان، بل هو ضرب للإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

نعم! الإسلام فيه أحكام مختلفة كما تعلمون من الفرض إلى الأمر الندب، هذه حقائق مشروعة، لكن المندوب الذي هو من العبادات أدناها منزلةً وفضيلةً عند الله مع ذلك لا يجوز تسميتها بالقشر؛ ذلك لأن المقصود بهذه التسمية هو: الحط من قيمة هذا الذي يسمونه بالقشر، ولنقل نحن: المندوب أو المستحب.

وكلنا يعلم أن الله عز وجل ببالغ حكمته حينما شرع الإسلام على مراتب كما ذكرنا آنفاً من الفرض إلى الندب لم يكن ذلك إلا بحكمة بالغة، ولعل مما يوضح هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة، فإن تمت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت، قال الله عز وجل» وهنا الشاهد: «انظروا هل لعبدي من تطوع فتتم له به فريضته» الشاهد هنا: «انظروا هل لعبدي من تطوع» التطوع هو التنفل، يعني: ما ليس بفرض «هل له من تطوع فتتمون به فريضته» أي: إن المسلم وهو مطبوع على.. كما قال عليه الصلاة والسلام: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» فلا بد من الإنسان أن يقع في بعض العصيان، هكذا طبع الله بني الإنسان، خلافاً الملائكة الذين وصفهم بقوله تبارك وتعالى في القرآن: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦].

أما الإنسان فقد طبعوا على خلاف ذلك، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» أي: طبيعة الإنسان أن يقع في المعصية ولكن ليس من رغبات الشارع الحكيم أن يقنع هذا الإنسان بالمعصية، وإنما إن وقع فيها أن يتابعها بالإنابة والرجوع إلى الله تبارك وتعالى والاستغفار والتوبة.

فإذاً: إذا كان من طبيعة الإنسان أن يعصي الرحمن وأن ذلك مما لا بد منه؛ لذلك أنه قد يخل بالعبادة من صلاة مثلاً، وهذا الإخلال قد يكون تارةً كماً، وتارةً يكون كيفاً، وأظنكم تعلمون معي ما الفرق بين الكم والكيف، أما الكم فكلنا يعلم أن الله عز وجل فرض على كل مسلم بالغ مكلف خمس صلوات في كل يوم وليلة، فقد يهمل صلاةً أو أكثر فهذا قصر في الكم، وقد يكون حريصاً على المحافظة على الصلوات الخمس كما هو مشاهد والحمد لله من كثير من الناس لكن لجهلهم بالشرع أو بالسنة فهم يقعون في النقص في الكيف وليس في الكم، فهم محافظون على الصلوات الخمس تماماً ولكن قد تكون صلاتهم هذه ناقصةً، وقد يكون النقص في ركن من الأركان، أو في واجب من الواجبات، أو في سنة أو مستحبة من المستحبات، فهذا كله نقص في الكيف، وهذا قل ما ينجوا منه مصلٍ إلا من شاء الله وقليل ما هم.

كثير من الناس يصلون مع محافظتهم على الصلوات الخمس لا يطمئنون في الصلاة، يسارعون فيها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تجزئ صلاة رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده» هذا صلى ولكنه ما صلى، كما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ: «كان ذات يوم في المسجد حينما دخل رجل فأخذ يصلي وبعد أن صلى أقبل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله! قال: وعليك السلام! ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع الرجل وصلى، وبعد الصلاة أقبل أيضاً على النبي ﷺ: السلام عليك يا رسول الله! قال: وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل» وهكذا في المرة الثالثة في هذه المرة كما يقال: اسقط في يد الرجل، وعرف أنه لا يحسن يصلي فاعترف بذلك وقال: «والله يا رسول الله لا أحسن غيرها فعلمني، قال عليه السلام: إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله، ثم استقبل القبلة، ثم أذن ثم أقم ثم كبر، ثم اقرأ ما

تيسر- من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تطمئن قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها، فإذا أنت فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، وإن أنت أنقصت منها فقد أنقصت من صلاتك».

أقول: حديثنا المذكور آنفاً قبل حديث المسيء صلاته الذي فيه أن ذلك الرجل أعاد الصلاة ثلاث مرات وهو لا يحسنها فقال معترفاً بأنه لا يحسن غيرها فعلمني فقال له عليه السلام كما سمعتم، الشاهد: الحديث الذي قبله وهو قوله عليه السلام: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة فإن تمت فقد أفلح وأنجح، وإن نقصت قال الله عز وجل لملائكته: انظروا هل لعبدي من تطوع فتتم له به فريضته».

الشاهد من هذا الحديث: أن الأحكام الشرعية فيها ما لا بد منه، وفيها ما يخير الإنسان فيه، لكن هذا القسم الثاني يعتبر رديفاً احتياطياً للقسم الأول، فالقسم الأول كما شرحت آنفاً إذا وقع فيه نقص كماً أو كيفاً تدارك الأمر ملائكة الله يوم القيامة من التطوع الذي هو ليس بفرض، إذاً: لا يصح أن نقسم الإسلام إلى لب وقشر-، وبخاصة إذا قصدنا بهذا التعبير الركيك المرفوض أن القشر- لا يعنى به وإنما هو اللب.

ذلك لأن الله عز وجل كما نشاهد في ما خلق الله عز وجل من الثمار والخضار ونحو ذلك قد جعل لكثير منها قشراً ولباً وما كان هذا القشر- قد خلق عبثاً وإنما للمحافظة على اللب، فهذا تقريباً للأحكام الشرعية التي فيها ما هو فرض وفيها ما هو مستحب، فيسمي بعض المعاصرين اليوم ما هو فرض بأنه لب وما هو ليس بفرض بأنه قشر-، وليتهم يعنون أنه يعنى بهذا القشر- لكنهم يلمحون بأنه ما

ينبغي إلا الاعتناء باللب فقط.

وهنا يقعون في مشكلة أخرى حينما قسموا الإسلام إلى لب وقشر- فهم يضيعون اللب أيضاً مع القشر، ليس فقط من الناحية التي أشرت إليها بأن الله عز وجل خلق القشر للمحافظة على اللب بل من ناحية أخرى تتعلق بالعلم بالشريعة فهم لا يستطيعون بسبب جهلهم خاصة بالكتاب والسنة لا يستطيعون أن يفرقوا على حد تعبيرهم بينما هو لب عندهم وما هو قشر فيهملون كثيراً من اللب باسم قولهم إنه من القشر.

فإذاً: هم قد ضيعوا اللب والقشر معاً.

أعود الآن إلى المسألة التي أردت التنصيص والتنبيه عليها وهي: أنه إذا دخل الداخل وكان الجالسون يظنون به أنه من أولئك الذين يستحقون الإجلال والإكبار والتعظيم ولو في حدود الشرع فهم يبادرون إلى تقبيل يد هذا الشخص الجليل، أنا أريد أن أذكر الآن بأمرين اثنين:

أولاً: ما حكم هذا التقبيل؟ وثانياً: هل هذا التقبيل هو الذي سنتحدث عنه أم هو شيء آخر؟

الحقيقة أنه شيء آخر: نحن بما علمنا من الأحاديث النبوية والآثار السلفية أن تقبيل اليد كان أمراً معروفاً في عهد السلف الصالح من عامة الناس إلى أكابر الناس؛ ولذلك فما نستطيع أن ننكر جواز التقبيل يد العالم الفاضل، ولكن هنا لا بد من التذكير بأمرين اثنين:

أحدهما: أنه لا ينبغي أن نجعل هذا التقبيل ليد العالم الفاضل سنة مستمرة مطردة؛ لأن هذا خلاف السنة، السنة كما قال أحد الصحابة ولعله أبو ذر رضي الله تعالى عنه قال: «ما لقينا رسول الله ﷺ إلا وصافحنا» المصافحة هي سنة

تلاقي المسلم مع أخيه المسلم بعد السلام، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة تحض على المصافحة كمثل قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا تحآتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجر في الخريف».

المصافحة: هي السنة الرتيبة، أما تقبيل اليد فأنا أسميها من باب تفشيش الخلف، يعني: رجل يحب هذا الرجل العالم فقد سمح له الشارع بتقبيل يده، أما أن يجعلها ديدنه كلما لقيه قبل يده فهذا لم يكن من عمل السلف إطلاقاً، لكن أكثر من هذا - وهنا بيت القصيد كما يقال، وبذلك تنتهي هذه الكلمة - أنه لا ينبغي بعد التقبيل أن نضعها على جبهة وهذا الذي نشاهده دائماً مع الأسف الشديد، يعني: يقبل هكذا ثم يضعه على الجبهة هذا يشبه السجود، وإذا كان النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل حينما قدم من الشام وقد سافر من المدينة إلى الشام ثم رأى هناك النصارى كيف يعظمون قسيسيهم ورهبانهم فلما وقع بصره على النبي ﷺ هم أن يسجد له فقال له عليه السلام: «مه يا معاذ! قال يا رسول الله! إني أتيت الشام فرأيت النصارى يسجدون لقسيسيهم ورهبانهم فوجدتك أنت أحق بالسجود منهم، فقال عليه الصلاة والسلام: لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها» يوجد حديث آخر لكن لا يصلح السجود إلا لله؛ لهذا فما ينبغي ونذكر إخواننا الطيبين بأمرين اثنين:

أحدهما أهم من الآخر، الأهم: أن لا تفعلوا هكذا.

الأمر الثاني: ألا تتخذوا تقبيل يد العالم عادةً وسنة، وإنما على سبيل الندرة، وهذا ما أردت التذكير به والذكرى تنفع المؤمنين.

(الهدى والنور /٨٢٠/ ٠٩: ٠١: ٠٠)

تهم: السلفيون لا يُقَدِّمون حلولاً لمشاكل الأمة

مداخلة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هناك شبه تدور حول منهج الشيخ خاصة، ومنهج أهل الحديث من السلفيين اليوم عامة، منها: أن الشيخ الألباني عمد إلى السنن الأربع وتصرف فيها وأتى بما لم يسبق إليه وفصلها من صحيح وضعيف مع أن مسألة التصحيح والتضعيف مسألة اجتهادية، أما ما يتعلق بأهل الحديث اليوم، أنهم يشتغلون بالردود على بعض وليس لهم في واقع المسلمين الآن.. يعني: لا يقدمون حلولًا لمشاكل المسلمين الآن وإنما هم مشتغلون بالردود على بعضهم في مسائل فرعية اجتهادية الخلاف فيها خلاف تنوع، فنرجو من فضيلتكم إجلاء مثل هذه الشبه.

الشيخ: هذه يقال منذ القديم: شنشنة نعرفها من أخزم! إن الذين يدعون بأن السلفيين لا يقدمون حلولًا لمشاكل العصر ـ الحاضر يقولون قولًا يدل على جهلهم بالإسلام، والكلمة الأولى التي أشرت إليها إن كانت من كلامهم فهي أيضًا كما يقال: ضغث على إبالة، صحيح أن الألباني جاء إلى السنن الأربعة وأعطى كل حديث في كل كتاب منها المرتبة التي تتطلبها أسانيد تلك الأحاديث وشواهدها وتوابعها، فنقول لهؤلاء الذين يريدون أن يقدموا إلى الأمة حلولًا لتلك المشاكل التي يشيرون إليها: على أي أصل يريدون أن يعتمدوا في ذلك التقديم؟ لا شك أن ذلك الأصل هو الأصل الأول للشريعة الإسلامية القرآن

الكريم، ثم الأصل الثاني السنة أيضًا باتفاق جميع المسلمين، وإذا كانت السنة قد دخل فيها لحكمة أرداها الله بهذه الأمة ما ليس منها من الأحاديث الضعيفة والمنكرة، فتلك الحلول كيف تقام على مثل هذه الأحاديث التي اختلط الحابل فيها بالنابل.

لذلك فالسلفيون في الواقع يقومون بواجب التصفية التي أعرض عنها جماهير المسلمين قديمًا وحديثًا وبخاصة منهم هؤلاء الذين يزعمون بأنهم يقدمون حلولًا لتلك المشاكل، وما أحسن قول الإمام الشافعي رحمه الله حين قال في رسالته: إذا كان العالم جاهلًا بالسنة فعلى أي أصل يعتمد إذا ما أراد أن يقيس والقياس لا يصح إلى على الأصلين الكتاب والسنة، فإذا قاس المجتهد أو استنبط حكمًا من السنة فأول شرط: أن تكون هذه السنة صحيحة عند علماء الحديث وموافقة لأصولهم وقواعدهم.

فهؤلاء الذين يتبجحون بما ليس عندهم من أنهم يقدمون حلولًا لتلك المشاكل على أساس ماذا؟ على أساس الجهل؛ لأن الذين لا يعلمون السنة ولا يميزون بين صحيحها وضعيفها ليس بإمكانهم أن يقيموا حلولًا عملية وموافقًة للشريعة الإسلامية، والواقع يؤكد ذلك فمنهم جماعات أو أحزاب مضى.عليهم نحو نصف قرن من الزمان أو أقل أو أكثر ما استطاعوا أن يعملوا شيئًا فقد ضلت أفراد هذه الأحزاب بعيدة عن العمل بالكتاب والسنة لأنهم لا يعلمون ومن لا يعلم لا يستطيع أن يعمل كما ذكرنا آنفًا: أن الأصل في كل عمل أن يكون قائمًا على الكتاب والسنة، ثم أن يكون خالصًا لوجه الله تبارك وتعالى، فلو فرضنا في كل فرد من أفراد الأمة ومنها أولئك الجماعات أو الأحزاب فرضناهم مخلصين في أعمالهم ولكن أعمالهم تكون مردودةً غير صالحة لأنها ليست على الكتاب

والسنة.

فتقسيم السنة إلى صحيح وضعيف كما نقل السائل آنفًا، أن هذا عمل تفرد به الألباني، فهل هذا عيب؟ لقد سن لنا الأئمة الكبار من علماء الحديث هذه السنة الطيبة أنهم جعلوا الحديث صحيحًا وضعيفًا، وأشهر الأئمة في ذلك الإمام البخاري ومسلم، غُمِزَ صنيعهم هذا غمزًا سيئًا؟! أم كان عملهم هذا مشكورًا عند الأئمة كلها حتى صار كتاباً هاما بعد كتاب الله اعتمادًا عليهما مدى هذه القرون الطويلة، فكان ذلك منهم سعيًا مشكورًا ويثابون على عملهم هذا بما لا يُقَدِّر أجره إلا الله تبارك وتعالى.

الحق والحق أقول: إن انتقاد عمل الألباني هذا ينشأ من عدم تقدير هذا العلم، وهو الذي يمكن صاحبه من تمييز الصحيح من الضعيف، أو ينشأ من الحقد والغيرة والحسد وهذا ليس من أخلاق المسلمين، فبديل أن يحسنوا هذا العمل ويساعدوا المؤلف على المضي شوطًا كبيرًا في إتمام هذا العمل يقولون: هذا عمل تفرد به الألباني، فماذا يريدون إذًا؟ أن تبقى الأمة الإسلامية حيارى كلما جاءهم حديث عن رسول الله ﷺ لا يعرفون صحيحه من ضعيفه وتكون نتيجة ذلك وعاقبة ذلك أن يقعوا في الافتراء على رسول الله ﷺ وذلك مما أخبر به النبي ﷺ في أحاديث كثيرة وأهمها قوله عليه السلام: «كفى المرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع» وإذا كان لا يجوز الاعتداء على الباغين أو على الظالمين وإنما جزاء سيئةٍ سيئة مثلها فأنا أقول: إن هؤلاء الذين لا يقدرون هذا الجهد المبذول لتمييز الصحيح من الضعيف فمعنى ذلك أنهم رضوا بالبقاء على جهلهم بالسنة ورضوا بالتالي بالوقوع في الكذب على رسول الله ﷺ للحديث السابق وهو حديث خطير جدًا ويعالج أمرًا واقعًا: بحسب المرء من الكذب أن

يحدث بكل ما سمع.

أي كاتب ألف كتابًا، أو أي كاتب كتب رسالًة، أو أي محاضر ألقى محاضرةً يروون في هذه المقالات أحاديث عن رسول الله ﷺ لا يميزون صحيحها من ضعيفها فقد وقعوا شاءوا أم أبو في الكذب على رسول الله ﷺ، هذا وحده يكفي ليعلموا أن من الواجب على العشرات بل المئات من الأئمة الإسلامية أن يدرسوا علم الحديث هذا دراسة جيدة، وأن يتمكنوا من تمييز صحيح الحديث من ضعيفه، حتى ينشروا العلم الصحيح بين المسلمين يومئذٍ يستطيع من يريد أن يضع تلك الحلول المشار إليها آنفًا أن يضعها حلولًا إسلامية وإلا ستكون حلولًا بعيدة عن الإسلام.

ونحن في كل يوم نقرأ مقالات فيها إباحة أشياء أو تحريم أشياء لمجرد الرأي، ليس هناك قال الله ولا قال رسول الله ﷺ مع أنه يكون من المعلوم عند أهل العلم أن في كثير من تلك البحوث قد جاءت أحاديث عن النبي ﷺ، ومع ذلك لا يذكر في بعضها حديث عن رسول الله ﷺ، وهذه علة طالما تحدث عنها بعض العلماء القدامى في بعض المذاهب، حيث يقرأ الإنسان كتاب فقه من أوله إلى آخره فلا يسمع قال الله قال رسول الله إنما هو مجرد المذهب ومجرد الرأي.

وقديمًا قرأت بحثًا لأحد الكتاب المشهورين حول الموسيقى والغناء، وإذا به لا يتعرض لحديث من تلك الأحاديث التي ذكرها علماء الحديث في خصوص هذه المسألة، وإنما يذكر آراؤه وقد يعتمد في شيء منها على بعض الأقوال لبعض المتقدمين ولكن العلم ليس هو قال فلان قال علان.. وإنما كما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله بحق:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهَة بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذرًا من التعطيل والتشبيه

ذلك البحث في الغناء وفي الآلات الموسيقية لم يذكر كاتب ذلك البحث الحديث الذي جاء في البخاري: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرا والحرير والخمر والمعازف، يمسون في لهو ولعب ويصبحون وقد مسخوا قردةً وخنازير» لماذا لم يذكر هذا الحديث؛ لأنه أولًا لا علم عنده بالحديث، وثانيًا لو ذكر هذا الحديث لسقطت مقالته من أصلها، ولم يقم لما قاله وزنًا يذكر إطلاقًا.

أهكذا تكون وضع الحلول للمشاكل التي يعيشها المسلمون اليوم؟! لا بد من الرجوع إلى الكتاب وإلى السنة الصحيحة، وهذا ما يدندن حوله المسلمون المنتمون إلى السلف الصالح.

وأنا أخيرًا أقول كلمةً سهلة جدًا: نفترض أن المسلمين اليوم كل في مذهبه وفي طريقه الذي يمشي فيه، ولكن على غير هدى من ربه، والمنتمون إلى السلف الصالح إنما يزيلون العثرات ويبعدون الأشواك من هذا الطريق، أفيكون جزاء ذلك العمل تحقير عملهم والحط عليهم بأنهم لا يضعون الحلول؟! الحلول إنما توضع بعد إزالة الأشواك والعثرات من الطريق ذلك من معاني قوله عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» فكل من لم يهتم بالسنة فمعنى ذلك أنه لم يرفع رأسًا إلى الآيات فضلًا عن الأحاديث التي تأمر المسلمين بالرجوع إليها وفي خاصة إذا اختلفوا في أمر أو في حكم أو في منهج يضعونه للسير عليه في حياتهم القائمة الآن.

هذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

مداخلة: ... كما فعل أحمد شاكر في المسند رحمه الله.

الشيخ: وأحمد شاكر يعني ..

مداخلة: ... إلى صحيح وضعيف وأبقى الأصول كما هي، وتخرج الأحاديث في الحواشي.

الشيخ: وما معنى هذا؟ هكذا نحن بدا لنا، فهل هذا يكون مأخذًا علينا؟ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨] وقد ذكرت آنفًا هذا الاعتراض.. أشرت آنفًا أن هذا الاعتراض لا يرد على الألباني، يرد على الإمام البخاري ومسلم، لماذا جمعا الأحاديث الصحيحة في الكتاب، أليس نصحًا للأمة؟ فنحن نستعين بالعلم الذي وضعوه لنا إلى تمييز الصحيح من الضعيف، أنا حينما خططت هذه الخطة وجريت عليها أول ما جريت على صحيح سنن أبي داود وضعيف سنن أبي داود، لقد فكرت مليًا أأسلك هذه الطريق التي يراها بعضهم أم أسلك الطريق التي شرح قلبي لها أخيرًا؟ فلكل وجهة، قلت: لو أنني جئت إلى سنن أبي داود وهو أول كتاب من كتب السنن الأربعة بدأت فيه منذ نحو أربعين سنة، لو أنني تركت السنن على ما وضعه المؤلف عليه، ثم أعطيت كل حديث مرتبته من صحة أو ضعف فعاقبة ذلك أنني ميزت فعلًا ولكن ما شخصت الصحيح ولا شخصت الضعيف، وليس كل فرد من أفراد الأمة من طلاب العلم أو من غيرهم باستطاعته أن يستوعب هذا الكتاب برمته وأن يركز في ذهنه الصحيح منه والضعيف، بل أكثرهم سيختلط عليه الأمر من حيث الحفظ والضبط، سيختلط عليه الأمر بالصحيح والضعيف.

فرأيت أن هذا التمييز يساعد كل فرد من أفراد الأمة حتى حفاظ الأمة أن يحفظوا الصحيح ويحفظوا الضعيف، نحن الآن يكفينا أن نتذكر أن الحديث

الفلاني في الصحيح في البخاري في مسلم، وإذا نحن على بصيرة من ديننا أن هذا الحديث لا يحتمل أن يكون من الضعيف، أما إذا كان الكتاب يحوي القسمين الصحيح والضعيف فيتذكر الإنسان أن هذا الحديث في سنن أبي داود، وسنن أبي داود فيه الصحيح.. فيه الحسن.. فيه الضعيف وفيه المنكر، وغيره من السنن فيه بعض الموضوعات، فسوف يختلط الحابل بالنابل والصحيح بالضعيف، هذا ما اطمأنت إليه نفسي. وانشرح له صدري فما معنى انتقاد: لم فعلت هذا؟ هذا هو اجتهادي فإن أصبت فلي أجران وذلك ما أرجوه من الله تبارك وتعالى، وإن أخطأت فنقول لأولئك المتقدين: هاتوا عملكم الذي هو أصلح وأنفع من هذا للأمة

(فتاوى جدة أهل الحديث والأثر– ٣ /٢٠: ١٧: ٠٠)

هل في الإسلام قشور؟

قال رسول الله ﷺ:

« إذا لبست نعليك فابدأ باليمنى و إذا خلعت فابدأ باليسرى و ليكن اليمنى أول ما تنتعل، و اليسرى آخر ما تحفى، و لا تمش في نعل واحد، اخلعهما جميعا أو البسهما جميعا» .

قال الإمام: و اعلم أن ما في هذا الحديث من الأدب في الانتعال، و التفريق بين البدء به والخلع، هو مما غفل عنه أكثر المسلمين في هذا الزمان لغلبة الجهل بالسنة، وفقدان المربين للناس عليها، و فيهم بعض من يزعم أنه من الدعاة إلى الإسلام، بل و فيهم من يقول في هذا الأدب : إنه من القشور، و توافه الأمور ! فلا تغتر بهم أيها المسلم، فإنهم – والله – بالإسلام جاهلون، و له معادون من حيث يشعرون أو لا يشعرون، و قديما قيل : من جهل شيئا عاداه . و من عجيب أمرهم أنهم يطنطنون في خطبهم و محاضراتهم بوجوب تبني الإسلام كلا لا يتجزأ، فإذا بهم أول من يكفر بما إليه يدعون، و إن ذلك لبين في أعمالهم و أزيائهم، فتراهم أو ترى الأكثرين منهم لا يهتمون بالتزيي بزي نبيهم ﷺ، و إنما بالتشبه بحسن البنا و أمثاله : لحية قصيرة، و كرافيت (عقدة العنق)، و بعضهم تكاد لحيتهم تكون على مذهب العوام في بعض البلاد : «خير الذقون إشارة تكون»! مع تزييه بلباس أهل العلم، العمامة و الجبة، و قد تكون كالخرج، و طويلة الذيل كلباس النساء ! فإنا لله و إنا إليه راجعون .

الصحيحة(٦/١/١٤٤-١٤٥).

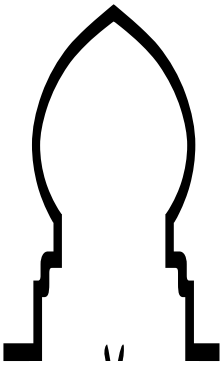

١٧

اتهام السلفيين بأنهم لا يهتمون إلا بالعقيدة والعلم

تهم وشبهات: السلفيون يعطون العقيدة أكثر من حجمها..

مداخلة: بارك الله فيك يا شيخنا! في عندي سؤال ثمة له علاقة، يعني: هو منهجي أيضاً في تتمة البحث لكن ما هو في الجانب الفقهي، لكن في الجانب العقائدي.. من المعلوم أن الدعوة السلفية كذلك فيما تدعو إليه كما تدعو إلى تحكيم الكتاب والسنة في فهم السلف الصالح في المسائل العملية والعبادات وغيرها، فهي كذلك تدعو إلى تحكيم الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح وما عرف بالعقيدة السلفية وتعلمها والحرص عليها؛ لأن البداءة بالإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر هي من مهمات الإسلام.

الشيخ: حق.

مداخلة: ولكن هناك شبهات ثلاث هي في الحقيقة تدور حول نقطة واحدة فلذلك أنا أذكر الشبهات الثلاث وهي يعني: حرصاً على الوقت أجمعها الثلاث شبهات ثم بعد ذلك يكون الرد على ما شئتم.

فيقولون الشبهة الأولى: يقال: أنه لازم من دراسة العقيدة ما يصح به الإيمان وهذا من الممكن تعلمه في دقائق معدودة.

الشبهة الثانية: يقولون: إن دراسة العقيدة على وجه التفصيل ولا سيما في أبواب الردود على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم يدخلوا الناس فيما لم

يوجب الله عز وجل عليهم معرفته ويعرضهم للافتتان في دينهم كما أن تدريس العقيدة مفصلة يوقع الناس في الحيرة والتذبذب.

الشبهة الثالثة: اتهام العلماء السلفيين بأنهم يدندنون حول مسائل الشرك والتوحيد دون أن يدخلوا في بحث ما تحتاج إليه الأمة من تحكيم الشريعة ومصارعة الطواغيت وإنكار المنكر، ومن غير أن ينقلوا الدعوة إلى واقع عملي تطبيقي.

يعني: هي ثلاث شبهات لكن في الحقيقة كلها مؤداها عدم دراسة العقيدة وعدم الحرص على..

الشيخ: نعم، أما الشبهة الأولى: فهي كأخرياتها وكأخواتها شنشنة نعرفها من أخزم.

الذي يقول: أن العقيدة يمكن تلقيها في دقائق، نسأل هذا القائل: ما هي هذه العقيدة التي يمكن أن يتلقاها المسلم في دقائق؟ هل يعني هو أن يتلقى العقيدة مجملاً في دقائق أم تفصيلياً في دقائق؟ إن قال: مجملاً، نحن نقول: يمكن هذا إجمالاً، كما هو في حديث الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه» إلى آخره.

أما إن قال: أيضاً يمكن تلقي العقيدة تفصيلياً في دقائق فنحن سنقول له: أولاً: هل تعني العرب أم تعني العجم؟ فمن قوله أعني العرب أليس كذلك - أنت شاعر بالمشكلة انصب حالك يعني: مدافعاً عنهم أو معبراً عن شبهتهم - فسنقول له: جزاك الله خير فإن كنت تقصد العرب فقط فهذه أول خطيئة؛ لأنك تعلم أن الإسلام لم يرسل إلى العرب خاصة وإنما أرسل إلى الناس كافة، ثم نقول: ثانياً: هل تعني العرب الأقحاح الذين يفهمون اللغة العربية لغة القرآن الكريم دون أن يتعلموا؟ فإن قال: نعم، نقول أيضاً: جهلت؛ لأن العرب دخلتهم

العجمة وأصبح من يعيش في عقر البلاد العربية لا يستطيع أن يفهم القرآن وهو نزل بلغة العرب إلا بدارسة مقدمات لغوية وعلوم يسمونها اصطلاحاً بعلوم الآلة ونحو ذلك.

حينئذ نتوصل إلى القول بأن هذا العالم الذي يريد أن يعلم الناس العقيدة التي جاءت في الكتاب والسنة، هل هو يعيش في جو يشبه الجو الأول السلفي الأول.. الذي يمثل النبي ﷺ مع أصحابه، أم هو يعيش في أجواء من التفرق الفكري والتفسخ الأخلاقي والسلوكي، أظن أيضاً سيكون جوابه إن شاء الله على الحق أنه يقول: لا، هو يعيش الآن في جو يختلف كل الاختلاف عن الجو السابق.

إذاً: هذا الذي يقول: أنه يمكن فهم العقيدة وعلى الوجه التفصيلي الذي جاء في الكتاب والسنة في دقائق فإنما هو يعيش في خيال، ثم نحن نجعله تحت أمر واقع، أعطني نرى العقيدة في دقائق هبني أنا رجل بدوي آت من الصحراء أريد أن أتعلم العقيدة الإسلامية ما فيها؟

مداخلة: هو يربط.. قائل هذا القول يربط بين العقيدة وبين ما تصح به العقيدة، فيقول: إن الإنسان حينما يطالب بالإسلام إنما يؤمر بمعرفة الله عز وجل معرفة عامة وبأن يشهد أن لا إله إلا الله ويؤمن بما عرف به النبي ﷺ الإيمان أو كما قال النبي ﷺ..

الشيخ: هذا يعود إلى كلامي السابق إجمالاً..

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب! لكن هو لا يؤمن معنا بأنه يجب بعد ذلك أن يتعلم الإسلام تفصيلياً على اعتبار أن العلم ينقسم إلى قسمين: علم عيني وعلم كفائي، وهذا ما

أظن أحد ينكره، الآن هو يتكلم عن الرجل.. انظر الآن ضلال هؤلاء الناس الذين يعيشوا في الأحلام يتصورون أولاً: أن مجتمعنا هو مجتمع الرسول عليه السلام، ثانياً: يتصور كل مسلم مسلم ابن مسلم ابن مسلم والله أعلم أين ينتهي، يتصور أنه اليوم أسلم، يا أخي هناك فرق بين الذي دخل في الإسلام حديثاً وبين الذي يعيش في مجتمع إسلامي فهذا يختلف عن الأول تماماً، رجل كافر يريد أن يسلم ماذا سنقول له؟ قل: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، أصبح مسلم بشهادة الحديث الصحيح: «فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

... ولا يتعلم لا العقيدة بتفاصيلها ولا العبادة بتفاصيلها ما أظن يصل الجهل إلى الاعتراف بمثل هذا الإسلام المجمل، لا بد أن يقول: لا، يجب عليك فيما بعد أن مثلاً: يتعلم كيفية الطهارة.. كيفية الصلاة.. كيفية الصيام مثلاً إذا جاء شهر رمضان إلى آخره، هذه التفاصيل لا بد أن يتعلمها ليتم إسلامه.

ترى! الإيمان أليس كذلك.. هذا الإيمان المجمل الذي نقلته عنهم.. أليس هو: «وبكتبه وبرسله» إجمالاً ترى! إذا جاء التفصيل ماذا يقولون عنه؟ يجب الإيمان إذا جاءه التفصيل.. يجب الإيمان به أم لا؟

مداخلة: لا شك أنه يجب الإيمان به إذا جاءه التفصيل.

الشيخ: وهكذا، يعني: هل يتصور أنهم يقولون: لا؟!

مداخلة: هم لا يقولون لا مثل ما ذكرت هنا يا شيخ، لكنهم وقعوا في الجزء الذي ذكرته أنهم وقعوا في الجهل المطبق حيث أنهم ...

الشيخ: نعم، هذا هو، ولذلك فنحن يجب أن نكون وهم أن يكونوا معنا في الواقع، واقعنا الآن والحقيقة هذا الذي يجعل دعوتنا ليست بالسهلة، الناس اليوم

يفهمون أنه ممكن الإنسان يعرف الإسلام كله في جلسة واحدة؛ لأنهم يأتوك بالمثال الأعرابي: « هل علي غيرهن، قال: لا، إلا أن تطوع» يا أخي! ذاك إسلام لم يكمل، جاء من البدو يريد أن يسلم، لكن ما زال الإسلام ينزل بأحكامه بجهاده بكذا بكذا إلى آخره.

فنحن الآن لا يجب علينا، بل لا يجوز لنا أن نرجع القهقرى، نحن يجب أن نتبنى هذا الإسلام جملة وتفصيلاً فإذا ما وقع المسلم في مثل هذا الجو المختلف فيه أشد الاختلاف وكما ذكرنا آنفاً مع الدكتور ثلاثة وسبعين فرقة لا ينجوا منها إلا فرقة واحدة: «قالوا: من يا رسول الله! قال: هي التي على ما أنا عليه وأصحابي» نحن الآن ألسنا يجب علينا وعليهم هؤلاء السائلين الشاكين المرتابين... أليس من الواجب عليهم أن يحرصوا أن يكونوا من الفرقة الناجية؟ لا شك أنه سيكون جوابهم نعم.

يا أخي! أنت لست الآن في زمن الرسول تأتي وتجلس مع الرسول وتسمع الحكم منه مباشرةً بينك وبين الرسول أربعة عشر قرناً وفي أمامك وفي طريقك عثرات وعثرات، سيأتيك حديث بل ستأتيك آية لو كنت بين يدي الرسول يكفيك المؤنة إذا أشكل عليك معناها مثل ما وقع بالنسبة لبعض الصحابة حينما أشكل عليهم آية: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢] تذكرون الآية والحديث؟ قالوا: «إذاً: أينا ليس ذاك الرجل الذي ظلم نفسه؟ قال: ليس ذاك، ألم تقرؤوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]» فأزال الرسول عليه السلام هذه الشبهة من أذهانهم، فأنت أيها المسلم في القرن الرابع عشر في أول الخامس عشر لست في صحبة الرسول حتى إذا أشكل عليك يأتي يعطيك الجواب وتسلم تسليماً، أمامك هذه

المسافات الطويلة، تريد أن تعرف هذا الحديث صحيح أو غير صحيح؟ تريد أن تعرف هذا الحكم هل أخذ من الكتاب أم من السنة أم الإجماع الذي يصير فيه خلاف تارةً في تصحيحه وفي تضعيفه، أم من القياس، ثم هذا القياس هل هو قياس جلي أم هو قياس خفي، الآن وضعنا غير ذاك الوضع يا مساكين وأن الجهل بهذا العلم.. يستسهلوا الأمر ويقول لك: ممكن العقيدة يتعلمها في دقائق معدودة.

ولذلك فنحن حقيقة يجب أن نمضي قدماً في طريقنا الشاق الطويل المديد وأنا أقول في بعض الكلمات عندما أذكر قوله عليه السلام حينما كان جالساً بين أصحابه فتلا قوله تعالى وخط على أرض خطاً مستقيماً: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] جاء الحديث مصوراً في بعض كتب الحديث بأن الخط المستقيم طويل والخطوط التي حوله خطوط قصيرة.. أنا أفهم من هذا الحديث غير ما نطق به الرسول أكثر مما نطق به الرسول، أي: أفهم الشيء الذي نطق به الرسول زائد ما أشار إليه الرسول بهذا الرسم الرائع البديع الخط المستقيم هو الصراط والخطوط القصيرة هي التي على رأس.. على كل خط منها شيطان يدعو الناس إليه، هذا الشيطان وأنا سمعت هذا بأذني هاتين بعض من يزعمون أنهم يدعون إلى الإسلام ويريدون أن يقيموا دولة الإسلام على طريقة القفز إلى رأس الأهرام بخطوة واحدة.

يقولوا: والله دعوتكم الحقيقة صحيحة لكن يا أخي! طريق طويل شاق متى سنصل إلى إقامة الدولة المسلمة والمجتمع الإسلامي .. وأنا أقول: الرسول رسم هذا الخط رداً على هؤلاء يقول لهم: انظروا هذا الخط الطويل حُفَّ

بالمكاره.. انظروا هذه الخطوط القصيرة حفت بالشهوات، فهم يريدون أن يصلوا بالطرق القصيرة هذه ولن يصلوا أبداً وتجربة هذا العصر من طوائف من الجماعات الإسلامية أكبر دليل على أن على رأس كل شيطان عملياً يدعو الناس إليه فيخرجون على الخط المستقيم، ونحن علينا أن نبقى في هذا الخط المستقيم ولا يضيرنا ولا يهمنا أن الناس يقولوا: هذا خط طويل وشاق وو إلى آخره.

وبهذه المناسبة يعجبني كلام ذلك الشاعر العربي الجاهلي وأتمنى أن يكون في المسلمين من يكون تفكيرهم في الإسلام كتفكيره في جاهليته هو.. ذلك هو امرؤ القيس الذي قال:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقين بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينيك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

ما علينا نحن إذا استمررنا نمشي في الصراط المستقيم وما وصلنا لإقامة الدولة المسلمة، هذا العالم الإسلامي صار له قرون يتخبط في البعد عن الكتاب والسنة فإذا نحن أخذنا الصراط المستقيم ومشينا خطوات قليلة.. متى سنصل؟! ليس مهم أن نصل المهم أن نمشي في الخط المستقيم، ذلك الجاهلي فهم الحقيقة الواقعية العلمية وإن كان هدفه ماذا؟ هدفه الدنيا.. هدفه الملك.. لكن يقول: نحاول ملكاً أو نموت فنعذر، ونحن هكذا مع ربنا تبارك وتعالى نحاول أن نعيد الحياة الإسلامية، وأن نقيم الدولة المسلمة بعد محاولة إعادة الحياة الإسلامية فإن وصلنا فبها وإن لم نصل فلسنا مكلفين؛ لأن الأمر كله بيد الله تبارك وتعالى، كل ما نحن مكلفين أن نمشي سوياً على صراط مستقيم.

لذلك هذه الأسئلة.. هذه الشبهات في الواقع أتت بسبب انحرافهم عن الخط المستقيم إلى خط من هذه الخطوط القصيرة التي تخرج بأصحابها عن الخط

المستقيم.

مداخلة: في نفس المسألة في الحقيقة هناك شبهة أيضاً التي تحتاج إلى ذكر لأنه يعاني منها أيضاً السلفيون ليس عندهم شائبة عنف أو من هذا النوع يعني، لكنهم يتصورون العقيدة تصور مرتبط مع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية كالتدمرية وغيرها وردوده على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فيتصورون أن دراسة العقيدة هي دارسة هذه الكتب فقط فتراهم يعزفون عن دراستها ويعكفون على دراسة كتب أخرى قد تكون تؤدي بهم مع الاستمرار إلى حصول أخطاء منهجية في الحقيقة..

الشيخ: على كل حال نحن نريد من إخواننا أنهم لا يتصورون أن كل فرد منهم يمكن أن يصير عالماً فهو عليه إذا شعر بأنه يجد في نفسه استعداداً للمضي قدماً في طلب العلم فنحن ننصحه حقيقة بأن يقرأ كتب العلماء الذين عرفوا بسلامة منهجهم عن الانحراف يميناً ويساراً والتأثر بعلم الكلام، وإذا كانوا لا يشعرون بأنفسهم شيء من ذلك فعليهم أن يأخذوا العلم سواء كان عقيدة أو كان عبادة من أقرب طريق سواء من علم العلماء الأحياء إذا كان لهم وصول إليهم، أو من الكتب التي ألفت بطريقة موجزة لا تدخل معهم في المجادلات الطويلة مع الفرق المخالفة؛ لأن الخوض في هذه المسائل قد تضر بمن لا استعداد عنده؛ لأن مناقشة المخالفين كثيراً ما تؤدي بالمناقش نفسه أحياناً أن ينحرف بعض الشيء ولو في مسألة واحدة عن الخط الذي ينبغي أن يسلكه مستقيماً.

(الهدى والنور /٣٥١/ ٥٠: ١٥: ٠٠)

تهم وشبهات: الدعوة السلفية تعتني بالجانب العلمي وتتحزب له ويصحب ذلك ضعف في التعبد

سائل يقول: فضيلة شيخنا الشيخ ناصر هناك من كتب كلاماً عن بعض الفئات ويقصد بها الجماعات، فقال أن هناك من الجماعات من يتحزب على جزء من الدين واعتبر ذلك من ميراث الأمم الهالكة، ثم ذكر جماعة التبليغ ولم يصرح باسمها، وقال أنهم يهتمون بما أسماه بالإسلام التعبدي مع ما يصاحب من ذلك من انحراف في التصور والسلوك، وأنهم يهتمون بما تحت الأرض، ثم ذكر فئة ثانية ونعت أهلها بأنهم يهتمون بالإسلام السياسي وبتكوين الأحزاب السياسية والدخول في البرلمانات وغيرها، ثم ختم ذلك النقد بالسلفيين فقال: وهناك فئة ثالثة تهتم بالإسلام العلمي، فهمهم هو تصحيح الأحاديث وتضعيفها وتحذير الناس من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مع ما يصحب ذلك من الجفاء وضعف في التعبد وغفلة عن واقع الأمة وما يدبر لها.

السؤال: شيخنا هل الدعوة السلفية والسلفيين إسلامهم هو هذا الإسلام العلمي الذي نعته هذا الكاتب وهل يصح أن يقال أنهم متحزبون على جزء من الدين وأن هذا من ميراث الأمم الهالكة، وأيضاً أنهم يعيشون في غفلة عن واقع الأمة وما يدبر لها، وأن عندهم ضعف في التعبد، نرجو إلقاء الضوء على هذا

جزاكم الله خيراً.

الشيخ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

لست على علم بشخص معين يقول مثل هذه الكلمة، بل يوجه مثل هذه التهمة إلى الجماعة السلفية، فإن كان لمثل هذا الشخص وجود، فلا شك أنه أحد رجلين: إما أنه جاهل بواقع الدعوة السلفية وجماعتها التي ينتمون إليها في كل بلاد الإسلام حيث أنهم دائماً يعلنون بوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح، كلهم على اختلاف مواطنهم وبلادهم وأشخاصهم يدعون دعوة حق واحدة لا يختلف فيها مطلقاً، بخلاف الجماعات الأخرى التي قد تختلف أفكارها وعقائدها وهي تنتمي إلى حزب واحد أو جماعة واحدة، فإن كان لمثل هذا الشخص وجود فهو كما قلت آنفاً أحد رجلين، إما جاهل لما يعلنه دائماً المتبعون للكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وإما إنه متجاهل لهذا الواقع وهو يعلن ويدندن دائماً وأبداً بوجوب التعرف على فقه الواقع، فواقع الجماعة السلفية أنهم يدعون إلى اتباع الكتاب والسنة بكل ما فيه من عقائد وأحكام سواء كانت هذه الأحكام عبادات أو معاملات أو سلوك أو نحو ذلك، فلذلك فمن الجهل البالغ والمكابرة الخطيرة جداً جداً أن ينسب إلى هؤلاء الدعاة إلى اتباع الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح خلاف ما يعلنون أنهم...

أما اتهامه إياهم بالجفاء الذي يعني قلة العبادة، فهذه في الحقيقة تهمة لا

يعجز عن أن ينطق بها أي إنسان لا يخشى الله عز وجل ولا خلاق له في الدنيا ولا في الآخرة، ولذلك فليس لي ما أقوله بالنسبة لهذه الكلمة التي نقلتها آنفاً إلا أن نقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور:١٦].

وكنت أود أن أعرف أن مثل هذه التهمة هل هي مطبوعة في كتاب أو في رسالة أو أنها مسجلة في شريط حتى نعود إليها وأن ندرسها لنكون أولاً على معرفة بها كما نطق بها صاحبها، وثانياً أن نكون دقيقين في نقدها.

وأنا حينما أقول ما قلت آنفاً بحق عن الجماعة السلفية فإنما أعني ذلك كدعوة، أما أن لا يكون فيهم أفراد قد ينطبق فيهم مثل هذا الوصف، فهذا لا يمكن إنكاره بالنسبة لأي جماعة مثل هذا الاقتصار على بعض الجوانب من الدعوة الشاملة العامة لا يمكن أن ننزه منها أي فرد من أي جماعة، فنحن نعلم مثلاً أن الدعوة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله سلم صافية نقية من السماء وربى أصحابه عليها، مع ذلك كان في هؤلاء الأصحاب أفراد لم يعملوا ببعض الجوانب من هذه الدعوة، فهذا لا يعني أنهم ما كانوا يتبنون الدعوة بشمولها وبكمالها، وإنما شأن الإنسان أن يخطئ، فإذا أخطأ فرد أو أفراد وخالفوا الدعوة في جانب من جوانبها، فذلك مما ليس بمسلم يخشى الله عز وجل أن يقلب حقيقة الدعوة التي يعلنها أصحابها لوجود أفراد يخالفونها في بعض جزئياتها، فإن التزم هذا المنسوب إليه هذا الكلام نسبة الجفاء والقصور في العبادة ونحو ذلك؛ بسبب انحراف أفراد عن المبدأ العام، فأظن أن أية دعوة ولتكن هي التي يدعو إليها هو لا بد أن يكون فيهم أفراد وأفراد كثيرون يخالفون ما يدعو هو إليه من الدعوة العامة الشاملة كما يترشح من كلامه، فهل نقول حينئذ: إذا كان هو يعلن أن دعوته عامة شاملة لكل نواحي الإسلام التي جاء بها

الكتاب والسنة أن نقول ليس الأمر كذلك لأنه قد يكون هو نفسه أو قد يكون هو غيره قد قصر فيما بعض ما يدعو الناس إليه، لا يكون هذا عدلاً، بل هو هذا عين الظلم، ونحن نقول هنا بقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة:٨].

هذا ما عندي جواباً عن هذا السؤال.

مداخلة: جزاكم الله خير.

الشيخ: وإياكم.

مداخلة: فيما يتعلق بهذا السؤال شيخنا، هل تظنون أن سلفياً يتبنى منهج الكتاب والسنة على فهم السلف أن ينقد الدعوة السلفية وأفرادها هذا النقد الجارح؟

الشيخ: والله هذا يحتاج إلى اطلاع على أسلوب نقده، أما على هذا العرض فيبدو أنه لا يكون كذلك.

مداخلة: جزاكم الله خير

الشيخ: تفضل.

مداخلة: إذا كان هذا الإنسان معلوماً بدفاعه عن عقيدة السلف ولكنه انتقد طائفة من الإخوة أنهم عاكفون على الكتب وغير مهتمين أو غير معطين الاهتمام الكبير لمسائل المسلمين العامة، فكيف يكون حاله شيخنا؟

الشيخ: يكون الحال كهو، إذا لم يهتم بالتحقيق الفقهي وبتصفية الأحاديث

الصحيحة من الضعيفة كيف يكون الحال؟

مداخلة: يعني يبقى قصوراً.

الشيخ: وهذا الذي قلته آنفاً.

مداخلة: نعم، جزاك الله خير.

الشيخ: وإياك.

(الهدى والنور /٦١١/ ٣٢: ٠٤ : ٠٠).

(الهدى والنور /٦١١/ ٠٨: ١٥ : ٠٠)

(الهدى والنور /٦١١/ ٤٣: ١٥ : ٠٠)

تهم وشبهات: السلفيون لا يهتمون إلا بالعقيدة

مداخلة: يشاع أو يتهم البعض السلفيين بأنهم مهتمين فقط في قضية التوحيد وخاصة توحيد الأسماء والصفات أكثر من غيره، فلماذا؟

الشيخ: هذا السؤال ألاحظ في الحقيقة أن فيه اعتزالاً وأرجو أن يكون السائل قد قصد ذلك ولم يكن منه رمية من غير رام كما يقال؛ لأنه جاء في ختام السؤال أكثر من غير ذلك.

فنقول: صدقت، وهل هذا خطأ أن يهتم الدعاة السلفيون بدعوة المسلمين إلى أس الإسلام ألا وهو التوحيد أكثر من غير ذلك مما هو دون ذلك بكثير؟ فهذا يعني: هو سؤال فيه إشارة إلى أن هذا خطأ، إن كان الأمر كذلك فالسائل هو المخطئ، لماذا؟ لو سألنا أي واحد من هؤلاء الذين ينقمون على السلفيين اهتمامهم بالتوحيد وما يتفرع منه من محاربة الشركيات والوثنيات والخرافات والعقائد الباطلة، إذا قلنا لهؤلاء المنكرين فأي شيء ينبغي أن نهتم أكثر؟ أنا أتحداهم أن يقولوا أن هناك شيء أهم من هذا، نعم يوجد هناك أشياء هامة وهامة كثيرة جداً وقد لا يستطيع أن يقوم بالدعوة إليها أو بفهمها شخص واحد بل ولا أشخاص بل قد لا يستطيع أن يقوم بها جماعة واحدة وإنما جماعات، وكما قيل:

العلـــم إن طلـــبته كثـــير والعمر عن تحصيله قصير

فقدم الأهم منه فالأهم.

فإذا كان الداعية السلفي لا يستطيع أن يبحث مثلاً في السياسة وفي الاقتصاد وفي ... الأشياء تسمى اليوم في العصر الحاضر والاصطلاحات لا يستطيع؛ لأنه لم يعط الإنسان قدرة تتسع وحافظة تتسع لكل ما يجب أن يعلمه جماعة المسلمين فيحيط به فرد من أفردهم هذا أمر مستحيل، والله عز وجل يقول: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

فإذاً: على كل مسلم أن يقوم بواجب من الواجبات خاصة إذا كانت واجبات عينية، فإذا انتهى منها قام بواجبات كفائية، أما لماذا فلان يعمل في كذا ولا يعمل في كذا؟ فهذا خطأ، من من الناس مهما أحسنتم الظن به يقوم بكل شيء يجب أن يقوم به المسلم؟ هذا أمر مستحيل خاصة في باب الفروض الكفائية، مثلاً: أولئك الذين نراهم يشتغلون مثلاً بالناحية السياسية الإسلامية زعموا لماذا لا يهتمون بإصلاح عقائد المسلمين؟ ويعيش الفرد الواحد منهم في حزبهم وفي جماعتهم بضع سنين أو أكثر، ثم يخرج بعد ذلك لم يفقه العقيدة.. لم يفقه معنى لا إله إلا الله التي فهمها العرب في أول الإسلام وهم لا يزالون في كفرهم وفي ضلالهم، لكنهم بعد أن فهموها كفروا بها كما قال الله عز وجل حكاية عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥].

المسلمون اليوم كثير منهم جداً لا يفقهون هذه الكلمة، فلماذا هؤلاء الذين يشتغلون زعموا بالسياسة ويشتغلون زعموا بالتربية، لماذا لا يعنون بإصلاح العقيدة، لماذا لا يعنون بتصفية الإسلام مما دخل فيه من أحاديث ضعيفة موضوعة، ومن عقائد منحرفة، ولماذا ولماذا؟ هذه أسئلة لا تنتهي أبداً.

نحن نكتفي بأن أمثال هؤلاء إذا عملوا بواجب نشكرهم على ذلك؛ لأن هذا

واجب من الواجبات الكفائية، ولكن بشرط أن لا يحاربوا أولئك الناس الذين يقولون عنهم بأنهم صرفوا حياتهم في ماذا؟ الدعوة إلى التوحيد، وهذا فيه شيء من الإنصاف وإلا كثيراً ما سمعنا بل رأيناه مطبوعاً على رسالة هناك في الأردن يقولون: وماذا عند السلفيين؟ سوى أن تحريك الإصبع سنة، وتعليق الساعة الدقاقة في المسجد بدعة، وهو هذا الذي يكتب هذا يعلم أن هؤلاء السلفيين يعالجون أهم قضية اليوم يحتاجها العالم الإسلامي ألا وهي: معرفة أولاً: توحيد الله عز وجل في عبادته وفي أسمائه وصفاته.

وثانياً: إفراد الرسول عليه السلام في إتباعه دون الناس أجمعين، هذا هو معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله.

السلفيون بفضل الله أنعم الله عليهم أنهم يدعون إلى هذا الإخلاص لله عز وجل في توحيده وإلى إفراد الرسول عليه السلام في إتباعه دون غيره، حتى الأنبياء والرسل فضلاً عمن دونهم من العلماء والصالحين.

ولعلكم تذكرون، والشيء بالشيء يذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند وغيره، أن النبي ﷺ: «رأى في يد عمر يوماً صحيفة يقرأ فيها قال: ما هذه؟ قال: هذه صحيفة من التوراة كتبها لي رجل من اليهود، فقال عليه الصلاة والسلام وهو غضبان: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ والذي نفس محمد بيده لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي» موسى لو كان حياً ما استطاع أن يتبع إلا الرسول عليه السلام.

من يتبع اليوم جماهير المسلمين؟ هل يتبعون الرسول عليه السلام؟ من المؤسف أن أقول بكل صراحة: خذ أي شيخ تعتقدون فيه العلم، قل له: صف لي كيف كان رسول الله يصلي حتى أصلي صلاته؟ إن كان منصفاً فسيبادرك

بالقول: أنا مذهبي شافعي، وإن كان حنفياً سيقول أنا مذهبي حنفي، إذا سألته عن أركان الوضوء وشروط الوضوء؟ سيقول: أنا حنفي هي أربعة، إذا كان شافعي فسيقول هي ستة، يا أخي! دلني كيف الرسول عليه السلام توضأ؟

لا يعرفون الرسول عليه السلام، وانقطعت الصلة مع الأسف الشديد بينه وبين الرسول فاتبعوا غير الرسول حقيقةً، بينما كان واجبهم أن يفردوا الرسول عليه السلام بالاتباع تماماً كما يفردون الله في العبادة؛ لأن هذا حق الله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا حق رسول الله ﷺ وهو اتباعه وحده لا شريك له أيضاً في هذا الإتباع.

لا نجد اليوم علماء المسلمين يخلصون للرسول عليه السلام في اتباعه، بل يتخذون معه أتباع كثيرين وكثيرين.. متبعين كثيرين وكثيرين جداً.

إذاً: نحن ندعو إلى تفهيم المسلمين حقيقة هذه الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلى أولئك الذين يشتغلون بما دون ذلك من الإسلام أن لا يحاربوا هذه الدعوة لأن دعوتهم لا تساوي كما يقول عندنا في الشام: قشرة بصلة، إذا لم يؤمنوا بهذا التوحيد الذي بينه الله تبارك وتعالى في كتابه وشرحه نبينا ﷺ في سنته، فربنا يقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥] ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥] اليوم مئات الألوف من المسلمين يصلون ليس فقط الصلوات الخمس، بل يصلون والناس نيام، يحجون إلى بيت الله الحرام وليس فقط حجة الإسلام بل قد يحجون في كل عام ومع ذلك ففي بيت الله الحرام نسمع الشرك يعمل عمله!

ما فائدة هذه العبادات إذا كان ربنا عز وجل يصرح في كتابه كما سمعتم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥] وقال عز وجل في حق الكفار:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

إذاً: نحن إن كان يجوز لنا أن نفخر بأننا ندعوا في أكثر أمورنا ودعوتنا إلى التوحيد وتوحيد الأسماء والصفات، إن كان يجوز لنا أن نفخر بذلك فنحن فخورون جداً؛ لأننا نحقق نصاً في القرآن: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[محمد:١٩] فعلى الآخرين أن لا يحاربوا هذه الدعوة، بل ينقادوا معها حتى يستفيدوا من جهود أخرى التي هي دون تلك الدعوة بدرجات سحيقة وسحيقة جداً.

(الهدى والنور / ٧٩٣ / ٤٤: ٢٨: ٠٠)

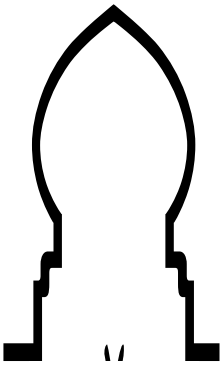

١٧

شبهة : أن الدعوة السلفية طريقها طويل لا ينتهي

تهم وشبهات: ماذا فعل منهجكم؟ ومتى الوصول؟

مداخلة: شيخنا! أيضاً يوجد إشكال يطرحه البعض في ظل هذه الظروف الأليمة التي يشعر بها المسلمون كلهم حقيقةً، يقول بعض الإخوة الذي نظن فيهم الخير والسداد لكن غمرة العواطف قد تنسي أحياناً بعض الحق، يقولون: ماذا فعل المنهج السلفي والتصفية والتربية التي دعا الشيخ إليها أكثر من خمسين عاماً في ظل هذه الظروف، وماذا قدمت للواقع الإسلامي وللشارع الإسلامي وكذا وكذا..

الشيخ: ما شاء الله.

مداخلة: إلى آخر هذا الكلام، فأجبناهم إجابةً تليق بالحال لكن حبذا لو نسمع كلام شيخنا في هذا..

الشيخ: والله أنا أخي .. أن أتكلم بهذا الصدد..

مداخلة: لأن هذا شيخنا شيء عام.

الشيخ: مع الأسف! لا، أنت على كل حال تعرف إذا كان ولا بد فلتتحدث لكن أنا أقول: سبحان الله! أن هؤلاء الناس يعني: إخواننا بلا شك مسلمون ولكنهم قوم لا يعلمون، لا يرجعون إلى أصول الشريعة وقواعدها: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي

الحوض» هؤلاء ما أدري! هل هم يجهلون أم هم يتجاهلون؟ هناك حقائق مرة مؤسفة يعلمها كل المسلمين المثقفين، خلاصتها: أن الإسلام اليوم هو غير ذاك الإسلام في ذاك اليوم الأول الأنور، ولئن جادل جاهل في هذه الحقيقة المرة فإننا نذكره: هل كان لذاك الإسلام في اليوم الأول مفاهيم متعددة ورسول ﷺ بين ظهرانيهم أم كان له مفهوم واحد؟ لا شك سيكون الجواب: ليس هناك إلا ما يقدمه الرسول عليه السلام إلى أصحابه الكرام، يعود السؤال نفسه: هل الأمر كذلك اليوم.. هل الأمر كما كان في ذلك اليوم في هذا اليوم، أم الإسلام له مفاهيم عديدة وكثيرة؟ أظن أيضاً سيكون الجواب مطابقاً للواقع ألا وهو: أن للإسلام مفاهيم كثيرة وعديدة، يكفي أن هناك ثلاثة مذاهب في العقيدة نجملها بمذهب أهل الحديث.. أهل السنة.. ومذهب الماتريدية.. ومذهب الأشاعرة هذا في العقيدة.

وعندنا مذاهب لا تقولوا أربعة، قولوا: أربعين وأكثر في المذاهب الفقهية؛ لأننا مثلاً أنا لا أستطيع أن أقول: إن أهل السنة والجماعة في التعبير العصري الذين يمثلهم المذاهب الأربعة أن هؤلاء فقط المسلمون وما سواهم من الفرق الأخرى وإن كانت ضالة عندنا لكننا ما نستطيع أن نصرح بإخراجهم من دائرة الإسلام مثلاً: الزيدية اليمانية ما نقول: هؤلاء ليسوا مسلمين لكن ليسوا على منهج السنة التي كان عليها السلف الصالح، كذلك مثلاً ننتقل إلى الإباضية الذي هم الآن في سلطنة عمان وغيرها في الجزائر يوجد منهم قسم كبير جداً، هؤلاء ما نخرجهم أيضاً من دائرة الإسلام، وقل كذلك عن الإمامية وعن الشيعة وإلى آخره، فالمذاهب الفقهية أكثر من الأربعة المعروفة اليوم عندنا.

ثم إذا انتلقنا من المذاهب الفقهية إلى المذاهب السلوكية أو التربوية

ونجمعها بكلمة الصوفية، أي: الطرق فحدث عنها ولا حرج وبخاصة أنهم يصرحون أو على الأقل بعضهم يقول: الطرق الموصلة إلى الله هي بعدد أنفاس الخلائق.

هذا هو الإسلام اليوم، ولا نريد أن نذكر بأن في المسلمين اليوم من يقول.. أن من يقول:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

يوجد من يقول اليوم: هذا مسلم، ولا نطيل الكلام لكن حسبي أن أقول: اليوم أكثر المسلمين من أهل السنة والجماعة.. أهل السنة والجماعة وأعني ما أقول يعني: من المذاهب الأربعة اليوم من يقولون دون أن يسألوا ولئن سئلوا أجابوا بما يقولون دون أن يسألوا: الله في كل مكان.. الله موجود في كل الوجود، هؤلاء الذين يسألون هذا السؤال هم إما جهلة أو متجاهلون، وكما يقال: أحلاهما مر.

نضطر مع الأسف الشديد أن نقول الآن جواب عن سؤالك: ماذا فعل الألباني؟ وطبعاً هم لا يقصدون الألباني وحده.. هو ومن جرى مجراه وسار مسيرته إلى آخره.. ماذا قدموا للمسلمين ماذا ماذا إلى آخره؟

نحن جوابنا: أولاً: جدلي، وثانياً: علمي، الجدلي: بمعنى نقابلهم بالمثل.. كل من يقول: ماذا فعل فلان وفلان وفلان؟ نقول له: وماذا فعل فلان وفلان وفلان؟ غيره ماذا فعلوا.. ماذا قدموا لرجل الشارع بالتعبير الأوروبي أيضاً هذا.. هذا تعبير أوروبي نحن لا نستحبه أبداً؛ لأن رجل الشارع عندنا يعني: الفكر العام وهذا لا قيمة له في الإسلام، أما عند الأوربيين يهمهم لأنه برلمان.. البرلمان قائم على ماذا؟ على الفكر العام.. انظر كيف يفكر الناس؟!

مداخلة: قائم على الشوارع..

الشيخ: لذلك نحن لا نقول قولتهم هذه إلا تذكيراً ثم تنفيراً، لكننا نقول: ماذا قدموا للمسلمين؟ الحزب الفلاني أصبح له قرابة قرن من الزمان، والثاني أصبح له قرابة نصف قرن من الزمان، ماذا قدموا بتعبيرهم المستنكر عندنا لرجل الشارع؟ ما قربوا سوى رغوة الصابون! رغوة الصابون فقاعات فارغة بدليل: يظل أحدهم لا يدري معبوده أين هو؟ ولئن سئل بسؤال الرسول عليه السلام للجارية: أين الله؟ قف شعر بدنه، قالوا: هذا سؤال أعوذ بالله.. هذا لا يجوز وهم يجهلون أن النبي الذي لا تصح شهادة المسلم لله بالوحدانية إلا إذا قرن معها شاهدته للنبي ﷺ بالنبوة والرسالة هو الذي سن للمسلمين هذه الكلمة: أين الله؟ فأنت إذا وجهت إليهم هذا السؤال قالوا: لقد قف شعري لما قلت ما هذا السؤال؟ لأنه يجهل أن الرسول قال هذه الكلمة.

ولو أردنا أن نعاملهم حسب لفظهم لعاملناهم بالمذهب الحنفي.. المذهب الحنفي له خاصية على المذاهب الأخرى وهو أنه واسع الخطو في التكفير مجرد ما مسلم يتكلم بكلمة الكفر انتهى هذا كفر! أما هل يعرف أنها كلمة كفر أو لا يعرف لا يدخلون في التفاصيل، هل قصد أم لم يقصد؟ لا يدخلون في التفاصيل.

قلت: لعاملناهم بالمذهب الحنفي، لكن لا نحن حنيفيون ولسنا حنفيون، لماذا؟ لأننا سنقول لهذا القائل: أنت تستنكر على الرسول ولا تدري يا مسكين! لو أنك أنكرت علي أنا لفظاً صدر مني لم أكن متبعاً فيه لنبيي لكان الأمر سهلاً جداً؛ لأنه أنا أتكلم ألفاظ كثيراً وكثيراً ما أعترف فوراً كما سمعتم آنفاً أن هذا اللفظ خطأ لكن أنت تنكر على الرسول عليه السلام وهذا لبعدك عن الإسلام.

فالآن: جماهير المسلمين يقولون: الله موجود في كل مكان، ماذا فعل الألباني

وأمثاله؟ لا يعلمون ماذا فعل لأنهم بعيدون عن الحرص على معرفة الإسلام الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام، أي: فهو يدعو إلى تفهم الإسلام على ما كان عليه سلفنا الصالح.. سلفنا الصالح ومن هذا السلف الجيل الأول الذي تربى على يدي الرسول ﷺ والذي في التعبير العصري الحاضر ولا أرى حرجاً منه: تخرج من مدرسة النبي ﷺ، كانوا يقولون: حتى الجارية راعية الغنم كانت تقول كما يقول رب العالمين في القرآن: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦] أم أأمنتم من في كل مكان؟ قال: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك: ١٦ - ١٧] فالجارية راعية الغنم لما الرسول عليه السلام سألها: « أين الله؟ قالت: الله في السماء» اليوم اسأل هؤلاء الذين يقولون: ماذا قدم الألباني وبقية الكلام عرفتموه.. قدم أنه حاول بهذا النصف القرن من الزمان أن يقدم للمسلمين العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، والحديث طويل في هذا.

ننتقل إلى نوع ثان: كل المسلمين على اختلاف حزبياتهم وتكتلاتهم ومذاهبهم وسلوكهم وإلى آخره كلهم يتفقون أن سنة الرسول عليه السلام قسمان: صحيح وغير صحيح.. صحيح وضعيف، ثم يختلفون في طريقة تمييز الصحيح من الضعيف، فكل المسلمين يقولون: طريق تمييز الحديث الصحيح من الضعيف هو الرجوع إلى علم يعرف بعلم الحديث أو علم مصطلح الحديث ويضم إليه علم الجرح والتعديل.. كل المسلمين هكذا يقولون والحمد لله لكن لعل هؤلاء الذين ينقمون علينا أننا لا نرفع أصواتنا بإثارة عواطف الجماهير ثم سرعان ما تنطفي لا نفعل فعلهم.

فنقول: نحن مع هؤلاء المسلمين في أن تمييز السنة الصحيحة من الضعيفة هو بالرجوع إلى علم الحديث وقواعده، فأقول: هؤلاء الذين يسألون هذا السؤال يجهلون أن فيمن يشهدون أنه من المسلمين وقد يكونوا من المتعبدين.. من المكثرين من النوافل.. يقولون: لا، طريق معرفة الصحيح والضعيف من الحديث ليس هذا هو الطريق وإنما الطريق هو طريق الكشف، أظن ما فيكم واحد يجهل ما هو طريق الكشف؟ فكلكم يعلم وقد يكون الجهل ببعض العلم هو العلم.

الكشف: هو أن الإنسان يغمض عينيه ويطفئ نوره ويزيد المكان الذي هو فيه ظلاماً على ظلام بأن يلقي رأسه بين ركبتيه مغمضاً عينيه مطفئاً النور المادي هذا ثم يراقب وينتظر ماذا ينزل عليه من الوحي الذي يصرحون بألسنتهم أنه لا وحي بعد رسول الله، ولكن يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ لأنهم يسمون هذا الوحي بالإلهام فهو ينتظر نزول الإلهام عليه أن هذا الحديث صحيح أو لا؟ ولذلك كثيراً ما يقولون: هذا الحديث وإن كان لم يصح عند علماء الحديث فقد صح عندنا كشفاً.

هذا وأمثاله يجهلون هذه الحقيقة المرة أنه توجد في جماعات ومشايخ ويصلون ويصومون ولكنهم خرجوا عن دائرة الإسلام باتخاذهم طريقاً كيفياً هوائياً لا ضوابط له.

تستطيع أنت أن تسأل من يشتغل بالحديث: لماذا هذا الحديث صحيح؟ الجواب المجمل الذي لا يحتاج إلى تفصيل: لأنه يا أخي! رواه البخاري ومسلم، الجواب التفصيلي: أنت درست علم المصطلح؟ رجال الجرح والتعديل إلى آخره؟ نعم.. هذا إسناده من كذا إلى كذا كل رجاله ثقات وعدول

وما فيه انقطاع.. ما فيه إرسال إلى آخره، وإذا قيل: هذا الحديث ضعيف، لماذا ضعيف؟ والله ضعفه الإمام البخاري مثلاً هذا كلام مجمل.. تفصيله: في سنده فلان ابن لهيعة مثلاً وهذا رجل فاضل وعالم لكن كان سيء الحفظ.

أما إذا سألت الذي قال لك: تلك الكلمة الخطيرة: هذا الحديث وإن كان ضعيفاً عند علماء الحديث فقد صح عندنا كشفاً كيف سيكون معك؟ يقول لك: يا أخي! ادخل أنت في الطريق حتى تصبح مثلنا وحينئذٍ من لاقى عرف.

هذا كله موجود في العالم الإسلامي وهؤلاء الذين لا يشتغلون بالعلم الشرعي لا يعلمون هذا الواقع ثم ينكرون أهمية تصفية الإسلام من العقائد السيئة المخالفة لشريعة الإسلام الأولى، ولا يهتمون بتصفية هذا الإسلام من الأحاديث الضعيفة الموضوعة، فماذا فعل الألباني وأمثاله؟ إنهم قوم لا يعلمون.

ثم هناك في التصوف انحرافات خطيرة جداً تتعلق بالعقيدة، وتتعلق بالعبادة، وتتعلق بالسلوك، فكثير منهم من يصوم الدهر والحديث الصحيح يقول: «من صام الدهر فلا صام ولا أفطر» كثير من هؤلاء الشباب الذين يقولون: ماذا فعل الألباني وأمثاله؟ يتعبدون.. يجتمعون في المساجد ليلة الجمعة يحيونها ورسول ﷺ يقول: «لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام ولا نهارها بصيام» إنهم قوم يجهلون، ماذا فعل الألباني؟ ما عرفوا ماذا فعل؛ لأنهم لا يريدون أن يفعلوا وأن يعلموا.

فماذا يقول الإنسان وهو يتحدث عما يفعل وهذا ما هو أمر مستحسن عادةً ولكن كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى:١١] وبخاصة إذا جاء سؤال محرج كهذا، فجوابنا: أننا نحن نحاول أن نعود بأنفسنا أولاً ثم بغيرنا ثانياً إلى ما كان عليه السلف الأول من الفهم الصحيح للإسلام لما فيه من عقائد وأحكام وسلوك، وهذا لا يمكن إلا بوضع نظام لمعرفة الصحيح من الضعيف

من الأحاديث ونحن على هذا ماضون، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل منا عملنا هذا المتواضع ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أما الآخرون فقد أشبعوا الأمة صياحاً وزعاقاً ثم تعبيراً على النظام العسكري: مكانك رواح، يعني: ما في تقدم إطلاقاً.. مكانك رواح لا تقدموا علماً ولا تقدموا سلوكاً سوى صياحاً وزعاقاً، والله المستعان.

(الهدى والنور/٤٦٥/ ٠٥ : ٢٦ : ٠٠)

تهم وشبهات: الطريق السلفي لإقامة دولة إسلامية طويل يحتاج إلى سنوات بل قرون

الشيخ: يوم نحن نعود مؤمنين حقاً يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله والله ينصر من يشاء، الآن لا بد من أن نذكر ببعض المشاكل التي يقع فيها العالم الإسلامي كلاً ونحن جزء منه بحديث أو بحديثين، ننظر نحن هل انطبق هذا الحديث علينا أم لا؟ قال عليه الصلاة والسلام: « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» أظن هذا الحديث لا بد قرأته وسمعته إلى آخره.

مداخلة: نعم.

الشيخ: ما رأيك! أليس يصدق علينا هذا الحديث بكل فقراته: « إذا تبايعتم بالعينة» وهو نوع من أنواع الربا، واليوم الربا فاشٍ من الدولة إلى الشعب صحيح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب! « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر » أي: اشتغلتم بالدنيا: الزرع والضرع وإلى آخره «وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله» نحن متى تركنا الجهاد في سبيل الله، اليوم؟ من

زمان أليس كذلك؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب! «وتركتم الجهاد في سبيل الله» إذا شرطية في اللغة العربية إذا فعلتم كذا وكذا وكذا، ما هو الجواب: «سلط الله عليكم ذلاً» أي: اليهود «لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» لذلك بارك الله فيك الهوينى الهوينى، لا تطلب مجاهدة اليهود:

وجاهد النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

نحن لازم الآن نتهم أنفسنا، نحن نعتقد أننا نحن ما سلط الله علينا اليهود الذين هم أذل الأمم بنص القرآن الكريم، وإذا نحن صرنا تحت أذل الأمم، ترى! هل ربنا ظلمنا؟ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[النحل:١١٨] ولذلك إذا كان الرسول عليه السلام يقول بلسان عربي مبين: إذا فعلتم كذا وكذا وكذا «سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» نحن نريد أن نرفع هذا الذل الذي ران بنا وحل علينا، فما هو العلاج؟ مذكور في الحديث الرشدة واضحة وبينة، ولكن مثلنا نحن مثل المريض الذي يقف على يدي طبيب... ويقدم له الرشدة واضحة، يأخذها ويضعها على الرف بدل ما يعالج نفسه ويعمل ويطبق هذه الرشدة، وإذا هو يزداد مرضاً على مرض حتى يأتيه الهلاك وهو عنده رشدة.

وهكذا نحن مثلنا اليوم، فالرسول ﷺ بما جاءنا من الهدى والكتاب المبين المنير قد وصف لنا العلاج: أن هذا الذل إذا وقع فلا يمكن أن يرفع إلا أن ترجعوا إلى دينكم، فإذاً الوصفة موصوفة وما علينا إلا أن نطبقها.. تطبيقها الآن أقول بالتعبير السوري: تريد هز أكتاف.. تريد عمل، لا يكفي ..

مداخلة: أنت قاعد تقول: اهدأ قليلاً.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أنت الذي تتبنى وجهة النظر على مهل أيضاً ستمائة.. سبعمائة سنة، نحن نقول لك: دعنا نهز أكتافنا، أنت الذي تقول: لا.

الشيخ: أنا أقول لك هذا؟

مداخلة: أنت تقول: اتركوا العواطف.

الشيخ: هذه مشكلة كبيرة، أنا أقول: تريد هزة أكتاف، يريد عمل بالكتاب والسنة.

مداخلة: شيخ لو سمحت لي ... الذي أسس الحركة الصهيونية لو سمحت لي مات وهو عمره (٣٤) سنة، هو الذي تبنى حركة المؤتمرات الصهيونية إلى الآن كل شيوخنا في المساجد يقفوا ويقولوا: اللهم عليك بالصهيونية، واحد عمره (٣٤) سنة.

الشيخ: ماذا نريد بهذا الكلام بارك الله فيك! عندنا الرشدة عندنا الوصفة دعنا نطبقها، دعنا نتفق أن نطبق هذه الرشدة الإلهية وفقط، ماذا يهمنا نحن اليهود وكذا وكذا، نحن نعرف ما وصلوا لاحتلال فلسطين إلا بعد تخطيطات دقيقة ودقيقة جداً هذا شيء معروف، لكن ما هو الحل عندنا نحن، ما الذي يجب علينا أن نفعل؟ أن نتحرق ونتباكى ونهز أكتاف، وأننا نريد أن نقاتل ونجاهد، وبعد ذلك لا يكون باستطاعتنا أن نجاهد، لماذا؟

مداخلة: سيدي الشيخ.

الشيخ: لا إيمان ولا إعداد.

مداخلة: لن أجاملك أنت قلت في البداية: أن اترك البحث لذوي الاختصاص.

الشيخ: نعم.

مداخلة: وأنا أريد أترك البحث لذوي الاختصاص.

الشيخ: جزاك الله خير.

مداخلة: نحن كرعية نسير خلف علمائنا.

الشيخ: ممتاز.

مداخلة: إذا في مثل هذا المأزق الذي عشنا فيه وجدنا أن كبار علماء الأمة كل واحد يلاحق أكياسه بدءاً من الرأس من يقال عليه الآن رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رئيس هيئة كبار العلماء عبد العزيز بن باز بماذا أفتى؟ أنا ما هو علمي مقارنةً بعلم عبد العزيز بن باز؟ ما هو علمي مقارنةً بعلم فضيلة شيخ الأزهر؟ عندما يقفوا ويبيحوا أرض الإسلام للكفر، أذهبوا أنتم اجتمعوا في إسطنبول بعد شهر أو شهرين وأنا أتكلم عن الشريط، اذهبوا اجتمعوا بعد شهر أو شهرين في منظمة العالم الإسلامي وأنتم العلماء أنتم أهل الاختصاص اطلعوا ونحن نأثم إذا لم نلتزم، لكن إذا أنتم مع بعض لستم متفقين.

الشيخ: رجعنا يا أستاذ إلى لغة العواطف رجعنا لغة العواطف يعني الآن: أنت تضع المسؤولية على العلماء.

مداخلة: مائة في المائة.

الشيخ: أرجوك ...

مداخلة: والله لو كان الأمر بيدي لأجلدهم في الشوارع كلها؛ لأنه عندما أقعد

أنا في الجامع أنا مسكت الشيخ الدكتور عزت العزيزي ومسكت علي الفقير قلت له: يا رجل! أنت قاعد تقول صدام يبيدهم في البيداء، وغداً ما صار ... والله جلست في مكتبي إلى الساعة الثالثة صباحاً وأنا أحسب فيها.. أنا مهندس طيران أحسب، تتذكر أم محمد ونحن نتكلم، أحسب فيها كيف ممكن نحن لو أوكلت مهمة لي أنا مهمة حساب الذخائر الذي أريد أركبها على الطائرات ماذا يمكن أن أفعل؟ طلعت أنه كلام فارغ ليس فيه فائدة، ذهبت إليه اتصلت عليه وهو في بيته قلت له: أنا سآتي إليك يا أبو أسامة، قال: تفضل! ذهبت قلت: يا رجل لا يصلح يكون عندك خمسة آلاف.. ستة آلاف مصلي تقف تقول: صدام يبيدهم في البيداء تجتمع ملة بني الأصفر ولا أدري من على رجل من آشور، ... الجمعة الثانية – هذا الصدق الدكتور عزت – الجمعة التي بعدها من درجة حرارة مائة في المائة غليان إلى درجة عشرة تحت الصفر تجمد.

مداخلة: هذا الشيخ الذي ينبه عليه.

مداخلة: قلت له: ليس هكذا.. أنت نقصت من درجة الغليان إلى درجة التجمد، يا فضيلة الشيخ! أنتم علماؤنا، وعمر بن الخطاب عندما قال: اللهم هب لي إيماناً كإيمان العجائز من أجل يتهرب من الحساب من أجل يصلي على الفطرة.

الشيخ: قال هكذا يعني.

مداخلة: نعم هكذا سمعنا هكذا قرأنا علمونا في المدرسة.

الشيخ: طبعاً من مشايخكم.

مداخلة: أما أنتم عندما تكونوا علماء الأمة، يا أخي اذهبوا اتفقوا في الأول أنتم مع بعض وتعالوا علينا نحن الأميين دينياً دعنا نلحقكم أفتونا، أما إذا أنتم

عاجزين عن الاتفاق لا تعودوا تتهمونا عاطفياً، يعني: ماذا لو أتيت أقول لك ضع لي أنت خطة أظل أنتظر حتى تولد عشرة أجيال وأربيهم، وبعد ما أربيهم أمشي على خطتك هذه! لماذا؟ ما أمشي على خطة صلاح الدين، جز الرقاب وأصلح الأمور وانتهينا! وجاهز الذي تريد أن تعمله.

الشيخ: مسكين! من الذي يريد يجز الرقاب؟

مداخلة: لظرفنا الحالي، هل نحن مكلفون.

الشيخ: الجبان.

مداخلة: أي جبان؟

الشيخ: هذا يريد يجز الرقاب الجبان.

مداخلة: الجبان ما يعمل شيء.

الشيخ: أنا أسألك: قل لي: لا.

مداخلة: لا.

الشيخ: طيب! الكافر قل: لا.

مداخلة: لا.

الشيخ: المؤمن؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: أنت أنكرته تلك الساعة.

مداخلة: كيف أنكرت؟

الشيخ: نسيت، ولذلك اترك لغة العواطف اتركها يا أستاذ، لغة العواطف لا تقدم ولا تؤخر أبداً.

مداخلة: أنا أريد معك إذا كان من أجل نفهم لغة بعضنا، في نقص في التعبير عندي أقول أتهم نفسي نقص في التعبير لست قادر أن أجعل نفسي ... عندك.

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

مداخلة: وإلا نحن متفقين على الهدف ومتفقين على.. يا شيخ! شيء يحز في النفس عندما تأتي تطلع.

الشيخ:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء:١٢٣] أنا الآن تلوت على مسامعك الحديث وآسف جداً جداً أن أقول لك: أنت ما اتفقت معي على الحديث، رد رجعت.. مثل ما قال المثل: رجعت حليمة إلى عادتها القديمة، رجعت للعواطف الجامحة التي لا يمكن أن تثور دولة بحق على دولة كافرة مستغلة، الرسول وصف لك الداء ووصف لك الدواء، يا رجل اجعل نفسك أنت مع الدواء، اترك هذه اللغة لا تفيدك لا أنت ولا غيرك.

الآن كم ستثور أنت، وكم يثور معك أناس؟ مثلما يخطب صاحبك الشيخ علي الفقير، ستجد المسجد كله ثار وبعد ذلك رغوة صابون ولم يكن شيء، ما هو السبب؟ ما في إيمان كذاك الإيمان الذي نسبته لعمر الخطاب كإيمان العجائز.. عمر الخطاب إيمانه كإيمان العجائز؟!! سامحك الله! هذا هو العلم الذي أنتم تتلقونه.

مداخلة: طيب! .. يا شيخ ألم يقل عمر الخطاب: اللهم هب لي إيمان كإيمان العجائز؟

الشيخ: لا لم يقل، انظر عمر الخطاب بهذه المناسبة بارك الله فيك! أنت بتلك الساعة ولا تزال يبدو أنك تدندن حول الساعة حول الأولويات، الأولويات اليوم وأنت تبين أنك جندي وطيار متحمس، أريد أن أسألك سؤال أتعلمه منك: عندما تكون المعركة قائمة بين المسلمين والكفار، المسلمين ليلاً نهاراً بدهم يبقوا عائشين، أو في ساعات راحة ساعات استجمام، ما هو رأيك؟

مداخلة: في المعركة يعني؟

الشيخ: في المعركة، أنت تعرف المعركة لا تدوم ليلاً نهاراً.. ليلاً نهاراً.. ليلاً نهاراً، لا أكل ولا شرب.

مداخلة: ... يا شيخ! .... يحارب وينام ويأكل و ...؟

الشيخ: هذا هو، ففي شيء يعني: من الراحة أو لا؟

مداخلة: طبعاً.

الشيخ: في وقت الراحة في أولويات؟ فكر جيداً.

مداخلة: وقت الراحة.

الشيخ: فكر جيداً وأنا لك ناصح ومذكر.

مداخلة: الذي يشعر بالنعاس يذهب ينام، وأنا أنظر إلى العديد من طلابك حواليك يتهامسون.

الشيخ: أنت بارك الله فيك.

مداخلة: ... أنهم ... على هجماتك الصاروخية.

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله.

علي الحلبي: شيخنا من الاصطلاحات الصاروخية.

الشيخ: الصاروخية نعم.

مداخلة: مهندس الطيران يعني.

الشيخ: نعم، يعني أعود وأقول: الذي لا يأتي معك اذهب معه، أنت لست راضياً أن تمشي معي، عمر بن الخطاب تعرف عندما جرح مسكوه، محمول إلى بيته وهو جريح والدماء تسيل منه يقع بصره على إنسان ثوبه طويل يقول له: يا غلام! أقصر من ثوبك فإنه أتقى وأنقى، هذه أولوية هذه؟! هو سيموت، انظر حسب علمك وفقهك: هذه أولوية؟

مداخلة: ليس عندي لا علم ولا فقه، أنا عندي.. سأحسب لك التجارة، وسأحسب لك ..

الشيخ: الغرض بارك الله فيك! الغرض يقولوا عندنا في الشام: كل ساعة لها ملائكة صحيح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: كل ساعة لها ملائكة، الآن يصح أن نهجم على اليهود بهذه اللحظة.

مداخلة: لا.

الشيخ: ماذا نفعل؟ بهذه اللحظة ماذا نفعل؟

مداخلة: ... لكن الأخطاء من زمان يا شيخ.

الشيخ: لكن.

مداخلة: الأخطاء من زمان.

الشيخ: أعلم لكن الآن نتكلم بهذه الجلسة هذه.

مداخلة: كيف نتركها والهجوم علينا من كل جهة على وطننا على ديننا، على أطفالنا.. على قوتنا بنفضل رافعين أيدينا ومسلّمين.

الشيخ: ماذا متفق أنت والأستاذ مع ...

مداخلة: لا متفقين ...

مداخلة: ... متفقين ... متفقين.

مداخلة: يا شيخ.

الشيخ: ماذا تريد أن نفعل يا أستاذ؟ اهجم قم بهجوم على اليهود مع الذين هجموا.

مداخلة: أنا أردت راعي يوجهنا.

الشيخ: وجهناكم لم تقبلوا.. وجهكم نبيكم لستم راضيين، أنا أريد أوجهكم أنا .. ألباني أتيت اعتديت على أرضكم هنا، لكن نبيكم يقول لكم: «حتى ترجعوا إلى دينكم» ماذا تريدون أنت تفعلوا أكثر من هذا؟

مداخلة: أطلب ... أيضاً ... رجال العلم ورجال الدين.

الشيخ: .. من سيد العلماء رسول الله يقول لكم: إذا فعلتم هكذا وهكذا وهكذا: «سلط الله عليكم ذلاً» هذا وقع، ما هو العلاج؟ ترجعون إلى دينكم.. لن ترجعوا إلى دينكم، في ربا؟ في ربا، في فحش، في فسق، في فجور، في زنا،

في بارات؟ في في إلى آخره، تريدون أن تقاتلوا اليهود أنى أن تقاتلوا اليهود، ماذا تريد توجيه أكثر من هذا؟ ارجعوا إلى دينكم: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧].

مداخلة: والله في الوقت الحاضر ... أنه يستشهد ويجاهد أي واحد مستعد يقدم روحه وكل ما عنده من أجل؛ لأنه وصل إلى مرحلة الخطر، أصلاً لا يوجد أمان على حاله وعلى هذا الذي يعيش عنده حتى.

الشيخ: الله المستعان.

مداخلة: الذي يريد يوصل إليه الشيخ لن يغير الله قوماً حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الشيخ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١] أنت تضم صوتك لصالح الأستاذ هنا حماس غير مدعم بعلم، لا مدعم بعقل، ولا مدعم بعمل ولا مؤاخذة؛ لأن النفاق لا يجوز في الإسلام، أنت تقول: كل الناس مستعدين هؤلاء الفساق الفجار هؤلاء يمكن يقفوا حجر عثرة في طريقك أنت لو كان عندك استعداد فعلاً أن تقاتل، مع من نتكلم تلك الساعة وأنت موجود إيمان لا يوجد، استعداد مادي لا يوجد، بماذا ستقاتل؟ بنظارتك، بسلاحك أين السلاح؟

مداخلة: الكبير والقائد يجب أن يوجهني.

الشيخ: أين الكبير؟ الكبير هو رئيسك حاكمك، أين الكبير؟ أنت في نفسك الآن أنت وأنت وأنت وإلى آخره ماشيين في حدود الشرع؟ الأمير الكبير لا يقول لك: لا تصلي، لا يقول لك: لا تحافظ على الصلاة في أوقاتها، لا يقول لك: أخرج زوجتك متبرجة كالأوروبيات أو الإفرنجيات وإلى آخره، مع ذلك الشعب

كله الآن إلا ما شاء الله وقليل ما هم خارجين عن الشريعة، أين تتكلمون أنتم عائشين في أحلام تريدون النصر، النصر مشروط: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧] إذا لم تنصروا الله لن ينصركم هذه حقيقة، لكنكم قوم تتجاهلون الحقائق، تقول أنت الآن وما أدري ماذا تقول؟ الشعب مستعد أنه يفدي بروحه وأمواله كلها، كلام فاضي هذا أي شعب؟ أنا أسألك الآن أكثر الشعب صالح أم طالح؟

مداخلة: طالح.

الشيخ: الشعب الذي تثني عليه أنت صالح أم طالح؟

مداخلة: في في.

الشيخ: في، انظر لا يجاوب صالح أم طالح؟ في هذه الكلمة في أنا لا أعرفها؟ كلمة في أنا لا أعرفها في، أنا أسألك سؤال محدد أنت وهو وهو وهو وإلى آخره لا توجد أجوبة لماذا؟ لأنكم لا تريدون أن تعالجوا أنفسكم بالرشدة النبوية، مكانك راوح خليك لأرضك على ..

مداخلة: ما هو المطلوب؟ نحن نحكي وجهة نظرنا لازم ..

مداخلة: لو سمحت تضع لنا خطوات.

الشيخ: حسناً حسناً، الآن عرفت الطريق فالزم، المطلوب: أن تتعلموا وأن تعملوا، ماذا هل أخطأت معك الجواب؟! أن تتعلموا وأن تعملوا.

مداخلة: لكن أنت قلت له: اذهب حرر الضفة.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أنت بطريقتك هذه قلت له: اذهب حرر فلسطين.

الشيخ: لم أفهم.

مداخلة: أنت قاعد تقول لي: اذهب حرر واحدة واحدة..

الشيخ: لم أفهم.

مداخلة: يقول لك: قاتل قاتل ...

مداخلة: يعني: أنت تقول لي: تعلم واعمل.

الشيخ: نعم.

مداخلة: تعلم واعمل.

الشيخ: نعم، هل لك اعتراض على الكلام؟

مداخلة: لا، هو هذا الأصل.

مداخلة: يريد أسرع يا شيخ.

مداخلة: يعني: أنت طريقك والله طويل كثير يعني: أكثر ما ..

مداخلة: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

الشيخ: الله أكبر! لا، دعنا نسمع منه: ما هو الطريق القصير؟ نحن لا يوجد عندنا غير الطريق الطويل، أعطونا ننظر الطريق القصير.

مداخلة: ... كله ليس داخل مخي، دعني أسألك يا شيخ! عندما ذهبوا وجلسوا في مفاوضات كامب ديفيد.

الشيخ: لا أريد أخي هذا الكلام أنا لا أريد، الكلام السياسي هذا.

مداخلة: ليست سياسية.

الشيخ: لا يحل ولا يربط.

مداخلة: لا، أريد أن أريك كيف اليهودي يطبق، وأين أنا من التطبيق.

الشيخ: يا حبيبي! أنا قلت لك: هؤلاء لم يصلوا إلى هنا إلا اشتغلوا ليلاً نهاراً، نحن الآن ماذا نفعل؟ ومن أين نبدأ الله يهديكم يا جماعة! من أين نبدأ من الجهل أم العلم؟ الآن ستقول: العلم، طبعاً! من الكفر أو من الإيمان؟ ستقول: من الإيمان وقلتها سابقاً، طيب! إذاً امشوا يا جماعة علم وإيمان، والإيمان دائماً مقرون بالعمل: ﴿وَالْعَصْرِ- * إِنَّ الإِنسَيانَ لَفِي خُسْرٍ- * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١ – ٣] الآن أنا أقول لك بكل صراحة: أنا.. أنت.. وهذا قريبنا العبديني، أنا أنصحكم أنتم لا تنصحوني نظرت الفرق، أنا أنصحكم أنتم لا تنصحوني، أنصحكم لا تقبلون نصيحتي، لا تنصحوني لأقبل نصيحتكم تقول: هذا الدرب طويل وأنا والله سأشهد لك وأوقع لك على بياض درب طويل وهذا هو درب الإيمان والإسلام، طيب! دلونا على الدرب القصير لا تدلونا، ماذا نفعل معكم؟

مداخلة: والله كلامكم أنا لست مضبوط؛ لأن محمد ﷺ خلال (٢٣) سنة من منتهى الجهل الكامل إلى السيادة الكاملة، أنتم تريدون (٢٣) قرن على طريقتكم.

الشيخ: أحسنت، وأنت منا أو خارج عنا؟

مداخلة: أنا معكم.

الشيخ: طيب!

علي الحلبي: صلاح الدين أنت ذكرت قبل قليل، صلاح الدين يعني: جاء بمكنة تفريخ، أو بعد أكثر من مائة عام، بل بعض الروايات تقول: مائتي عام حتى وجد صلاح الدين في بيئة إسلامية مائتي عام والقدس في أيدي الصليبيين.

الشيخ: الله أكبر! لا، لكن أنا أريد الجواب هذا يا جماعة.

مداخلة: تفضل يا شيخ!

الشيخ: دعوكم معي، دعهم يدلونا على الطريق القصير، الطريق القصير ما هو؟ طريقنا طويل صحيح صحيح مليون مرة، ما هو الطريق القصير الذي يوصلنا إلى الهدف المنشود، ومتفق عليه لدى جميعنا ومنشود، ما هو هذا الطريق القصير؟ بدون الإيمان؟ قلت لي: لا، بدون العلم؟ قلت لي: لا، إذاً.

مداخلة: بدون إيمان وبدون علم كيف.

الشيخ: أسألك: أنت تقول: لا لا، إذاً هذا الطريق الطويل يحتاج إلى إيمان وعمل، فالطريق القصير إلى ماذا يحتاج؟

مداخلة: إيمان وعمل.

الشيخ: طيب! ما هو؟ يا الله يا جماعة قوموا يقولوا عندنا في الشام: طلعة ثقيلة.

علي الحلبي: شيخنا هو يريد يفكر يعني: الله يجزيه الخير لا يريد أن يجاوبك وهو مستعجل، يطول في الجواب.

الشيخ: لا، نخاف نضايقه في الحقيقة.

مداخلة: أحكي لفضيلة الشيخ والله أول شيء: لقاء مبارك ...

مداخلة: الله يبارك فيك.

الشيخ: بارك الله فيك.

مداخلة: وأنا أريد أشكره أيضاً على رحاب صدره تحملنا، الذي يتكلم ... بهذه الطريقة يا شيخ، قالوا للمسمار: مالك لماذا تدخل في الجدار؟ قال: أسألوا المطرقة!

الشيخ: لا، هذه ليست صحيحة، لا لا، نحن نحكيها لك عربية، قال الحائط للوتد: لماذا تشقني؟ قال: سل من يدقني.

مداخلة: شيخ عندما يعني: تأتي تنظر قليلاً، أذكر صار موقف مرة أخبرونا أنه يوجد طيران معادي، في مثل هذه الحالة يحكي أولوا الأمر أنه يقلعوا طيارتين أو ثلاثة أو الذي هو، فالطيار من حماسه ركن على الطيارة لازم الفني يشغل له الطيارة، وبعد ما يشغل له الطيارة والطيارة المحرك تبعها يصل عدد الدورات عنده عدد معين يعطي إشارة للفني أنه دع الكبرسر من تحت يدع الكبرسر يطلع الطيار، الطيار من حماسه لم ينتظر.

الشيخ: هذا هو.

مداخلة: ... طالع إلى حين طلع الفني رأى الطيارة آتية علينا مع الأرض طلعت الطيارة إلى حين أتينا إلا ... الكبرسر طالعة مع الطيارة، طيب! الطيارة أصبحت في الجو والقطعة معها، وهذه إذا نزلت وضربت في المدرج كل الطيارات ..... ما هو الحل؟ قلنا: هدءوا الطيارات في الجو بالأول واجعلوها كلها تنزل وبعد ذلك هي تنزل، الشاب يا شيخ هو عندهم حماس، أحب أكد لك عندهم أيضاً يمكن علمهم الدنيوي ليس علم الآخرة، لكن نحن نقول: أنه في مثل هذه المحنة التي مرت فيها الأمة.. علماء الأمة هم المفروض يتحملوا

المسؤولية، أنا عندما أقول...

الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله!

مداخلة: وإلا استمع هنا لفتوى، وأقرأ في جريدة الشرق الأوسط عبد العزيز بن باز يصدر فتوى ثانية، وجريدة الأهرام الشيخ الأزهر يصدر فتوى ثالثة، نحن أين نذهب؟ نحن الذين لا نعرف ما هو الذي ينقص ونفتي.

الشيخ: هذه واحدة.

مداخلة: ماذا نفعل نحن؟

الشيخ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].

اصبر لي قليلاً، أريد أن أقول نكتتين مع النكتة الطيارية هذه.

... يتكلموا أن رجل أعجمي مثلي، لكن لغته ثقيلة قليلاً بالعربية وجد يهودي في الطريق وهذا الأعجمي المسلم متسلح الخنجر مسك اليهودي من تلابيبه قال له: والآن أسلم وإلا سأقتلك، قال له: أطيعك ماذا أفعل؟ قال له: والله ما أدري، هذه واحدة، وأليق منها بالقصة التي حكيتها لنا قال: اجتمع سوري ومغربي يتكلمون مع بعضهم البعض، والسوري هذا يمجد المغاربة بصورة عامة أنكم أنتم جماعة طيبين وصالحين ويثني عليهم كثيراً كثيراً جداً، لكن في نهاية المطاف قال له: لكن فيكم شيء واحد، ذاك ما كاد يسمع الواحدة هذه إلا انتفض قال له: ما هي؟ قال له: هذه هي.

فنحن هذه مشكلتنا عواطف جامحة تعمي علينا قلوبنا وعقولنا ونريد ماذا؟ ننتصر على أعدائنا: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنون:٣٦] الطريق طويل

طويل لا إشكال ولا بد منه، أنا أذكر لإخواننا في مثل هذه المناسبة بيت شعر لامرئ القيس رجل جاهلي ومعروفة قصيدته:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقين بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

انظر هذا الجاهلي العاقل هذا عاقل أو ذكي مثل ما نبهنا بعض إخواننا الله يجزيه الخير؛ لأن الكفار قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك:١٠] لكن الكفار اليوم جاؤوا بأشياء عجيبة جداً هذا يدل على ذكائهم لا يدل على عقلهم دائماً نحن نقرر هذه الحقيقة.

فالشاهد: هذا الجاهلي امرؤ القيس رجل ذكي خرج مع صاحبه يطلب الملك ويستعين بالفارس، فبكى صاحبه في الطريق، قال له: لماذا تبكي؟ إنما نحاول ملكاً أو نموت بدون ما نصل للهدف فنعذر، وما هو الذي يريد أن يصل إليه؟ إقامة الدولة المسلمة والقضاء على اليهود؟ لا يكون أمير أو وزير أو نحو ذلك، قال: نحن ما دام نسير في الدرب فإما أن نصل إلى الملك أو نموت فنعذر.

فنحن معشر المسلمين يجب أن نسير على الطريق المستقيم، والآن: يذكرني الأخ بذاك الحديث الذي له تفصيل وهو يعني: مطبق على هذه الجلسة علينا تماماً تمام التطبيق ولعلها خاتمة المجلس.

الرسول ﷺ كان جالساً على الأرض، وأرضهم بطبيعة الحال أرض رملية ترابية ليست مبلطة ولا أسمنت ولا فيها الأشياء هذه كلها: «فخط على الأرض خطاً مستقيماً بين، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] وخط على جانبي الخط الطويل خطوط قصيرة» أي: طريق طويل وطريق قصير «وقال: هذه طرق» هذا الخط الأبيض هو الخط المستقيم هذا الخط هكذا وهكذا ومن هنا وهنا خطوط قصيرة، قال: «وهذه طرق،

وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه، فقال عليه السلام: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]» .

لذلك نحن سنمضي على هذا السبيل الطويل الطويل فإما أن نصل إلى الهدف المنشود وهو: إقامة الحكم الإسلامي والقضاء على اليهود، وأن تعود القدس هي البلدة الثالثة كالحرمين الشريفين إلى آخره، وإما أن نموت فنعذر، إذا نحن نمشي على الخط المستقيم، أما الطرق القصيرة هذه أولاً: تخرجنا عن الخط المستقيم، ثم كل ما مشيت خطوة كلما ابتعدت عن الخط المستقيم، فلا وصلنا ولا عذرنا عند ربنا تبارك وتعالى، إذاً: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا.. وأن يثبتنا على الصراط المستقيم إلى أن نلقى وجهه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأخيراً: معذرةً؛ لأني فعلاً يعني: أعتقد أنك بليت الليلة بنا، لكن من صبر فإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

مداخلة: يعني: من باب الذكرى أيضاً: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾[يونس:٤٦].

الشيخ: الله أكبر، نعم والله.

مداخلة: هذا خطاب من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام.

الشيخ: عليه الصلاة والسلام.

(الهدى والنور / ٥١٧ / ٤٢: ٠٠ : ٠٠)

(الهدى والنور / ٥١٧ / ٢١: ٣٣ : ٠٠)

دفع شبهات عن الدعوة السلفية
أنهم سلكوا الطريق الخاطئ وأضاعوا الوقت فيما لا فائدة فيه

السائل: شيخنا الفاضل، أريد أن أجعلك على بينة على الدعوة السلفية في العراق فالدعوة السلفية هي كما تعلم أنها دعوة توحيد الله وهي دعوة الأنبياء والرسل إلى جميع الأقوام وهؤلاء الأنبياء والرسل تعرضوا من أقوامهم ما تعرضوا، ونحن اليوم نحاول أن نتمسك بهؤلاء السلف الصالح من الأنبياء والرسل ومن اهتدى بهديهم وصحابتهم، وهناك من يحاول متعمداً أن يهدم هذه المحاولات وكثيرون جداً ومن بينهم النصارى وبعض إخواننا المسلمين الذين غرتهم الحياة الدنيا فتفرقوا إلى شيع وأحزاب، ومن بينهم عندنا في العراق جماعة الإخوان المسلمين الذين يظهرون لنا أنهم الآن على عقيدة السلف ويسلكون منهج الحزبية والتحزب، ويتهموننا بأننا قد أسقطنا أو أضعفنا فرضية الجهاد لأنهم مؤمنون بحمل السلاح ضد الطغيان من حكام وما شابههم، ونحن نقول لهم بأننا على منهج التصفية والتربية الذي سمعناه من فضيلتكم على أشرطة التسجيل ونحن في خلاف معهم، فأرجوا من فضيلتكم أن توضحوا لنا ولهم هذا.

فأما الصوفية فأنت تعلم كم هم بعيدون عن عقيدتنا وهم يتهموننا أيضاً

بالتحزب وتفرقة المسلمين ويسموننا وهابيون ولا نصلي على الرسول ﷺ وينكرون علينا تسمية السلفية، ويقولون هذه التسمية هي تفرقة، وأما المقلدون من أصحاب المذاهب فيقولون إن أنتم لا زلتم بعقلكم القديم تنكرون علينا وتقولون هذه سنة وهذه بدعة، فأرجوا من فضيلتكم أن نسمع ونسمع الناس بردكم على هذه الفرق بارك الله فيك .

الشيخ: وفيك بارك، هذا السؤال يتضمن جوانب عديدة والذي ينبغي أن يعرفه كل مسلم مهما كان انتسابه ومهما كانت حزبيته أن يعرف حقائق لا ينبغي أن يكون هناك خلاف بين مسلمين على وجه الأرض لأن الله عز وجل قد نص في القرآن الكريم على أن المسلمين إذا أرادوا أن يكونوا أعزة كما كان المسلمون الأولون واجبهم الأول أن يحققوا الشرط الأساسي الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في آيات عدة ومن أشهرها قوله تبارك وتعالى ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧] فهذا شرط أن ينصر المسلمون ربنا عز وجل، وليس ذلك إلا بنصر دينه؛ لأن الله عز وجل هو القوي العزيز، فليس بحاجة لجند ينصرونه على أعدائه تبارك وتعالى.

ولذلك كان من المتفق عليه بين علماء السير قاطبة أن المقصود بهذه الآية إن تنصروا الله أي دينه –ينصركم– أي على عدوكم، هذا أمر ما أعتقد أن مسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر حقاً يجهله، فضلاً عن أن يجادل فيه، وكذلك السنة توضح هذا الشرط الأساسي المذكور في هذه الآية في بعض الأحاديث الصحيحة التي جرت عادتنا في مثل هذه المناسبة أن نُذَكِّر بها كافة المسلمين، من ذلك قول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «إذا بايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله،

سَلَّطَ الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

فإذاً الآية والحديث وما يشابههما من نصوص أخرى كلها تلتقي على أن المسلمين سوف يظلون في ضعفهم وفي ذلهم ما لم يأخذوا بالشرط الذي اشترطه الله عز وجل لينصرهم الله على أعدائهم وهو أن يعودوا إلى دينهم، وكما يقال التاريخ يعيد نفسه فالمسلمون الأولون الذين كانوا مع الرسول عليه السلام ما نصرهم الله عز وجل إلا بسبب تمسكهم بهذا الشرط المذكور في هذه الآية وفي الحديث، لكن الشيء الذي يجهله كثير من الجماعات الإسلامية التي سميت بعضها آنفا هو أنهم يظنون أن الرجوع إلى الدين إنما هو الكلام الذي ليس فيه معنى صحيح فمجرد أن يكون المسلمون يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يظنون أن هذا يكفي ليستحقوا المشروط من الله عز وجل ألا وهو نصرهم على أعدائهم، بينما الحقيقة التي يجب التنبيه عليها أن الله عز وجل حينما ذكر في القرآن الكريم في الآية المعروفة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥] فالدين الذي ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق ذكره هو الدين الذي ارتضاه ربنا عز وجل للمسلمين دينا وشريعة في العهد الأول وهو الذي أكمله الله عز وجل وامتن بذلك على عباده في الآية المعروفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] هذا الدين إذا فهم فهما صحيحا كان هو العلاج لرفع هذا الذل الذي ران مع الأسف الشديد على كل المسلمين لا نستثني منهم حكومة ولا شعباً والسبب أنهم انحرفوا عن هذا الدين الذي هو العلاج الذي ذكره الرسول عليه السلام في الحديث السابق «حتى ترجعوا إلى دينكم»، ومما لا شك فيه أن الذي أشرت إليه أن الأصل في الإسلام هو التوحيد لا شك في

ذلك، لكن هذا من البداهة بمكان أنه لا يكفي لأن الإسلام شامل لكل أمور الحياة ويعالجها معالجة كاملة، فلو فرضنا شعبا من الشعوب الإسلامية حققوا التوحيد ووقفوا عنده، ذلك لا يعني أنهم يستحقون نصر الله بل عليهم أن يحيطوا بالدين أولا معرفة ثم تطبيقاً كما قال تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة:١٠٥] ولكن أساس كل هذه الأعمال هو التوحيد الخالص وإلا ذهب عمل المسلم هباء منثورا كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥] هذا الخطاب للأمة المسلمة في شخص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإلا فمحال أن يقع نبينا ﷺ في شيء من الشرك، وإنما الخطاب إلى كل فرد من أفراد الأمة ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥] وكما قال في حق المشركين ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان:٢٣]، ومما لا شك فيه مع الأسف الشديد أن أكثر المسلمين اليوم هم بعيدون كل البعد عن التوحيد الصحيح، ولسنا بحاجة للخوض في هذه القضية فيكفينا أن نذكر أمرين اثنين:

الأمر الأول يعرفه كثير من المثقفين الإسلاميين المثقفين ثقافة إسلامية صحيحة ألا وهو ابتعاد المنتسبين إلى التصوف عن التوحيد الصحيح حينما لا يؤمنون بأن هناك خالق ومخلوق وإنما هم يعتقدون بما يسمى بوحدة الوجود، أي: أن الخالق والمخلوق شيء واحد، ولذلك يصرح بعض ولاتهم بأن شهادة لا إله إلا الله شهادة التوحيد العامة، أما توحيد الخاصة فهو لا هو، إلا هو ولذلك اختصروا أفضل الذكر بشهادة الأحاديث الصحيحة لا إله إلا الله أفضل الذكر لا إله إلا الله ألغو هذه الأفضلية إطلاقاً، وحصروها بوحدة الوجود «لا هو إلا هو»، ثم اختصروا هذا المختصر إلى أن قالوا «هو هو» ولا شيء سواه، إذاً هذا هو الإلحاد في دين الله باسم الإسلام، فهذا يشمل ولاة الصوفية حقاً.

لكن مقابل هذا اشتراكا يلتقي مع هذه الانحراف الجلي الخطير هناك انحراف في جماهير المذاهب الإسلامية الموجودة اليوم ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يلتقون في عقيدة لهم مع هذا الانحراف الخطير ألا وهو قول من يسمون بالماتريدية والأشعرية، فضلاً عن المعتزلة القدامى والشيعة الموجودة اليوم، حيث إنهم يلتقون مع الشيعة القدامى فيما سأذكره من الانحراف في العقيدة وعلى وجه الأرض اليوم طائفة من الخوارج الذي أرادوا أن يتميزوا وأن يخرجوا أنفسهم من الانتماء إلى الخوارج ألا وهم الطائفة المعروفة بإلاباضية، كل هذه الجماعات وكل هذه المذاهب تلتقي مع الصوفية بالقول بوحدة الوجود، ولكن بعبارة براقة يظهرون التنزيه وهم في الحقيقة مُعَطِّلون منكرون لوجود الله تبارك وتعالى، أعني بهذا أن هؤلاء المسلمين ونسمع أثر عقيدتهم من مجالس عادية ألا وهو قولهم الله موجود في كل مكان، الله موجود في كل مكان، الله موجود في كل الوجود هذا معناه القول بوحدة الوجود؛ لأن العالم بكتاب الله وبحديث رسول الله ﷺ يعلم كما جاء في حديث عمران ابن الحصين في «صحيح البخاري»: «كان الله ولا شيء معه»، كان الله ولا شيء معه، إذا كان الله ولا خلق، ولا شيء، لا كرسي، لا أرض، لا شمس، لا قمر، ثم خلق السموات والأرض، فحينما يقول هؤلاء بأن الله في كل مكان فمعنى ذلك إما أن يعطلوا أن هناك خالقا وهناك مخلوقاً، فهذا هو التعطيل الذي كان يقع فيه المؤولة الذين يُؤَوِّلون آيات الصفات، وينكرون وجود الله تبارك وتعالى فوق المخلوقات كلها، فسماهم السلف المعطلة، أي أنهم يعطلون وجود الله حينما يقولون الله في كل مكان، فإما أن يقولوا بأنه لا خالق ولا مخلوق وإنما هو شيء واحد فيعود رأيهم إلى القول بوحدة الوجود، لكن ليس بصراحتهم المعهودة. وإما أن يقولوا بضلالة النصارى وبأعم منها، حيث أن النصارى قالوا بالأقانيم الثلاثة الأب

والابن وروح القدس، وأن الله عز وجل حَالٌّ في عيسى الذي ولد من بطن مريم، ولكن هؤلاء الذين يحصرون الله في كل مكان هم أضلّ من النصارى الذين حصروا الله عز وجل في ثلاثة أقانيم، ومن ضلالة كبير الصوفية المصرح بوحدة الوجود ألا وهو المسمى بمحيي الدين ابن عربي، والذي كان بعض المشايخ في دمشق يقول محيي الدين خطأ والصواب ممحي الدين، فهو ليس محيي للدين إنما هو ممحي الدين، فصرح هذا الرجل فقال: إنما كفرت النصارى لأنهم حصروا الله في ثلاثة أشياء أما نحن يعني نفسه فقد عممناه في كل الوجود، ولذلك قالوا لا هو إلا هو، ثم قالوا هو هو، فلا شيء، إذ القول بأن الله عز وجل في كل مكان المخالف لنصوص السنة والقران يلتقي تماما مع القول بوحدة الوجود، ولازم هذا القول إنكار الخالق سبحانه وتعالى، كما تقوله الدهرية والشيوعية وأمثالهم.

ولذلك يعجبني كلمة قرأتها في التاريخ الإسلامي وبخاصة ما كان متعلقاً منه (بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي كان له الفضل في نشر التوحيد الصحيح من عصره إلى هذا العصر وله الفضل الأكبر في انتشار عقيدة التوحيد في العصر الحاضر)، (بعد أن أحيا هذا التوحيد محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في البلاد النجدية ثم سار غيرها إلى كثير من البلاد الإسلامية، فقد كان أكثر علماء ذلك الزمان ضد دعوة ابن تيمية رحمه الله كدعوة في الرجوع للكتاب والسنة بعامة وضد التوحيد الصحيح بخاصة، ولذلك فكانوا دائماً يقدمون الشكاوى إلى الأمراء وإلى الحكام في زمانه، ولذلك كما تعلمون سُجِنَ في القلعة في دمشق، وسجن في مصر، وهكذا، فيعجبني المناقشة التي ذكروها في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بينه وبين المشايخ الذين شكوه إلى الأمير أمير دمشق يومئذ فجمعهم مع شيخ الإسلام ابن تيمية، وجرى النقاش بين يدي الأمير في

مسألة الرحمن على العرش استوى، فالعلماء يقولون بما ذكرنا آنفا أن الله عز وجل في كل مكان، وشيخ الإسلام يقول بقول السلف الصالح بأن الله عز وجل فوق المخلوقين كلها، فكان ذلك الأمير مع أنه ليس مشهورا بالعلم كان ذكياً، فقال في حق أولئك العلماء: «هؤلاء قوم أضاعوا ربهم» أي: حينما يقولون الله في كل مكان وليس على العرش استوى فهم أضاعوا ربهم.

هذه حقيقة يشهدها المؤمن بالله ورسوله حقاً بأن الذين يقولون بأن الله عز وجل ليس له صفة العلو على المخلوقات، وإنما هو في كل مكان، أنهم أضاعوا ربهم، لأنهم إذا سئلوا أين الله قالوا هو في كل مكان مع أن الجارية التي هي جارية وعبدة لسيدها نظراً لكونها كانت تعيش في جو ممتلئ بالتوحيد الصحيح فلما امتحنها الرسول عليه السلام وسأله بقوله المعروف: «أين الله»، قالت: «في السماء»، أما العلماء فقد أضاعوا ربهم، وجهلوا أنه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، إلى آيات كثيرة تؤدي إلى هذا المعنى.

لهذا يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله بأن المجسم يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً المعطل هو الذي ينفي الصفات الإلهية، والتي منها الرحمن على العرش استوى.

إذاً الذين يقولون اليوم من المذاهب التي سبق أن ذكرناها الماتريدية والأشاعرة، فضلاً عن الشيعة، فضلا عن الخوارج، ومنهم الإباضية، كل هؤلاء يلتقون في أن ينفوا عن الله عز وجل صفة العلو، ويقولوا الله في كل مكان، إذا هذا ينافي التوحيد لأنه يرجع إما إلى إنكار وجود الله عز وجل مطلقاً، وإما إلى الزيادة على النصارى في جعل الله عز وجل حالًّا في خلقه تعالى ربنا عز وجل عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

فإذاً لا بد لكل مسلم يريد أن ينهض بالمسلمين قبل كل شيء أن يفهم التوحيد الصحيح، ثم لا نُبالي ماذا يقولون يسموننا وهابية، يسموننا مثلا رجعية، هذا ما يهمنا ربنا عز وجل أدَّبنا في شخص نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم حينما ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾[فصلت:٤٣]، فنحن نعلم من القران ومن السنة أن للكفار حينما بعث إليهم الرسول عليه السلام قالوا أنه ساحر، أنه شاعر، أنه كذاب، فمهما قيل فينا نحن الذين وجدنا في هذا العصر ـ وامتن الله علينا بالتمسك بالإسلام الصحيح، مهما قيل فينا من كلمات فهي أهون بكثير من ما قيل للرسول عليه السلام من ناحية ماذا؟ أولاً: شخصه أعلى وأسمى من كل مخلوق عند الله عز وجل، ثم ما قيل في حقه إنه كذاب وساحر لم يقل فينا، قالوا وهابي، ما هو معنى وهابي؟ رحم الله من قال:

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بأنني وهابي

فمن جهل هؤلاء ينبزوننا بلقب الوهابية قدحاً، وهو في الحقيقة ينقلب فينا لغةً وواقع مدحاً؛ لأن الوهابي هو المنسوب إلى الله؛ لأن الله الوهاب لو قيل فلان ولي الله هذا مدح ولا قدح، هذا مدح، لكن الله عز وجل طمس على قلوبهم فهم لا يحسون بما يقولون، يزعمون بأن كلمة وهابي نسبة للنجدي الذي جاء بدعوة التوحيد، وبتحطيم القبور المبنية عليها خلافاً للسنة المحمدية، إنه إن اسمه عبد الوهاب، هو الحقيقة اسمه محمد ابن عبد الوهاب كما تعلمون جميعا لكنهم إذا انتبهوا أنهم لو قالوا نسبة إلى محمد عبد الوهاب محمدي فهذه تزكية، لكن ما دروا أنهم وقعوا في تزكية أكبر من الأولى حيث نسبونا إلى الوهاب وهو الله تبارك وتعالى، لذلك قد قال ذلك الشاعر في العصر الحاضر قياسا على قول الإمام الشافعي أظن الذي قال:

إن كـان رفضـاً حـب آل محمـد فليشـهد الـثقلان أني رفضي ـ

على هذا المثال قال ذلك الرجل العالم العاقل إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي، فإذا ما ينبغي لأي مسلم هداه الله عز وجل لإتباع الحق أن يتأثر فيما قد يقال فيه إذا كان الله قال لنبيه ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾[فصلت:٤٣]، إذاً ما يقال لنا إلا ما قد قيل للصالحين من قبلنا، فهم قدوتنا كما قلت في مطلع سؤالك المهم: أن التوحيد هو أساس الإسلام.

ولكن لابد من أن أُكَرر ما قلت آنفاً أنه لا ينبغي للمسلمين الذين هداهم الله عز وجل إلى النهج السليم أن يقفوا فقط عند التوحيد دراسة وعقيدة، بل عليهم أن يعنوا بدراسة الإسلام من كل جوانبه وبذلك تصلح حياتهم حينما يطبقون العمل على العلم كما قال عز وجل ﴿وَالْعَصْرِ- * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ- * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:٣].

أما الإخوان المسلمون الذين يصيحون بأعلى أصواتهم والجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا أو كما يقولون، فنحن نقول لهم لقد مضى على دعوتكم قرابة قرن من الزمن وأنتم لا تزالون في مكانكم، كما نقول نحن في سوريا هناك تعبير عسكري «مكانك راوح»، يعني الضابط ضابط سرية لما يأمر الجيش بالسير يقول إلى الأمام سِر، فيمشوا على النظام العسكري، ثم لما يريد أن يأمرهم بالوقوف يقول لهم مكانك قف، لكن لما يريد ألا يقفوا جامدين إنما متحركين فيقول مكانك راوح، فهم لا يتقدمون ولا يتأخرون، هذا مثل الإخوان المسلمين، ذلك لأنهم لا جاهدوا ولا تعلموا وعملوا، فهم متخلفون جهاداً، مخالفين لدعواهم، وعلماً وعملاً، لأنهم لا علم عندهم، وحسبهم أنهم ينكرون على من يدعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ويسمون ذلك دعوى إلى تفريق المسلمين.

وأنا أقول كلمة صريحة فعلاً: إن دعوتنا وهي دعوة الإسلام من حق هي تفرق؛ لأن القرآن يفرق، ذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل، دعوتنا تفرق بين الحق والباطل، بالتالي دعوتنا والتي هي دعوة الحق تفرق بين المحق وبين المبطل، وهكذا فعل الرسول عليه السلام حينما جاء بدعوته كما يخبرنا التاريخ بأن الأب حارب ابنه والابن حارب أباه، كل ذلك في سبيل التمسك بالإسلام الحق، فإذاً لا غرابة بأن تكون دعوة الحق في زماننا هذا كما كانت في الزمن الأول وفي الأزمان كلها مفرقة بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل، يتغافل هؤلاء الناس عن نصوص الكتاب والسنة التي تقول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٧] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[يوسف:٣٨] وتأتي السنة كما هي عادتها دائما وأبدا فتفصل للمسلمين ما أُجمل أو اختصر في القرآن الكريم، فما من أحد من هؤلاء وبخاصة من كان منهم ينتمي إلى أهل السنة إلا وهو يشاركنا في الإيمان ببعض الأحاديث الصحيحة، وفي علمه بها، ولكنهم يتجاهلونها ولا يتجاوبون معها، من ذلك مثلاً حديث الفرق: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحده» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال في الرواية المشهورة: «هي الجماعة»، وفي الرواية المفسرة لها قال: «هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي»، إذا المسلمون في هذا الخبر الصحيح سيتفرقون، والواقع يؤكد هذا الخبر، وليس بحاجة أن الخبر الصحيح يُؤكَّد بالواقع، لأنه قد يقع فيما يأتي من المستقبل لكنه وقع بعد وفاة الرسول عليه السلام بقليل من السنين حيث بدأ التفرق وبدأ التحزب إلى آخره.

فإذاً: لما يتجاهل هؤلاء الناس هذا الخبر الصحيح أن المسلمين سيتفرقون، وأن على المسلم الذي يريد أن يكون من الفرقة الناجية أن يعمل بما كان عليه

الرسول عليه السلام والصحابة، كذلك بهذا المعنى حديث آخر وهو أيضا معروف لدى المسلمين أهل السنة والجماعة زعموا، أعني به حديث العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: أوصنا يا رسول الله، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وفي الحديث الآخر: «وكل ضلالة في النار».

إذاً الرسول ﷺ يحذرنا من المحدثات من الأمور، ونحن اليوم حينما نحذر المسلمين من مخالفة سيد المرسلين، وفي ارتكاب البدعة التي عَمَّيت وطَمَّيت بلاد الإسلام، يقولون لنا: تُفَرِّقون بين المسلمين، الحقيقة أن هؤلاء يريدون أن يعالجوا ذل المسلمين ليس على مذهب سيد المرسلين الذي وصف الداء والدواء في حديث العينة: «إذا تبايعتم بالعينة»، هذا داء «وأخذتم أذناب البقر» داء «ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله» داء الجزاء: «سلط الله عليكم ذُلاً» العلاج «لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

فمعنى الرجوع إلى الدين أمر عظيم جداً يغفل عنه هؤلاء الحزبيين أو المذهبيين أو الصوفيين أو غيرهم، الرجوع إلى الدين يتطلب من علماء المسلمين أمرين اثنين عظيمين جداً، أحدهما: دراسة الإسلام دراسة صحيحة لأن بيننا وبين الدين الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الصلاة والسلام أربعة عشر قرناً، وقد دخل فيه ما لم يكن منه، سواء ما كان من عقائد، أو ما كان من الأحكام والفقه، أو ما كان من سلوك دخل من هذه الأمور كلها ما لم يكن مشروعا في العهد

الأول.

فإذاً لا بد للعلماء من أن يأخذوا الغرابيل، وأن يُصَفُّوا هذا الإسلام من ما فيه من دخيل، كما جاء عن بعض علماء الحديث حينما قيل له إنَّ فلاناً الزنديق حينما ألقي عليه القبض، ورأى أن أمامه القتل أراد أن يروي غيظ قلبه، فقال أنا لا أموت إلا وقد وضعت على نبيكم خمسة آلاف حديث، فقال ذلك العالم المحدث: كذب عدو الله، كيف وفلان وفلان من المحدثين قد أخذوا الغرابيل وهم يصفون هذه الأحاديث، يخرجون منها الأحاديث الصحيحة.

هكذا يجب على علماء المسلمين في هذا الزمان أن يغربلوا الإسلام من ما دخل فيه من كل الجوانب التي أشرت إليها في العقيدة، في الأحكام، في السلوك، في الأخلاق، ونحو ذلك.

ثم الشيء الثاني وهذا ما أكني الشيء الأول، أكني عنه «تصفية الإسلام» لا بد من التصفية، الشيء الثاني تربية المسلمين على هذا الإسلام المصفى، فأين الآن هذا الإسلام المصفى عند هذه الجماعات التي تعارض دعوة الحق بل وتزعم أنها تفرق وأنا أشهد أنها تفرق، فعلاً بين الحق والباطل، وبين المحق والمبطل، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، أما المقلِّدون فهؤلاء لا نهتم بهم كثيرا لأنهم حكموا على أنفسهم بالجهل لأنها تقليد عند العلماء جميعاً هو ألا يستمع الإسلام عقله وأن يقلد غيره وأن يسلم له تسليما، هذا نوع من الشرك الذي وقع فيه جماهير المسلمين وهم لا يشعرون، لأن الله عز وجل ذكر عن النصارى شيئاً من شركهم حين قال عز وجل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[التوبة:٣١] أن الأول الشرك في الرهبان، النوع الثاني شرك في المسيح عليه الصلاة والسلام ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

مِنْ دُونِ اللهِ﴾[التوبة:٣١] جاء في كتب الحديث والسيرة النبوية: أن عَدِيّ ابن حاتم الطائي كان من العرب القليلين الذين تثقفوا وقرؤوا وكتبوا فأوداه ذلك إلى أن آمن بالنصرانية وتدين بها، وزار النبي ﷺ وعلى عنقه الصليب، فوعظه الرسول عليه السلام وذكره بالله عز وجل وبتوحيده حتى هداه الله للإسلام، وأسلم وحَسُن إسلامه، وهو الآن من مشاهير الصحابة الكرام، في بعض المجالس لما تلى النبي ﷺ هذه الآية أُشكلت على عدي ابن حاتم الطائي، قال يا رسول الله بناء على فهمه للآية «ما اتخذناهم أرباباً من دون الله» كيف هذا؟ قال له عليه السلام مبينا له ألستم كنتم إذا حرموا لكم حلالا حرمتموه، وعلى العكس إذا حللوا الحرام حللتموه؟ قال: أما هذا فقد كان. قال: فذاك اتخاذهم إياهم أرباباً من دون الله.

إذاً هذا التقليد الأعمى حذرنا منه الإسلام في هذه الآية التي حكاها عن النصارى حتى لا نسير مسيرتهم ولا نتشبه بهم، وقد حذرنا الرسول عليه السلام في بعض الأحاديث عن ذلك بمبدأ عام ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فالنصارى قلدوا والمسلمين قلدوا، كان من الواجب على المسلمين أمران اثنان تتضمنهما شهادة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لو أن إنسانا كافرا أراد أن يدخل في دين الإسلام فشهد لله عز وجل بأنه لا إله غيره، ولكن لم يؤمن بالنبي رسولا، ما تفيده شهادة التوحيد شيئاً، ولا بُد من الجمع بين الشهادتين لا إله إلا الله، محمد رسول الله فأنا أقول أن الشهادة الأولى كما تتضمن توحيد الله عز وجل في عبادته، فالشهادة الأُخرى تتضمن إفراد النبي في اتباعه، كما أن الشهادة الأولى تتضمن توحيد الله في عبادته، فَمَن عبد غير الله فقد أشرك، ولو أنه آمن بأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ لأن المشركين كانوا

يؤمنون هذا الإيمان، ولكن كانوا في الوقت نفسه يعبدون غير الله، فهذه الشهادة الطيبة لا إله إلا الله تعطينا لأنه من عبد غير الله فلم يؤمن بالله، كذلك من اتبع غير رسول الله ﷺ ولم يفرده بالاتباع فما تفيده شهادته أن محمد رسول الله شيء إطلاقاً وهذا يؤكده بعض الآيات القرآنية التي منها مثلاً قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩] فالآية الأخرى التي تقول ويسلموا تسليما .

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥] هذا التسليم للنبي الكريم إذا نقل عنه إلى غيره فهو كُفر بشهادة أن محمداً رسول الله، فهنا نستطيع أن نقول توحيدان: توحيد لله في عبادته، وتوحيد للرسول في اتباعه، فمن أَخَلَّ بأحد التوحيدين فهو لم يؤمن بالله ورسوله إيماناً صادقاً، إذاً هؤلاء المقلدون فينبغي الحقيقة ألا نعبأ بهم من جهة، وأن نشفق عليهم من جهة أخرى، لأنهم مرضى، حيث إنهم قلبوا الحقيقة القرآنية، سواء ذلك في توحيد الله وحده لا شريك له، أو في اتباعهم واستسلامهم لغير نبيهم الذي كان واجب عليهم أن يسلموا لهم تسليما كما سبق ذكره في الآية الأخيرة، ما أدري إذا كان بقي عندك شيء في سؤالك .

(الهدى والنور/٥٤٣/ ٤١ : ٠٠ : ٠٠)

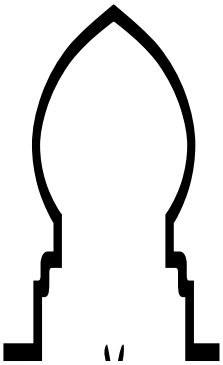

١٧

اتهام السلفيين بأنهم غير مُنَظَّمين

الرد على اتهام السلفيين بأنهم غير مُنَظَّمين

مداخلة: معظم الجماعات الإسلامية الموجودة على الساحة الآن يتهمون السلفية ... يقولون: أنتم تجلسون على الكراسي وتتكلمون يعني...أننا غثاء كغثاء السيل فما هو قولكم على هؤلاء، يعني: مسألة قضية التنظيم أو التجمع أو هذه العبارات؟

الشيخ: نحن غير منظمين صحيح، ولنا الفخر إن صح أن نقول ذلك وغيرنا هم منظمون فماذا فعلوا؟! إذاً: حسبنا كما قيل:

هـــذه آثارنـــا تـــدل علينـــا فـــانظروا بعـــدنا إلى الآثـــار

نحن السلفيون تحرك العالم بدعوتهم، وهذه حقيقة لا يستطيع أحد أن ينكرها حتى أولئك الذين يتهمون أو يرمون أو يصفون السلفيين بما ذكرت لا يستطيعون أن ينكروا أثر الدعوة الإسلامية في ذوات أنفسهم، لكن هم ماذا فعلوا؟ لقد أثاروا فتن وأراقوا دماء دون أن يستفيدوا شيئاً ودون أن يتقدموا خطوة، بل هم على النظام العسكري في بعض الأعراف العسكرية: مكانك راوح، لكن الدعوة السلفية الحمد لله أيقضت العالم الإسلامي إلى الإسلام الصحيح ووجوب الرجوع فيه مع إصلاح السلوك كل فرد من أفراد المسلمين إصلاح أهله وذويه ومن يلوذ به وإلى آخره..

فنحن غير منظمين فعلاً؛ لأن أساس كل دعوة تنطلق تبدأ بأهم ما فيها.. تبدأ بالعقيدة، وتبدأ بالتوحيد، وتبدأ بإصلاح العبادة، وإصلاح السلوك، أولئك المنظمون أو المنتظمون –زعموا– ماذا فعلوا في سبيل إصلاح عقيدتهم وتوحيدهم.

نحن لنا تجارب ومناقشات ومجادلات، فحينما كنا نقول لهم أو نسألهم بعض الأسئلة التي كانت تعرفها رعاة الأغنام في عهد الرسول عليه السلام فلا يحيرون جواباً وهم أساتذة ودكاترة ومرشدون ورؤساء أحزاب، إذاً: ما الفائدة التي استفادوها من هذا التنظيم وهم بعد لم يفقهوا التوحيد، ولئن وجد فيهم وفعلاً قد وجد، وكان جواب بعضهم نعم نحن نعرف التوحيد الحمد لله، فكنا نجعلهم تحت الأمر الواقع من أين جاءكم هذا التوحيد؟ هل نبع من دعوتكم أم هذه استوردتموها من دعوة غيركم، هذه حقيقة؛ ولذلك فنحن لا نأسى ولا نأسف أبداً على ما يقول هؤلاء؛ لأننا نمشي كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

اليوم صلينا المغرب في مسجد هناك اسمه مسجد عبد الله بن عمر وإذا واحد مصري ينقم على الإمام الذي يصلي هناك يُدْعَى أبو عمار أنه حكى له أن هذه المقامات والأضرحة الموجودة في مصر هذه ليست مشروعة فتخاصموا هو وإياه وهو يصلي خلفه كل يوم، فماذا فعل الإخوان في مصر بالنسبة لهذه الشركيات والوثنيات القائمة على ساق وقدم في كل بلاد مصر طولها وعرضها؟ لا شيء أبداً سوى الهتافات هذه العاطفية التي تحرك المشاعر ثم تخبوا ولا شيء بعد ذلك.

فالله المستعان على كل حال..

(الهدى والنور / ١٠ / ١٧ : ٥٩ : ..)

باب منه

السؤال: شيخنا فيه سؤال تكرَّر كثيراً وأجبتم عنه مراراً لكن أخونا السائل يلح أن يسأل هذا ليستفيد الإخوة كلهم يقول: هناك من ينتقد الدعاة السلفيين بأنهم ليس لهم منهج ولا تنظيم فما هو الجواب؟ ثم هل هناك ضرورة للتنظيم على غرار الأحزاب المعاصرة؟ جزاكم الله خيرا .

الشيخ: نبرأ إلى الله من أن نتشبه بمن يخالف نصوص الكتاب والسنة التي تنهى عن التفرق، ومن أقوى أسباب التفرق: الحزبية العمياء الصماء البكماء، فنبرأ إلى الله أن نتشبه بمن يتخذ الحزبية وسيلة للدعوة إلى الإسلام، ولا يشعرون أن الحزبية تُفَرِّق المسلمين فوق تفرقهم الذي يحيونه، ويعيشونه في هذا الزمان، وكان أثراً من آثار تفرق سابق قديم، نحن نعيش الآن في أسوأ هذه الآثار ولا نكتفي بذلك حتى نوجد أسباباً ووسائل حديثة تزيد الفُرْقة بين المسلمين، بل وبين الطائفة الواحدة التي تنتمي إلى العمل بالكتاب والسنة، وينشأ هناك حزب باسم الحزب السلفي يختلف عن السلفيين بعامة أنه منظم.

هذا التنظيم في اعتقادي الذي عليه بعض الأحزاب الإسلامية التي لا تنتسب لا إلى الدعوة التي تسمى في بعض البلاد بالدعوة السلفية، وفي بلاد أخرى بدعوة أنصار السنة المحمدية، وفي بلاد أخرى ثالثة بدعوة أهل الحديث، هناك بعض الأحزاب التي لا تنتمي إلا إلى إسلام لا مفهوم له عندهم، وإن كان له مفهوم فهو ذو وجوه متعددة ومتعارضة أشد التعارض يكتفون فقط بأن يجتمعوا

على الإسلام، أما ما هو الإسلام ما هي عقيدة الإسلام كل واحد يجيبك من هذا الحزب الواحد بجواب يختلف عن الآخر.

لا غرابة بالنسبة لمثل هؤلاء الأحزاب الذين لا يتبنون الدعوة السلفية منهجاً لهم في فهمهم لدينهم سواءً كان عقيدة، أو كان أحكام، أو كان سلوك لا غرابة في ذلك؛ لأنهم لا يعلمون لكن ما بالنا نسمع في هذه الآونة ناس وفينا يدعون بدعوتنا، ويوحدون توحيدنا، ويتبعون سنة نبينا معنا؛ الآن تأثروا بجماعة الإخوان فتحزبوا وتكتلوا وليس ضد الأحزاب الأخرى بل ضد من كانوا معهم بأنهم لم يتحزبوا معهم، فصاروا أعداء وخصوم لهم ذلك من شؤم مخالفة مثل قول الله عز وجل : ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فالإسلام لا يتعرف على التحزب إطلاقاً وإنما يجب أن نكون كالجسد الواحد: « إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

لكن الحزبية قد جربناها قبل الحزب الجديد جربناها ففرقت صفوف الناس المسلمين الذين تجمعهم دعوة الإسلام لماذا؟ لأنهم أعلنوا ذلك في كثير من الأحيان أن جماعة المسلمين هي فقط الحزب الفلاني، هؤلاء فقط جماعة المسلمين.

هذا من شؤم التحزب والتكتل والتفرق في الدعوة إلى الإسلام، ونحن عشنا في سورية سنين طويلة، مع جماعة الإخوان المسلمين، ندعوهم إلى الكتاب والسنة، ولا ننتمي إليهم، ثم كتب الله لي أن أهاجر من دمشق إلى عمان، وبدأت هناك أن أدعوا كما كنت أفعل وأنا في دمشق، كنت أزور الأردن وأدعو بقدر ما يساعدني الانتقال من دمشق إلى عمان، لكني لما سكنت واستوطنت عمان

أخذت نشاطاً في الدعوة أكثر وأكثر بكثير من قبل، وكان من نتيجة ذلك أن وشى بنا إلى المسئولين هناك الله أعلم نحن ما نتهم شيخاً صوفياً، أو مذهبياً مقلداً، أو حزباً معيناً، الله أعلم لكن كان من عاقبة تلك الوشاية أن أعادوني رغم أنفي، وفي صورة لا داعي لتفصيلها إلى دمشق بمراقبة المخابرات، ثم بعد نصف سنة تقريباً سمحوا لي بالرجوع إلى عمان بعد أن كنت بنيت فيها داراً وبدأت أنقل مكتبتي إليها سمحوا لي والحمد لله بالرجوع والسكن فيها مرة أخرى، وبدأت في نشاطي فماذا كان موقف حزب من الأحزاب هناك، أن أعلنوا على ملئهم بوجوب مقاطعة الشيخ الألباني، وليس في شخصه فقط، بل وبكل من يحمل دعوته، فكنا نمر بمن كنا نسلم عليهم من قبل ويسلم علينا، وإذا به يعرض عنا وينحرف لماذا ؟ لأنه صدر الأمر من القيادة العليا زعموا بأنه يجب مقاطعة الألباني.

واستمر هذا القانون سنة كاملة.

لا تحزنوا وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لك، كان من هؤلاء الأفاضل الذين تأثروا بقرار اللجنة هناك أو الإدارة أو لا أدري ماذا يسمونه، الرجل الذي نفع الله به فيما اعتقد كثيراً في أفغانستان وهو الدكتور / عبد الله عزام، هذا الرجل أمره عجيب كان هو الحزبي الوحيد الذي كان يحرص على أن يحضر جلساتي، فعنده دفتر صغير وقلم رقيق ناعم لطيف مثله، كلما سمع فائدةً من الألباني سجلها عنده، ولكن لما صدر القرار لم يعد يسلم علينا، جمعني اللقاء معه وأنا خارج من مسجد هناك قلنا له: كيف هذا يا دكتور؟ قال فيما معناه سحابة صيف عما قريب تنقشع.

قلنا خير، مضى ما شاء الله من شهور وهو على هذا الإعراض، أما أفراد من

الحزب فكانوا يحضرون حلقاتنا دون إذن من القيادة العليا زعموا، وكنا نثير هذه القضية، ما الذي حمل جماعتكم على إصدار هذا القرار الظالم؟ وها أنتم الآن تحضرون، ولو كنتم تعتقدون بأن هذا القرار عادل ما تخالفونه، لكن تشعرون بأنه ظالم ولذلك تحضرون هذه الجلسات.

ختاماً جاء دور أنه هذا القرار كما يقولون أخذ مداه مفعوله، ورجع الجماعة الذين كانوا يسلمون علينا إلى سلامهم، ثم فوجئت بمجي الدكتور المرحوم إن شاء الله إلى دار صهري كنت ساهراً عنده دخل هو وشخص من إخواننا السلفيين، سلموا وجلسوا وقال : نحن جئنا إلى دارك وطرقنا الباب وما سمعنا الجواب ثم بعد ذلك ذهبنا إلى دار فلان وجلسنا ننتظر فقيل لنا أنه يمكن أنه ذهب إلى عند بنته عند صهره وها نحن جئناك، قلنا له أهلاً وسهلاً، قال: عندي أسئلة فأريد أن تتفضل في إفادتي بالجواب عنها، فقلت له خلاف عادتي، قلت له مقابل كل سؤال مشوار، مقابل كل سؤال مشوار، يعني كل سؤال تسألني إياه تأتي عندي إلى الدار، أما أنك تأخذ جواب عن كل أسئلة في جلسة واحدة لا، قال: لماذا؟ قلت لما أصدرتم هذا القرار الجائر الظالم إنني أدعو إلى الكتاب والسنة، قال: أنت كفرت السيد قطب، قلت أنت سمعتني أكفر السيد قطب؟ قال: لا لكن بعض شبابنا بلغونا ذلك، قلت سبحان الله كأنك ما قرأت قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:٦].

وذكرت له الحديث الآخر : «بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع».

فأنت لم تكتفِ بأن تحدث بأن الشيخ الألباني يُكَفِّر سيد قطب بل بنيت على

ذلك الهجر والمقاطعة التي تخالف السنة الصريحة : «لا تقاطعوا لا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

ثم أنت بصورة خاصة من بني كل جماعتك حيث كنت تحضر جلساتي تعلم أنني أقول لا يجوز المبادرة إلى تكفير المسلم إلا بعد إقامة الحجة، ألم تسمع هذا الكلام مني مراراً وتكراراً؟ قال: بلى، قلت: إذاً كيف لم تدافع عني وفي غيبتي لما اتخذ هذا القرار الجائر الظالم، على الأقل أن تقول والله لازم نرسل شخص نستوضح من الشيخ صحيح أنه يكفر السيد قطب.

هذا شيء الشيء الثاني كيف صدقت بأنه أنا أكفر السيد قطب، وأنا ذكرته بخير في بعض المقدمات، فلو كان كافراً عندي ما تعرضت لذكره، وجرى نقاش طويل طويل جداً بيني وبينه.

الشاهد: أثر الحزبية واضح جداً في تحقيق التدابر والتقاطع بين المسلمين وهذا مثال جديد مع الأسف حيث صار السلفيون في بعض البلاد الإسلامية طائفتين، وكانت تجمعهم الدعوة تجمعهم ولا تفرقهم، فلما دخل في الدعوة ما يسمونه اليوم بالتنظيم وهو التحزب والتكتل ضد كل من لا ينتمي إلى هذا التكتل والتحزب، فإذاً صدق ربنا عز وجل حينما قال: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢]. هذا الحزب حتى في الجماعة الواحدة منهجاً وعقيدة يفرق بين الشيخ وتلميذه، يفرق بين التلميذ وزميله، هذه آثار وكما قيل قديماً:

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(الهدى والنور /٣٧١/ ٢٨: ١٥ : ٠٠)

١٧

اتهام الدعوة السلفية بأنها دعوة رجعية

اتهام: الدعوة السلفية بأنها دعوة رجعية

السؤال: يقول السائل: نسمع من البعض أحياناً بأن الدعوة السلفية دعوة رجعية تناقض التقدم العلمي وتنافي التطور المدني، فما هو ردكم على هذا القول؟

الجواب: جوابي على هذا والمستعان الله.

يقيناً الذين يدَّعون هذه الدعوى الباطلة هم لا يعرفون الدعوة السلفية، ومن البداهة بمكان أن نقول: من جهل شيئاً عاداه.

الدعوة السلفية يا إخواننا أظن، يعني سمعتم آنفاً لمحة هي أولاً: فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، فمن ذا الذي وهو مسلم وليس ضالاً، ما نقول ليس كافراً، من ذا الذي يجرؤ أن يقول وهو مسلم إذا سمع أن الدعوة السلفية هي العمل بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؟ من الذي يستطيع أن يقول: هذه دعوة رجعية؟

الذي يقول هذا هم الكفار بلا شك، أو أهون من هذه الكلمة هم الذين لا يعلمون، فنحن نسأل هؤلاء الذين يقولون هذه الكلمة العوراء: هل تؤمن بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان؟ إن كان مسلماً حقاً فسيكون جوابه: نعم، أؤمن بذلك، فهو يشترك معنا إذاً في هذه الحقيقة العلمية الشرعية.

سنمشي معه، ونقول له: الإسلام الذي وَصَلَنا الآن هل وَصَلَنا بمفهوم واحد أم بمفاهيم عديدة؟ فإن قال بمفهوم واحد تَبَيَّن أنه رجل جاهل وحينئذ علينا أن نأخذ الموضوع معه جذرياً.

أنت يا عايش الآن في هذا الزمان تعرف أنه في طرق صوفية مثلاً، فإن أنكر معناه أنه عايش في المريخ مش عايش في الأرض، فحينئذ يسقط الكلام معه حقيقة.

وإن اعترف، إن أعترف أنه في طرق كثيرة، سيأتي سؤال ثاني: هل تعتقد أنه بالإضافة إلى هذه الطرق التي بالخلاصة التي تقول الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، هل تعتقد بهذه الخرافة؟

ويوجد اليوم بين المسلمين من يقول بها، الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، هذا كفر بالله وبرسوله، كفر بكتاب الله وحديث رسوله ﷺ، لماذا؟ آية واحدة تكفي لنبين أن من يقول هذه الكلمة ويعرف عاقبة أمرها بأنه كافر بالله، آية واحدة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨] .

هل قال الرسول، أو هل أمر الرسول بهذه الآية أن يقول: قل هذه سُبُلي، أم قال: قل هذه سبيلي؟ قال: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي﴾[يوسف:١٠٨] لفظ مفرد في اللغة العربية.

﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف:١٠٨] أي: إلى هذا السبيل واحد وإلا بعدد أنفاس الخلائق؟ واحد.

﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨] فأنت الذي تقول بأن الطرق الموصلة إلى الله بعدد أنفاس الخلائق أنت ممن

اتبعت الرسول؟ لا، الرسول يقول: سبيلي وما يقول سبلي.

وفي الآية الأخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي﴾[الأنعام:١٥٣] سبيلي لفظان مختلفان لفظاً متحدان معنىً، سبيلي صراطي وطريقي.

﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] هذه الآية أوضح من الآية الأخرى.

الآية الأولى اكتفت بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي﴾[يوسف:١٠٨] لكن هنا زاد على هذا المعنى بقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] وهذا بحث طويل ولا أيضاً نستطرد كثيراً.

لنعود إلى هذا الذي يسأل هذا السؤال. أنت عارف أن المسلمين اليوم متفرقون في مذاهبهم، في طرقهم، في أفكارهم، في سلوكهم، في في إلى آخره أشد التفرق؟ فإن اعترف بهذه الحقيقة ولا بد إذا كان بقي في عقله ذرة من معرفة وعلم أن يعترف بها، حينئذ نسأله: هل هذا من الإسلام؟ فإن قال: هذا من الإسلام كفر بما أنزل الله كما سمعتم آنفاً.

وإن قال: لا، هذا ليس من الإسلام، نقول له: إذاً ما هو الإسلام؟ نحن نقول قلنا قولتنا واضحة قال الله، قال رسول الله، قال أصحاب رسول الله، هذا هو الإسلام. أنت ويش هو الإسلام عندك؟

فإذا اشترك معنا في هذا فأين التنطع وأين التشدد؟ أنا أدري ماذا يرمون إليه، يريدون من كل مسلم أن يكون مثلاً فيلسوفاً، أن يكون فلكياً، أن يكون جغرافياً، أن يكون مخترعاً، أن أن إلى آخره، هذا أمر مستحيل.

كما لو قلنا نحن: نريد من كل مسلم أن يكون مفسراً ومحدثاً وفقيهاً ولغوياً و

و ما أدري هذا مستحيل، لكن للجماعة المسلمة إذا فرضنا مائة شخص، هذه المائة يجب كلها كمجموعة أن تقوم بواجب هذه العلوم، واحد مثلاً يتخصص بالشريعة يتعلق بالشرع، في الحديث، في التفسير، في الفقه، آخر يتخصص في اللغة، ثالث في الطب، رابع في الكيمياء في الفيزياء، إلى آخره.

ها الجماعة هذول يقوموا بهذه المجموعة أم أنتم تريدون ممن يدعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، أن يكون عالم مثلاً في الفلك عبثاً تطلبون لأنه أنا أدعوك أن تكون عالماً في الحديث، أن تكون عالماً في التفسير، أن تكون عالماً في الفقه وأنت جاهل، ولذلك يصدر منك مثل هذا السؤال.

خلاصة الكلام: الذي يسأل هذا السؤال لا يعلم ما هي الدعوة السلفية، وإذا علم أنها فهم الإسلام على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح وتبرأ من ذلك فليس من الإسلام في شيء، والحمد لله رب العالمين.

(الهدى والنور /٢١٩/ ٤٣: ٢٦ : ٠٠)

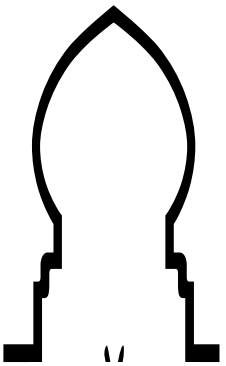

١١

اتهام الدعوة السلفية بالتشديد على الناس

اتهام: السلفية والتشديد على الناس

السائل: معنا سؤال عملي: [حول] النظرة السلفية لمشاكل العصر. طبعاً نحن كما تعلم الزمن يتطور والناس تستجد عليهم مشاكل عديدة لم تكن على عهد السابقين وعندما تأتي مشكلة ما ونسمع بها حلول أو اجتهادات نرى دائماً نرى اجتهاد إخواننا السلفيين من حيث التسهيل بالناس.

الشيخ: من حيث أيش ؟.

مداخلة: من حيث تسهيل الأمر على الناس تراهم في آخر اللستة، بمعنى آخر.

الشيخ: ما فهمت عفواً اللفظة ما فهمتها من حيث أيه

مداخلة: تيسير أوحل هذه المعضلة.

الشيخ: آه من حيث التيسير.

مداخلة: ترى أن الحلول التي تُطْرَح من مختلف الفقهاء ترى أن الحل السلفي

الشيخ: فيه تشديد.

مداخلة: فيه تشديد فإذا عرفنا وعلمنا ان مشاكل العصر الحالي لا يمكن أن تنتقل نقلة نوعية مما هي فيه من مادية إلى الكمال، بمعنى إذا أردنا أن ننشئ بنك إسلامي لا يمكن أن نضعه مائة في المائة، على حسب الأصول الإسلامية في التعامل نظراً لاشتباك القضية التجارية بالقضايا الربوية الأخرى، فترى أن حلول أخواننا السلفيين دائماً يأتي تقليدي ويرجون الإسلام مائة في المائة مما يجعلهم

في آخر المطاف من حيث الحل، وبالتالي لا يأخذ به كثير من الناس، وبالتالي يُتَّهمون بالتشديد، أفلا يعني هذا أنه عندما ننظر في هذه المسائل من حيث القياس والاجتهاد علينا أن نُرَاعي هذه النقطة ونُرَاعي أهمية إعطاء فرصة لهذه المؤسسة أو لهذه المشكلة بالحلول المطروحة المؤقتة إلى أن تسمح.

الشيخ: ما أدري إذا كان فهمي لما عرضته من البيان صواباً أم خطأ لماذا يعني ولو بارتكاب ما حرم الله أتريد أن تقول.

مداخلة: ليس بهذا المعنى بارتكاب، لكن الأمور فيها اضطراريات كثيرة، مثلاً عندما تأتي إلى إنشاء بنك إسلامي.

الشيخ: لا ما تعيد كلامك، وإنما أنت تجيبني عن سؤالي.

مداخلة: طيب كيف حقيقة ارتكاب المحظور الإنسان ما يريد أن يرتكبه ما فيه هناك مسلم.

الشيخ: ما عليش، أنت لا تعمل محاضرة، جاوبني على السؤال.

مداخلة: طبعاً ليس.

الشيخ: ولو بارتكاب المحرم بتقول نعم بتقول لا.

مداخلة: لا ليس بارتكاب المحرمات.

الشيخ: إذاً أولئك الذين يُيَسِّرون، وهؤلاء الذين تصفهم بأنهم مُشَدِّدون، ما هو الخلاف بينهم، هل أولئك المُيَسِّرون يعني طُبِعوا على التيسير ولو كان هذا التيسير مخالفاً للشرع، وهؤلاء المشددون طُبعوا بالتشديد ولو كان موافقاً للشرع، أم القضية بالعكس؟

مداخلة: لالا أظن لا إخواننا الفقهاء ينظرون إلى هذا بهذا المنظار إنما هي

قضية أنك الآن في مشكلة في عدة حلول ما يمكن تنتقل نقلة نوعية فيها.

الشيخ: بارك الله فيك يا أستاذ علي أنت تعيد كلامك، أنا موافق معك وأوقع على بياض، لا يمكن نقل طفرة واحدة لأن الإسلام ما جاء هكذا صحيح ولا لا، ولكن أنا أخشى من هذا الكلام الذي سمعته من غيرك وأرجوا ألا أسمعه منك ولذلك تفضلت بالسؤال أنه قد يرى بعضهم اليوم التدرج في تحريم الخمر كما وقع في العهد الأول، وعلى ذلك فقس الأحكام الشرعية الأخرى، أظنك أنت ما تعني هذا، أو كنت ما تعني هذا، إذاً إذا كنت لا تعني هذا فما الذي تعنيه؟.

ما أدري، أما أنا أفهم من الموضوع ما يأتي أولئك الذين تظن أنت أو غيرك ييسرون على الناس، ييسرون على الناس بتعدي حدود الله باسم قاعدة عامة يطبقونها في غير موضعها «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا»، وأنا أضرب لك مثلاً بسيطاً جداً في العبادات لأن المسألة واضحة، يمكن وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي اليوم كلها متشابهه وإن كان بعضها أحسن من بعض، وبعضها أسوأ من بعض، أنتم تعلمون مثلاً أن السنة في القراءة في صلاة الفجر إطالتها بخلاف بقية الصلوات على تفاوت معرفة السنة بينها، فإذا كان هناك إمام حريص إلى حد ما على تطبيق السنة يقرأ بالناس في صلاة الفجر أقل من السنة ثلاثين آية رأساً ترفع الشكوى من بعض الكسالى – يرحمك الله – من بعض الكسالى وينبغي أنت بالرغم أنك متوجه إليي بكليتك كما أني متوجه إليك بكليتي أن تقول له يرحمك الله تدري لماذا لأن (تشميت العاطس فرض عين).

مداخلة: يجب على كل مسلم؟

الشيخ: أيوه بارك الله فيك فرض عين، وهذا من الأحكام المجهولة في هذا الزمان لكن إن لم تتجاوب معي فحسيبك الله مش أنا، يعني الشاهد رجل من

الكسالى الذين يصلون خلف هذا الإمام الذي يقرأ دون السُّبنة يقدم شكوى إلى الأوقاف أنه فلان يا أخي يطيل علينا، ماذا يأتي الأمر من الأوقاف، قال عليه الصلاة والسلام يا مسلمون أنتم أئمة أنتم كذا من أَمَّ فليخفف فإن ورائه المريض والكبير وذوي الحاجة، ونحو ذلك، هذا لعب بالنصوص.

وكذلك يفعلون بالأحكام المالية تماماً يأخذون بعض النصوص العامة ويتركون النصوص الخاصة الذي قاله عليه السلام: «من أَمَّ فليخفف»، قال ذلك بمناسبة شكوى صارت من أحدهم في إمام هو معاذ ابن جبل لما افتتح في صلاة العشاء وليس في صلاة الفجر سورة البقرة والرجل خلفه شاب من الأنصار قطع الصلاة، وصلى وحده، وانصرف، وأحس بذلك معاذ فأخذ ينال منه يقول: هذا منافق، عُذر معاذ أنه ترك صلاة الجماعة الله أكبر، صلاة واحدة صار منافقاً، شوف بأن كيف كانوا يَزِنُون الأمور، الآن من يُصَبلِّي بالمَرَّة ما أحد بيقول عنه منافق، يصلي لكن ما أحد بيشوفه في المسجد، ما أحد بيقول عنه منافق إلى آخره، وصل على مسامع هذا الأنصاري سب معاذ له فشكاه إلى النبي ﷺ، قال يا رسول الله أننا أصحاب نواضح نعمل في النهار ثم نأتي لنصلي وراء معاذ فيطيل بنا في القراءة في الصلاة، فأرسل وراءه، فقال عليه السلام: «أفتَّان أنت يا معاذ، أفتان أنت يا معاذ، أفتان أنت يا معاذ، بحسبك أن تقرأ بالشمس وضحاها والليل إذا يغشى ونحوها من السور» هذا في صلاة العشاء، ثم قال عليه السلام: «من أَمَّ فليُخَفِّف».

فلو أن إماماً في صلاة العشاء قرأ مثلما الرسول خطط، حيقول الجمهور يا أخي طوَّلت علينا وحيخلوا شكوى للوزارة حا تجي الوزارة تأخذ طرف الحديث «من أم فليخفف» يعني على كيفهم بأه، أما التخفيف المقيد بالسنة لا

يقيمون لها وزن ليه لأن الهدف يسروا ولا تعسروا...

طيب هذا مثال يقع تماماً في المعاملات الربوية اليوم التي قامت عليها البنوك التي تسمى بالبنوك الإسلامية، البنوك الإسلامية ظاهرة عصرية الحقيقة وهي لم تتبدل تبدلاً جذرياً إلا باللافتة وكثير من الأحكام لا تلتقي إلا مع بعض الأقوال الشاذة الخارجة ليس فقط عن الكتاب والسنة بل عن أقوال الأئمة يقول بها بعض المقلدين للأئمة، وهم ليسوا مجتهدين، والإنسان حين يقال أنه ليس مجتهداً ذالك يساوي في لغة العلماء الحقيقيين أنه جاهل، الرجل العالم الذي يقال أنه عالم وليس بمجتهد أي لا يستقي الأحكام، الذي هو أولاً يتعبد الله بها، وثانياً يُعبد الناس بها، وإنما من قيل وقال هذا يسمى في لغة العلماء بأنه جاهل، **(ولو كانت عمامته كالبرج وجبته كالخرج)**، فهذا ليس عالماً، هم يقولون في كتاب القضاء ولا يجوز تقليد الجاهل، قال في الشرح: أي المقلد لا يجوز تقليد الجاهل أي القضاء القاضي

مداخلة: يعني تنصيبه شيخنا.

الشيخ: نعم

أيوه القاضي يجب أن يكون مجتهداً ولا يجوز أن يكون مقلداً؛ لأن المقلد يكون جاهلاً، وهذا صحيح، لأن المقلد الله، يرحم ابن رشد الأندلسي جاء بمثال رائع جداً يقول: مثل المقلد ومثل المجتهد كمثل صانع الخفاف وبائع الخفاف، مثل المجتهد ومثل المقلد كمثل صانع الخفاف وبائع الخفاف يأتي الرجل بقياس رجل غريبة قد تكون مثلاً قصيرة وضخمة وفي واحد بيصلح في رجله هلا يأتي عند بائع الخفاف بيطلع في هي الأقيسه المتعددة المتنوعة ما بيلاقي، بقله عفواً ما عندي من المقياس هذا، لكن بيروح عند صانع الخفاف يأخذ

القياس تماماً بيفصل إياها، هذا مثل المقلد، وهذا مثل المجتهد، المجتهد هو المتشبع بنصوص الكتاب والسنة التي أنزلها الله عز وجل لتكون كما يتفاخر به خطباؤنا ووعاظنا ومرشدونا وهم لا يعلمون هذه الحقيقة علماً واقعياً، يتبجَّحُون أن الإسلام يَصْلُح لكل زمان ومكان، وهذا صحيح، لكن بسبب جهلهم بهذه الحقيقة صاروا الآن وهنا الشاهد يحورون (انقطاع) معا متطلبات الزمان وبدون يسر، لم يأتوا بيسر لأن الجماعة درسوا الكتاب ودرسوا السنة وجدوا فيها أدلة تيسر لهم بعض المعاملات التي هم يرون التعامل بها اليوم.

لذلك أخي ما ينبغي نحن أن نظن في ناس نراهم فعلاً يتشددون لأنهم يطبقون أحكام الشريعة، وألا نعجب بأناس ييسرون لأنهم ييسرون، يجب أن نعلم هؤلاء الذين يشددون هل هو اجتهاد من عندهم أم هو تمسك منهم بنصوص كتاب ربهم وسنة نبيهم، إن كان هذا هو التمسك فهذا واجب كل مسلم كذلك أولئك الناس الذين يقال انهم ييسرون، هل ييسرون بأدلة يقدمونها للناس من الكتاب والسنة، ولا هذه آراء، نحن نعرف من كتب الفقه عجائب من الأمور عجائب جداً وأنا كنت اجتمعت مع مدير مع رئيس البنك الإسلامي أيش أسمه إله كتاب في هذا الذي أسس البنك الإسلامي.

مداخلة: صالح كامل.

الشيخ: يمكن.

مداخلة: حماد أو حامد كذا.

الشيخ: إله كتاب الشاهد عرفت منه كيف أقام البنك الإسلامي، أقامه على التلفيق، كلما وجد قولاً في مذهب من المذاهب ييسر معاملة ربويه هو تبنى هذا القول فجعله نظاماً وقاعدة، وهو ما جاء بشيء، والتاريخ العصري أو المعاصر

يشهد أن أحد علماء الأزهر في زمن الخديوي تبع مصر، قال له ضع أي قانون تريده ونحن مستعدون أن نسند هذا القانون بنصوص شرعية من علمائنا، وهذا صحيح، ليه أنا اضرب مثلاً واقعي هل هناك إذاعة من السعودية وأنت نازل لا تذيع ما هو متفق على تحريمه بين المذاهب الأربعة من الملاهي والأغاني، الجواب لا لا توجد هذه الإذاعة مع الأسف الشديد، أفلا يوجد من يفتي بجواز هذه الأغاني، الجواب: يوجد، ما حجته في ذلك قريب منكم ولعله بعيداً عنكم قريب منكم أخونا وصديقنا يوسف القرضاوي الذي أصدر فتوى بالنسبة لذاك البريطاني الذي اسلم وكان مغنياً تذكر شو أسمه

مداخلة: يوسف إسلام.

الشيخ: يوسف إسلام لقد أفتاه بأن يستمر في مهنته، لماذا؟ قال لأنه لا يوجد نص قاطع، هكذا يقول، لا يوجد نص قاطع في تحريم آلات الطرب، ولذلك هو لا يرى حرجاً بأن يظل هذا المسلم البريطاني يتعاطى مهنة الغناء ويأكل ويُعَيِّش نفسه وأهله، هذه الفتوى صدرت من هذا الرجل، ومثله الشيء الكثير الكثير إذا سألته عن حجة، بيقل لك يا أخي المسألة مختلف فيها، هذا ابن حزم مؤلف رسالة في إباحة الملاهي، وهذا صحيح،لقد قال أحد العلماء الأذكياء أنا احترت في أمري إن كنت مثلاً سلفي بيقولوا عني مجسم، وإن قلت حنفي بيقولوا بيستحل المسكر، وإن قلت أنا ظاهري بيستحل الغناء، بيشير إلى كل مذهب فيه ما فيه مما لا يجوز أن يتبناه المسلم وبخاصة العالم، فأصبح اليوم حل المشاكل في البنوك وغير البنوك في الأحكام الي بيسمونه أيش.

مداخلة: الأحوال الشخصية

الشيخ: الأحوال الشخصية كلها تحل بطريقة أيش التلفيق، يأخذ الكلمة من

هون وكلمة من هون وكلمة من هون لا هو حنفي لا هو شافعي لا هو مالكي ولا هو حنبلي لكن هو بيمشي على الأربع تفهم علي يمشي على أربع، أما أحد بيقلك: قال الله، قال رسول الله، هذا ما بيسمع هذا غير هؤلاء المتشددون، فلا تعجبن بأن الإسلام مما جاء فيه: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبا للغرباء قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: هم ناس قليلون صالحون بين ناس كثيرين، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، هذه صفة متحققة اليوم تماماً على هؤلاء الغرباء.

كذلك صفة أخرى: «من هم الغرباء يا رسول الله؟ قال هم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي».

باختصار إذا أخذنا مبدأ التيسير هكذا على إطلاق فهو سبب للخروج من الإسلام باسم الإسلام، ولعلك توافقني بأنه أشد هؤلاء المُحَدِّثين اليوم ممن يقال أنهم علماء أشدهم تيسيراً هو محمد الغزالي، فهل معنى ذلك أنه هو مصيب على خير وعلى صواب الجواب لا لأن هذا لا يقيم للسنة وزناً، وقد كنا نرى منه تلاميح نوجس منها خيفة، لكن الآن انكشف القناع، وأظهر ما كان يبطن، فهذا أشد هؤلاء المعاصرين اليوم تيسيراً، لكن على حساب النصوص التي تخالف التيسير الذي يزعمه هو.

لذلك نحن ننصح كل مسلم ألا يغتر بشيء اسمه تيسير، وآخر اسمه تشديد، وإنما عليه أن يحاول أن يفهم الشريعة، سواء كانت موافقة له لهواه، أو مخالفة، هذا هو، وهذا يعجبني من الأحاديث التي رواها الإمام مسلم في «صحيحه» عن رافع ابن خديج يقول في حديث المزارعة : «إن الرسول عليه السلام نهانا عن شيء كان لنا فيه مصلحة لكن طواعية الله منا انفع لنا» كما قال، شايف هذا هو

الإسلام، نهاهم عن المزارعة نوعية من المزارعة كان لهم فيها مصالح، لكن طواعيتنا لله عز وجل هي أنفع لنا في ديننا وفي دنيانا.

هذا المنطق السَّلَفي اليوم مفقود، الذي هذا بيؤيد مصالح الناس المادية، هذا هو الميسر، وهذا هو العالم، واليِّ بيقول هذا ما بيجوز وهذا لا يجوز، ولو بما قال الله وقال رسول الله، هذا متشدد.

ختاماً أنا آتي بمثال الآن مما عليه البنوك الإسلامية كلها وهو ملاحظة فرق السعر بين بيع النقد وبيع التقسيط معروف هذا طبعاً، طيب هات بنك إسلامي يبيع بسعر واحد نقداً أو تقسيطاً هذا مستحيل وجوده، لما؟ لأنه هذا النظام الذي قامت عليه البنوك الأوروبية، فنحن إن عَدَّلنا بعض الشيء عدلنا عن البنوك الكافرة بعض الشيء، فهذا لا يعني أننا عدلنا نظام البنك من أصله من فصله من جذره لا، مع ذلك هذا التعديل البسيط استلزم عندهم أن يضعوا هذه اللافتة الضخمة «البنك الإسلامي» بنك إسلامي، يوجد في مجتمع إسلامي وأنا بهذه المناسبة يعجبني، جاءني ضابط من الزرقاء يمكن أخواننا ذول أرسلوه لعندي أنا ما رأيته من قبل، أول ما جلس زارني في البيت أول ما جلس عندي، ربنا بيريد أن ينبهني كأنه يقلي خذ حذرك مش يعني معركة هي، لكن لا تتورط تتكلم كلمة مع إنسان ينبغي أن تقال سواها رأساً، قُلِّي شو رأيك في البنك الإسلامي؟ فهمت أنه بده يبحث فيما يتعلق بالربا، وبهذا التقسيط، وإلى آخره، فأنا جئت من أقرب طريق، قلتله شو رأيك أنت في المجتمع الإسلامي، عاجبك؟ قال: لا. قلتله: لا، وأنا مو عاجبني البنك الإسلامي، هذا البنك الإسلامي نابع من هذا المجتمع الإسلامي، حينما يوجد مجتمع إسلامي حقاً يوجد بنك إسلامي.

أنتم بتعرفوا أنه في هناك كتب ألفت في الاشتراكية الإسلامية صحيح وإلا لا،

وما أدري والله لو أن ذاكرتي الكلية ما بتساعدني بأن هناك في أسماء أخرى أيضاً كلها موصوفة أنها أيش «الأناشيد الإسلامية» فأنا أخشى ما أخشى يوم ما نشوف كتاب «الشيوعية الإسلامية»، أخشى ما أخشى أن أشوف يوم ما بهذه الصراحة الشيوعية الإسلامية، ما هذا بعيد، من كان يستبعد قبل ربع قرن من الزمان أنه يطلع كتاب الاشتراكية الإسلامية، بقول كنا نستبعد هذا، لكن صارت هذه حقيقة وفيها عدة كتب، ولذلك كونه اسمه البنك الإسلامي، ذلك لا يعني أنه يتعامل على منهج الشريعة الإسلامية.

من أوضحها مثالاً أنهم يُفَرِّقون بين سعر النقد وبين سعر التقسيط، ليه؟ لأنه هذا المجتمع الإسلامي هكذا يتعامل اليوم، صادر فتاوى بجواز هذه المعاملة وإلا لا؟ طبعاً صادر فتاوى ومن مراكز عالية، ونُقَدِّر يعني بعض شيوخها، لكن هؤلاء أفتوا بما في المذهب، بينما هناك أقوال أخرى عن السلف الصالح إذا تركنا بعض الأحاديث وتركنا حكمة التشريع نجد هناك من يقول: إن هذا لا يجوز البيع بسعرين مختلفين، سعر النقد أقل من سعر التقسيط، وسعر التقسيط أكثر من سعر النقد، مع قول الرسول عليه السلام: «من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا»، مع قول ابن مسعود: «نهى رسول الله ﷺ عن صفقتين في صفقة»، قيل لراوي الحديث سماك ابن حرب ما صفقتين في صفقة؟ قال أن تقول أبيعك هذا نقداً بكذا ونسيئة بكذا وكذا، أبيعك هذه الشنطة نقداً بدينار وتقسيطاً بدينار وفلس، هذا الفلس ربا، لماذا؟ لأنك في هذا التعامل -والواقع أكبر شاهد- تعطل خُلُقاً إسلامياً، وهو مستعمل اسماً في البنوك الإسلامية اسماً، أيش هو؟ القرض الحَسَنَ، وين القرض الحسن؟ أي إنسان يريد أن يأخذ من أي بنك قرض حسن يمكن يعطوه مائة دينار، مائتين دينار وبعد ايش كلّابات حديدية تحاط فيه حتى لا يكاد يقول الله هو الغني عن هذا القرض الحسن، أما أنت

بحاجة إلى تأسيس تجارة، أنت بحاجة إلى بناء دار تأوي إليها، أنت وأهلك، ويقرضونك ألوف مؤلفة حسبةً لله، هذا معطل ليه، لأنه في بيع التقسيط بيع التقسيط نظام كافر، نحن في الشرع عندنا في بعض الأحاديث الصحيحة قرض درهمين تساوي صدقة درهم، قرض درهمين تساوي كما لو أخرجت من جيبك درهماً ولن يعود إلى جيبك أبداً، قرض مائتي دينار كما لو تصدقت بمائة دينار، هذا التعامل في المجتمع الإسلامي اليوم لا وجود له، حبر على ورق، السبب أننا لا نعيش مجتمعاً إسلامياً.

ولذلك البنوك الإسلامية هي نابعة من هذه المجتمعات، فهي ليست تمشي على الإسلام إلا بقدر، ومن هنا نتوصل إلى بعض الناس الذين يتشددون في إصدار أحكام قاسية وشديدة على الحكام المسلمين الذين يحكمونهم وهم مع الأسف الشديد لا يحكمون بما أنزل الله، هذه حقيقة، لا يمكن لأحد إنكارها، ولكن ذلك لا يساوي إصدار أحكام بتكفيرهم وبوجوب الخروج عليهم ومقاتلتهم وليس يوجد عند هؤلاء الذين يصدرون مثل هذه الفتاوى قوة يستطيعوا أن يحاربوا بها اليهود، وكيف يقولون بحكم ما لا يستطيعون تنفيذه في كل البلاد الإسلامية ومع حكامهم لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله هذه حقيقة مرة، لكن الناحية الفقهية لا يعني أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو مرتد عن دينه إلا في حالة واحدة إذا ظهر أن هذا الحاكم لا يعتنق الإسلام، ويعتقد ويصرح به بأنه لا يصلح الحكم الإسلامي في هذا الزمان، هذا لا شك بأنه كافر مرتد عن دينه قولاً واحداً، ودون خلاف بين مسلمين اثنين.

الخلاصة: التشديد والتيسير، لا ينبغي أن نقبح هؤلاء ونحسن هؤلاء إلا في حدود ما شرع الله.

من هم السلف:

الشيخ : كما قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» تركت فيكم يا معشر الأصحاب أمرين هامين جداً كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، أي: لا يجوز التفريق بين كتاب الله وبين حديث رسول الله ﷺ، بل يجب أن يستمر العمل بينهما حتى يوم البعث والنشور خلافاً لما يدعي بعض الناس اليوم، وهذا من الانحراف الخطير أنا نحن ما نتعرف على شيء غير القرآن، والذي يقول هذا الكلام هو يخرج عن الإسلام، شاء أم أبي، شعر أو لم يشعر؛ لأن القرآن مما فيه: قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩] ذلك خير وأحسن تأويلا وقد أتفق علماء التفسير على أن الرد إلى الله في هذه الآية هو الرد إلى كتاب الله والرسول، الرد إلى سنته، فمن أبي الرجوع إلى السنة، كفر بالقرآن فضلاً عن السنة؛ لأنه إن لم يؤمن إلا بالقرآن فكيف يفهم هذه الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾ وهو كلامه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ وهو سنته.

وأشياء وأشياء كثيرة كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ وعلى ذلك: فالتعرف على السنة الصحيحة يكون عصمة للمسلم الملتزم بالشرع حقاً من أن يميل يميناً أو يسارا، أو يكون من الفرق الضالة التي أخبر عنها الرسول عليه السلام في الحديث الصحيح حين قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى اثنتي وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار، إلا واحدة قالوا: يا رسول الله من هي؟» أمر خطير جداً واحدة من ثلاثة وسبعين فرقة هذه الواحدة هي الفرقة الناجية، والاثنين والسبعين فرقة هي

الفرق الهالكة، فيجب على المسلم أن يعرف إذاً من هم الفرقة الناجية حتى يكون منها أو يقتدي بها ويخطوا خطاها، من هي، لذلك توجهوا بهذا السؤال إلى الرسول عليه السلام فقال هي الجماعة.

له جوابان عليه الصلاة والسلام «هي الجماعة» وأول ما يتبادر إلى الذهن من هذه اللفظة الجماعة هي الجماعة الأولى، وهي التي شهد لها الرسول كما ذكرنا في حديث: «خير الناس قرني» وليس خير القرون قرني، «خير الناس قرني»، من هم إذاً الصحابة، فإذاً أول ما ينبغي أن يتبادر إلى الذهن حينما نسمع هذا الجواب المعصوم من النبي الكريم جواباً على ذاك السؤال الخطير من هي هذه الفرقة الناجية يا رسول الله؟ قال: «هي الجماعة»، إذاً هم الصحابة، ثم الذين يلونهم، كما في الحديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم»، وقد جاء تفسير هذه اللفظة «الجماعة» وفي رواية أخرى ألا وهي قوله عليه السلام: «هي ما أنا عليه وأصحابي».

لذلك نحن نقول من الناحية العلمية بالنسبة لوضعنا المعاصر اليوم: لا يكفي أن ندعي دعوة الحق فقط وهي الكتاب والسنة لا يكفي هذا، بل لا بد أن نضم إلى ذلك ما كان عليه أصحاب الرسول عليه السلام من أجل ذلك يكون المسلم واجباً عليه أن يعرف كل مسألة على ضوء ثلاثة أمور: الكتاب، السنة، الصحابة؛ لأن هؤلاء الصحابة هم الذين تلقوا الكتاب والسنة من فم النبي ﷺ غضاً طرياً، ثم تلقوه منه عليه السلام مطبقاً عملياً، بينما نحن ما ندري إذا رفعنا هذه الواسطة بيننا وبين أصحاب الرسول عليه السلام، ما ندري كيف نفسر آية ما أو حديث ما، ولكننا حينما نعتمد في تفسير تلك الآية على الذين تلقوها من الرسول عليه السلام غضاً طرياً كما ذكرنا وطبقوها أيضاً تطبيقاً عملياً نكون على هدى من الله

ونكون من الفرقة الناجية.

وأَكَّد هذا قوله عليه السلام ختاماً لهذا الموضوع كما جاء في حديث العرباض ابن سارية رضي الله عنه: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: أوصنا يا رسول الله» في بعض الروايات التي كنت قرأتها قديماً قديماً جداً في أول نشأتي العلمية قالوا يا رسول الله: «أوصنا وصيةً لا نحتاج إلى أحد بعدك أبدا» قال عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن ولي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» هذا الشاهد «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله» وفي الحديث الآخر: «وكل ضلاله في النار».

قوله عليه السلام: وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا، هذا الخطاب موجَّه إلى الأصحاب «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا» فيا ترى من سيكون بعدي من القرون كقرني هذا كيف سيكون الخلاف؟! أعظم وأعظم، وأوسع وأخطر.

والمسألة السابقة لو أنك سألت بعض من يظن، لا أقول لو أنك سألت بعض أهل العلم، لكني أقول حقاً: لو أنك سألت بعض من يظن أنه من أهل العلم إذا دخلنا يا أستاذ يا فضيلة الشيخ المجلس مجلساً فيه أشخاص خمسة عشرة إلى آخره، ونحن نعلم أنه كما فعل صاحبنا الداخل آنفا أنه من السنة المصافحة فلو قلت له نحن نعلم هذا، ولكن هل يسن من السنة أن نسلف كل من نصافحه في المجلس السلام عليكم، السلام عليكم، السلام عليكم، بعدد الحاضرين،

فسيكون جوابه يا أخي شوفيها، هذا جواب تقليدي، شو فيها، أما جوابنا نحن فيها أنه خلاف السنة، فإن كان ما بيهمك خلاف السنة استمر على قولك شو فيها إلى أن تُبعث، أما إذا كنت تعلم أنه خير الهدى هدى محمد ﷺ، وتعلم أن نبيك ﷺ كان إذا دخل مجلساً وفيه جمعاً ما يسلم على كل واحد السلام عليكم، السلام عليكم، السلام عليكم، ولكن يلقي السلام على الجميع السلام عليكم، وإذا تيسر له المصافحة أكمل السلام، كما قال بعض الصحابة الكرام: «ما لقينا رسول الله ﷺ إلا وصافحنا» فإذا كنت تؤمن بأن خير الهدى هدى محمد فإذاً علينا أن نلتزم سنة محمد ﷺ، نرجو الله ونسأل الله أن يحيينا عليها وأن يميتنا عليها لنحشر مع النبي ﷺ يوم القيامة.

(الهدى والنور/٢٦٤/ ٠٠ : ١١ : ٠٠)

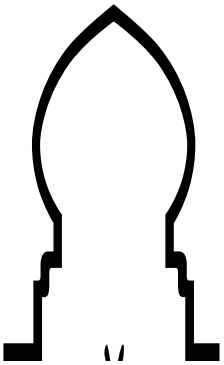

١٧

اتهام الدعوة السلفية بعدم تقدير الأئمة الأربعة

تُهم وشبهات: السلفيون لا يُقَدِّرون الأئمة الأربعة ومذاهبهم

السائل: يقولون أن السلفيين لا يُقَدِّرون المذاهب الأربعة حَقَّ قدرها، بدليل أنهم يحطون على الإمام أبي حنيفة النعمان، ويذكرون جرح بعض علماء الحديث فيه وينتقدون كثيراً من مسائل المذهب الحنفي، مع أن هذا المذهب عليه أكثر الجماهير من المسلمين، فما موقف السلفيين من الأئمة الأربعة؟

الشيخ: هذه التهمه تلحق بسابقاتها أن السلفيين في كل بلاد الدنيا يعرفون قدر العلماء، فهم لا يبخسون الناس أشياءهم، كما أنهم لا يرفعون العلماء فوق المنزلة التي وضعهم الله فيها؛ لأن النبي ﷺ وهو سيد البشر كان يقول لأصحابه: «لا ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله فيها»، فإذا كان هذا شأن محمد المصطفى ﷺ، فالسلفيون يلتزمون هذا المنهج الوسط مع علمائهم، فهم مثلاً لا يرفعون أبا نعيم الأصفهاني مثلاً، فيقولون عنه بسبب كونه حافظاً من المحدثين المشهورين لكثرة الرواية لا يقولون بأنه في معرفة الصحيح والضعيف كالإمام البخاري، لكنهم يعتقدون أنه حافظ من حفاظ المسلمين، وأننا نحن المتأخرين يستفيدون من كتبه، ومن أساليبه التي بها يروي أحاديث كتبه فائدة كبرى لا يسعهم الاستغناء عنها، فضلاً عن أنهم لا ينظرون إلى أبي نعيم هذا الأصفهاني أنه من الأئمة المجتهدين في الفقه، فكما نعلم جميعاً قد يكون عنده صوفيات،

وقد يكون عنده من الأحاديث الموضوعات الشيء الكثير.

فنحن نعطي كل إنسان حقه، أضرب بهذا مثلاً من أئمتنا نحن أهل الحديث، حتى يعلم الجميع أننا لا تعصب عندنا لأحد ولا على أحد، فالإمام أبو حنيفة رحمة الله هو أول الأئمة الأربعة من حيث الطبقة وهو مشهور بفقهه رحمه الله، فنحن بلا شك نستفيد من علمه في فقهه، ولكننا لا نصنفه مع الأئمة الستة، نصنفه مع الأئمة الأربعة في الفقه، لكننا لا نصنفه مع الأئمة الستة في ما يتعلق بالحديث حفظاً وتصحيحاً وتضعيفاً؛ لأن الإمام أبا حنيفة رحمه الله لم يُعْرَف عنه أنه عني بالتجوال والطواف في البلاد لجمع السنة والأحاديث من مختلف الرواة كما وقع ذلك في كثيرٍ من أئمة الحديث، وبخاصة منهم الأئمة الستة، البخاري وبقيتهم، لكننا كما قلت آنفاً، نصنفه مع الأئمة الأربعة في الفقه، لكننا أيضاً لا نرفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، فلا نقول هو كأحمد إمام السنة في كثرة الرواية للحديث، ومعرفة للرجال توثيقاً وتجريحاً، بل ولا نلحقه بالإمام الشافعي رحمه الله، الذي صح عنه أنه كان يقول لتلميذه الإمام أحمد رحمه الله: إذا جاءك الحديث صحيحاً، فأعلمني به، سواء كان كوفياً أو بصرياً أو مصرياً أو حجازياً حتى أعمل به، الإمام الشافعي يعترف للإمام أحمد بتفوقه في الإحاطة بالسنة على نفس الإمام الشافعي رحمه الله هكذا، ولكننا أيضاً نقول أن الإمام الشافعي في الفهم من الكتاب والسنة، هو أقوى في ذلك من الإمام احمد، ولو أن الإمام أحمد ساعده على أن يتفوق على كل الأئمة المجتهدين، كثرة مادته في الحديث، لكان الإمام الشافعي، متفوقاً عليه في الفقه، لأنه أقوى منه في الاستنباط، ولكن الإمام أحمد رحمه الله، استغنى بالأحاديث والآثار عن إعمال الرأي والاجتهاد، كما فعل الإمام الشافعي، كذالك نقول ليس الإمام مالك رحمه الله، إمام دار الهجرة كالإمام الشافعي، إحاطةً بالسنة و تفقهاً فيها، أو مثل الإمام

أحمد إحاطةً بالسنة، فلكلٍّ منزلته.

فنحن إذا قلنا أن الإمام أبا حنيفة هو فقيه من الفقهاء الأربعة، ولكنه ليس محدثاً، لا نظلمه ولا نبخسه حقه، لأن هذا كان واقعه فانشغاله بالفقه والاستنباط وعدم تيسر وسائل التجوال والتطواف في البلاد جعله يعتمد على الاستنباط من الكتاب والسنة في حدود ما فتح الله تبارك وتعالى عليه.

ولا أريد أن ... الجواب عن ما جاء في السؤال مما قد يطعن فيه بعض الناس اليوم، في أبي حنيفة اعتماداً على كثيرٍ، ولا أقول على بعض الأقوال التي جاءت في حق أبي حنيفة، وأنه لا يُعْتَمد عليه في الحديث هنا لا بد لنا من أن نقول كلمة حق أيضاً، هناك كثير من العلماء والفقهاء قد عرفوا بسبب انشغالهم بالفقه أنه ضعف في حافظتهم، وذاكرتهم، فلم يُعرفوا بإكثارهم في الحديث أولاً، ثم لم يعرفوا بضبطهم لما رووا من الحديث ثانياً، قد كان من هؤلاء محمد ابن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وهو أحد الفقهاء السبعة، قد كان من هؤلاء أبي حنيفة الإمام الأول من الأئمة الأربعة، فإذا قلنا محمد ابن عبد الرحمن ابن أبي ليلى فقيه، لكنه ضعيف الحديث، لم يكن هذا طعناً فيه، وإنما كان وصفاً له، وبياناً لحاله في رواية الحديث، حتى نأخذ حديثه على حذر، ونعطيه المرتبه التي يستحقها، حينما وصفه علماء الحديث بضعف الحفظ والذاكرة، هذا مما يدل على أن الناس كل الناس إلا من عصم الله، هم ما بين إفراط وتفريط، أما العدل أما الوسط فهذا قلما نجده وهذا الذي ندعو الناس إليه، تجد المتعصبين لأبي حنيفة، لماذا لو أنهم اقتصروا في ذلك إلى دقة الفهم والاستنباط، كما جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة»، لو أن أتباعه المتعصبين له رفعوه إلى السماء فيما يتعلق بالفقه فقط، لوجدنا لهم عذراً

لأن الإمام الشافعي وهو من هو في المعرفة والفقه كما قلنا آنفاً، كان لهم حجه في ذالك، أما أن يصفوه بالضبط والحفظ أولاً، ثم أن يتوجهو إلى الغمز واللمز والطعن في الأئمة الكبار، الذين منهم الإمام أحمد والبخاري ومسلم، وعبد الله ابن مبارك وغيرهم ممن وصفوا أبا حنيفة أنه ضعيف في الحفظ فبلغ تعصب هؤلاء لأبي حنيفة أن يقولوا: إن وصف هؤلاء الأئمة لأبي حنيفة بسوء الحفظ كان من تعصبهم عليه، ومعنى ذالك أن هؤلاء أئمة الجرح والتعديل الذين نعتمد عليهم في هذا الباب، في مجال الجرح والتعديل فهم ليسوا أتقياء لأنهم جرحوا أبا حنيفة في الرواية بدون حق، بل تعصباً عليه، فماذا فعل المتعصبون لأبي حنيفة؟، لينقذوا أبا حنيفة من أمر لا يؤاخذ عليه شرعاً، طعنوا في أئمة من أئمة الجرح والتعديل، لو صح طعنهم فيهم لكان جرحاً فيهم، فلإنقاذ إمام من أئمة المسلمين مما لا يضره من وصفه بأنه كان سيء الحفظ طعنوا في أولئك الأئمة وقد كنت استقصيت جمهوراً منهم فبلغوا نحو خمسة عشر محدثاً من المتقدمين والمتأخرين، كلهم تتابعوا على وصف أبي حنيفة بأنه ضعيف في حديثه، طعنوا في كل هؤلاء الأشخاص من الأئمة الكبار الفحول في سبيل ماذا، إنقاذ أبي حنيفة من سوء الحفظ، ليس عيباً هذا، ويدلكم ويؤكد لكم أن العصبية المذهبية تعمل عملها.

[انقطاع] أنكم لا تجدون فيهم مثل هذا الحماس في الدفاع عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عبد الرحمن تابعي جليل، ابنه محمد من الفقهاء السبعة، فقيه إمام عظيم، لكنه في الحديث شأنه شأن أبي حنيفة، لا يدافعون عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، لأنه ليس إماماً لهم في الفقه، مع أنه إمام من أئمة المسلمين في الفقه، فيدافعون على إمامهم بالباطل ولا يدافعون عن غيره لأنه لا يهمهم إلا الانتصار لإمامهم

بالباطل.

أعود لأقول هل وصف الراوي بما فيه يعتبر طعناً غير مشروع في الشرع؟ الجواب لا، ولولا ذلك لم يكن هذا العلم... المعروف بعلم الجرح والتعديل، لأن علماء الحديث لو تورعوا تورع الصوفية البارد ولم يصفوا كل راو بما فيه من ضعف في حفظه أو في تهمة له في صدقه لأصبحت شريعة الإسلام، كشريعة اليهود والنصارى، لا سبيل لنا إلى تمييز ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم، كما أن اليهود والنصارى لا يستطيعون أن يميزوا الروايات الصحيح التي تروى عن أنبيائهم لذالك كان من مزايا هذه الأمة الإسلامية أنها تفردت بشيء، اسمه الإسناد، وقال بعض أئمة الحديث، الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وايش معنى الإسناد من الدين؟ أي سلسلة الرواة الذين يأخذ بعضهم عن بعض ويصل الحديث إلى الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وآلة وسلم، هذا هو الإسناد، فإذا ما نعرف حال كل راوي من هؤلاء الرواة لم نتمكن من أن نستفيد من السند أولاً ثم أن نعرف الحديث الصحيح من الضعيف ثانياً.

أئمة الجرح والتعديل ذهبوا إلى أنهم يتقربون إلى الله تبارك وتعالى، في قولهم فلان صدوق سيء الحفظ، فلان صدوق يهم كثيراً، فلان فاحش سيء الحفظ، فلان متروك، متهم، فلان كذاب، فلان وضاع، فلان دجال، فوصف رواة الحديث، من أئمة الجرح والتعديل هو من تمام نصحهم لأئمتهم، كما تعلمون في الحديث الصحيح، «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله، قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم».

وإذا مللتم فأنا ما مللت بعد، ولذالك فأرجو الانتباه، وإلا فننصرف، وتنصرفون معي راشدين إن شاء الله، ولأئمة المسلمين وعامتهم... نصح لعامة

المسلمين تمييز الصالح من الطالح، أولاً بمعرفة الرواية، وثانياً بحق الصحبه، من تصاحب، تصاحب المؤمن، «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقياً»، فإذا رأيت رجلاً يصاحب فاسقاً أو يصاحب مبتدعاً، ولو كان هذا المبتدع صالحاً في ظاهره وجئت إلى هذا الصاحب المغرور بذالك الصالح المبتدع فقلت له يا أخي، قال رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم « لا تصاحب إلا مؤمنا»، هذا رجل مبتدع هذا رجل سيء الأخلاق ما تكون غمازاً ولا تكون شتاماً، ولا تكون لعاناً، والمؤمن ليس باللعان ولا الطعان كما جاء في الحديث الصحيح، لكنك إذا وضعت الطعن في محله، فأنت تكون مرضياً عنك من ربك.

ولعله من المفيد في هذا الصدد أن نروي لكم حديث أبي هريرة وغيره حديث أبي هريرة رواه الإمام البخاري، في الأدب المفرد بإسناد جيدٍ يرتفع إلى مرتبة الصحة، بمجيئه من طريق آخر، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآلة وسلم فقال يا رسول الله جاء يشكو جاره، قال يا رسول الله: «جاري ظلمني»، انتبهو الآن قوله -هذا المظلوم- «جاري ظلمني» أليس طعناً، أليس غيبةً، بل هو غيبة، فانظروا ماذا كان موقف الرسول عليه السلام: « قال: جاري ظلمني، قال: اخرج متاع دارك واجعله على قارعة الطريق» ففعل الرجل، والطريق بطبيعة الحال ما سميت طريقاً إلا لأنه مطروقاً، فكان كل ما مر ناس ورأوا هذه الظاهرة التي تلفت أنظارهم،قالوا: ما لك يا فلان، قال: جاري ظلمني، فما يكون منهم إلى أن يقولوا قاتله الله، لعنه الله، هذا طعن أم ليس طعناً؟ طعن فظيع، والجار الظالم يسمع كل هذه المطاعن، فما كان منه إلا أن ركض إلى النبي صلى الله عليه وآلة وسلم ليقول له: يا رسول الله أؤمر جاري بأن يعيد متاعه إلى داره، فقد لعنني الناس فقال عليه الصلاة والسلام: « لقد لعنك من في السماء، قبل أن يلعنك من في الأرض».

من مثل هذا الحديث والبحث طويل ولكن أوجزه ببيتين من الشعر كنت

حفظتهما في شبابي، الشعر الفقهي الذي ينبغي أن يحفظ لأنه سلس وجميل وفيه أحكام مجموعه، متفرقة في الكتاب والسنة قالوا:

القــدح لــيس بغيبــة في ســتة مــــتظلماً ومعرفـــاً ومحـــذر

ومجـــاهراً فســـقاً ومســـتفتياً ومن طلب الإعانة في إزالة منكرِ

القدح الغيبة: محرم، لكن في هذا الأشياء الستة ليس محرماً، على هذا المبدأ الفقهي انطلق أئمة الحديث، حينما جَرَّحَوا عَدَّلوا نصحاً للأمة، ثم كانوا من ورعهم وخوفهم من ربهم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، فكون محمد ابن عبد الرحمن ابن أبي ليلى من الفقهاء ما حال ذالك دونهم ودون وصفه بسوء الحفظ في روايته للحديث، كذلك كونهم يعلمون كما قال الشافعي أن أبا حنيفة الناس عيال في الفقه عليه، ما منعهم ذلك أن يصفوه بالضعف في الحديث نصحاً للأمة، لماذا هذا أبو داود صاحب السنن يتهم ابنه عبد الله ابن أبي داوود فيقول بلفظ أفظع مما قيل في أبي حنيفة فيما يتعلق بالجرح، يقول: «ابني كذَّاب»، وعليَّ بن المديني أيضاً يشهد في أبيه عبد الله بأنه ضعيف، فلماذا هؤلاء المتعصبة يهتمون بكلام أئمة الجرح في بعض الفقهاء ولا ينظرون إلى إنصافهم حينما هذا يطعن في ابنه، وذاك يطعن في أبيه، كل هذا صيانةً للحديث النبوي أن يدخل فيه ما ليس منه.

خلاصة القول في الإجابة عن هذا السؤال: أن السلفيين لا يطعنون في أحد من أئمة المسلمين، وإنما يُنْزِلون كل واحد منهم منزلته التي وضعه الله فيها، هذا أولاً، وثانياً: أن قولهم اتباعاً لأئمة الجرح والتعديل قولهم في إمام من أئمة المسلمين: إنه ضعيف في الضعيف، أو لا يؤخذ بحديثه، هذا ليس طعناً من قبيل الطعن الذي لا يجوز للمسلم أن يقع فيه، بل هو من المستثنيات الست التي سبق ذكرها آنفاً، لعل في هذا القدر كفاية.

(الهدى والنور / ٣٩٧ / ٤٠: ٠٠ : ٠٠)

تهم وشبهات: السلفيون يُلزِمون الأئمة بأقوال هم يفتون بخلافها

أبو إسحاق: يقولون يُكْثِر السلفيون من ذكر قول الأئمة الأربعة إذا صح الحديث فهو مذهبي فيأتون على حديث إفتاء بعض العلماء بخلاف ظاهره، فيُلْزِمون الإمام به، مع أن الإمام النووي رحمه الله حَقَّق في مقدمة المجموع أن هذه العبارة ليست على ظاهرها، وبذلك تفرد السلفيون بآراء فقهية ضعيفة يُلْزِمون الأمة بها، فما قولكم ؟

الشيخ: جوابي على هذا السؤال، أنا مع الإمام النووي رحمه الله فيما ذهب إليه بشرطين اثنين:-

الشرط الأول: إذا كان يعني انه لا يجوز نسبة الإمام الشافعي إلى مخالفته للحديث، لأنه فهمه على وجه خاص فهذا صحيح.

والشرط الثاني: أننا نحن معشر السلفيين إذا كان الحديث الذي فهمه الإمام الشافعي على وجه ووجدنا أئمة آخرين عملوا به على ما يبدوا لنا من الوجه الآخر للمعنى وأراد النووي أنه لا يجوز لنا العمل به، لأن الإمام الشافعي عمل به في وجه، أو على معنى آخر، حينئذ نحن ننفصل عنه ونقول لا يجوز لنا أن نعمل بحديث فهمه الشافعي وسائر الأئمة على وجه، ونفهمه نحن في آخر الزمان على وجه آخر، والحديث في واقعه يحتمل وجهين، لا نجد أحداً سبقنا

إلى الأخذ بالوجه الآخر، حينئذ فنحن مع الإمام النووي، أما إذا كان الحديث صريح الدلالة لا يقبل تأويلاً، وعرفنا أن الإمام الشافعي أو غيره،كان هو يتكلم في حدود مذهبه، وعرفنا أن إماماً من أئمة المسلمين الفقهاء المجتهدين فسره على خلاف ظاهره وجاء على تفسيره بدليل لا نعلمه، وجب علينا أن نتبعه، أما إذا كانوا مسلمين معنا بأن دلالة الحديث صريحة وليس عندنا دليل يصرف هذه الدلالة إلى شيء آخر، سوى رأي فلان وعلان، حين ذاك نكون مع الحديث، لأن الإمام الشافعي نفسه كان يقول الحديث أصل مستقل في نفسه، فيجب على كل مسلمٍ إذا صح لديه أن يعمل به.

أما الإمام الشافعي، فسره بمعنى آخر، فنقول هذا المعنى الآخر،إما أن يكون له دليل بالنسبة إلينا نقتنع به فوجب حين ذاك أن نتبعه، أو ليس عنده دليل إلا الاجتهاد، وكان الحديث ظاهر الدلالة على خلاف ما ذهب إليه، فنحن في هذه الحالة نطبق عموم ارشاد الأئمة «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

وقد كنت تعرضت لشيء من التفصيل في مقدمتي لصفة صلاة النبي صلى الله عليه وآلة وسلم، فأوردت صورة هي أن العامي إذا بلغه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآلة وسلم، وضاق صدره في ترك العمل به، فهل يجوز له أن يعمل به، وهو على خلاف مذهبه، أجاب الإمام السبكي نعم يجوز له العمل به، إذا أخبر بان الحديث صحيح، وأن معناه على ما وضح له كان له عذراً عند الله عز وجل، أن يعمل به، هذا بالنسبة للأمي العامي، فما بالكم بالنسبة للعالم، أو طالب العلم، لكن هنا لا بد لي من وقفه، في نهاية الإجابة عن هذا السؤال، وأرجو من صاحبنا، بالجنب هنا، أن يقف عند وعده السابق، فأقول إضافة إلى ما سبق من الجواب، أريد من طلابنا، الذين نشؤوا معنا على إتباع الكتاب والسنة، أن لا

يكونوا جريئين على التطاول على الأئمة المجتهدين، وعلى أن يقولوا كما يفلت أحياناً من ألسنتهم، قولهم نحن رجال وأولئك رجال، هذا عار أن يقوله الشباب الناشئ في طلب العلم، وهو لا يزال على الأقل شاباً في طلب العلم، قد يكون كهلاً، وقد يكون شيخاً في السن، ولكنه شاباً ناشئاً في طلب العلم، مع ذلك هو يقول حينما يقال كيف أنت تقارن في العلم، وتستقل في فهمك للحديث، فيكون الجواب نحن رجال وأولئك رجال.

انظروا الآن بمناسبة الكلام على ما سبق حول أبي حنيفة رحمه الله، من فضل أبي حنيفة أنه قال: إذا جاءت الآثار عن أصحاب الرسول عليه السلام، في مسألة ما متفقة لا خلاف بينهم فيها، فنحن لهم تبع، أما إذا اختلفوا، فنحن رجال وهم رجال.

متى قال هذه الكلمة إذا اختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وآلة وسلم، في مسألة، فهو يختار المناسب في قول من تلك الأقوال ولا يخرج عن غيرها، فيجب أن نأخذ أدبا من هذا الأثر، عن أبي حنيفة رحمه الله، أن لا نتسرع في تخطئة الأئمة، وإنما علينا أن نتئد وأن نتروى في الحكم بخطأ، ليس خطأ إمامٍ واحد، بل خطأ أئمة كثيرين، لست داعية إلى التعصب للجمهور، لا لست جمهورياً، ولعلكم تعلمون ذالك علماً يقيني، لكني أيضاً في الوقت نفسه لا أريد من طلاب العلم أن يتجرؤوا على العلماء لأنه بدا له أن الحديث يخالفهم، وإنما أريد من طلاب العلم،أن ينكبوا على دراسة كل مسألة على حدة، أن يدرسوها كما يقال اليوم، دراسة الفقه المقارن، ولكن بشرط أن يصل إلى النتيجة إلى الثمرة، لأن الفقه المقارن اليوم في أكثر الجامعات المعروفة اليوم في البلاد الإسلامية، يتعاطون المقدمات ثم لا يقدمون النتائج والثمرات، وهم يذكرون

مثلاً أدلة المذهب الفلاني، ودليل المذهب الفلاني، ثم لا شيء وراء ذلك، فيخرج الطلبة حيارى، لا هذا ليس فقه، وإنما الفقه أن تقدم هذه الأدلة وتجري مفاضلة بينها ترجيحاً، كأن تقول مثلاً: دليل فلان الآية الفلانية، لكنها من باب الاستدلال من الباب العام، ودليل فلان استدل بآية أخرى خاصة، أو بدليل خاص، والخاص يقضي على العام، وهكذا، يُجري عملية تصفية بين الأدلة، قد يكون منها، حديث المذهب الفلاني لا يصح، والحديث الذي عارضه هو الصحيح إلى آخره.

فأنا أريد من كل طلاب العلم أن يدرسوا المسائل الخلافية دراسة مبسطة، موضوعة تحت المجهر العلمي، وبعد ذلك ليخرج بالنتيجة ثم ليقل هذا رأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

أرى كثيراً وأَخْشَي أن أقول عامة طلاب العلم، لا يتأثرون ببعض آثار السلف، ونحن سلفيون، ليس اسماً وإنما هو مسمى أيضاً، الحديث ذو شجون، ولقد تأخر الوقت أكثر من المفروض، ولكن في هذه القصة ما أردت الاستنباط منها مما يتعلق بطالب العلم، لقد روى الإمام الدرامي في «سننه» المعروف بالمسند، بالسند الصحيح، أن أبا موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، جاء صباح يومٍ إلى دار ابن مسعودٍ في الكوفة، فوجد أصحابه ينتظرونه، فقال: أَخَرَجَ أبا عبد الرحمن؟ قالوا: لا، فجلس ينتظره إلى أن خرج، فقال أبو موسى، يا أبا عبد الرحمن:لقد رأيت آنفاً في المسجد شيء أنكرته، ومع ذلك -والحمد لله-، لم أرى إلا خيرا، ارجوا الانتباه إلى الجمع بين النقيضين في الظاهر، ولا تناقض، قال: رأيت شيئاً أنكرته ولم أرى إلا خيراً، كيف ذالك ؟، سيأتيكم البيان في تضاعيف القصة، قال: ماذا رأيت، قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت ناساً حلقاً،

حلقاً في المسجد وفي وسط كل حلقة منها رجلاً، يقول لمن حوله: سبحوا كذا، احمدوا كذا، كبروا كذا، وأمام كل رجل منهم حصى.يَعُدُّ به التسبيح والتحميد والتكبير، قال ابن مسعود: أفلا أنكرت عليهم، هنا الشاهد، قال: لا، انتظار أمرك، أو انتظار رأيك، هذا هو الأدب، أبو موسى هو من كبار أصحاب الرسول عليه السلام، ومن علمائهم، لكنه يعلم أنه ليس بمثابة ابن مسعود في الفقه بالكتاب والسنة، فقال: لا ما أنكرت عليهم، انتظار أمرك، أو انتظار رأيك، قال: أفلا أنكرت عليهم وأمرتهم أن يَعُدُّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم دخل داره وخرج متنقباً متلثماً،حتى دخل المسجد ورأى تلك الحلقات كما وصف له أبا موسى، فقال لهم: ويحكم ما هذا الذي تصنعون، أنا عبد الله ابن مسعود صحابي رسول الله صلى الله عليه وآلة وسلم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، وهذا لسان كل المبتدعة، لسان كل المبتدعة، أنهم يقولون كما ستسمعون، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال، وهذا جوابنا للمبتدعة كلهم، وكم من مريد للخير لا يصيبه، إن محمدً صلى الله عليه وآلة وسلم، حدثنا أن أقواما يقرؤون القرآن يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، قال شاهد هذه القصة، فلقد رأينا أولئك الأقوام، أصحاب الحلقات، أصحاب الذكر غير المشروع، فلقد رأينا أولئك الأقوام يقاتلوننا يوم النهروان، أي صاروا من الخوارج، الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، وقاتلوه، وقاتلهم، حتى استأصل شأفتهم، ولم ينج منهم إلا القليل، هذه هي القصة والعبرة منها أن أبا موسى لم يتقدم بين يدي ابن مسعود لينكر ذلك المنكر الذي وصفه بأنه لم يرى إلا خيراً، لماذا؟، لأنه تسبيحاً وتحميداً وتكبير، وهذا خير، ولكن الإنكار إنما جاء بمن ضم إلى هذا الذكر من زيادات وإضافات جعلت هذا الذكر بدعةً، كما يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي، بدعةً إضافية

فبسبب هذه الإضافات أنكر أبو موسى ذلك، لكن خشي أن يكون واهماً خطأً، فجاء إلى ابن مسعود فأخذ رأيه، فاتفق رأيه مع رأيه، وتوجه ابن مسعود وتولى بنفسه إنكار ذلك.

فأنا ارجو من إخواننا طلاب العلم أن يُقَدِّروا لأهل العلم قدرهم وجهدهم ومنزلتهم، وأن لا يتقدموا بين أيديهم وأنا أعرف في كثير من المجالس، يتوجه سؤال لكن يكون المجلس عادةً يعني فيه وحدة حال، يعني ما في تكلف ما في رسميات فيتوجه السؤال إلى أحد المشايخ، فينبري أحدهم أن يقول الجواب كذا، هذا قلة أدب، لا يجوز لطلاب العلم أن يقعوا في مثله، لأننا رأينا أبا موسى وهو بعيد عن ابن مسعود كيف خطر في باله، أن هناك قريباً منه من هو أفقه وأعلم منه، إذاً ينبغي عليه هو أن يأخذ رأيه في مثل هذا الأمر الحادث لأنه ليس أمراً معروفاً بالإنكار، أو لأنه معروفاً في الشرع، فتأدب هذا الأدب، فلما قال له ابن مسعود أفلا أنكرت عليهم، قال لا بانتظار أمرك أو انتظار رأيك.

هذا أدب، أؤكد توصية أخواننا الطلاب أن يضعوه دائماً نصب أعينهم وأن يتأدبوا مع علمائهم، وهذا من ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآلة وسلم بالحديث الصحيح: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» وصلى الله على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كريما.

(الهدى والنور / ٣٩٧ / ٠٩: ٢٤ : ٠٠)

تهم وشبهات: السلفيون وعلى رأسهم الألباني ينكرون المذاهب الأربعة

قال الإمام معلقا على ما جاء في مذكرة كتبها وزير أوقاف دولة عربية:

ثم إنَّ من فريات تلك المذكرة قولها:

"إن هذه الجماعة تنكر المذاهب الأربعة"!

فأقول: هذا كذبٌ وزورٌ، فنحن نُقَدِّرُ الأئمةَ الأربعةَ- وكذا غيرهم- حق قدرهم، ولا نستغني عن الاستفادة من علمهم، والاعتماد علىِ فقههم، دون تعصُّب لواحد منهم على الآخرين، وذلك ممّا بَيّنته بياناً شافياً منذ أكثر من ثلاثين سنة في مقدمة كتابي: «صفة صلاة النبي - ﷺ - من التكبير إلى التسليم كأنك تراها»، فإليها أُحِيلُ من كان يريدُ التأكّد من كذب هذه الفرية.

وإنّ مِن أفرى الفِرى قولهَا عطفاً على ما سبق:

«وتُشَكّك بسنة رسول اللهّ - ﷺ - عن طريق تكذيب أحاديث (!) الصحاح المعتمدة، والتشكيك بصحة بعض الأحاديث النبوية الأخرى»!

فأقول: «سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَان عَظِيمٌ» و «إِفْكٌ مُبِيْنٌ»، واعتداءٌ جسيم على مسلم نذر نفسه ووقته وجهده لخدمة السنة والدفاع عنها والرد على مخالفيها، وتمييز صحيحها من ضعيفها، وقضى في ذلك أكثر من نصف قرن من الزمان، لا يَكَلّ ولا يَمَلّ، والحمد للهّ. وله في ذلك المؤلفات الكثيرة التي يشهد بفائدتها

وأهميتها كبارُ العلماءِ والأدباءِ، وينتفع بها الملايينُ من طُلاَّب العلم في كل البلاد الإِسلامية وغيرها، وقد أُعيدَ طبع الكثير منها، وبعضها يُنْبئ عن ذلك صريح اسمها، مثل «دفاع عن الحديث النبوي» و «منزلة السنة في الإِسلام، وأنه لا يُستغنى عنها بالقرآن»، و«الذَّبُّ الأحمد عن مسند الإِمام أحمد» ولم يُطبع بعد، وهو في الرد على من نفى صحة نسبة «المسند» لِلإمام أحمد، وغيرها كثير مما هو مطبوعٌ معروفٌ، وقد جمع أسماءَ الكثير منها بعضُ المُحِبين في كتبٍ ورسائلَ، وقفتُ وأنا أكتبُ هذه المقدمة على واحدة منها مطبوعة بعنوان:

«سُلَّم الأماني في الوصول إلى فقه الألباني».

وفي اعتقادي أن تلك المذكرة الجائرة، تُشير بهذه الفرية الباطلة إلى جهودنا المستمرّة في خدمة السنّة المطهّرة التي منها بيانُ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الدائرة على ألسنة كثير من الخطباء والمحاضرين والمدرسين وغيرهم من خاصّية المسلمين وعامّتهم، متوهّمين أنها أحاديثُ صحيحةٌ، وهي عند أهل العلم ضعيفةٌ أو موضوعة، فيتهمهم الجُهّال بأنهم يُكَذّبون بالأحاديث الصحيحة، والله المستعان.

الضعيفة (٦/٣-٧).

١٧

تهم: وصف السلفيين بالجمود

مداخلة: من الناس من يصف أنصار السنة بالجمود؟

الشيخ: أيوه، هذه تهمة توجه إلى أنصار السنة وأصحاب الحديث أنهم يجمدون على معالجة بعض المسائل الشكلية وقد يعبرون عنها بأنها مسائل ثانوية، وقد يتسفلون في التعبير فيقولون: هي مسائل من القشور لا ينبغي إضاعة الوقت حولها، وأنهم لا يهتمون بما هو أهم من ذلك، وهذه كما قيل قديماً: شنشنة نعرفها من أخزم، تهمة نعرفها صادرة من أعداء السنة وأعداء العقيدة الصحيحة.

أولئك أقوام يهتمون بما يتظاهرون به، ولا يعملون من أجله؛ يتظاهرون بالاهتمام بإقامة الدولة المسلمة فقط وبمحاربة الطواغيت زعموا، وبتحقيق أن الحاكمية لله وحده، هذه كلمة: الحاكمية لله وحده، ولكنهم أولاً حصروا معنى الحاكمية بمحاربة الحكام في بلاد الإسلام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله مع الأسف الشديد، ولكنهم لا يحاربون الحكام الذين دونهم ولا فرق بين أولئك وبينهم من حيث أن هؤلاء وهؤلاء كلهم لا يحكمون شريعة الله في أنفسهم وفي من يلونهم، كل رجل هو كما قال عليه السلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، فهذا الراعي حاكم في أهل بيته، وهو ينبغي أن يحقق فيهم شريعة الله وأن يحقق الحاكمية لله في حكومته المصغرة، ثم قد يكون له دولة أكبر، قد يكون مثلاً صاحب دائرة، قد يكون معلم مدرسة، قد يكون مدير مدرسة، وهناك

ينطمس على قلبه وينسى بكليته دعوته أن الحاكمية لله، لماذا؟ لأن المقصود فقط محاربة جانب من الناس وهم الحكام، ثم محاربتهم بماذا؟ فقط في الكلام، ولا شيء من العمل، والعمل يبدأ من نقطة الصفر، انطلاقاً من الأساس إلى قمة الأهرام أو الجبل أو البنيان الشاهق، فهم يختلفون عنا، نحن نبدأ بما بدأ به رسول الله ﷺ بالتوحيد بالأركان الخمسة بتعليم المسلمين ما جاء به سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، ونمشي مشية وئيدة بطيئة ولو كمشية السلحفاة، ولكننا سنصل إن شاء الله، أما أولئك فقد مضى عليهم قرابة قرن من الزمان، وهم يصيحون: الحاكمية لله، ثم لا شيء من الحكم بأحكام الله عز وجل في خواص أنفسهم، لو أن أحدهم قلت له: صل كما أمرك الله، لما استطاع أن يصلي، حج، ما يستطيع أن يحج، يقل: في المسألة ثلاثة أقوال؛ حج إفراد وحج تمتع وحج قران ونحو ذلك، فإذا سألته: ما الذي انتهى إليه حكم رسول الله ﷺ عن ربه؟ لم يحر جواباً، لماذا؟ لأنهم شغلوا بالألفاظ دون المعاني، فمثل هؤلاء هم الذين ينسبوننا إلى الجمود؛ ذلك لأننا لا نصيح صياحهم، ولا ندعي دعواهم، وإنما نقول:

فهذا هو الحق ما به خفاء فدعني عن بنيات الطريق

فهم سلكوا السبل التي دائماً نحن نذكرها في الحديث الصحيح: «أن النبي ﷺ خط ذات يوم خطاً مستقيماً، وخط على جانبيه خطوطاً قصيرة، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، ثم قال عليه السلام: هذا صراط الله وهذه طرق، وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه»، فهؤلاء لا يسيرون معنا على الخط المستقيم، نحن ولو أننا فرضنا أنفسنا أننا في أول الخط، المهم أن نمسك الخط وأن نظل نمشي فيه حتى يأتينا اليقين، أما أولئك فقد خرجوا عن الخط، ولذلك فكلما مضوا خطوة ابتعدوا عن الخط المستقيم، نحن كلما سلكنا خطوة

ومشيناها كلما أرضينا ربنا عز وجل؛ لأنه أمرنا في الآية السابقة: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣].

فنسأل الله عز وجل أن يحيينا جميعاً على معرفة السنة التي بها فقط نستطيع أن نمشي سوياً على صراط مستقيم.

(الهدى والنور/٦٥٥/ ١٠ : ٠٣ : ٠١).

هل في المنهج السلفي تعصب؟

مداخلة: فيه سؤال يقول: هل في منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله تعصب؟

الشيخ: هذا يعني أيضاً سؤال يُلحق بسابقه؛ لأنه يتمسك بلفظة التعصب، التعصب من حيث معناه لا يُمدح ولا يُذم، فإنما المدح والذم ينصب على ما يتعصب به، فإن كان تعصب بالحق فهو أمر ممدوح وإن كان تعصب بالخطأ فهو مقدوح، فإذا كان منهج السلف الصالح أمر لا بد للمسلم به ليكون على هدى من ربه كما ذكرنا آنفاً، فهل يذم من يتمسك بهذا ويتعصب له؟ المسلم بلا شك بعامة يتعصب لدينه ضد الأديان الأخرى التي انحرفت عن دعوة الله الحق، فهل هذا ذم؟ هذا مدح، ولذلك فأنا أظن أيضاً أنه أُتي من سوء فهمه أيضاً للفظة التعصب كما أساء فهم لفظة السلف.

(الهدى والنور / ٦٩٩ / ٣١: ١٤ : ٠٠)

هل السلفيون ظاهريون؟

مداخلة: حفظك الله! لو انتظرنا مذهب الظاهر في هذا الوقت دائمًا يحاول أن يحصر- أكبر عدد ممن ينتمي إلى الدعوة السلفية في صفوفه، فهو يذكر فضيلة الشيخ الألباني أنه ممن ينتمي إلى مذهب أهل الظاهر، توافقونه على هذا وأنتم..

الشيخ: إذا كانوا يقصدون أهل الظاهر، يعني: جامدين على التمسك بالظاهر، فهذا بلا شك فرية، وإذا كانوا يقصدون أنه يتمسك في النصوص على ظاهرها فلا تأويل فهذا مذهب الأئمة كلهم.

مداخلة: لا، ... أنه يقول: مذهب الظاهرية ... بالظاهر ... كابن حزم

الشيخ: هذا باطل، ... فعليهم أن يأتوا بمثال على الأقل واحد ليدعموا رأيهم، وإلا فهم مفترون، لأني أنا أدعي خلاف ما ينسبون، وآتي بأمثلة مما هو من طبيعة المذهب الظاهري، فأنكره أشد الإنكار، أول ... أنا لا أنكر القياس وأنا أقره، كل ما في الأمر أنني أقول بقول الشافعي: إنه ضرورة، ما يصار إلى القياس إلا عند الحاجة الملحة.

وبقول الإمام الشافعي هذا هو لعله في مسألة القياس ... ينكره جملًة وتفصيلًا، وبين الذين توسعوا فيه حتى أثبتوا عبادات بالقياس، وأثبتوا أحكامًا على نقيض السنن، ... نحن بين هؤلاء وهؤلاء، فضلًا عن بعض الفروع التي ... إليها: من حلق شعره مثلًا: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة:١٩٦] أما إذا استعمل الدواء ولم يحلق فما عليه شيء؛ لأنه ما حلق ..

(رحلة النور ١٢/a٤٥: ٣٠: ٠٠)

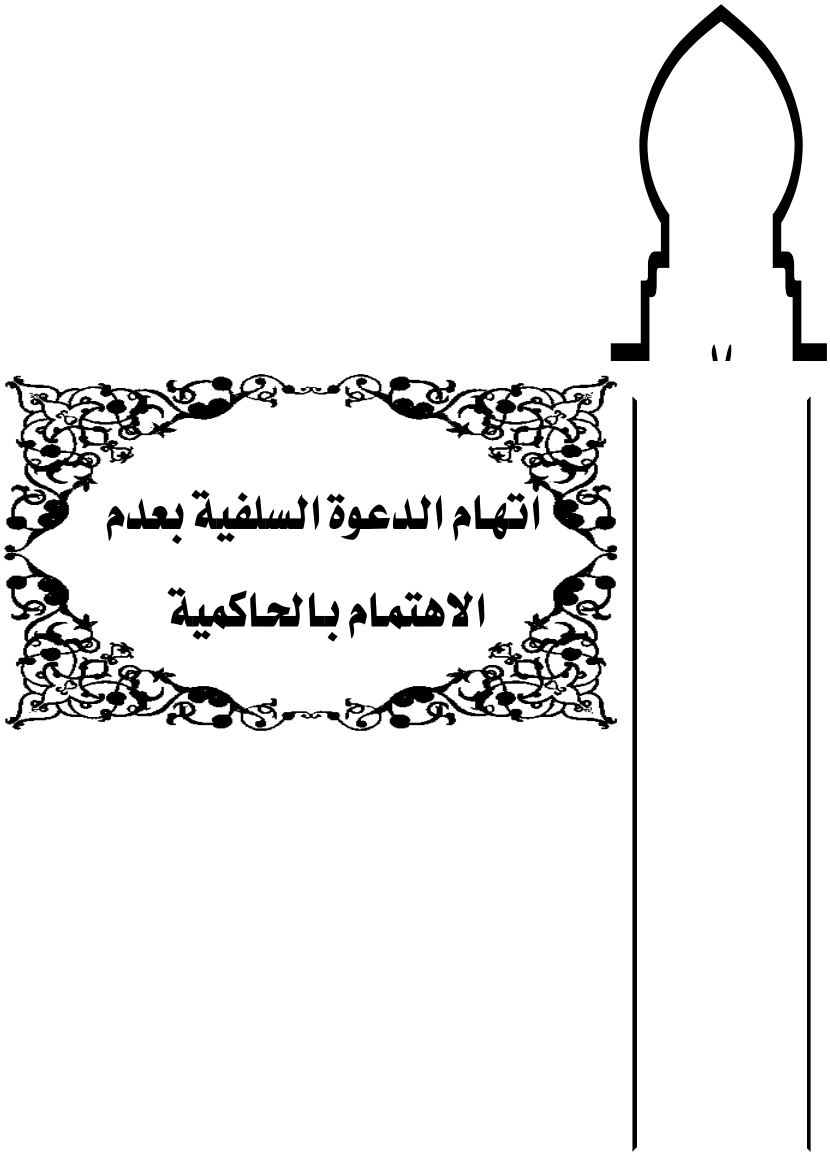

١١

اتهام الدعوة السلفية بعدم الاهتمام بالحاكمية

اتهام: السلفية لا تعتني بالحاكمية

مداخلة: يقول بعضهم: إن الدعوة السلفية دعوة قائمة على العقيدة والتوحيد ولكنها تنسى أو تتناسى إما علماً أو تطبيقاً الدعوة إلى الحاكمية لله وتحذير الناس من طواغيت البشر الذين يشرعون من دون الله، فما هو قولكم في هذا الكلام وردكم عليه؟ بارك الله فيك.

الشيخ: هذا الكلام نحن نسلِّم به مبدئياً، لكننا لا نوافق هؤلاء الناس الذين يريدون أن يجابهوا الطواغيت في حد تعبيرهم وهم لم يقضوا على الطاغوت القائم في نفوسهم.

والحقيقة أن هذا الكلام هو نابع من أسلوب دعوة هؤلاء الجماعة، هم يتهموننا بهذه التهمة، نحن نعتقد أن هذا العمل سابق لأوانه ولسنا ننكر، لسنا ننكر وجوب الإنكار على كل من يحكم بغير ما أنزل الله، لكن نحن نعتقد هل آن الأوان بأي حزب من الأحزاب الإسلامية القائمة اليوم أن يظهروا أمام الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بدون أن يستعدوا لذلك الاستعداد الذي ندندن حوله دائماً وأبداً، الاستعداد الروحي أولاً ثم الاستعداد المادي ثانياً؟

فهم يستبقون الأمور ويستعجلون، هم يظنون أن مجرد رفع الصوت أمام هؤلاء الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله هو نصر للإسلام، بينما نصر الإسلام حقيقة يكون بفهم هؤلاء الإسلام فهماً صحيحاً وجعلهم الإسلام في حدود طاقتهم يمشي معهم على وجه الأرض.

وأنا في اعتقادي أن التاريخ يعيد نفسه، فكما كان المسلمون في العهد الأول لا هم لهم إلا أن يفهموا الدعوة من منبعها من رسول الله ﷺ وليس أن يجابهوا الكفار والمشركين إلا حوادث فردية قد تقوم، لكن كتكتل وتجمع لم يقع ذلك إلا بعد أن هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

فهذه شنشنة نعرفها من أخزم، وبخاصة أنا قد وقعنا في تجارب عديدة في بعض البلاد الإسلامية من الإعلان في محاربة الكافر الذي يحكم بغير ما أنزل الله دون الاستعداد النفسي ـ والمادي، فما كان عاقبة ذلك إلا خسارة لحقت بالدعوة الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية، ولذلك فنحن يجب أن نمشي، أن نأخذ بالأسباب الشرعية والكونية في الدعوة إلى المعرفة بالإسلام والعمل به، كما كنت أجمل ذلك بكلمتين موجزتين وهي لا بد من «التصفية والتربية»، وكل الأحزاب الإسلامية لا تقوم على هذين الركيزتين: التصفية والتربية.

ليس هناك تصفية بدليل أنك لو نظرت في كل جماعة أو في كل حزب هل عندهم علماء في التفسير، علماء في الحديث، علماء في الفقه المستنبط من الكتاب والسنة؟ بعد ذلك علماء في السياسة، علماء في الاقتصاد؟ ليس هناك شيء من هذا إطلاقاً، فإذاً كيف يستطيعون أن ينهضوا بهذا العمل العظيم جداً وهو تطبيق الحكم الإسلامي على وجه الأرض وإعادة الخلافة الراشدة؟ فاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك لا بد من اتخاذ هذه المقدمات التي تقوم على هاتين الكلمتين التصفية والتربية، وليس هناك علماء يُصَيِّفُون الإسلام من كل دخيل فيه سواء كان في العقيدة أو في الأحكام أو في السلوك أو في العلوم الحديثة التي جدت اليوم مما يعرف بالسياسة أو اقتصاد أو نحو ذلك.

فالحكمة التي نكررها كثيراً بهذه المناسبة: من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه. وتلك الحوادث التي وقعت في البلاد التي أشرنا إليها كالحرم المكي مثلاً ومصر وسوريا كلها آثار ونتيجة لهذا الذي ينكرونه علينا وهم يظنون أنهم قد أحسنوا صنعاً.

(الهدى والنور / ٣٢٠ / ١٦: ٤٤ : ٠٠)

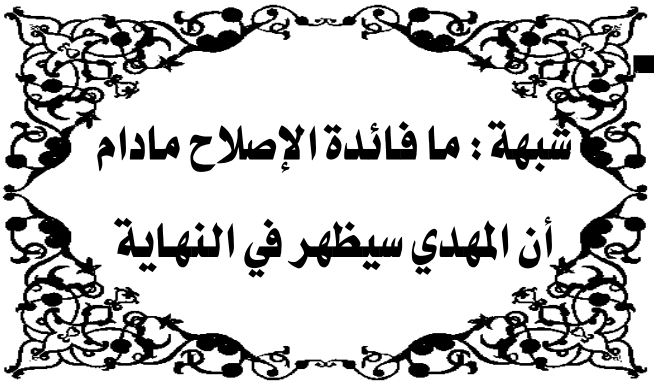

١٧

شبهة : ما فائدة الإصلاح مادام أن المهدي سيظهر في النهاية

شبهة: ما فائدة الإصلاح ما دام المهدي سيخرج في النهاية

السؤال: يقول السائل: ما هو حكم الشرع في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية مع معرفة السبيل الأمثل لتحقيق ذلك؟ علماً: أن هناك أحاديث يفهمها البعض على أنها تعني القعود عن هذا العمل وهي: أحاديث المهدي، فما هو رأيكم في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: لقد كتبنا أكثر من مرة حول أحاديث المهدي عليه السلام، ومواقف علماء العصر وهذا الزمان، فإنهم مختلفون في ذلك أشد الاختلاف.

أما العلماء الذين لا يزالون يتمسكون بما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة فهم لا يزالون يعتقدون والحمد لله بأن خروج المهدي حق لا ريب فيه، ولكن لابد بهذه المناسبة من التذكير أن هناك شخصاً آخر لابد من خروجه، وسيلتقي مع المهدي وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن عيسى عليه السلام أحاديثه أقوى من أحاديث المهدي، وإن كان كل من أحاديث الرجلين يلتقيان في الصحة إلا أن أحاديث عيسى عليه السلام أصح من أحاديث المهدي كما لا يخفى ذلك على أهل العلم في الحديث؛ لأنه من المتفق عليه بين أهل الحديث أن أحاديث عيسى متواترة، بلغت علم اليقين، أحاديث المهدي عليه الصلاة والسلام، يوجد هناك خلاف بين بعض العلماء هل بلغت هذه المرتبة أم لا؟ وأنا لا يهمني الوصول إلى هذه المرتبة، وإن أكنت أميل إليها أي: إن أحاديث

المهدي أيضاً وصلت إلى هذه المرتبة، ولكن يكفي المسلم أن يعلم أن أحاديث المهدي صحيحة، وأن علماء المسلمين توارثوا خلفاً عن سلف الاعتقاد بخروج المهدي، وبنزول عيسى عليهما السلام.

إذاً: قلت هذا لأن السؤال ذكر المهدي، وكان الأولى أن يذكر عيسى؛ لأن أحاديث عيسى أقوى، فلذلك هذا السؤال فتح لي باب التطرق لأحاديث عيسى عليه الصلاة والسلام.

قلنا: إن هذه العقيدة حق لا وعوج فيها.

بعض العلماء في العصر الحاضر ممن لا يهتمون بدراسات العلماء السابقين سواءً ما كان منها متعلقاً بتصحيح الأحاديث، أو ما كان منها متعلقاً بتصحيح العقائد المبنية على الأحاديث، فكثير من علماء العصر الحاضر ينكرون خروج المهدي بل غلا بعضهم فأنكروا أيضاً: نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

لا أريد الخوض بتفصيل في هذه المسألة إلا بمقدار ما نود من تقديمه جواباً عن هذا السؤال.

كثير من المعاصرين الذين يدعون الإصلاح، وجدوا عامة المسلمين يتكئون في العمل الإسلامي وبعبارة أوضح في ترك العمل للإسلام يقولون: ما في فائدة للعمل إلا حينما يخرج المهدي أو ينزل عيسى عليه السلام، هكذا يعتقد كثير من الناس أي: وصلوا إلى مرتبة اليأس التي لا يجوز للمسلم أن يقع فيها؛ لأنه لا تيأسوا من روح إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون في القرآن الكريم.

فلما وجد بعض المصلحين هذا اليأس مسيطراً على جماهير المسلمين، وجدوا أن سبب هذا اليأس هو إيمانهم بنزول عيسى وخروج المهدي، فظنوا أن الإصلاح يكون بإنكار هاتين العقيدتين الصحيحتين بأن يقول للناس: يا جماعة

اعملوا فعقيدة نزول عيسى عليه السلام ما هي ثابتة بالطريق اليقين وهم مخطئون أشد الخطأ، اعملوا فإن خروج المهدي هذا عقيدة شيعية وهي غير صحيحة، كذلك هم في ذلك مخطئون.

فقلنا مراراً وتكراراً وكتبنا شيئاً من هذا المعنى في بعض المؤلفات قلنا: لا يكون الإصلاح على هذا المنوال، وعلى هذا المنهاج في إنكار الأحاديث الصحيحة وما بني عليها من عقيدة؛ لأن هذا المنهج الاستمرار عليه سيؤدي بأصحابه إلى الاعتزال الماضي قديماً، ذلك؛ لأن المعتزلة أنكروا ما هو أخطر من عقيدة عيسى عليه السلام، والمهدي ما الذي أنكروه؟ أنكروا القدر، فقالوا: لا قدر مع أن القدر ثابت في الكتاب والسنة، وهي عقيدة كما تعلمون جميعاً: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره، قالت المعتزلة: لا قدر، فنحن إذا درسنا ما الذي حمل المعتزلة وهم بطبيعة الحال ليسوا كفاراً ليسوا مرتدين عن دين الإسلام كل ما نستطيع أن نقول عنهم: إنهم مسلمون ضالون؛ لأنهم أنكروا حقائق شرعية منها: إنكارهم للقدر الإلهي، لكننا إذا درسنا السر في إنكارهم للقدر الإلهي وجدناه كإنكار بعض المعاصرين اليوم لعقيدة خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام كيف؟ وجدوا أن كثيراً من المسلمين فهموا من عقيدة القدر أنها تعني الجبر، وأن الإنسان ليس مخيراً في طاعته لله، أو في معصيته إياه، وهم بلا شك وجدوا نصوصاً في الكتاب والسنة وذلك مقتضى العقل الصحيح السليم: أنه لا يجتمع في الإنسان جبر وتكليف ضدان لا يجتمعان.

فالمعتزلة نظروا فقالوا: إذاً: إذا كان معنى القدر الجبر، فلا يمكن إن ربنا عز وجل يجبر الإنسان على معاصيه، وبعدين ماذا؟ يعذبه، إذاً: هذه العقيدة عقيدة

باطلة.

نحن نلتقي مع المعتزلة في قولهم: بأن الجبر عقيدة باطلة كما نلتقي مع أولئك المصلحين بأن الاتكال على خروج المهدي ونزول عيسى، وعدم العمل للإسلام أيضاً: عقيدة باطلة، ولكننا لا نلتقي لا مع هؤلاء، ولا مع أولئك المعتزلة فيما أنكروا من عقائد صحيحة ثبتت بعضها بالكتاب والسنة، وبعضها بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فالمعتزلة تأولوا الآيات التي تنص على القدر كما تأولوا الأحاديث، بل وأنكروا بعضها حينما لا يسعهم تأويلها، فوقعوا في القدر وهو إنكار القدر الإلهي الذي ثبت في القرآن وفي السنة كما ذكرنا.

فنقول نحن للمعتزلة كما نقول لهؤلاء المصلحين اليوم: ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ما هكذا يا جماعة يكون الإصلاح لا يكون الإصلاح بإنكار حقائق شرعية، وإنما يكون الإصلاح بتفهيم المسلمين الفهم الصحيح بتلك النصوص سواءً ما كان منها قائمة على إثبات القدر، أو ما كان منها قائماً على إثبات نزول عيسى وخروج المهدي عليهما السلام.

فنقول: إن النبي ﷺ مكث في قومه ثلاث وعشرين سنة، وهو يدعوهم ليل نهاراً حتى استطاع أن يضع النواة للخلافة الإسلامية بالمدينة المنورة.

فنحن علينا معشر المسلمين ألا ننتظر ما بشرنا بمجيئه من المهدي أو عيسى علينا أن نعمل؛ لأن الواقع الآن نشعر نحن تماماً: أن هناك جماعات من المسلمين متفرقون في العالم الإسلامي هم ينتظرون قائداً يأخذ بأيديهم ويجاهد بهم أعداء الإسلام في كل زمان، وفي كل مكان، فهم ينقصهم هذا الإنسان المصلح القائد، لكن تصوروا معي الآن: إذا جاء هذا المبشر به، وهو: المهدي أو

عيسى، وأخذ يصلح بين المسلمين كما يفعل اليوم المصلحون المتفرقون في العالم الإسلامي، فكم سيظل في عملية الإصلاح هذه؟ سينقضي حياته إلا إن كان له حياة تشبه حياة نوح عليه السلام، وهذا لمن نُبَشَّر به، ستنقضي حياته في إصلاح المسلمين تفهيمهم الإسلام الصحيح، وحملهم على العمل بالإسلام (... انقطاع).

نقول مثلاً: نحن نعلم يقيناً: أن من آفة العالم الإسلامي هو: الإنكباب على الدنيا.

ومن آثار هذا الإنكباب: استحلال ما حرم الله عز وجل من الربا بأدنى الحيل فضلاً عن غير ذلك من المحرمات أبمثل هؤلاء الناس يمكن إذا خرج المهدي أو نزل عيسى عليه السلام أن يجاهد به الكفار أو بهم الكفار؟ الجواب: لا.

إذاً: على المسلمين كافة في كل بلاد الإسلام أن يعملوا بفهم الإسلام أولاً فهماً صحيحاً، وأن يطبقوه في ذوات أنفسهم وفي أهليهم وذراريهم ثانياً حتى إذا جاء المهدي أو نزل عيسى وجد القوم ليسوا بحاجة إلى إصلاح ما أفسده هذا الزمن الطويل.

وإنما وجدهم بحاجة إلى رجل موفَّق مُلْهَم يقودهم إلى الجهاد في سبيل الله.

فإذاً: الإسلام يأمرنا بالعمل وينهانا عن التواكل والاعتماد على الأشخاص، وإنما نعمل، إن نزل اليوم أو جاء اليوم وجدنا متهيئين.

والله أنا أقول: لو نزل الآن عيسى عليه السلام لما استطاع أن يعمل بالمسلمين إلا بدون ما فعل الرسول سيد الأنبياء والمرسلين في قومه دون ذلك، بينما قوم الرسول عليه السلام كان عددهم محصوراً قليلاً، اليوم المسلمون ملايين مملينة، وإذا وجد المسلمين هكذا وجدهم متفرقين بدداً وعقائد وطرق قدداً و و إلى

آخره، متى يتوفر هو لإصلاح هذا الفساد ولتوحيد هذا التفرق و إلى آخره.

لذلك نحن يجب علينا الآن أن نطبق كلمتين أنا أدندن حولهما في كثير من الأحيان بمثل هذه المناسبة، لا بد من التصفية والتربية، لا ننتظر عيسى عليه السلام ولا المهدي عليه السلام، وإنما نعمل ونسير في الطريق، فإن جاؤوا وجدونا متهيئين قادونا إلى الخير ولإقامة دولة الإسلام كما أمر الله عز وجل، وإلا فنحن نكون ماضين في الطريق كما هو الواجب شرعاً بل والمعقول عقلاً.

وبهذه المناسبة أنا أذكر بيت ذلك الشاعر الجاهلي، هو شاعر جاهلي لكنه كان عاقلاً وكان يسعى وراء المُلك، ما كان يسعى وراء إقامة دولة مسلمة، ونحن أولى أن نعقل ذلك الذي عقله هو في سعيه في دنياه. من هو؟ امرؤ القيس. ماذا قال؟ ساعدوني لأني لست بشاعر ولا أحفظ الشعر إذا أخطأت، قال لك يا صاحبي:

لما رأى الدرب دونه وظن أن أيش؟ قيصراً، ما فيكم حافظ للشعر؟

مداخلة: ...

الشيخ: مضى .... يا صاحبي.

لمـــا رأى الـــدرب دونـــه وظـــن أنـــا ملاقـــين قيصـــرا

فقلـت لـه لا تبـك عينـك إنـما نحاول ملكاً أو نمـوت فنعـذرا

هذا الشعر. قال:

لا تبك عينك فإنما نحاول ملكاً

ملك دنيا.

أو نموت فنعذرا

يعني: أحد الشيئين كما يقول الإسلاميين اليوم: إما النصر. وإما الشهادة، هذا الجاهلي ما في عنده شهادة بطبيعة حاله، كان عنده ملك، قال:

لا تبك عينك فإنما نحاول ملكاً

أي :نصل إليه.

أو نموت فنعذرا

أيش يعذرون؟ إن والله نحن سعينا وعملنا جهدنا واستطاعتنا وما قدرنا نَصل لأيش؟ للملك، نحن أولى أن يكون عندنا هذا المنطق وهو جاهلي لكن عقله سليم.

فنحن علينا أن نعمل للإسلام ونهيئ الجو لمجيء أي مصلح، ونعتقد أنه ليس بعيداً على الله تبارك وتعالى وليس عزيزاً عليه أن يصلح حال المسلمين قبل مجيء عيسى عليه السلام والمهدي، لأنه الأمر كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠] لكن هذا إيه؟ هذا يذكرني بكلمة كنت أقولها كثيراً هناك في سوريا، يقولون: «هذه الشغلة بدها هز أكتاف» يعني: كناية عن الجد والسعي والكد في العمل.

وكنت أبشرهم بما بشرنا به نبينا صلوات الله وسلامه عليه، بشر أصحابه بفتحين عظيمين، فتح القسطنطينية وفتح روما التي هي عاصمة البابا اليوم.

مداخلة: الفاتيكان.

الشيخ: الفاتيكان. ولذلك جاء سؤال في حلقة من الحلقات التي كان النبي ﷺ يعلم فيها أصحابه، جاءه السؤال الآتي «قال: يا رسول الله؟ أقسطنطينية نفتحها أولاً أم رومية؟ قال: لا، بل قسطنطينية».

وفعلاً التاريخ الإسلامي بل وكل تاريخ على وجه الأرض يثبت أن المسلمين فتحوا القسطنطينية، والفاتح هو عثمان التركي المعروف بالفاتح. فإذاً. نعم.

مداخلة: محمد الفاتح.

الشيخ: محمد الفاتح العثماني. نعم. فتح فعلاً القسطنطينية. إذاً: البشارة الأولى تحققت، لما سألوا: «أي الفتحين أول، أقسطنطينية أم رومية؟ قال: بل، قسطنطينية».

هذا الفتح الأول تحقق، فبقي على المسلمين أن يفتحوا رومية وهي روما، لكن فتح روما لا يمكن للمسلمين أبداً. يا إخواننا، العبرة عندكم بجانبكم. لا يمكن للمسلمين اليوم أنه يعيدوا فلسطين إلى المسلمين مش يفتحوا روما عاصمة البابا.

مداخلة: نعم.

الشيخ: لماذا؟ أمر بسيط جداً، آية في القرآن الكريم فيها الجواب: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَّ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧] .

هل المسلمون كأمة أو ككتلة متكتلة ينصرون الله؟ ونصر الله طبعاً ليس هو بالدفاع عنه خشية أن يقتله عدو له، حاشاه، فهو سبحانه وتعالى العلي القدير، لكن نصر الله هو باتباع أحكام شرعه. هذا معنى: ﴿إِنْ تَنصُرُ وا اللهَّ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧].

فيوم -هذه خلاصة الجواب-: يوم يفهم المسلمون إسلامهم فهماً صحيحاً ويطبقونه تطبيقاً كاملاً ولست أعني هذه الملايين المملينة، هذا يكاد أن يكون مستحيلاً، وإنما أعني الطائفة المنصورة والناجية التي أخبر عنها الرسول عليه

السلام في الحديث الصحيح وآخذ منه الشطر الأخير لأنه معروف لدى الجميع إن شاء الله.

«كلها في النار» الفرق الثلاث والسبعين. «كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله، قال: هي ما أنا عليه وأصحابي».

اليوم لو عرفنا ما كان عليه الرسول عليه السلام وحده. اسمعوا هذا يمكن يكون غريباً على بعض الناس. لو عملنا بما كان عليه الرسول فقط لما استطعنا أن نعمل، لماذا؟ لأن الرسول قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

فإذاً: يجب أن نعلم ما كان عليه الصحابة لأنهم هم الذين عرفوا ما كان عليه الرسول عليه السلام، ولذلك فنحن ندعو إلى اتباع الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

فيوم يفيء المسلمون ويتيقظون لهذه الحقيقة وهي: أنه يجب عليهم كأمة، كطائفة تريد حقيقة أن تقيم حكم الله على وجه الأرض فلا سبيل لها إلى شيء من ذلك إلا بأن تأخذ الإسلام المصفى المبني على الكتاب وعلى السنة الصحيحة وعلى منهج السلف الصالح ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. نعم.

(الهدى والنور /٢١٨/ ٣٥: ٤٦: ٠٠).

(الهدى والنور /٢١٩/ ٣٨: ٠٠ : ٠٠).

١٧

نظرات في كتب
عبد الرزاق الشايجي

نظرات في كتب عبد الرزاق الشايجي

إخوة الإيمان: والآن مع الشريط الخامس والثلاثين بعد المائة الثامنة على واحد، تحت عنوان: الرد على عبد الرزاق الشاجي ومسائل فقهية، تم تسجيل هذا المجلس في الرابع والعشرين من شوال ١٤١٦ هجري، الموافق للرابع عشر من الشهر الثالث ١٩٩٦ ميلادي.

مداخلة: يا شيخ! صدر في الآونة الأخيرة رسائل لكاتب اسمه عبد الرزاق الشايجي، يعني: بعدة عناوين تهدف إلى ضرب وتشويه السلفية وعلمائها، وكان في هذه الرسائل بعض العبارات نود أن نأخذ رأيكم فيها، وفي كتبه قد لمز بشخصكم وصرح بتلاميذكم، هذه الصفحة السادسة من كتابه الخطوط العريضة لأصول أدعياء السلفية قال: وقام مذهبهم – أي: أدعياء السلفية – على التعطيل.. تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بإذن الإمام حسب زعمهم، وتعطيل الجهاد، وتعطيل الدعوة إلى الله، وتعطيل النظر في حال الأمة وإشغالهم بحرب الصالحين وتتبع عوراتهم وزلاتهم وتنفير الناس عنهم.

وقال في الصفحة الثامنة في المقدمة: فهذه الخطوط العريضة لفكر جديد منتسب إلى السلفية، متلفق بالسلفية ظلماً وتدثر برداء أهل السنة والجماعة زوراً، يترتب عليه حجم كل عمل دعوي كان، وإبطال فريضة الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزيادة تمزيق وحدة الأمة الإسلامية.

وقال في صفحة أربع وعشرين: وجوب مقاطعة واعتزال العمل السياسي،

قال: حتى قال قول أحدهم: ليس من الكيس أن يدع الإنسان الحَيْسَ بِلَيْس – يشير إلى ذلك إلى ما صرح فيه في كتابه الذي يشرح فيه هذه الخطوط العريضة إلى كتابه: أضواء إلى فكر دعاة السلفية الجديدة رد على الدكتور مبارك بن سيف في رده على ... صرح هنا بالشيخ شقرة وكذا الشيخ علي – قال: ولو قرأت يا أخي مبارك كتاب هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجاً للشيخ محمد شقرة والفروع الصغيرة لهذا الكتاب منها: رؤية واقعية في الجماعات الدعوية... العمل الجماعي بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي وفقه الواقع وهذه الكتب لعلي حسن علي عبد الحميد الحلبي لعلمت أصول هذه السلفية المستحدثة وهي: لا جهاد لأنه لا إمام ودع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولا تنظر في واقع ولا تعرف ما يدور حولكم؛ لأن هذا حرام، ولا تعترضوا على يهود أو نصارى لأن هذا قدركم إلى آخر كلامه، حتى قال: هكذا والله يقولون.

هذا الشخص يا شيخ بدأ أصوله العريضة التي ذكرت إليك بأصل عظيم قال: أنها احتوت على اثنين وخمسين أصلاً لهؤلاء الأدعياء وبدأ بالأصل الأول قال: خوارج مع الدعاة.. مرجئة مع الحكام.. رافضة مع الجماعات.. قدرية مع اليهود والنصارى الكفار.. فما رأيكم في هذا؟

الشيخ: ماذا أقول؟! أولاً: هذا رجل يبدو أنه لم يتأدب بأدب القرآن حينما قال عز وجل: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[النجم: ٣٦- ٣٨] فإن صح نقله عن بعض الأشخاص أنهم قالوا كلاماً يكون فيما إذا وزن بميزان الشرع، ميزان الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح... إذا وزن بهذا الميزان كان ذلك الكلام خطأً أقل ما يقال.. فلا يجوز أن ينسب هذا الخطأ إلى كل من ينتمي إلى منهج السلف الصالح، فيكفي

من المكتوب عنوانه كما يقولون، فليس هناك يعني: جماعة ينتمون إلى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه السلف الصالح يقولون بمثل هذه الكلمات التي ينسبها هذا الكاتب.

هذا من جهة.. من جهة أخرى: إنه يتهمهم بأنهم خوارج في كذا ومرجئة في كذا وإلى آخره.. هل هذا من أدب القرآن القائل: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾[الحجرات:١١] فهذا الرجل إما أن يكون جاهلاً وإما أن يكون حاقداً حاسداً فنسأل الله أن يُعَلِّمه إن كان جاهلاً وأن يعافيه إن كان مصاباً بشيء من تلك الأمراض التي مع الأسف الشديد يظهر أثرها الآن في كثير من الشباب الذين قد يفهمون شيئاً من منهج الكتاب والسنة ولكن غاب عنهم أشياء كثيرة ولئن علموا شيئاً كثيراً فهم ما تربوا التربية الإسلامية الصحيحة؛ ولذلك فيجب أن نتذكر أن العلم بالنسبة للعمل هو كالوسيلة بالنسبة للغاية، فمثل من يعلم ولا يعمل كمثل من يتوضأ ولا يصلي فوضوؤه هذا لا يفيده شيئاً ولا يقربه إلى الله زلفى.

ومثل هذا السؤال كثيراً ما سُئلناه قديماً وحديثاً وها هو الأخ حاضر الآن وقد طرح ما يشبه هذا السؤال فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. هل تستطيع ويكون هذا أحلى منك أن تعيد السؤال والجواب حتى لا يقال: أن هذا تلقين من الشيخ..

مداخلة: أي سؤال يا شيخ؟

الشيخ: سؤال: أن الأمر هو خاص بالحكام أو بالموظفين الحكام و الجواب عليه.

مداخلة: السؤال الذي طرحناه: هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وبالذات التغيير باليد حق للجميع أم أنه حق مشروط بولي الأمر، أو من عينه ولي الأمر؟ نعم.

الشيخ: هذا سؤال سئلناه قريباً، وأجبنا بما ندين الله به بما يبطل ما نسب هذا إلى السلفيين وإن كان هو ذكرني هنا فقد يكون ذكرني في مكان آخر ولا يهمني..

مداخلة: ذكر عبارات في الخطوط هذه لكن واضح أن العبارات لك مثلاً.. دائماً أنت ..

الشيخ: أكررها..

مداخلة: حفظك الله إذا سُئِلناه عن الجهاد تقول: لا بد من وجود إمام.. لا بد من وجود كذا.. فهو دائماً يطعن على ..

الشيخ: هذا صحيح، لكن أيضاً بالنسبة لهذه المسألة عندنا تفصيل.. لكن قبل هذا أريد أن أذكر جوابي عن ذاك السؤال الذي جاءنا قبلكم بيوم أو أكثر، قلت: بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصاً بالحاكم ولا بمن وظفه الحاكم بل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو حق لكل مسلم يرى منكراً ينكره أو يجد مناسبة للأمر بالمعروف فيأمر به، وذلك صريح في قوله عليه السلام المعروف في صحيح مسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده» من رأى منكم ما قال من رأى من الحكام أو من الولاة من الحكام، وإنما أطلق وقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» لكني قلت: الذي يدفع بعض الناس إلى تقييد هذا الأمر المطلق في الحديث بالحاكم أو بولي الأمر هو أنه قد تقع بعض المفاسد بسبب إقدام فرد من أفراد المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون

الأمر بالمعروف لم يكن بالمعروف، وكان النهي عن المنكر في حد نفسه منكراً فينتج من هذا وذاك مفسدة أكبر من المصلحة التي يرمي إليها الشارع الحكيم بمثل هذا الأمر: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده» إلى آخره.

لذلك نحن نقول: بأن الحديث هو على عمومه وشموله، وأنه ليس خاصاً بالحاكم ولا بمن ولاه الحاكم ولكن ينبغي على من كان آمراً بالمعروف أن يكون عارفاً كيف يأمر بالمعروف، وكيف ينهى عن المنكر بمعنى أن يزن الأمور ويدرس الواقع الذي فيه الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر حتى ما يترتب من وراء الأمر أو الإنكار مفسدة أكثر من المصلحة، ونحن حينما نقول مع العلماء: من كان آمراً بالمعروف فليكن أمره بالمعروف ننطلق من قوله عليه السلام لعائشة يوم صلى ﷺ في جوف الكعبة وأرادت السيدة عائشة أن تقتدي به عليه السلام قال لها: «صلي في الحجر فإنه من الكعبة ولولا أن قومك حديثو عهد بالشرك لهدمت الكعبة ولبنيتها على أساس إبراهيم عليه السلام ولجعلت لها بابين مع الأرض باباً يدخلون منه وباباً يخرجون منه» الشاهد: أن الرسول عليه السلام رأى منكراً وتركه؛ لأنه خشي أن يترتب من وراء تغييره منكر أكبر، هذا هو النظام فليس النظام تقييد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحاكم أو من ولاه الحاكم.

هذا كان جوابنا فهو ينسب إلينا خلاف ما نعتقد تماماً، لكن أقول: قد يكون هناك بعض الناس يخصصون الأمر بالحاكم وولي الحاكم لكن ليس ذلك من باب تعطيل النص وإنما من باب تنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنظر؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يعلمون وأنهم إذا أنكروا ينكرون بالعاطفة الجياشة التي قد يترتب عليها بعض المفاسد التي ليست من الشرع، طبعاً أن تترتب من وراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا كله كان كلامنا في

الأمس، وأقول: الآن الوقت قد طال علي أكثر من ما قررناه معذرة أليكم، وحسبكم ما سمعتم ولعلنا إن شاء الله في مناسبة أخرى..

مداخلة: في نفس الكاتب صدر عنه في الآونة الأخيرة أيضاً كتاب باسم: البديع في بيان منهج الدكتور ربيع، يقع الكتاب في واحد وستين صفحة وجمع ستة وثلاثين عنوان، من هذه العناوين: منهج الموازنة عند الدكتور ربيع، يعني: أن الشيخ ربيع يرى هدم الحسنات وذكر السيئات، وأيضاً عنونه بقول: تكفير الدكتور ربيع أتباع المذاهب الفقهية.. تكفير الدكتور ربيع لجماعة الإخوان المسلمين.. تكفير الدكتور ربيع ..

الشيخ: هذا كله كذب... كذب وزور ولا شك وأنا قرأت كثيراً من كتب الدكتور ربيع وقلت: أظن أيضاً في الأمس القريب وقد جاء مثل هذا السؤال: (نحن ما نأخذ على الدكتور ربيع من الناحية العلمية شيئاً لكن نأخذ عليه شدته وقسوته في الرد على من يرد عليهم، ونحن نصحناه بالكلام وهو رجل يقبل النصيحة فيما نعلم ولا نزكي على الله أحداً أن يلطف العبارة وأن يترفق ليس بالذي انتقل إلى رحمة الله وإلى مغفرته وإنما بالناس الذين قد يغترون بشيء من أقواله وكتاباته) وأما أنه يكفر! لا، هذا بلا شك أنه افتراء على الدكتور.

هذا الرجل تعرفون عنه أين هو وأين..؟

مداخلة: بالكويت.

الشيخ: بالكويت مقيم.

مداخلة: في الشريعة بالكويت يدرس.

مداخلة: هذه رسائل أتينا بها إليك حتى تنظر فيها كلها...

الشيخ: نسأل الله أن يقدرني على قراءتها والنظر فيها.

(الهدى والنور /٨٣٥/ ٠٦: ٠١: ٠٠)

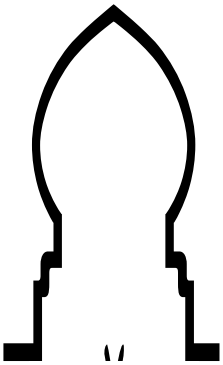

١٧

رأي العلامة الألباني في تعدُّد الجماعات والتعاون فيما بينها

كثرة الأحزاب في الساحة

مداخلة أخرى: السؤال الأول يعني يسأل بعض الناس عن كثرة الأحزاب الإسلامية الموجودة على الساحة، وهل هي تصب في بوتقة واحدة؟ وما حكمها الشرعي؟

الشيخ: مع الأسف الجواب لا، الأحزاب الموجودة اليوم أو الجماعات القائمة على الأرض الإسلامية تتعدد مناهجها وتختلف نظمها اختلافاً كبيراً، وحسبكم حينما تسمعون جمع الحزب أحزاب، حينما تسمعون لفظة الأحزاب، وتضطرون أن تسألوا مثل هذا السؤال الذي فيه هذه اللفظة لفظة الأحزاب، حسبكم أن تلاحظوا معي هذه اللفظة لتعلموا أن ذلك ليس على منهج الإسلام الذي قال ربنا عز وجل في القرآن، من جهة قال: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢]، وقال في آية أخرى منبهاً أن حزباً واحداً هو الذي يكون الحزب الناجح والحزب الفالح، أعني بذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، فالأحزاب كثيرة والسبل عديدة.

فالآية الأولى كالآية الأخرى يلتقيان في ذم التعدد الحزبي والتعدد الطرقي، ويبين في كل منهما ربنا عز وجل بصراحة ما بعدها صراحة أن الطريق الموصل إلى الله عز وجل إنما هو طريق واحدة أو طريق واحد، ولقد زاد النبي ﷺ كغالب

عادته مع كثير من آيات ربه، لقد زاد بياناً تلك الآية والآية الأخرى بمثل قوله ﷺ وقد كان جالساً بين أصحابه، كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً بين أصحابه جلسته المعروفة الدالة على تواضعه، كان جالساً على الأرض، فخط عليها خطاً مستقيماً، وخط حول هذا الخط المستقيم خطوطاً قصيرة، خط مستقيم وعلى جانبي الخط المستقيم خطوط قصيرة، ثم قرأ الآية الثانية فقال: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، ثم قال وهو يمر إصبعه الشريفة على الخط المستقيم: هذا صراط الله وهذه طرق وعلى كل رأس طريق منها شيطان يدعو الناس إليه.

أما الحديث الآخر الذي في ظني لا يخلو واحد منكم إلا وقد قرأه أو طرق سمعه مراراً وتكراراً، ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي الجماعة»، وفي رواية أخرى المفسرة للرواية الأولى، «قال: هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي».

فهذا الحديث أيضاً يؤكد أن النجاة لا تكون بالتفرق والتحزب إلى أحزاب وشيع وطرق شتى، وإنما بالانتماء إلى طريق واحدة وبسلوك طريقاً واحداً ألا وهو طريق محمد ﷺ.

وفي ظني أن هذه حقيقة لا يماري ولا يجادل فيها من كان أوتي شيئاً من العلم ولو كان قليلاً؛ لأننا لم نذكر إلا كلاماً لله عز وجل أو حديثاً صحيحاً للنبي ﷺ، وأي شيء بعد ذلك إنما يكون مما لا قيمة له إطلاقاً، لمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء:٨٠]، ومثل قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

فإذا كنا قد رجعنا إلى الكتاب والسنة في الإجابة عن ذلك السؤال المتعلق بتعدد الأحزاب والجماعات، وكان الكتاب والسنة صريحين في ذم التحزب وفي ذم التفرق، فلا شك حينذاك أنه لا يبقى هناك إلا طريق واحدة وإلا حزب واحد وهو الذي أثنى الله عز وجل عليه في آية معروفة في القرآن الكريم: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

ولكن من الواجب أن يعرف كل مسلم راغب أن يكون من هذا الحزب الذي شهد الله عز وجل له بالفلاح، وذلك يعني الفلاح في الدنيا والآخرة معاً، من كان حريصاً على أن يكون من ذلك الحزب فلا يمكنه أن يحقق ذلك في نفسه إلا إذا عرف علامة هذا الحزب ونظامه ومنهجه، إذا كان الطريق الموصل إلى تحقيق هذا الحزب واحداً فلا بد أيضاً كذلك أن يكون المنهج واحداً، فإذا تعددت المناهج لتلك الجماعات أو الطوائف أو الأحزاب فلا شك أن التعدد لهذه المناهج فرع لتعدد الأحزاب والجماعات، وما بني على خطأ أو ضلال لا شك أنه يكون كذلك ضلالاً، وكما قيل قديماً: وهل يستقيم الظل والعود أعوج.

أقول: قد يتساءل البعض: فما هي علامة الفرقة الناجية التي جعلها الرسول ﷺ بصريح ذلك الحديث وبتفسيره للآية جعلها الرسول ﷺ بصريح ذلك الحديث وبتفسيره للآية: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣]، وخط خطاً واحداً وخط من حوله تلك الخطوط العريضة الكثيرة القصيرة، ما علامة هذا السبيل وهذا الطريق الذي يكون صاحبه من الفرقة الناجية؟

الجواب كما سمعتم في الحديث: حينما قال عليه الصلاة والسلام أن من بين

تلك الفرق الثلاثة والسبعين فقط فرقة واحدة ناجية، ووصفها: بأنها التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وما كان عليه أصحابه.

في هذا الحديث نحن ننبه لأمر هام طالما غفل عنه كل الدعاة الإسلاميين الموجودين اليوم حتى وبعضهم مع هذا المنهج الصحيح وهو الكتاب والسنة، في هؤلاء من لا يتنبه لهذا الذي ذكره الرسول عليه السلام في الحديث عطفاً على قوله: «ما أنا عليه»، ما اقتصر النبي ﷺ على قوله في وصف الفرقة الناجية: ما أنا عليه، ولو أنه اقتصر على هذا لكان كافياً؛ لأن ما كان عليه النبي ﷺ هو الهدى والنور، كما تسمعون في خطبة الحاجة: «وخير الهدى هدى محمد» ﷺ، إذاً لماذا ذكر عليه الصلاة والسلام وعطف على قوله: «ما أنا عليه» فقال: «وأصحابي»؟

هذا العطف مما يعطف عليه كثير من الدعاة، ولو كانوا معنا على منهج الكتاب والسنة؛ فلذلك فقد جريت على الدندنة والتطواف دائماً وأبداً حول هذه الجملة المعطوفة: «وأصحابي» لأهميتها، أهميتها من ناحيتين: الأولى: من حيث أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وأنه لا ينطق كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤]، فإذا كان لا يتكلم إلا بالوحي، وهذا طبعاً فيما يتعلق بالأحكام الدينية، وإذا كان قد أوتي جوامع الكلم، فلماذا لم يقتصر على قوله: «ما أنا عليه» بل زاد وعطف على هذا فقال: «وأصحابي»، علماً أن الصحابة ما جاءوا بدين من عند أنفسهم وإنما أخلصوا في اتباعهم لنبيهم ﷺ؟

السبب في ذلك هام جداً: وهو أن ما كان عليه الرسول ﷺ وهو الذي يسمى بالسنة، السنة التي جاء ذكرها في أكثر من حديث واحد، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الرهط الذين سألوا نساء النبي عن عبادته عن صيامه

وقيامه وإتيانه لنسائه، والقصة معروفة، ولا أريد أن أطيل أكثر مما يقتضيه الوقت جواباً عن هذا السؤال، وإلا فهذا الحديث وحده يستحق محاضرة كاملة لا أقل من ساعة من الزمن، حسبي فيه أو منه أن النبي ﷺ قال في آخر الحديث المعروف بحديث الرهط بعد أن ذكر قوله عليه السلام: «أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم لله، أما إني أصوم وأفطر، وأقوم الليل وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، سنته ﷺ لا تعني المعنى الاصطلاحي عند الفقهاء الذي يعني بالسنة ما ليس بفريضة، لا يعني الرسول عليه السلام في أي حديث ذكر فيه لفظة السنة معنى السنة المصطلحة عليها في فروع الفقه، حيث يقولون مثلاً: فرائض الصلاة، سنن الصلاة، ويعرفون السنة: ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، ليس هذا المعنى هو المقصود في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وإنما المقصود به: المنهج والنظام والطريق الذي سار عليه الرسول عليه السلام منذ بدئه بالدعوة إلى الله إلى آخر رمق من حياته، هذا النظام وهذا المنطلق وهذا الطريق الذي سار عليه الرسول عليه السلام هو المقصود بالسنة فيما إذا ذكر في حديث من أحاديث النبي ﷺ، ومن الواضح أن السنة بهذا المعنى المقصود من حديث الرسول عليه السلام يعني الإسلام كلاً لا يتجزأ، سواء بفرائضه أو بسننه أو بمستحباته أو مندوباته أو مباحاته، سواء في أسلوب الدعوة أو في جوهر الدعوة، هذا هو معنى السنة: «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

من ذلك حديث العرباض بن سارية الذي أيضاً أظن أنكم جميعاً قرأتموه أو سمعتموه على الأقل، وهو الذي قال فيه العرباض بن سارية: «وعظنا الرسول ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: أوصنا يا رسول الله، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن ولي عبد حبشي، وإنه من يعش

منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..» إلى آخر الحديث، وهو معروف إن شاء الله، فهل يعني رسولنا صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث: «فعليكم بسنتي» يعني مثلاً: السنن القبلية والبعدية في الصلوات الخمس وغير ذلك؟

الجواب: لا، هذا جزء مما يعنيه عليه السلام بلفظة السنة كلما ذكرها في حديث من أحاديثه عليه السلام، جزء والكل كما ذكرنا، المنهج والطريق الذي سار عليه الرسول عليه السلام.

(الهدى والنور /٦٨٦/ ٠٤: ٠٣: ٠٠)

(الهدى والنور /٦٨٦/ ٥١: ١٧: ٠٠)

حكم تعدد الجماعات الإسلامية

السؤال: شيخنا قبل قليل يعني لما شيخنا تجويز تعدد الجماعات الإسلامية على منهج واحد أليس هذا يفتح باب الحزبية.

الشيخ: باب الحزبية ليست من ذاك المنهج الإسلامي أنا ضربت .

مداخلة: ما سمع السؤال الإخوان.

الشيخ: ارفع صوتك.

السؤال: تجويز الشيخ لتعدد الجماعات الإسلامية هل هذا يفتح باب لسلوك طريق الحزبية.

الشيخ: الجواب لا لأنني ضربت لذلك مثلاً واضحاً بينا، فقلت يحكم على الجماعات بمثل ما يحكم على الأفراد فقلنا فلان تخصصه في التفسير والثاني في الحديث وعدد ما شئت من التخصصات في مختلف العلوم سواءً ما كان منها شرعياً أو ما كان منها مادياً صناعياً وما شابه ذلك، هذه التخصصات هي من الواجبات الكفائية إذا قام بها البعض سقط عن الباقين إذا قلنا هذا للأفراد هل يفتح باب التحزب؟ هذا محدث فله جماعة يخاصمون جماعة المفسر. الذي له جماعة إلى أخره كما ذكرنا، طبعاً هذا يخالف الإسلام لكن على كل المسلمين أن يستفيدوا من المتخصص في التفسير كما يستفيدون من المتخصص في الحديث من الفقيه من الاقتصادي من السياسي من من إلى أخره.

فإذاً تجمعهم كلهم الإستفادة من كل متخصص دون تباغض ودون تباعد

لأنه كلهم على كلمة سواء أنت سمعت هذا الكلام آنفاً وقلنا بأن هذا الحكم الذي ذكرناه بالنسبة للأفراد وهو حق لا ريب فيه ينقل إلى الجماعات بمعنى الآن كتوضيح لصورة التكتل هذا .

جماعة من الأفراد شكلوا لجنة في التفسير، جماعة من المشتغلين بالحديث شكلوا لجنة من المحدثين، وعلى ذلك فقس بقية التخصصات، هل هذا يكون مخالفاً للشرع أم موافقاً له ماداموا جميعاً ما يخرجون عن المنهج العلمي الصحيح الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح؟ واضح إلى هنا.

الآن اللجان التي سميناها بلجان وعادة ما تكون مؤلفة من خمسة عشرة خمسة عشر-عشرون الآن نوسع دائرة بقدر ما تتصور اللجنة هذا مؤلفة من الألوف المؤلفة هل اختلف الأمر عن الأفراد أو عن الفرد في الحديث في التفسير أو أفراد لجنة سميناها عن ألوف مؤلفة ما دام كلهم يعيشون تحت نظام واحد ومنهج واحد؟ الجواب لا ما يترتب من وراء هذا ما خشيته من التحزب والتكتل لأنه إذا دخل التحزب والتكتل لا فرق حينئذٍ بين الجمعيات وبين اللجان وبين الأفراد، لا يوجد فرق إطلاقاً كله مخالف لهذا المنهج الذي افترضنا أن يكونوا جمعياً عائشين في دائرته، وهذه الآن نسمع من الدكتور ماذا أراد أن يقول .

السؤال: هل هذا أقول: أن مثل هذا العمل واجب على المسلمين .

الشيخ: واجب.

السؤال: خلاص الحمد لله.**السؤال:** إذاً الشيخ يوجب يعني القيام بالعمل في شتى النواحي الإسلامية بشكل جماعي؛ لأن دولة الإسلام وأمة الإسلام لا تقوم إلا بمثل هذه النشاطات الجماعية.

الشيخ: أي نعم.

الشيخ: جزاك الله خير..

(الهدى والنور /٣٧٢/ ٥٧: ١٦ : ٠٠)

باب منه

مداخلة: في سؤال يقول: هل يجوز تعدد الجماعات العاملة للإسلام؟

الشيخ: هذا السؤال في الواقع يطرح نفسه كما يقولون اليوم، ومشروع ومعلوم لدى الناس جميعاً أن هذا أمر جائز وأنا أقول معهم كذلك، ولكن بشرط واحد وهذا الشرط يجب الانتباه له من كل هذه الجماعات لسببين اثنين:

السبب الأول: حتى تجمعهم دائرة الإسلام.

والشرط الثاني: أن يكونوا - أيضاً كما قلنا عن عامة المسلمين - يعرفون كيف ينطلقون في دعوتهم. فإذا كان هناك جماعات متعددة وكانت كل جماعة تنحو منحىً واجباً، لأني أتصور حقيقة واقعة لا يستطيع أن يجادل فيها إنسان ما، وهي: أن الفرد من أفراد العلماء لا يمكنه أن يجمع العلوم الإسلامية كلها بحيث أنه إذا سئل عن أي علم أجابك، يعني كما يقولون عندنا في سوريا في اللغة العامة أن ما شاء الله فلان مثل الصحن الصيني وين ما رميته بيرن، أنا لا أتصور أن يكون العالم عالم بالتفسير، وبالقرآن، وبعلوم القرآن، والأحاديث، والقراءات، والفقه الحنفي، والشافعي، والفقه المقارن، إلى آخر ما هنالك، اللغة، والنحو، والصرف، و و، إلى آخره. هذا أمر مستحيل، ممكن كل واحد يجمع بصورة مجملة بين هذه العلوم ولكن لا بد ليفيد الناس أن يكون متخصصاً في علم من هذه العلوم الذي يتميز فيه على غيره وهكذا كل عالم في الدنيا، هذه المجموعة من العلماء المتخصصين هم الذين يستطيعون أن ينهضوا بالواجب

ككل، واجب علم التفسير والحديث وإلى آخره، شخص واحد لا يستطيع.

على الضوء، هؤلاء الأفراد نقول نحن بالنسبة للجماعات وكل جماعة مؤلفة من الأفراد، فلا تستطيع جماعة على وجه الأرض أن تنهض بالإسلام ككلّ، أي: هذه الجماعة أن تكون عالمة بالكتاب والسنة أو على التفصيل السابق ولا نكرر، وإنما كل جماعة تأخذ جانباً من الإسلام.

لنضرب مثلاً: حزب وَلاَ حزب في الإسلام إلا حزب واحد كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

في جماعات متعددة حتى لا يكونوا إلا حزباً واحداً ينبغي أن يكونوا داخلين في دائرة الإسلام قال الله، قال رسول الله. فمثلاً: بعض هذه الجماعات يغلب عليها التفقه في الدين يهتمون بمعرفة أحكام الإسلام في كل ما يتعلق بالعبادات فضلاً عن الاعتقادات، فهم يضربون في هذه الناحية لكن ما يستطيعون بطبيعة الحال أن يضربوا في ناحية أخرى، ما هي هذه الناحية الأخرى؟ بأن يتوجهوا إلى الناس لتعظيمهم وإرشادهم كما قيل آنفاً: الفضائل من الأمور، الأخلاق مكارم الأخلاق ونحو ذلك كجماعة، ككتلة، أما كأفراد يختلفون في ذلك، لكن هؤلاء أو هذه الجماعة الثانية أيضاً هم لا يستطيعون أن ينهضوا بما نهضت به الجماعة الأولى، وهكذا عدد ما شئت من الجماعات، فكل جماعة تنهض بما يجب على بعض المسلمين أن يقوموا به.

أضرب لكم مثلاً أخيراً: قديماً كنا نسمع أنه يوجد في مصر- جماعة تسمى بجماعة الشبان المسلمين، وانبثق منها فيما جماعة الإخوان المسلمين.

جماعة الشبان هؤلاء لا يهتمون من الإسلام كجماعة لا أتكلم كأفراد، قد يكون هناك في الأفراد يهتمون بالناحية الأولى كما قلنا وهي ناحية العلم، وقد

يكون فيهم آخرين يهتمون بناحية إرشاد الناس وتعليمهم، لكن كجماعة بماذا كانوا يهتمون؟ بالأمور الرياضية، بكرة السلة وكرة القدم والطاولة ونحو ذلك، رياضة لا بأس من هذه الرياضة، لكن بشرط أن تكون ضمن دائرة الشريعة الإسلامية، فيتعاون إذاً هؤلاء مع هؤلاء وكلهم يمشون في دائرة الإسلام.

أعني لأضرب مثلاً بسيطاً: الجماعة الأخيرة التي تعتني بالمسائل وبالأعمال الرياضية، قلنا: هذا أمر طيب، ولكن هذه الرياضة قد يحيط بها بعض الأحكام التي يجب... أن يلتزموها لنضرب على ذلك مثلاً: أنه لا يجوز لهذه الجماعة أن تتبارى مثلاً بعضها مع بعض، بعضها مع الجماعات الأخرى في أوقات يضيعون عليهم فريضة من فرائض الصلوات الخمس.

فإذاً هم يجب عليهم أن ينتظروا في قيامهم بالواجب التقيد بنفس الأحكام الشرعية.

كذلك مثلاً: يجب أن يتميزوا باعتبارهم جماعة رياضيين متمسكين بالإسلام ألا يظهروا كما يظهر الرياضيين وآخرين بين الأنام كاشفي العورات، كاشفي الأفخاذ لابسين لما يسمى اليوم بالشورت في بعض اللغات، وبالتبان باللغة العربية الصحيحة وهو السروال الذي ليس له أكمام، ثم هو ضيق قد يحجم العورة الكبرى، هؤلاء الرياضيين المسلمين يجب أن يظهروا بزي وشكل إسلامي حين ذاك يقومون بواجب لا يستطيع أمثالنا نحن المنكبين على علم وتعليم العلم ونحو ذلك. هذا المثال بسيط جداً.

فإذا كانت هذه الجماعات تنطلق من هذا المنطلق الإسلامي العام فنعما يعملون ويفعلون، ولكن مع الأسف الشديد هذا الواجب غير متحقق في كثير من

هذه الجماعات، بل هناك تنافر وهناك تدابر بين جماعة وأخرى، لماذا؟ لأن المناهج التي أقيمت هذه الجماعة عليها لم تقم على الدستور الإسلامي الذي نسعى نحن بصياحنا وزعاقنا أن نحول الدستور الذي جاءنا من الغرب أن نحوله إلى دستور إسلامي ونحن عاجزون أن نطبق جزءاً من هذا الدستور في اجتماعنا هذا المصور في المية...

بالنسبة لمين للمجتمع الإسلامي الكبير الذي نريد أن نحكم عليهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

لذلك أنا أقول بهذه المناسبة: أن هذه الجماعات كلها عليها لا بأس أن تتخصص كل واحدة منها فيما هي متوجهة إليه ولكن بشرط أن يكون عملها في تخصصها في حدود دائرة الإسلام، وإذا لم يقم هؤلاء الأشخاص ليس فقط في تخصصهم المذكور بل وفيما يتعلق بعباداتهم الخاصة وبأفرادهم إذا لم يتقيدوا بحكم الله عز وجل فلا يستطيعون أن يكونوا جماعة يقومون بواجب من الواجبات التي لا تستطيع جماعة أخرى أن يقوموا بها، لأنهم زعموا أنهم تخصصوا هذا التخصص إنما يفيدهم إذا التزموا عهد الله وشريعة الله.

بإيجاز: هذه الجماعات إن كانت تعمل في تخصصاتها ضمن دائرة الإسلام فنعما هو، وإلا هو التفرق المنهي عنه في كتاب الله وفي حديث رسول الله ﷺ وذلك معلوم لديكم جميعاً إن شاء الله.

(الهدى والنور /٢٢٨/ ١٩: ١٥ : ٠٠).

باب منه

فهذا سؤال لشيخنا العلامة الشيخ ناصر يقول السائل: ما هو حكم الشرع في تعدد هذه الجماعات والأحزاب والتنظيمات الإسلامية مع أنها مختلفة فيما بينها في مناهجها وأساليبها ودعواتها وعقائدها والأسس التي قامت عليها وخاصة أن جماعة الحق واحدة كما دل الحديث على ذلك.

الشيخ: لنا كلمات كثيرة وعديدة حول الجواب عن هذا السؤال، ولذلك فنوجز الكلام فيه.

فنقول: لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، أن التحزب والتكتل لجماعات مختلفة الأفكار أولاً والمناهج والأساليب ثانياً ليس من الإسلام في شيء، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عز وجل في أكثر من آية في القرآن الكريم منها قوله عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فربنا عز وجل يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾[هود:١١٨-١١٩]، فالله تبارك وتعالى استثنى من هذا الخلاف الذي لا بد منه كونياً وليس شرعياً استثنى من هذا الخلاف الطائفة المرحومة حين قال: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

ولا شك ولا ريب أن أي جماعة يريدون بحرص بالغ وإخلاص لله عز وجل في أن يكونوا من الأمة المرحومة المستثناة من هذا الخلاف الكوني.

إن ذلك لا سبيل للوصول إليه ولتحقيقه عملياً في المجتمع الإسلامي إلا بالرجوع إلى الكتاب وإلى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، ولقد أوضح رسول الله ﷺ المنهج والطريق السليم في غير ما حديث صحيح عن النبي ﷺ: «أنه خط ذات يوم على الأرض خطاً مستقيماً، وخط حوله خطوطاً قصيرة عن جانبي الخط المستقيم، ثم قرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، ومر بإصبعه على الخط المستقيم وقال: هذا صراط الله، وهذه طرق عن جوانب الخط المستقيم، قال عليه السلام: وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه».

لا شك أن هذه الطرق القصيرة هي التي تمثل الأحزاب والجماعات العديدة، ولذلك فالواجب على كل مسلم حريص على أن يكون حقاً من الفرقة الناجية أن ينطلق سالكاً الطريق المستقيم، وأن لا يأخذ يميناً ويساراً، وليس هناك حزب ناجح إلا حزب الله تبارك وتعالى الذي حدثنا عنه القرآن الكريم: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

فإذاً: كل حزب ليس هو حزب الله فإنما هو من حزب الشيطان وليس من حزب الرحمن، ولا شك ولا ريب أن السلوك على الصراط المستقيم يتطلب معرفة هذا الصراط المستقيم معرفة صحيحة ولا يكون ذلك بمجرد التكتل والتحزب الأعمى على كلمة هي كلمة الإسلام الحق، لكنهم لا يفقهون من الإسلام إلا شيئاً قليلاً، فلا يكون التحزب الصحيح الفالح إلا بمعرفة هذا

الإسلام كما أنزله الله تبارك وتعالى على قلب محمد عليه الصلاة والسلام، لهذا كان من علامة الفرقة الناجية التي صرح النبي ﷺ بها حينما سئل عنها، فقال: «هي ما أنا عليه وأصحابي».

فإذاً: هذا الحديث يشعر الباحث الحريص على معرفة صراط الله المستقيم أنه يجب أن يكون على علم بأمرين اثنين هامين جداً جداً، الأول ما كان عليه الرسول ﷺ، والآخر ما كان عليه أصحابه عليه الصلاة والسلام؛ ذلك لأن الصحابة الكرام هم الذين نقلوا إلينا أولاً هديه ﷺ وسنته، وثانياً: هم الذين أحسنوا تطبيق هذه السنة تطبيقاً عملياً، فلا يمكننا والحالة هذه أن نعرف معرفة صحيحة سنة النبي ﷺ إلا بطريق أصحابه.

ومعلوم لدى أهل العلم أن السنة تنقسم إلى سنة قولية وفعلية وتقريرية، فالسنة القولية واضح جداً تعريفها هو ما نقله الصحابي من قوله عليه السلام، والسنة الفعلية ما نقلوه عنه ﷺ فعلاً، أما السنة التقريرية فهو ما نقلوه عن بعضهم وليس عن النبي ﷺ، لكن رسول الله رأى ذلك الفعل وسكت عنه، هذا السكوت ليس من قوله عليه السلام وليس من فعله، وإنما من إقراره.

ومن هنا ينبعث في نفسي أن ألفت النظر إلى أهمية هذه الضميمة التي نحن ندندن حولها في مثل هذه المناسبة، وهي أنه لا يكفي لأي جماعة إسلامية تنتمي بحق إلى العمل بالكتاب والسنة، لا يكفيهم أن يقتصروا على فهم الإسلام بناء على الكتاب والسنة فقط، بل لا بد أيضاً من معرفة تطبيق أصحاب الرسول ﷺ لهذه السنة.

وهناك أمثلة كثيرة وكثيرة جداً يمكن بها تقريب أهمية هذه الضميمة، وقد ذكرت في بعض المحاضرات أو الأجوبة نماذج منها، والآن يحضرني مثال آخر

ألا وهو ما جاء في صحيح البخاري وسنن أبي داود وغيرهما من أكثر من طريق واحد أن النبي ﷺ لما أمر أصحابه أن يسووا الصفوف إذا قاموا إلى الصلاة، قال النعمان بن بشير وغيره: فكان أحدنا يطبق قدمه بقدم صاحبه، ومنكبه بمنكب صاحبه.

هذا فعل وقع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم تطبيقاً منهم لأمر الرسول ﷺ بتسوية الصفوف، ومما لا شك فيه ولا ريب فيه أن النبي ﷺ لا يمكن أن يخفى عليه ما فعله أصحابه من خلفه، من ورائه وهم يصلون مقتدين به، لا يمكن أن يخفى هذا الرص الذي طبقه أصحابه ﷺ تنفيذاً لأمره بتسوية الصفوف والتراص في الصفوف، ذلك لأن من خصوصياته عليه السلام ومعجزاته أنه كان وهو في صلاته يرى من خلفه كما يرى من أمامه، فلو أن هذه التسوية لهذا التراص رص الأقدام ورص المناكب لم يكن مشروعاً لكان تكلفاً، ولو كان تكلفاً لنهاه الرسول عليه الصلاة السلام عنه؛ لأنه هناك حديثاً صحيحاً أنه عليه السلام نهى عن التكلف، وإن قيل إنه من الممكن أن يخفى ذلك على النبي ﷺ فأنا أقول باب الإمكان واسع جداً، لكن ما نحن فيه ليس من هذا الباب لسببين اثنين ذكرت أحدهما آنفاً وهو أن النبي ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، والسبب الثاني وهو الأهم أنه إن فرض أن النبي ﷺ لم يشهد هذا الأمر الذي فعله أصحابه خلفه في الصلاة، فرب الرسول ﷺ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فما قلناه آنفاً عن رسول الله ﷺ وليس له من الوظيفة إلا التبليغ عن الله عز وجل، فبالأولى والأحرى أن يقال ذلك عن رب الرسول تبارك وتعالى، فيقال: إذا كان ربنا عز وجل كما أشرنا إليه آنفاً اقتباساً من القرآن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وكان الله عز وجل لا يريد أن يشرع لعباده المؤمنين هذا التراص في الصفوف، لأمر نبيه ﷺ أن ينهى عن هذا التكلف.

إذاً: لا ينبغي أن يتصور المسلم سكوته عليه السلام عن شيء إلا وربنا عز وجل مطلع عليه، وبالتالي إقرار الله لنبيه على هذا هو تشريع.

من هنا نتوصل إلى الإشارة إلى بعض المسائل التي جرى الخلاف فيها قديماً في بعض الأحكام الفقهية بين الحنفية والشافعية، حيث إن أحد الفريقين يحتج بما وقع في عهد النبي ﷺ فيرد الآخر بأن هذا الذي وقع ليس فيه بيان أن النبي عليه الصلاة السلام اطلع عليه حتى يقول أنه اطلع فأقره.

بما سبق من الكلام يرد على هذا الرد من بعض المذهبيين، أضرب لكم مثلاً أو أكثر.

جاء في صحيح البخاري أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان يصلي صلاة العشاء الآخرة وراء النبي ﷺ في مسجده ثم ينطلق إلى قبيلته فيصلي بهم الصلاة نفسها، يقول راوي الحديث وهو جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، هي له نافلة وهي لهم فريضة.

فاستدل بعض الأئمة المتقدمين بهذا الحديث على جواز صلاة المفترض وراء المتنفل، فرد ذلك بعض المذهبيين بأن هذا لا حجة فيه؛ لأنه ليس فيه أن النبي ﷺ كان يعلم أن معاذاً بعد أن يصلي خلفه يعود إلى قبيلته فيصلي بهم نفس الصلاة هي له نافلة وهي لهم فريضة.

أظنكم الآن تعرفون الجواب؟ لأننا نقول إن كان رسول الله ﷺ لا يعلم حقيقة أن معاذاً كان يعيد هذه الصلاة تنفلاً فربنا عز وجل كما قلنا آنفاً يعلم السر وأخفى، فلو كان فعل معاذ غير مشروع لجاء الحكم من السماء في بيان عدم شرعيته.

ومثال آخر ونقتصر به وأُعَدِّد الأمثلة لأهمية هذه الملاحظة والتي قلما نجدها

فصيحة مبينة في كتب العلماء، جاء في مسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم وسنن البيهقي وغيرها من كتب السنة عن جابر أيضاً رضي الله تعالى عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة أصبنا فيها امرأة من المشركين، أي: قتلناها..

وهنا جملة معترضة أرجو أن تكون قصيرة، لا يخالف هذا الحديث الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان؛ لأن النهي محله في مكان وهذا القتل الذي ذكر في حديث جابر له محل آخر.

النهي ينصب على قتل النساء اللاتي لم يشتركن في قتال المسلمين، والقرينة على ذلك والصبيان، كان الصبيان ليسوا من المقاتلة، وعلى هذا فقول جابر رضي الله تعالى عنه: «أصبنا فيها امرأة من المشركين»، يعني: أنها كانت من المقاتلة.

قال: وكان زوجها غائباً، فلما رجع وأخبر الخبر حلف أن لا يدخل القرية إلا بعد أن يثأر لها ثأراً من أصحاب رسول الله ﷺ، فتتبع آثار الصحابة، ومعلوم أن العرب كانت عندهم هذه المعرفة تتبع الآثار التي بها وصلوا إلى اكتشاف مأوى الرسول في الغار يوم عزم على الهجرة من مكة إلى المدينة، فالأثر دلهم أن الرسول عليه السلام وصل إلى هذا المكان؛ لأنه انقطع الأثر، لكنهم أعمى الله بصرهم فلم يروا الرسول عليه السلام وصاحبه في الغار بينما صاحبه رأى أقدام المشركين فخشي ليس على نفسه، خشي على نبيه فقال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، وهنا لا بد من التذكير بأن ما يذكر في بعض كتب الحديث وفي كتب السيرة أن الذي صرف كفار قريش بعد أن هداهم تتبعهم للأثر إلى أن المطلوبين هما في الغار، زعموا بأنهم رأوا الحمامة قد عششت وباضت والعنكبوت أيضاً نسج خيوطه، فقالوا: لا يمكن أن يكون هنا في الغار أحد،

فانصرفوا.

هذا لم يصح على طريق أهل الحديث، لم يصح أولاً، ثم هناك رواية قوية بأن الله عز وجل أمر ملكاً بأن يغطي بجناحه فم الغار، ولذلك لم يروهما.

فالشاهد أن ذلك المشرك تتبع آثار الجيش الغازي لتلك القرية فوصل إلى المكان الذي كان قد أدركهم المساء، فنزلوا في واد وحسب النظام العسكري النبوي قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: من يكلؤنا الليلة، فقام رجلان من الأنصار الشابان أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج، فقالا: نحن يا رسول الله. قال لهما: كونا على فم الشعب، فانطلقا والمشرك يراقبهما يريد أن يستغل الفرصة للوفاء بنذره، أن يأخذ بثأر زوجه، ولما وصل إلى المكان الذي هو موضع حراسة الجيش النائم، اتفق على أن يتناوبا الحراسة، هذا يحرس نصف الليل بينما الآخر ينام ثم يتبادلان، ثم بدا للحارس الذي قام منتصباً، بدا له أن يجمع بين عبادتين في وقت واحد، عبادة الحراسة وعبادة الصلاة في الليل الهادي فقام يصلي، وهنا اغتنم الفرصة المشرك الذي كان مختبئاً وراء صخرة، فرماه بحربه فوضعها في ساقه، فما كان منه إلا أن رماها أرضاً والدماء تسيل منه، ولما رأى المشرك أن هدفه لا يزال منتصباً وهذا يشعر بأنه لا يزال حياً رماه بالحربة الثانية فوضعها في ساقه، وهكذا ثلاث حراب ويصيب الهدف، ومن دقة تعبير جابر يقول: وضعها والوضع عادة يكون باليد، لكن هذا كناية لدقة الإصابة للهدف، فكأنه يضع الحربة وضعاً بيده، ومع ذلك فذلك الصحابي الجليل مستمر في صلاته لا يقطعها، والدماء تسيل منه حتى صلى ركعتين.

ثم إما أنه أيقظ صاحبه وإما أنه استيقظ، فلما رأى ما بصاحبه من الدماء هاله الأمر وسأله عن السبب، فقال: والذي نفسي بيده لقد كنت في سورة أقرؤها

ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً وضعني رسول الله ﷺ على حراسته لكانت نفسي فيها.

أي: تذكر وهو يصلي بأنه في وظيفة أمره الرسول ﷺ أن يقوم بها وهي حراسة الجيش النائم، فلو أنه استمر في الصلاة وقد راق له الاستمرار في هذه الصلاة لحلاوة المناجاة بين يدي الله عز وجل، لولا أنه خشي أنه إن استمر في الصلاة واستمر المشرك في رميه أن يكون هلاكه في هذه الصلاة، فتضيع الوظيفة فربما يهاجم العدو المسلمين، ولذلك هو قنع من الصلاة بركعتين، ولم يقنع بذلك خوفاً من الهلاك، لا، وإنما خوفاً من هلاك الصحابة فيما إذا هو مات وغدر بهم العدو.

إلى هنا تنتهي القصة، والشاهد منها أن بعض الأئمة يحتجون بحق بأن الدم لا ينقض الوضوء؛ لأنه لو كان ناقضاً لما استمر هذا الرجل في الصلاة، فيرد المخالف ويقول: هذا تصرف شخصي منه.

يقول للمردود عليهم: نعم، لكن هذا هو من أصحاب الرسول عليه السلام، ويجيبون فيقولون: ليس في الحديث أن النبي ﷺ اطلع على ذلك، هنا الشاهد.

نحن نجيب بجوابين اثنين: على نحو ما سبق من الجواب عن قصة معاذ رضي الله عنه، ولكن هنا في شيء أقوى في أحد الجوابين مما سبق، وذلك هذا موظف من رسول الله ﷺ بوظيفة فيصاب بهذه الجراحات وفي حالة من العبادة والصفاء النفسي، هل يمكن هذا أن يخفى على قائد الجيش، لو كان قائداً عادياً، فكيف وهو رسول الله ﷺ، مستبعد جداً جداً أن يخفى وضع هذا الإنسان على رسول الله ﷺ.

إذاً: الراجح أنه عليه السلام اطلع على واقع هذا الإنسان، وبناء على ذلك لو

كان خروج الدم ناقضاً لبين ذلك، لما هو معلوم من أصول الفقه أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإن استمر المخالف في المكابرة وفي ادعاء لا ليس هناك نص أن الرسول ﷺ اطلع، نقول له حسبك أن رب الرسول ﷺ اطلع، وهذا لا يمكن إنكاره، فإذ لم ينزل شرع يبين أن خروج الدم ناقض للوضوء، كانت القصة حجة لمن يحتج بها على أن خروج الدم لا ينقض الوضوء.

الشاهد من هذا ومن ذاك أن فهم الإسلام فهماً صحيحاً لا سبيل إليه إلا بمعرفة سيرة الصحابة وتطبيقهم لهذا الإسلام العظيم الذي تلقوه عنه ﷺ إما بقوله، وإما بفعله، وإما بتقريره.

لذلك نعتقد جازمين أن كل جماعة لا تقوم قائمتها على هذا الأساس من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح دراسة واسعة جداً محيطة بكل أحكام الإسلام كبيرها وصغيرها، أصولها وفروعها، فليست هذه الجماعة من الفرقة الناجية ومن التي تسير على الصراط المستقيم الذي أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح.

وإذا فرضنا أن هناك جماعات متفرقة في البلاد الإسلامية على هذا المنهج، فهذه ليست أحزاباً وإنما هي جماعة واحدة ومنهجها منهج واحد، وطريقها طريق واحد، فتفرقهم في البلاد ليس تفرقاً فكرياً عقدياً منهجياً، وإنما هو تفرق لتفرقهم في البلاد بخلاف الجماعات والأحزاب التي تكون في بلد واحد، ومع ذلك فكل حزب بما لديهم فرحون.

هذه الأحزاب لا نعتقد أنها على الصراط المستقيم، بل نجزم بأنها على تلك الطرق التي على رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليها.

ولعل في هذا جواباً لما سبق.

مداخلة: ومثل ذلك وإن كان فيه فارق بعض الشباب ينكر على من يقوم للقادم، فإذا كنا في مجلس وقدم أحد فقمنا للسلام عليه أنكر ذلك وذكر الحديث الوارد فيه.

ومع أن هذه المسألة وإن كنت لا أقول إنها موضع اتفاق، لكن الأقرب أنه يجوز إنما كان هذا على سبيل الإكرام للقادم، ويعجبني في هذا المجال فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وقد سئل عن المسألة، فقال إن هذا من مكارم الأخلاق، فما دامت عادة أهل البلد القيام للقادم لمصافحته والترحيب فيه وعرض المجلس الذي أنت فيه عليه لأن يتفضل في مكانك، فهذا من مكارم الأخلاق التي لا يظهر والله تعالى أعلم ما نع منها.

أنت سمعت الشريط.

مداخلة: سمعته.

الشيخ: وفهمته؟

مداخلة: تقريباً.

الشيخ: أنا أريد تحديداً.

مداخلة: فهمته.

الشيخ: تحديداً؟

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: ما رأيك فيه.

مداخلة: في ظني إذا كان القيام من باب العادة ... مما هو من باب الشرع.

الشيخ: السؤال ما رأيك فيه أصاب أم أخطأ؟

مداخلة: على حسب ما أعرف أنه أخطأ.

الشيخ: ما أدري لماذا الناس يعملون هذه الركيزة، يعني دائماً عندما نسأل الشخص عن رأيه يقول: حسب ما أعلم! فهل هو على حسب ما أعلم أنا؟! هو المتكلم حسب ما يعلم هو.

فإذاً: ترى أن رأيه صواب؟

مداخلة: غير صواب.

الشيخ: غير صواب.

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب ألا يلتقي هذا مع حديثك.

مداخلة: أنه جعلها عادة، القيام جعله على حسب.

مداخلة: السلام عليكم.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ما هو الشيء الذي جعله عادة؟

مداخلة: ... القيام للقادم، جعل عادة على حسب ما تعارف عليه أهل ذلك البلد.

الشيخ: حسناً، فأنت ماذا تريد؟

مداخلة: أنها تقيد بقيود.

الشيخ: لا ما يقابل العادة، يقابل العادة العبادة.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: فهل تريد أن تجعلها عبادة.

مداخلة: قد يكون..

الشيخ: بلاش قد، لأن قد، قد تقابل بقد أخرى.

مداخلة: ليس على الإطلاق.

الشيخ: يعني مسار للتشكيك في الموضوع.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: أحد شيئين هو قال عادة، فأنت قلت أنه في وجهة نظرك أخطأ، فيقابل كونها عادة عبادة، فهل أنت تريد أن تقول أن القيام للقادم عبادة.

مداخلة: لا، ليس على الإطلاق.

الشيخ: يا أخي إذاً أفهم من كلامك عبادة، لكن بقيد.

مداخلة: بقيد.

الشيخ: فهي إذاً عبادة.

مداخلة: مقيدة.

الشيخ: أنا قلت لك هذا، لكن قبل كل شيء نريد أن نفهم في وجهة نظرك أنها عبادة.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: لكنها بقيد.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: ترى هو يطلق هذه العادة أو يضع لها أيضاً بعض القيود ولا بد.

مداخلة: على حسب ما سمعنا ما قيدها.

الشيخ: على حسب لكن المفروض أنه ليس هناك شيء عائم مطلق.

مداخلة: فعلاً.

الشيخ: المهم، الآن نتفاهم معك في الموضوع.

ما هو الدليل على كون هذا الشيء عبادة؟ ثم نسمع منك القيد.

مداخلة: نهي النبي عليه الصلاة والسلام.

الشيخ: نحن نقول ما هو الدليل على كون هذا الشيء عبادة، ثم نسمع منك القيد الذي تريد أن تقيده.

مداخلة: أنا أقصد عدم القيام، ليس القيام نفسه، إذاً أنا فهمتك خطئاً.

الشيخ: عجيب، طيب.

مداخلة: لأنه ليس مجرد القيام عبادة لا ما أقول بهذا أبداً.

الشيخ: إذاً..

مداخلة: لا، ما أقول بهذا أنها عبادة، أنا قلت بعدم القيام للنهي الوارد في ذلك.

مداخلة: السلام عليكم.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مداخلة: إذا كان لشخص فيه كبر فقد نهينا على أن نقوم له، فهذا فهمي، ممكن فهمتك خاطئاً يا شيخنا.

الشيخ: يجوز، لكني أقول أنت بادرتنا بحديث: قوموا.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: هذا ماذا يفيد؟

مداخلة: ...

الشيخ: طيب عبادة والا عادة.. يا الله يا كريم.

مداخلة: ...

الشيخ: على كل حال نحن ما نريد أن نخوض في هذه المسألة كثيراً؛ لأنها بحثت كثيراً وكثيراً جداً، إنما أريد أن ألفت النظر إلى أولاً رواية الحديث، ودلالة الرواية الصحيحة من الحديث، فأنت كيف تروي الحديث: «قوموا ..».

مداخلة: ما أحفظ ...

الشيخ: الحديث ما لفظه؟

مداخلة: «قوموا لسيدكم».

الشيخ: هل يختلف الأمر عندك بين قوموا لسيدكم، وبين قوموا إلى سيدكم؟ هل فرق هناك بين هذه العبارة وبين العبارة الأخرى التي أفترضها بين قوموا لسيدكم وقوموا إلى سيدكم، هل تشعر بأن ثمة فرقاً بين العبارتين؟

مداخلة: أي نعم يوجد ثمة فرق.

الشيخ: ما الفرق.

مداخلة: .. القيام من أجل السيد.

الشيخ: وقوموا إلى سيدكم؟

مداخلة: قد يكون لأمر آخر غير القيام بعاملة هذا السيد.

الشيخ: أحسنت، فإذا كان هذا الحديث: «قوموا إلى سيدكم» فهل له علاقة بالقيام المبحوث فيه الآن؟

مداخلة: لا، إذا على الرواية: « إلى» ليس له علاقة بالقيام.

الشيخ: وما رأيك حينئذ أن الحديث هكذا، «قوموا إلى سيدكم».

مداخلة: نعم، بارك الله فيك. أي نعم اختلفت.

الشيخ: ولذلك فلا يجوز إدخال الحديث في هذا الموضوع، واضح؟

مداخلة: واضح.

الشيخ: جزاك الله خير.

ويؤكد ذلك أن الحديث في مسند الإمام أحمد بإسناد قوي كما يقول الحافظ ابن حجر: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» واضح؟

مداخلة: واضح، بارك الله فيك.

الشيخ: وفيك بارك.

مداخلة: ...

الشيخ: أي نعم.

تحبوا تسمعوا كلام سلمان العودة في قصة القيام؟

مداخلة: قبل ... قليل ... قبل قليل.

مداخلة: : ومثل ذلك وإن كان فيه فارق، بعض الشباب ينكر على من يقوم للقادم، فإذا كنا في مجلس وقدم أحد فقمنا للسلام عليه أنكر ذلك وذكر الحديث الوارد فيه

ومع أن هذه المسألة وإن كنت لا أقول إنها موضع اتفاق، لكن الأقرب أنه يجوز إن كان هذا على سبيل الإكرام للقادم، ويعجبني في هذا المجال فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وقد سئل عن المسألة، فقال إن هذا من مكارم الأخلاق، فما دامت عادة أهل البلد القيام للقادم لمصافحته والترحيب فيه وعرض المجلس الذي أنت فيه عليه بأن يتفضل في مكان، فهذا من مكارم الأخلاق التي لا يظهر والله تعالى أعلم مانع منها وإن كان المثال الأخير.

الشيخ: أنا أرى أن الرجل يريد أن يساير المجتمع الذي يعيش فيه.

مداخلة: هذا واضح.

الشيخ: ولا يريد أن يصلح، لا يريد أن يحي السنة.

شقرة: لا يريد أن يكون وإن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

الشيخ: هذا هو.

مشهور: يا شيخنا ... في خلاف في الإخوة معهم، يعني أحياناً الأمور تعرف بالثمار

الشيخ: التساهل.

مشهور: تساهلهم من جهة ومن جهة أخرى الصبغة العامة يصبغون بها مجالسهم ومن حولهم.

الشيخ: نعم.

مشهور: يعني هذان أمران في ظني من أهم الأمور، هي خفية لا تستطيع أن تمسك عليهم مماسك مثل أن تقول نقطة أو اثنتين أو ثلاث أو.. هذا ظهر جلياً البارحة في الجلسة ومن خلال كلام الأخ خالد.

الشيخ: نعم.

مشهور: لكن سبحان الله كما تفضلتم من ثمارهم تعرفهم، هذه هي نقطة مهمة.

الشيخ: أي نعم.

فأنا أقول: إن الرجل إذا كان مما يهمه أن يحقق مسألة تناسب ما عنده حقق فيها واجتهد فيها، أما إذا كانت المسألة على خلاف ذلك ولا يناسبه حسب مخططه العام أن يتخذ منها موقفاً واضحاً مبيناً في السنة فهو يميع القول فيها ويضيعه.

هو كلامه في مسألة القيام يقول إذا كانت العادة في البلد القيام من أجل الإكرام فهذا من مكارم الأخلاق، ويحتج بكلام الشيخ ابن باز جزاه الله خيراً.

ونحن نقول بهذه المناسبة ما يروى عن الإمام مالك وهو المشهور وروي عن ابن عباس أيضاً: ما منا من أحد إلا ورد عليه.

نحن الآن ننطلق من قاعدتنا السلفية التي ندندن دائماً واليوم كنا في هذا الحديث أنه لا يكفي للدعاة إلى الكتاب والسنة أن يقتصروا في دعوتهم على

الكتاب والسنة، بل لا بد لهم من أن يضموا إلى ذلك ضميمة وعلى منهج السلف الصالح.

ذلك لأنه لا يستطيع أحد أن يجادل في أن أفضل الأجيال الإسلامية إنما هو الجيل الأول ثم الثاني ثم الثالث، ذلك لأن هذا الجيل الأول تميز بلقائه مع النبي ﷺ وتلقيه منهم الأحكام الشرعية مباشرة ومطبقة عملياً، فالآن نحن نقول بقول العلماء:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ترى اعتياد إكرام الداخل بالقيام، هل هو الأفضل أم الأفضل ما كان عليه الجيل الأول، بل ما كان عليه الرسول ﷺ مع أصحابه.

لا أحد يستطيع أن يجادل أيضاً فيقول: لا، المسألة هذه تختلف باختلاف العادات والأذواق وما شابه ذلك.

فنحن نعود إلى القاعدة: وكل خير في اتباع من سلف. هذا أولاً.

وثانياً لا شك أن النبي ﷺ هو أولى رجل من بين من يجب احترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم بالوسيلة المشروع، فهل كان أصحابه عليه الصلاة والسلام يكرمونه بوسيلة القيام له، الجواب: أيضاً لا.

وهو يعلم هذه الأشياء بلا شك، لأنه لا نستطيع أن نفترض أنه لم يمر بكتب السنة الستة على الأقل وفيها أن النبي ﷺ كان ينهى الناس أشد النهي أن يقبلوا هذا القيام المعتاد بمثل قوله عليه السلام: « من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار ».

وعلى ذلك كان رسول الله ﷺ إذا دخل على أصحابه ما يقوم له أحد، ولقد

كان هو أولى من كل الناس الذين يتصور أنهم يعظمون ويكرمون بالقيام، كان عليه السلام بمثل هذا القيام أولى، مع ذلك ما كانوا يقومون له لماذا؟

هل لأن العادة كما يشعر هو لم تكن يومئذ أن يقوم الناس لعظمائهم، لا، العادة كانت على العكس تماماً، ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام أشد النهي في الحديث السابق ذكره: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

إذاً: كانت العادة يومئذ هو القيام، فما قال الرسول عليه السلام أن هذه عادة وهذه وسيلة للاحترام والإكرام للداخل، وللسلام عليه كما يقول هو في اللفظ، بل عليه الصلاة والسلام لم يرض هذا القيام لنفسه هو، ليس كما يقولون من باب التواضع؛ لأن هذا قد يقال فيما هو أهم من ذلك مما نهى عنه الرسول عليه السلام، فيتأوله المبتدعة والخلف الطالح، يتأولونه بخلاف ما رمى إليه ﷺ، خذواً مثلاً الحديث المتفق على صحته: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله رسوله».

تجد شاعرهم البوصيري الذي يتقربون إلى الله بتلاوة بردته، وفيها:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت فيه واحتكم

ماذا قالت النصارى: عيسى ابن الله إذاً: أنت لا تقول محمد ابن الله، وما دون ذلك قل ما شئت.

الرسول يقول: «لا تطروني إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

إذا فسر الحديث بتفسير البوصيري إذا صح التعبير بطل قوله عليه السلام، وحاشاه أن يبطل: «قولوا عبد الله ورسوله».

هذا أولاً.

وثانياً: لقد ترجم علماء الحديث لهذا الحديث بباب: تواضع النبي ﷺ وأردوا الحديث، فإذا فسر الحديث لا تقول محمد ابن الله وقل ما شئتم في مدحه؟ أين التواضع.

هذا فرض على رسول الله ﷺ وعلى من دونه من باب أولى، أن لا يبالغوا في إطرائه وفي مدحه، ويقولوا مثلما قال النصارى في نبيهم، وإنما يصلح أن يترجم لهذا الحديث لباب تواضع الرسول إذا سد باب المدح مطلقاً، ووقفنا عند ما أمرنا أن نقول: «عبد الله رسوله». علماً أنه إذا قلنا عبد الله ورسوله فيه بالغ الثناء على الرسول عليه السلام؛ لأنه لولا ذلك ما اصطفاه عبداً ورسولاً.

فنعود إلى ما كنا في صدده، كان رسول الله ﷺ إذا دخل على أصحابه لا يقومون له، كما يقول أنس بن مالك، لماذا؟

قال: لما يعلمون من كراهيته لذلك.

إذاً: رسول الله كان يكره هذا القيام فكيف يجوز لمسلم أن يتغاضى عن عمل السلف أولاً مع نبيهم وهو سيدهم وهو سيد البشر ـ جميعاً، فلا يتخذون هذه الوسيلة إكرام له، وهو أحق من يستحق هذا الإكرام بهذ الوسيلة لو كانت مشروعة.

ثانياً: لماذا نغض النظر عن العلة التي نقلها لنا صحابي رسول الله ﷺ ألا وهو أنس بن مالك؛ لأنه هو الذي روى لنا هذا الحديث معللاً بهذه العلة، فقال: ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك.

انظر الآن كيف نفى هنا ما أثبت آنفاً خطأً في حديث: قوموا لسيدكم.

لا، هم ما كانوا يقومون له، أما كانوا يقومون إليه؛ لأن القيام إليه يكون لخدمته، لإعانته.. إلى آخره، كما لاحظت في نفسك آنفاً.

ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك.

الآن الفطرة، فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها أولاً، والفطرة المستقاة من مشكاة النبوة والرسالة ثانياً.

ترى! أتكره هذا القيام أم تستحبه؟ لا شك أن هذه الفطرة، الفطرة التي فطر الله الناس عليها أولاً لا يمكن أن تستحب ما كرهه عليه السلام، الفطرة التي تلقيناها من سيد الناس رسول الله ﷺ لا يمكن للمحبين له أن يخالفوه في ذلك.

فإذاً: هذا القيام لا يجوز اعتباره أداة احترام ما دام أنها لم تعتبر كذلك في العصر الأول الأنور. هذا من حيث الرواية، ومن حيث الفقه والدراية وكما يزعمون من حيث ما يدندنون اليوم ويبالغون فيه ويسمونه بفقه الواقع، ترى هل درسوا أثر اعتياد هذا القيام وتأثيره في واقع الناس أم لا؟

ظني أنهم ضربوا عن ذلك صفحاً.

لقد عرف كل الناس الذين يدرسون واقع الناس في كل عصر وفي كل مصر، لقد عرفوا أن هذا القيام أولاً هي وسيلة لنفاق اجتماعي وليس وسيلة إكرام، بدليل أن المسلم الصالح الدين إذا دخل المجلس لا أحد يقوم له، ولا أحد يأبه له، على العكس من ذلك إذا كان هناك شخص وجيه وقد يكون من فساق القوم، فتجد الناس يقومون له قياماً، ما هذا القيام، يقول لك هذا عادي من باب الإكرام،

لماذا لا تكون هذه العادة شاملة لكل مسلم، سواء كان ذا جاه أو ليس كذلك.

فإذاً هذا ليس وسيلة إكرام وإنما هي وسيلة رياء ونفاق، ففي أي مجتمع شاع فيه النفاق بكل أشكاله وأنواعه وأساليبه هو هذا الذي يشيع فيه مثل هذه الوسيلة، ثم تسمى بعادة من أجل الإكرام والاحترام، هذا شيء.

شيء ثان حينما..

الشيخ: لقد عرفوا أن هذا القيام أولاً هي وسيلة لنفاق اجتماعي وليس وسيلة إكرام، بدليل أن المسلم الصالح الدين إذا دخل المجلس لا أحد يقوم له، ولا أحد يأبه له، على العكس من ذلك إذا كان هناك شخص وجيه وقد يكون من فساق القوم، فتجد الناس يقومون له قياماً، ما هذا القيام، يقول لك هذا عادي من باب الإكرام، لماذا لا تكون هذه العادة شاملة لكل مسلم، سواء كان ذا جاه أو ليس كذلك.

فإذاً هذا ليس وسيلة إكرام وإنما هي وسيلة رياء ونفاق، ففي أي مجتمع شاع فيه النفاق بكل أشكاله وأنواع وأساليبه هو هذا الذي يشيع فيه مثل هذه الوسيلة، ثم تسمى بعادة من أجل الإكرام والاحترام، هذا شيء.

شيء ثان حينما تسري هذه العادة في مجتمع ما، ثم يقع وهو ليس بالأمر الواجب اتفاقاً، إذا قيل بأنه أدب فلا أحد يقول بأنه واجب، ولا أحد يقول بأنه سنة مؤكدة، أكثر ما يمكن أن يقال أنها سنة مستحبة من باب إكرام القادم، وهم هؤلاء أنفسهم معنا في أن المسلم يجب أن يفرق بين ما هو واجب أو فرض وبين ما هو سنة أو مستحب، والتفريق يكون بعدم الاهتمام بما هو مستحب كما نهتم بالواجب، فإذا لم يقم أحد الحاضرين لهذا القادم، ماذا يصير في نفس القادم، لا شك أنها تغلي وتثور وتفور.. إلى آخره؛ لأننا عودناه على هذا القيام الذي لم يقم

عليه العصر الأول وأوقعناه في مخالفته للنبي ﷺ في الحديث الأول: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

إذاً: اعتيادنا لهذه العادة يفتح باباً لإيقاع المحبين لهذه العادة أن يتبوؤوا مقعدهم من النار؛ لأنهم سوف ينكرون على الذي لم يقم أشد الإنكار، وهذا لا بد أنكم لاحظتم حوادث ووقائع كثيرة، وأنا كما يقال إن أنسى فلن أنسى، عندما كنت تلميذاً في المدرسة الابتدائية كان معلم الصف وهو كان مختصاً في تدريس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، كان إذا دخل الصف وربما تكون هذه العادة حتى الآن في بعض المدارس، يكون هناك عريف صف يقوم أمام الباب قبل أن يدخل الأستاذ، فلما يراه قادماً يقول للطلاب تهيؤوا، وهذا إشعار بأن المعلم أو الأستاذ سيدخل، فإذا دخل قاموا له قياماً، يكون أحياناً نزاع بين أحد الطلبة والأستاذ، إما بحق أو بباطل، فأحد التلامذة الذي بينه وبين الأستاذ عداء شخصي لا يقوم له، لكن هو يعلم أنه إذا لم يقم له أهانه بل وربما ضربه، فيتخبأ وراء الطاولة؛ لكي لا يراه، والأستاذ لا يخفى عليه فهو يتطاول هكذا، ينظر هكذا فيكشفه ويقول له اخرج، والله لا أزال كأنه الآن يضربه بيده برجله؛ لأنه لم يقم للمعلم وشوقي ماذا يقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

الشاهد أن اتخاذ هذه الوسيلة للإكرام كما يزعمون لها آثار سيئة جداً في المجتمع وهذه بعض تلك الآثار أنها تطبع كثيراً من المسلمين على حب القيام، فإذا ما وقعوا في هذه المحبة هددهم الرسول عليه السلام بقوله: «فليتبوأ مقعده من النار».

من هنا يبدو لي فقه دقيق الدقيق لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في هذا

الحديث؛ ذلك لأن الحديث عند عامة العلماء والشراح إنما يستدلون به على تحريم حب الداخل للقيام من الجالسين وكفى، بينما معاوية رضي الله عنه لفت النظر أن الحديث يدل على أن الجالسين لا ينبغي أن يقوموا للداخل مع أن ظاهر الحديث كما يقول الجمهور ينهى الداخل أن يحب القيام، ذلك كما جاء في سنن الترمذي وغيره أنه دخل مجلسه ذات يوم وفيه اثنان من العبادلة أحدهما صحابي وهو عبد الله بن الزبير والآخر تابعي وهو عبد الله بن عامر، فقام له أحدهما ولم يقم له الآخر فنهاه، واحتج عليه بهذا الحديث، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، قد يستغرب من لم يسمع باب سد الذرائع أولاً كقاعدة فقهية، والشرح السابق آنفاً ما صلة احتجاج معاوية بهذا الحديث على الذي قام له، فقهه هو ما ذكرناه آنفاً، كأنه يقول له بلسان الحال يا فلان أنت حينما قمت لي إكراماً واحتراماً وتعظيماً فستطبعني بعادتك هذه على حب القيام، وسيأتي يوماً ما إذا لم تقم لي وقعت في الوعيد المذكور في الحديث السابق: «فليتبوأ مقعده من النار».

فإذاً: من باب سد الذريعة لا ينبغي للناس أن يتخذوا هذه الوسيلة وسيلة للإكرام.

وختاماً أقول كما بدأنا الكلام:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

والحديث الحقيقة له بحث طويل وهناك أشرطة ولا حاجة الآن للإفاضة بأكثر مما سبق، لكن حسبي أن أذكر بقصة ابن بطة العالم المحدث الحنبلي، حيث كان يكره هذا القيام أشد الكراهة، حتى إنه يبدو أنه كان يصرح بالتحريم، فنزل ذات يوم إلى السوق ومعه صاحب له شاعر فمر بعالم وهو جالس في عمله

وهذا من هدي علماء السلف أنهم كانوا أصحاب مهنة يعتاشون بها ويبتعدون عن الوظائف في الدولة؛ لأنها في الغالب تكون قيداً وغلاً.

الشاهد فقام له ذلك العالم هو يعلم أنه يكره ذلك القيام، فبادره ببيتين من الشعر قائلاً:

لا تلمني على القيام فحقي حين تبدو لا أمل القياما

أنت من أكرم البرية عندي ومن الحق أن أجل الكراما

هذه فلسفة هؤلاء الناس الذين قالوا هذه عادة إكرام، ابن بطة كأكثر العلماء لا يحسنون الشعر، لكنه صاحبه الشاعر أولاً شاعر وتلميذ بار له يعرف فقهه، فقال له: أجبه عني، قال على البديهة:

أنت إن كنت لا عدمتك ترعى لي حقاً وتظهر الإعظاما

فلك الفضل في التقدم والعلم ولسنا نريد منك احتشاما

فاعفني الآن من قيامك هذا أولاً فسأجزيك بالقيام القياما

وأنا كاره لذلك جداً إن فيه تملقاً وأثاما

وإذا صحت الضمائر منا اكتفينا من أن نتعب الأجساما

كلنا واثق بود أخيه ففيم انزعاجنا وعلى ماذا؟

هذه العبرة التي يجب أن ننتهي إليها ونبتعد عن الوسائل التي تعدمها، ولنا صديق في دمشق بهذه المناسبة أصحاب المكتبة العربية الهاشمية أحمد عبيد وحمدي عبيد وتوفيق عبيد، ثلاثة إخوة أفاضل، ماتوا في رحمة الله، المهم أحدهم كان قريباً جداً من الدعوة السلفية له رسالة صغيرة اسمها الأحاديث

الصحيحة أخرجها من صحيح البخاري، حدثني مرة قال دعينا إلى حفل من حفلات هؤلاء الكبار، قال: فأجلسوني في الصف الثاني وبدأ الحفل يكتمل، وقبل أن يكتمل بدأ الرؤوس يدخلون، سرعان ما شاعت إشاعة الآن يأتي الأمير الفلاني، فالتفتت الأنظار إلى الباب الكبير، دخل الأمير فقمنا وبقينا قائمين حتى جلس في صدر المكان فجلسنا، بعد قليل شاعت إشاعة أخرى أن الباشا فلان سيأتي، توجهت الأنظار إلى الباب الكبير دخل الباشا قمنا، وبعد ذلك الآن يأتي الوزير الفلاني، دخل الوزير فقمنا، قال ما شعرت في نفسي إلا أنني قائم قاعد، كأن تحتي نابض، زمبرك يعني، قال: قلت في نفسي والله هذه شغلة طويلة لا يريحنا إلا أن نأخذ بالسنة التي سمعناها من فلان، فجلست ولم أقم فارتحنا، هذا واقع الحفلات كلها، هذا كلها نفاق اجتماعي، مع ذلك من باب السياسة ومن باب المداراة تشرع باسم الاستحباب هذه الوسائل، ثم هو يتحفظ فيقول أنا أعلم أن المسألة خلافية، والدليل الشرعي فيها، يلجأ إلى الاحتجاج بقول عالم فاضل ويجعله قدوة له وهو ينهى الناس أن يقلدوا عالماً ما، ونحن لا أقول نحن معهم، نقول هو معنا في النهي عن التقليد ولكن لأن عندنا تفصيل التقليد أمر لا بد منه في حدود معينة، لكن مع ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢-٣].

فالآن مثل هذه المسألة ما يليق بمثل هذا الأستاذ أن يدور عليها وينحى منحى قول من أهل العلم والفضل قال بتجويز هذا الشيء؛ بل باستحبابه حين أدخله في باب مكارم الأخلاق، وقد قال عليه السلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، كان عليه إن كان لم يدرس المسألة بأدلتها الشرعية أن يدرسها قبل أن يتبنى رأي الشيخ الفلاني، وإن كان قد درسها فكان عليه أن يبين الدليل الشرعي الذي يجوز له اتخاذ هذه الوسيلة وسيلة إكرام وإدخالها في باب مكارم الأخلاق، وهي في

العهد الأول لم تكن كذلك، لا بد من هذا لكنه استروح إلى قول أحد العلماء الأفاضل ومشى الموضوع من باب أن هذا من مزالق طلاب العلم، أي: يقول طالب العلم يا أخي هذا خلاف السنة، لا السنة تختلف باختلاف الزمان والمكان، فهذا معنى الكلام وإن كان هو لا يصرح بذلك.

(الهدى والنور/٦٠٩/ ٤٥ : ٠٠ : ٠٠).

(الهدى والنور /٦٠٨/ ٠٤: ٠١ : ٠٠).

(الهدى والنور /٦٠٨/ ١٣: ٣٦ : ٠٠).

باب منه

مداخلة: ما رأي فضيلتك في تعدد الجماعات في الإسلام وأي الجماعة أو جماعة نتبع ؟

الشيخ: نتبع الجماعة التي قال رئيسها وتعمل بقوله: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم على أرضكم.

مداخلة: هذا القول في الأنجيل ورد ياشيخ.

الشيخ: ليس كل ما في الإنجيل باطل.

مداخلة: على الأقل لا يجوز لنا الاستناد عليه. لا يجوز لنا الاستناد عليه الآن ولا بحال من الأحوال حتى وإن صح.

الشيخ:...الكلمة سامحك الله كيف وإن صح ؟

مداخلة: وإن صح ما في الإنجيل الآن لا يجوز لنا الاستناد عليه وهذا تقريباً العلماء قالوا به .

الشيخ: لا ما أظن على هذا الإطلاق .

مداخلة: شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا.

الشيخ: لا لا اسمعني ليس على هذا الإطلاق ألا تعتقد شرع من قبلنا ليس شرع لنا إذا خالف شرعنا أما إذا وافق شرعنا فهو شرع لنا.

مداخلة: فهو شرعنا وليس شرعهم .

الشيخ: نحن ما نتكلم عنهم .

مداخلة: لما يقال أقم دولة الإسلام في قلبك تقم على أرضك هذا قول ليس له واقع وهو ضرب في الخيال وتدويخ للناس لأن دولة الإسلام فيها حكمهم وفيها نظام اقتصادي ونظام تعليم ونظام اجتماعي أنا ما كنت أود والله أن نعرج إلى هذا الموضوع على الإطلاق ولكن ؟

-حسن بس لو كان هذا قبل هذا لأنك أنت الآن الأول اعتمدت على قاعدة شرعية شرع من قبلنا ليس شرع لنا فلما بينا لك هذا بشرط عدم مخالفة شرعنا رجعت تقول لكن ليس شرعاً لهم نحن نتكلم الآن ...اسمح لي هكذا قلت ...

مداخلة: حتى وإن لم يخالف شرعنا.

الشيخ: لا هذا لا يصح أن تقول اسمح لي شوية كلمة الحق أليس من الحكمة أن يقال الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها ما رأيك هذه حكمة أم ليست حكمة .

مداخلة:حكمة نعم .

الشيخ: طيب ما رأيك أنه هل يجب على المسلم أن يصلح قلبه أليس واجباً هذا إسلامياً .

مداخلة:يا سادة، الله يرضى عليكم إذا كان يريد أن أجيب أجيب أما إن أردتم أن تجيبوا على سؤالي فأجيبوا وليس لي دخل في ذلك أما أن يصلح الرجل قلبه فالإنسان واجباً عليه أن يصلح نفسه كاملة قلبه بلسانه بجوارحه بكل ما فيه تفضل .

الشيخ: لفتنا نظركم في الجلسة السابقة بأن هناك ارتباط بين القلب وبين الجسد «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فحينما يقول مسلم: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم، فإنما يعني أصلحوا قلوبكم ولا يعني أنه أقم بنيان بيتك في قلبك وإنما يعني شريعة نبيك التي أنت تتبناها شريعة يجب أن تتبناها في قلبك وهذا الذي ستتبناه في قلبك ينضح على جسدك، هذا الذي قلناه في الجلسة السابقة اقتباساً من قوله عليه السلام: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فأنت قلت آنفاً أن هذه الكلمة هي كلمة إنجيلية طيب نحن نسألك الآن هل أنت تعتقد أن كل ما في الإنجيل صحيح .

مداخلة: لا .

الشيخ: ستقول معنا لا طيب أليس يترتب من وراء ذلك أنك لا تدري أن هذا من الإنجيل أو ليس من الإنجيل .

مداخلة: هو من الإنجيل لأننا اطلعنا عليه .

الشيخ: معليش لكن هل هو من الإنجيل الصحيح أو غير الصحيح كلمة كلمة وغطاها أنا جاي معك .

مداخلة: ...لأن الإنجيل كله معطل بشريعة الإسلام ولا يجوز الاستناد عليه طالما أن هناك قران .

الشيخ: يا أخي بارك الله فيك كله معطل لا يجوز هذا الكلام يا شيخ الله يهديك، في توحيد لا يزال موجود ...ما تقول معطل، ما تقول معطل، محكوم عليه مهيمن عليه، لكن إذا كان هناك في توحيد نقول معطل إذا كان هناك في

بشائر حتى اليوم ببعثة الرسول عليه السلام وهم يموهون على الناس، نقول معطل؟! لا يا أخي لا يزال في التوراة وفي الإنجيل نصوص يشهد بصحتها القرآن، فلا نقول إنها كلها هذه النصوص معطلة .

مداخلة: اسمح لي يا شيخ إذا كان هناك نصوص شهد لها القرآن فهي من القرآن فالقرآن هو الذي شهد ونحن نعتقد ما في القران لا ما في النصوص.

الشيخ: بارك الله فيك لماذا أنت لما اجى معك ولا تيجي معنا، عم أقول لك إذا كان هناك نصوص في التوراة والإنجيل يشهد بصحتها القران ما يجوز تقول إنها معطلة .

مداخلة: نستشهد لها من القران نستشهد للحدث من القران ولا نستشهد.

الشيخ: يا أخي...

مداخلة: الرسول ﷺ قد رمى بالصحيفة التي في يد عُمر.

الشيخ: يا أبو فلان ما هو اسمك ؟

مداخلة: أبو طارق .

الشيخ: أبو طارق أنا ماذا أقول أرجوك ما تحيد عن الموضوع، أنا أقول لا يجوز لك ولا لغيرك إذا كان هناك نص في التوراة وفي الإنجيل يشهد له القرآن أو حديث الرسول عليه السلام لا يجوز أن نقول كله معطل، لا يجوز هذا الكلام، بتقول معطل ما حكم الشرع به بعطالته لا بد من تحديد الكلام .

مداخلة: عفوا يا سيدي اعذروني إذا أردتم ان أصمت بصمت ينتهي الحديث إلى هنا إلا أن الله سبحانه وتعالى قد قال في محكم كتابه العزيز﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨] فإذا تحدثنا عن الشرعة والمنهاج فنحن

محكوم بشرع الله لا بشريعة غير الإسلام وعندما قال ومهيمناً عليه أي ناسخاً لكل أمر فيه فكل أمر جاء مطابقاً لما سبق وهو من القرآن وليس من الإنجيل ولن أزيد وأشكركم .

الشيخ: ...أنا أسألك سؤال الآن أنت تفهم من كلامي شيء يخالف كلامك؟

مداخلة: نعم .

الشيخ: وهو!

مداخلة: أفهم أن أقم دولة الإسلام في قلبك .

الشيخ: دعني من الكلمة ... لا اسمح لي لا بس أنت واقع الآن في مخالفة أنا سألتك الآن هذا الكلام الذي أنت تقوله الآن ومهيمناً عليه ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً أنا تراني مخالف لك في هذه النقطة ...

مداخلة: لا يجوز لنا أن نختلف في هذا ولكن النصوص.

الشيخ: سبحان أنا أسألك يا أستاذ هذه اللمبة شاعلة ولا مطفية لا أريد جدل.

مداخلة: لا أستطيع أن أجيب .

الشيخ: لماذا يا أخي.

مداخلة: لأن الحديث هذا في الأخير مبني على ما سبق قلت كل ما في الإنجيل خطأ؟ قلت لك كل ما في الإنجيل لا يجوز لنا الاستدلال به .

الشيخ: ما قلت الاستدلال به الله يهديك.

مداخلة:قلتُ انه معطل

الشيخ: لذلك أنا أقول لك هذا الكلام لا يجوز أن تقوله في التوراة في توحيد

وما يجوز أن تقول معطل.

مداخلة: التوحيد جاءنا به القران وليس التوراة والإنجيل .

الشيخ: يا أخي أسألك هل أنا أخالفك في هذا ...بارك الله فيك خاصة في آخر الجلسة أنا أقول لك أنا أخالفك في هذا أنا أسألك ...

مداخلة: أرجوا ألا نكون قد اختلفنا .

الشيخ: لكن أنت توجد مِنْ لا خلاف خلاف .

مداخلة: أنا لا أوجد خلاف الحد الزائد .

الشيخ: أقول بمسألة أخالفك فيما تقول .

مداخلة:...هل تخالفني فيما أقول هذا ما وجب علي .

الشيخ: أنت الذي فهمته مني تفهم أني أخالفك فيما قلت أخيراً ؟

مداخلة: ابتداء نعم كنت أفهم ... أنا جلست بين يديه حتى أفهم وحتى آخذ من علمه الجزيل وهو يعلم ذلك، ولكنني لا ولا يريدني مدافعاً عنه بارك الله فيك أنا أصمت وسكت حتى تنتفع بالعلم الكثير أشكرك جداً يا أخي فلا تدافعني بيجوز تقوم تضربني لا أريد أنا آخذ من هذا العملاق في العلم يا رجل لا أجادله لا والله لا أجادله .

الشيخ: على كل حال يجب أن نفهم وننصح بعضنا أنا لا أزال أن أقول أن كلمتك السابقة خطيرة ومخالفة للشريعة (قولك أن كل ما في التوراة والإنجيل معطل هذا لا يجوز أن يقوله مسلم) وإنما تقول كما قلت آنفاً وسألتك ألا تراني مخالف يا أخي أنا كلامك الأخير أنا أدعوا الناس إليه ولا مؤاخذة تريد أن تقول لي أنت أنا سأقول يعني أبو طارق يقول كذا وكذا وتحطني أنا ما أقول كذا وكذا، أنا

الآن أقول لك وأكرر على مسامعك لا يجوز لك أن تقول كل ما في التوراة والإنجيل معطل أما أن تقول أن الإسلام مهيمن عليه هذا الذي نعيشه وندين الله به .

مداخلة: وهذا ما قصدته .

الشيخ: هذا ما قصدته ولكن الذي لفظته غير الذي قصدته، ويجب أن ترجع عن هذه العبارة وبخاصة بخاصة أنا أريد أسألك سؤال واضح كالشمس في وضح النهار هل أنا أخالفك في هذا الذي تقول .

مداخلة: لن أجاوب .

الشيخ: لا يكون التفاهم هكذا ...

مداخلة [ديننا] ليس دين جماعات .

الشيخ: جماعات تقصد يعني أحزاب .

مداخلة: نعم .

الشيخ: طبعاً ليس في الدين أحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:٥٣] أنت تؤمن بالحزبية ؟

مداخلة: لا طبعاً .

الشيخ: الحمد لله اتفقنا هذا أقرب طريق .

مداخلة:...نحن نرى هذه الجماعات كلها .

الشيخ: يعني على النظام العسكري في بعض البلاد يقول الضابط للسرية هذه تمشي. في النظام العسكري يقول لهم مكانك راوح ... يتحركوا ولكن مكانك راوح ما في تقدم، فأرني حزب من الأحزاب الموجود اليوم التي عمرها ثلاثين

خمسين سنة ستين سبعين سنة جاءونا بشيء، ما في شيء أبداً إلا مكانك راوح، ما تقصد الحزب فأنا لا أقصد معك الحزب إذا ماذا تقصد .

مداخلة: الجماعات الإسلامية .

الشيخ: ما في جماعات إسلامية غير حزبية جماعات إسلامية غير حزبية ما في فإن شئت وما تخاف إن لأرضكم مسكونة سمي .

مداخلة: يا شيخ الآية تقول﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

الشيخ: صدق الله العظيم .

مداخلة: ما المقصود بالآية أو فهمك للآية الكريمة ؟

الشيخ: أحسنت تقصد غير حزب الشياطين حزبين حزب الرحمان وحزب الشيطان، فما الذي عمي عليه من هذه العبارات ألا إن حزب الله هم الغالبون، هم حزب الرحمن، ما في هنا غير حزبين، ولذلك قال تعالى ولذلك فأنا أنصح كل مسلم أن لا يتتبع المتشابهات من النصوص والآيات فربنا يقول ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢] إذاً هذه الآية صريحة في إنكار التشيع والتحزب لأنه الواقع يشهد بأن هذه الآية مطبقة اليوم ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢] أما ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢] ما شاء الله لا شك أنا أسألك الآن كما سبق أن تساءلنا وتجاوبنا وتفاهمنا والحمد لله أليس كذلك هل كان في عهد الرسول عليه السلام الآية صادقة ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢] فهمت هذا الجواب بداهة في حزب ثاني ولا لا إذاً ما هو اسمه هذا الحزب الثاني .

مداخلة: الشيطان.

الشيخ: الحقيقة أن المسلمين بحاجة إلى دراسة الإسلام من جديد وأنا أقولها كلمة صريحة أبتغي بها نصيحة لأن الإسلام هو الدين النصيحة، الحزبية لا تقدم شيئاً للإسلام أو المسلمين أبداً بلى تقدم إليهم أشياء وأشياء كثيرة هي ضد الإسلام، أنا أقول يوم الجمعة هذا ونحن منطلقون إلى صلاة الجمعة ولعلكم تعلمون أن وزير الأوقاف الجديد الشيخ إبراهيم الكيلاني يلقي كلمة بين يدي صلاة الجمعة، وتعلمون أيضاً كما أعلم فيما أظن أن الرجل يعني خطيب أو نقول مكلام إذا صح في التعبير ومتحمس، ولا شك ولا ريب بدأ يتكلم كلام أنا لا أشك أنه حق، لكن ما جاء بتمام الحق فهو أخذ يلمح إلى ما فعلته السعودية من استجلاب الأمريكان وإحلالها في بلادها وهذا بلا شك يعني خطأ ...كبير جداً فكان يقول مثلاً إن الإسلام لا يقرر القبلية والعنصرية والبلدية والمذهبية ... قلت لحالي الآن سيقول والحزبية قلت في نفسي هكذا، لكن ما قالها، لعلك فهمت علي الآن هل تستطيع أن تنكر أن الإخوان المسلمين حزب قلها .

مداخلة: حزب .

الشيخ: أبو طارق كان معه الحق حينما نرفز حينما بعضكم تكلم لازم تتركوا للإنسان يجيب بنفسه عن نفسه هل تستطيع أن تنكر أن الإخوان المسلمين حزب؟

مداخلة: لا .

الشيخ: هل تستطيع أن تنكر أن حزب التحرير حزب؟

مداخلة: لا .

الشيخ: قد يمكن أن تنكر الأول أما الثاني لا لأن اسمه حزب التحرير فماذا

تفعل هؤلاء حزب وهؤلاء حزب فأيهما الحزب الغالب وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك، ففروا إلى الله هذا هو الحل .

مداخلة: ما رأيك جماعة الدعوة ؟

الشيخ: هذا اسم جديد علي وأظن أن تعني اسم قديم جماعة التبليغ تعني جماعة التبليغ، أنا إلى الآن ما اقتنعت إن جماعة التبليغ حزب والحمد لله تمام، لكني ما اقتنعت أنها هي الطائفة المنصورة لماذا لأنها لا تعمل بالسنة، الأرض مسكونة هنا .

مداخلة: ...بدايته يقولوا إن نجاحنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

الشيخ: بارك الله فيك أنا أريد أن أرجع للشيخ لأنه هو الذي سمعنا الكلمة هذه وأريد أن أذكره أن نحن ما في بيننا وبين أي طائفة أو أي حزب عداء أبداً .

والسبب أن دعوتنا تشمل من كل دعوة على وجه الأرض هؤلاء إخوان هؤلاء تحرير هؤلاء تبليغ إلخ، نحن نقول قال الله قال رسول الله فمن من المسلمين فمن من المسلمين يستطيع التبرؤ من دعوتنا؟ لا أحد.

(الهدى والنور / ٥٣٩ / ١٤: ٣٨ : ٠٠)

(الهدى والنور / ٥٣٩ / ٤٠: ٣٨ : ٠٠)

لا فرق ولا أحزاب في الإسلام

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية و شر، فجاءنا الله بهذا الخير [فنحن فيه]، [وجاء بك]، فهل بعد هذا الخير من شر [كما كان قبله ؟] . [قال : «يا حذيفة تعلم كتاب الله و اتبع ما فيه، (ثلاث مرات)» . قال : قلت : يا رسول الله ! أبعد هذا الشر من خير ؟] . قال : «نعم» . [قلت : فما العصمة منه ؟ قال : « السيف»] . قلت : و هل بعد ذلك الشر من خير ؟ (و في طريق : قلت : و هل بعد السيف بقية ؟) قال : « نعم، و فيه (وفي طريق : تكون إمارة (و في لفظ : جماعة) على أقذاء، و هدنة على) دخن» . قلت : و ما دخنه ؟ قال : «قوم (وفي طريق أخرى : يكون بعدي أئمة [يستنون بغير سنتي و]، يهدون بغير هديي، تعرف منهم و تنكر، [و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين، في جثمان إنس] ». (و في أخرى : الهدنة على دخن ما هي ؟ قال : «لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه») . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : «نعم، [فتنة عمياء صماء، عليها] دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» . قلت : يا رسول الله ! صفهم لنا . قال: «هم من جلدتنا، و يتكلمون بألسنتنا» . قلت : [يا رسول الله !] فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم، [تسمع و تطيع الأمير و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك، فاسمع و أطع]».

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة و لا إمام ؟ قال : «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت و أنت على ذلك» . (و في طريق) : «فإن تمت يا حذيفة و أنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم» . (و في أخرى) : «فإن رأيت يومئذ لله عز وجل في الأرض خليفة، فالزمه و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك، فإن لم تر خليفة فاهرب [في الأرض] حتى يدركك الموت و أنت عاض على جذل شجرة» . [قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : «ثم يخرج الدجال». قال : قلت : فبم يجيء ؟ قال : «بنهر - أو قال : ماء و نار - فمن دخل نهره حط أجره و وجب وزره، و من دخل ناره وجب أجره و حط وزره» . [قلت : يا رسول الله : فما بعد الدجال ؟ قال : «عيسى ابن مريم»]. قال : قلت : ثم ماذا ؟ قال : " لو أنتجت فرسا لم تركب فلوها حتى تقوم الساعة "] " .

[بوب له الإمام بقوله: لا فِرقَ ولا حزبية في الإسلام وإنما جماعة وخليفة].

ثم قال : قلت : هذا حديث عظيم الشأن من أعلام نبوته ﷺ و نصحه لأمته، ما أحوج المسلمين إليه للخلاص من الفرقة و الحزبية التي فرقت جمعهم، و شتت شملهم، و أذهبت شوكتهم، فكان ذلك من أسباب تمكن العدو منهم، مصداق قوله تبارك و تعالى : ﴿و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم﴾.

الصحيحة (٦/١/٥٣٩-٥٤١).

هل الجماعات الإسلامية هي الطريق الوحيد لعودة الإسلام؟

مداخلة: البعض يظن أن الجماعات الإسلامية هي الطريق الوحيد لعودة الإسلام ...

الشيخ: تعني بالجماعات الإسلامية تبع مصر؟

مداخلة: نعم، جماعة التبليغ.. إخوان مسلمين طيب! هذه جماعات..

الشيخ: يا أخي! هذا الجواب تأخذه من المحاضرة السابقة، هل هناك تصفية وتربية؟

مداخلة: يريدون رؤوس يجمعون رؤوس وأعداد فقط لا عقيدة ولا يجمع رؤوس...

الشيخ: يا أخي! الله يهديك قل لي: هناك تصفية وتربية؟ الجواب: لا.

مداخلة: لا.

الشيخ: إذاً:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ولن يصلوا إطلاقاً، الوصول لا يمكن إلا ببطء.. بطء شديد جداً وبحذر متين أيضاً، ثم المهم للمسلم يمشي على الصراط المستقيم وهذا البحث يذكرنا بحديث مهم جداً.. إن كثيراً من الجماعات الإسلامية يرون أن الدعوة السلفية

هي دعوة الحق بلا شك ولا ريب لكن يقولون: متى؟! هذا درب طويل، ومتى ستصلون للهدف المنشود، ولذلك فهم يستقربون الطرق، وأنا أقول: من معجزات الرسول عليه السلام.. لا أريد أن أقول الآن العلمية.. هي علمية لكن أريد أن أقول عبارة ربما نادرة جداً ما نستعملها.. من معجزات الرسول العلمية والفنية.. الفنية! عمركم سمعتم مثل هذا التعبير؟! لا، اسمعوا الآن: الرسول يقول في حديث يرويه إما عبد الله بن مسعود أو غيره من أصحاب الرسول يقول: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً مستقيماً ثم خط من حول الخط المستقيم خطوطاً قصيرة» هذا هو الفن.. هذا هو الرسم الحلال! ... تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] ثم قال عليه السلام مبيناً للآية: «هذا صراط الله» الخط المستقيم الطويل.. هذا صراط الله أي: هذا هو الطريق الوحيد الموصل إلى الجنة، وإذا أردنا نستعمل طريق صوفي الموصل إلى الله بحسب المضاف طبعاً إلى نعيم الله، هذا هو الخط المستقيم الموصل إلى الجنة، قال عليه السلام - وهذه طرق قصيرة حول الخط المستقيم - قال: «وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه» هؤلاء الشياطين واقفون على رأس الخط القصير يقولون للسائرين في الخط المستقيم: إلى أين هذه شغلة طويلة انظروا هذا الطريق.. هذا يوصلكم إلى الهدف، أقرب طريق وأهون سبيل، قال عليه السلام: هذه طرق الشيطان.

أنا أجد هذه الطرق هي التي تخالف طريق السلف الصالح، فعد ما شئت من أحزاب ومن جماعات ما دام أنها لا تتبنى التصفية والتربية فلن تصل أبداً؛ لأنها خرجت عن الخط المستقيم، وكلما سار في الخط القصير كلما ابتعد عن الصراط المستقيم، هذا مثل ضربه لنا رسول الله ﷺ لنكون على بينة.

(الهدى والنور / ٧٩٧ / ٠٧: ٤٥: ٠٠)

الفِرَق والجماعات الموجودة في الساحة

مداخلة: سماحة الشيخ! ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

إننا نتفق ونحن نشهد الله على محبتك.. سماحة الشيخ! كثرت هذه الأيام ... الملل والنحل والفرق والجماعات والتي ... البعض من ... لها والمؤيدين لها أنهم على نهج المصطفى ﷺ، بينما الحقيقة أنهم على غير نهج المصطفى ﷺ حسب ... شخصياً ... هذه الفرق والجماعات وخطرها على الإسلام والمسلمين خاصة الشباب منهم؛ لأنه متدين ... لمن يروجون لهذه الفرق المنحرفة ... والبعض من هذه الجهات يندمج تحت اسم الإخوان المسلمين ويستعملون ... وهذا لا يخفى على سماحتكم، فما حكم ... من هذه الفرق والجماعات في أيامنا هذه من يروج ... ويقول: لا تقولوا ... والبعض منهم من الدعاة ويرقبون للشباب الذين يقدمون في المحاضرات حتى ولو كان سماحتهم أو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز إذا ورد سؤال يتضمن الفرق أو الجماعات أو ... فأصلوه فنشروه ... سماحتكم ... والافتراء لهؤلاء أثابكم الله بصورة عامة؟

الشيخ: أولاً: أشكر كل من كان يحبنا في الله تبارك وتعالى، وأسأل الله عز وجل أن يجعل حبنا في الله حباً صادقاً من شروطه التناصح في الله، وألا يماري بعضنا بعضاً ولا أن يسامح بعضنا بعضاً وأن يغضوا النظر عن بعض أهوائه أو أخطائه وإنما يذكر بعضنا بعضاً من باب قوله عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله

ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» فلا يجوز لأي جماعة أو لأي طائفة من المسلمين ألا ينكروا على بعضهم [عليهم] أن يقوموا بواجب تقديم النصيحة فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الأسس التي قام عليها الإسلام، وهذا أمر معروف من ضروريات الدين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الواجبات التي يجب أن يقوم بها كل من علم شيئاً من أمور الدين وكان في ذلك على بصيرة من دينه ولا شك أن مجرد ادعاء شخص ما أو طائفة ما أنه على الكتاب والسنة فذلك لا يكفي بداهةً لأننا نطالب كل مدعٍ سواء كان فرداً أو جماعة أن يبين لنا الدليل العملي على ما يؤكد دعواه وإلا فالأمر كما قيل:

والدعاوي ما لم تقيموا عليها ... بينات أبناؤها أدعياء

وربنا عز وجل علمنا كيف نبادل المخالفين سواء كانوا من المشركين أو كانوا من المنحرفين عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ أن نقول لهم تارةً بلسان حالنا وتارة بلسان قالنا: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١] فنحن نرى أن كثيراً من الجماعات التي أصبحت اليوم تدعي أنها على الكتاب والسنة حينما وجدت هذه الجماعات أن العالم الإسلام جله إن لم نقل كله قد فاء واستيقظ لهذه الحقيقة أن الإسلام ليس قول الرئيس الفلاني أو الإمام الفلاني أو الأمير الفلاني وإنما هو كما قال ابن القيم الجوزية رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول ورأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... حذراً من التعطيل والتشبيه

فالذي يقول إنه على الكتاب والسنة لا نكتفي بقوله هذا بل نريد أن يدخل

معنا العمل بالقول وإلا جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢ - ٣].

وإذا كان الأمر كذلك فنبينا صلوات الله وسلامه عليه قد بلغ الرسالة ونصح الأمة وبالغ في النصيحة حتى أنه عليه الصلاة والسلام تحدث وليس باجتهاد من عند نفسه وإنما هو بوحي من ربه حين قال عليه الصلاة والسلام: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي ما أنا عليه وأصحابي» وفي رواية: «هي الجماعة» أي: جماعة النبي ﷺ فأصحابه الذين فارقهم عليه الصلاة والسلام وهم على سنته.

إحدى الروايتين تفسر الأخرى، ما أنا عليه وأصحابي هو التفسير للرواية الأخرى وهي الجماعة، وكذلك قوله ﷺ فيما رواه العرباض بن سارية في الحديث المشهور في السنن وغيرها، قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: أوصنا يا رسول الله، قال: أوصيكم بالسمع والطاعة وإن ولي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وفي حديث جابر في صحيح مسلم وغيره والزيادة للنسائي: «وكل ضلالة في النار».

هذا الحديث أيضاً بين أن الاختلاف سيقع بين المسلمين فيما يأتي من الزمن قريباً أو بعيداً والنجاة من ذلك إنما يكون بالتمسك لا أقول فقط كما يقوله كل الدعاة اليوم وهذا الفصل بيننا وبينهم؛ لأن الرجوع للكتاب والسنة هذه الكلمة

يقولها كل طائفة على وجه الأرض لا تزال تنتمي إلى الإسلام حتى الشيعة وحتى الرافضة لا يتبرؤون من الكتاب والسنة ولكنهم يتبرؤون من السلف الصالح وكذلك كل الطوائف والجماعات الأخرى الذين لما شعروا بما أشرت إليه آنفاً من أن موجة العصر الحاضر الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم أو بغير فهم.. بعمل أو بغير عمل.. المهم الرجوع إلى الكتاب والسنة وإلى الإسلام، أما هذا الإسلام فيلون بألوان كثيرة وكثيرة جداً حتى قيل يوجد أشياء لم تخطر في بال أن تسمى مثلاً بعض الأناشيد التي فيها انحرافاً بعضها في معانيها وبعضها في تلاحينها سميت بالأناشيد الإسلامية، من قبل لم يكن هذا الاسم كانت هناك أناشيد صوفية وما شابه ذلك، فلما انتبه العالم كل العالم الإسلامي إلى أن الصوفية أصبحت منبوذة ولا يهتم بها المسلمون بعامة استبدلوا الأناشيد الإسلامية بالأناشيد الصوفية ترويجاً للبضاعة لا شيء هي هي نفسها ولكن كما قال عليه السلام فيما سبق من أحاديث في هذه الجلسة أنه قال: «يكون في أمتي أقوام يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها».

الشاهد: فلا توجد طائفة تنتمي إلى الإسلام تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلوات الخمس، وتصوم رمضان، وتزكي الأموال وتحج إلى بيت الله الحرام إلا كلهم يقولون على الكتاب والسنة، أما الحكم الفصل وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ في الحديثين السابقين حديث الفرق أن الجماعة ما أنا عليه وأصحابي وما كان عليه الخلفاء الراشدون هذا هو الحكم الفصل بين الدعاة الصادقين هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وهم يفهمون ذلك على ما كان عليه سلفنا الصالح؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] لم يقل ربنا عز وجل: «ومن شاقق الرسول من بعد ما تبين له

الهدى نوله ما تولى» وإنما جاء بجملة لها أهمية جداً وهي ما نحن بصدده فيجب علينا أن لا نشاقق الرسول وألا نخالفه على ضوء اتباعنا لسبيل المؤمنين الأولين وإنما هم أهل القرون الثلاثة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» هذه القرون الثلاثة ما كانوا عليه هو سبيل المؤمنين فلا يجوز لمن كان سابقاً في ادعائه أنه على الكتاب والسنة ومخلصاً في ذلك إلا أن يفهم الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح.

فلذلك فكل جماعة تدعي الانتماء إلى الكتاب والسنة فيجب أن يظهروا انتماءهم كما هم كانوا يقولون قديماً ولم نعد نسمع ذلك حديثاً كانوا يقولون: نريد الإسلام يمشي على وجه الأرض وهذه الحقيقة مهمة جداً، نحن نريدهم أيضاً أن يكون إسلامهم مطبقاً عملياً يمشي على وجه الأرض في كل ما يأتونه وما يضعونه، فنحن نرى مع الأسف الشديد أن أي جماعة من الجماعات المشار إليها في سؤال السائل لا تتبنى الإسلام منهجاً في حياتها وعلى ما ذكرنا من منهج السلف الصالح إلا من ينتمون لأسماء تؤدي إلى معنى واحد، تارةً يقال عنهم السلفيون أتباع السلف الصالح.. ليسوا أتباع الآباء والأجداد إنما أتباع السلف الصالح الذين سلف ذكرهم في حديث القرون الثلاثة، ويقال عنهم في بعض البلاد الأخرى بأنهم أهل الحديث، وفي بلاد أخرى إنهم أنصار السنة، لا نجد على وجه الأرض من جماعات يطبقون الإسلام عملياً في كل نواحي حياتهم وينهجون منهج ذلك الرجل الذي قضي عليه مع الأسف الشديد بعد أن بدأ فتبين له حقائق الدعوة السلفية فكان عنوان بعض كتبه: لا إله إلا الله منهج حياة.

لم يدر هؤلاء الناس على هذه الحقيقة العلمية إلا في بعض الأمور الشكلية

فتراهم يصلون وكل فرد منهم لا يدري على صلاة الرسول عليه السلام ولا يهتم بها، وقد يسمي بعضهم الاهتمام بتصحيح عبادات الناس سواء كان ذلك طهارة أو صلاةً أو حجاً أو قياماً هذا من توافه الأمور ومن القشور، ونحن نريد الاهتمام باللباب هكذا يقول بعضهم ولا نعمم لكننا سمعنا هذا من كثير من أفرادهم وذلك يدلنا دلالة واضحة على أنهم لا يريدون أن يتبنوا الإسلام كلاً لا نفرق بين الله ورسوله.. لا نفرق بين رسوله وبين أصحابه كما مقتضى تلك الأدلة وإنما هم يهتدون بالجانب السياسي من الإسلام وإذا عني بهذا الجانب فقط فقد خالفوا النهج الذي كانوا يدندنون قديماً حوله نريد إسلاماً يمشي على وجه الأرض.

ويعجبني بهذه المناسبة قول بعض كبارهم حين قال كلمة أرجو أن يطبقها كل مسلم وأولهم هؤلاء الذين ينتمون إلى من قال هذه الكلمة قال: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم، هذه في الحقيقة في اعتقادي حكمة بالغة؛ لأن المسلمين إذا لم يصححوا عقائدهم التي محلها قلوبهم ثم لم يصححوا عباداتهم التي هي سبب تقوية الإيمان في قلوبهم كما أشار النبي ﷺ في الحديث المعروف من حديث النعمان بن بشير الذي أوله: «إن الحلال بين والحرام بين» إلى أن قال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فكلما اهتم المسلم بإصلاح ظاهره وذلك لا يكون إلا بإصلاح عباداته وفق الكتاب والسنة وبإصلاح سلوكه ومنطلقه في حياته فلا يمكن أبداً أن يقيموا دولة الإسلام في قلوبهم إلا بهذا الطريق الذي شرعه الرسول عليه السلام حين قال في حديث النعمان: «إلا وإن في الجسد مضعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

فإذاً: عليهم جميعاً هذه الجماعات إن كانوا صادقين بأنهم يتبنون الكتاب والسنة.. عليهم أولاً أن يطبقوه على منهج السلف الصالح، وثانياً: أن يطبقوه في أنفسهم وفي غيرهم في حدود استطاعتهم ولا يفكروا في إقامة الدولة المسلمة التي تحتاج إلى شروط كثيرة وكثيرة جداً أولها اجتماع القلوب.. قلوب المسلمين على مذهب مستقيم وليس .... إلا كما قال رب العالمين: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣] فالسبيل الذي أشار الله عز وجل في هذه الآية الكريمة هو ما كان عليه الرسول عليه السلام وأصحابه.

وقد جاء في مستدرك الحاكم وغيره من حديث ابن مسعود: «أن النبي ﷺ خط ذات يوم خطاً مستقيماً على الأرض ثم خط حوله خطوطاً قصيرة ثم قرأ عليه الصلاة والسلام تلك الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]» ثم زاد عليه الصلاة والسلام تبياناً لهذه الآية كما هو مأمور به في القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤] قال عليه الصلاة والسلام مشيراً إلى الخط المستقيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣] ثم أشار إلى الخطوط القصيرة التي حول الخط المستقيم فقال: «هذه طرق وعلى رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه».

هذه الطرق القصيرة هي في الواقع تمثل تنفيذاً دقيقاً جداً وكأنما النبي ﷺ في هذا الرسم الحلال كان ينبئ المسلمين بما سيقع من الاختلاف والاقتصار على سلوك الطرق القصيرة؛ لأننا سمعناها بآذاننا هذه أكثر من مرة يقولون: لا شك أن هذه الدعوة التي أنتم عليها من الرجوع إلى الكتاب ... والسنة في كل ما اختلف فيه الناس وعلى منهج السلف الصالح لا شك أن هذه الدعوة هي دعوة الحق

ولكن هذا يحتاج إلى زمن طويل فمتى نصل.. هذا سؤال غريب من مسلمين يريدون أن يحققوا الطرق التي أشار إليها الرسول عليه السلام أنها على رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه.

فنحن نقرأ في الشعر الجاهلي كلاماً أعجب كيف يخفى معناه؛ لأنه حق وبخاصة بالنسبة لمن يمشي على الصراط المستقيم، أنا لست بشاعر ولا أحفظ الشعر إلا نادراً جداً ولكن لإعجابي بهذا النوع من الشعر وربما تساعدني ذاكرتي أن أسوقه لكم ألا وهو قول امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقين بقصير

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذر

كافر مشرك يعبد الأصنام يعزي صاحبه.. ما علينا نحن علينا أن نحاول ثم ... على الله.. نحاول ملكاً أو نموت فنعذر، الإسلاميون الآن بعضهم يريدون أن يتسلقوا السبل كرة واحدة ويريدون أن يقيموها دولة مسلمة وهم إلى الآن ما أقاموا دولة الإسلام في قلوبهم كما أمرهم رئيسهم الأول رحمه الله.

في ختام هذه الكلمة كلمة إنصاف ما يجوز لنا أن نكتم العلم ولا أن نطعن في أشخاص قد يكونون معنا في كثير من دعوتنا وقد يخالفوننا في بعض منهجنا فالله عز وجل كما قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[الزلزلة:٧ - ٨].

أنا أعلم بتجربتي الخاصة في هذا الدرب الطويل الذي قضيته أكثر من نصف قرن من الزمان في العلم في الكتاب والسنة وفي مخالطة جماعات كثيرة من الجماعات الإسلامية الأخرى الذين لا يتبنون عملياً منهجنا السلفي أعرف منهم كثيرين من رؤوسهم فضلاً عمن دونهم يتبنون المنهج السلفي عقيدة وفكراً ولكن مع الأسف الشديد لا يطبقونه عملياً ولا يدعون إليه؛ لأن منهجهم قد

انحرف عن هذه الدعوة؛ لأن هذا المنهج قد قام على أساس أعبر أنا عنه بأنهم يدعون إلى تكثير الناس وتجميعهم ثم إلى تثقيفهم ثم بعد ذلك لا تكثير ولا تثقيف وقد مضى عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان وقد انبح صوتهم؛ لأن رسول الله ﷺ قائدهم وأكثرهم إلى العصر إلا من قيض الله له مجتمعاً صالحاً كهذا المجتمع هنا أو هناك عرفوا العقيدة الصحيحة فآمنوا بها ولكن ارتضوها فقط لأنفسهم ولا يرون من صالح دعوتهم أن يدعو الناس إلها لماذا؟ لأنه يخالف أساس دعوتهم القائمة على أساس كثر ثم ثقف، أما دعوة محمد ﷺ فهي على العكس من ذلك ثقف.. ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥] ثم لا عليك: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩].

هذه هي دعوتنا وهذه هي طريقتنا ولا يمكن نحن نقطع بهذا جازمين أن تقوم قائمة الدولة المسلمة التي لا يختلف فيها كل الإسلاميين من وجوب تحقيقها ولكن اختلفت الوسائل والأسباب فمن أخذ بالوسائل التي جاء بها الشرع وهي قد لخصها ذلك الداعية في هذه الكلمة الجوهرية: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم، أي: كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

وبهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

(رحلة النور ٠٦ب/١١:١٢:٠٠)

هل الجماعات الإسلامية تُعَدُّ من الفرق؟

مداخلة: هل الجماعات الإسلامية القائمة تعد من الفرق؟

الشيخ: الجواب على هذا السؤال كما قلنا ولا نزال نقول دائماً أبداً: لا يمكن أن نتصور فرداً معصوماً بعد رسول الله ﷺ، وبالتالي لا يمكن أن نتصور جماعة معصومة أيضاً دون جماعة أخرى، ولذلك فإذا سئلنا مثل هذا السؤال فلا نستطيع أن نقول: إنها من الفرق الضالة، الجماعة الفلانية هي من الفرق الضالة أو لا إلا إذا عرفنا منهجها ومسيرتها، هل هي تلتزم أولاً فكراً، وثانياً تطبيقاً الكتاب والسنة؟ فإن كانت تتبنى ذلك فليست من الفرق الضالة ولو أنها في منطلقها قد تحيد قليلاً أو كثيراً كأي فرد من أفراد المسلمين، يعني نحن الآن ننتمي والحمد لله إلى السلف الصالح، أي: نفهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، نوجب على أنفسنا أن نكون كذلك فقد نخطئ وقد نصيب في ما ندعيه من الانتساب ولو في بعض الجزئيات، ولكن أنا قلت: قد ولكننا بلا شك وبدون قد نخطئ في تطبيق هذا المنهج قليلاً أو كثيراً يختلف هذا باختلاف الأفراد.

فإذا كان منهجنا على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح لا شك أن ذلك يكون ضماناً لنا في ألا نكون فرقة من الفرق الضالة، أما عملنا فهو عند الله عز وجل إما أن يغفر لنا وإما أن يؤاخذنا، ولذلك نقول: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:٢٨٦].

فإذاً الحكم الفصل بين جماعة وأخرى هو النظر إلى منهجها، فمن كانت من

هذه الجماعات تعلن أنها على الكتاب والسنة وتلتزم ذلك سلوكاً في حدود الاستطاعة فلا يجوز أن يقال إنها من الفرق الضالة والخارجة عن دائرة الإسلام الصحيح.

وليس كذلك من الناحية العملية كما قلنا، لأنه يقال في الجماعة ما يقال في الأفراد، لأن الجماعة إنما هي مركبة من أفراد، ففرد زائد فرد يساوي جماعة، وكل فرد من هؤلاء الأفراد بلا شك قد يكون له خطأ أو أكثر من خطأ. عفواً قد يكون له خطيئة أكثر من خطيئة، لكن لا يجوز أن يكون له خطأ فكري واعتقادي وإلا فبذلك يخرج عن الجماعة المسلمة حقاً.

(الهدى والنور /٣٠٥/ ٥٩: ٢٢ : ٠٠)

نصيحة لمن ينتمي إلى الجماعات المعاصرة

مداخلة: فضيلة الشيخ! ما هي نصيحتكم لمن ينتمي إلى جماعة ما من الجماعات الإسلامية المعاصرة، مع ذكر المخالفة التي تقع فيها جماعة الإخوان والتبليغ؟

الشيخ: أظن أن الجواب السابق كان يكفي للإجابة عن هذا السؤال؛ لأنه لا يخرج عن الذي قبله، إلا أنني أذكر كل المسلمين بأن على كل جماعة أن يكون في منهجهم الرجوع إلى الكتاب وإلى السنة، وفهمهما على ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم في كل أمور الدين، لا فرق بينما كان عقيدة أو فقهاً أو سلوكاً، وكل جماعة من الجماعات الموجودة اليوم في الساحة الإسلامية لا يوجد فيها من يعلن عن دعوته على هذا النهج الذي نصرح به وندعو إليه وهو الرجوع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله وعلى منهج السلف الصالح، هذا المنهج الذي أشار إليه ربنا عز وجل في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥] فقد ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية قوله عز وجل: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] عطف هذه الجملة على قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] إشارة منه تعالى إلى وجوب الاقتداء به عليه الصلاة والسلام وعدم مخالفته ومشاققته في طريق اتباعنا للمؤمنين الأولين وهم الذين

ذكرهم رسول الله ﷺ في حديث الفرق حيث قال عليه السلام في الحديث المشهور في آخره: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي الجماعة» الجماعة هي سبيل المؤمنين المذكور في الآية السابقة، وقد جاء تفسير هذه الجماعة في رواية أخرى فقال عليه الصلاة والسلام: «هي التي على ما أنا عليه وأصحابي» لهذا لا ينبغي أن يكتفي المسلم بقوله: أنا على الكتاب والسنة ثم يفسر الكتاب والسنة على ما [يراه] ويخطر في باله إن لم نقل: على ما يوافق هواه، هذا لا يكون متبعاً لسبيل المؤمنين وإنما يكون متبعاً لهواه.

لذلك أكد ربنا عز وجل في الآية السابقة فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] فاتباع غير سبيل المؤمنين هو دليل الانحراف عن اتباع الكتاب والسنة؛ لأن السلف الأول كانوا على الكتاب والسنة بالمفهوم الصحيح.

ولما تفرق المسلمون بعد القرن الأول بخاصة وما تلاه من القرون إنما تفرقوا بسبب أنهم لم يضعوا نصب أعينهم الاقتداء بالصحابة الذين قال عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق أنهم هم الفرقة الناجية، وأكد ذلك عليه الصلاة والسلام في حديث العرباض المعروف لدى الجميع إن شاء الله وهو قوله رضي الله عنه: «وعظنا رسول الله ..».[انقطاع].. «الراشدين المهديين من بعدي» إلى آخر الحديث وهو معروف، فالملاحظ هنا: أن النبي ﷺ لم يقتصر على قوله: «فعليكم بسنتي» بل عطف على ذلك أيضاً فقال: «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» ما السر في ذلك؟ السر في ذلك في قوله: «ما أنا عليه وأصحابي» أي: إن هؤلاء الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون هم الذين تلقوا الإسلام مبيناً مفسراً من فم النبي ﷺ غضاً طرياً ثم طبقوا دون إفراط أو

تفريط.. دون ميل يميناً أو يساراً؛ لذلك فهم القوم الذين ينبغي أن يقتدى بهم في فهم الكتاب والسنة، وأن يحتذى بهم في تطبيقهم إياهما؛ لذلك كان من الواجب في العصر الحاضر أن لا نقتصر على الدعوة إلى العمل في الكتاب والسنة فحسب؛ لأن كل الفرق التي جاء ذكرها في الحديث المشار إليه آنفاً وهي ثلاث وسبعون فرقة، ما فيها فرقة وبخاصة في العصر الحاضر الآن حيث انتبه الناس لضرورة الرجوع إلى الكتب والسنة فصارت كل طائفة تعلن أنها أيضاً هي على الكتاب والسنة ولكنها لا تعلن أنها على منهج الصحابة وعلى منهج السلف الصالح بل توهم من قد يقول: أولئك رجال ونحن رجال ونحن نفهم الكتاب والسنة كما كانوا يفهمون ... يضربون بتلك النصوص المتقدمة عرض الحائط ويخرجون عن كونهم من الفرقة الناجية؛ لأن علامتها أن يمشوا على ما كان عليه الرسول وأصحابه.

هذا ما ينبغي أن نفهمه فيما يتعلق بالجماعات القائمة اليوم، من وضعت نصب أعينها السير على كتاب الله وعلى حديث رسول الله وعلى منهج السلف الصالح فهو الذي يرجى أن يكون على هدى من ربه، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.

(رحلة النور ١٦/b٠٨:٣٩:٠٠) (١٧/a٠٠:٠٠:٠٠)

الطريق إلى توحيد الكلمة بين الجماعات الإسلامية

مداخلة: يسأل السائل فيقول: قد نرى ما نرى من أحوال المسلمين اليوم، والطوائف الموجودة من سلفية وصوفية وتبليغ وغيرها، وتتجاذب ... هذه الطوائف، ولكنه يقول: أريد أن أكون كالنحلة تأخذ الحلو من كل هذه الجماعات دون انضمام، فما رأيكم في هذا، وما دوركم في توحيد صف المسلمين، وخاصةً أن أعداء الإسلام متحدين.

الشيخ: أما دورنا في توحيد المسلمين فهذا أمر واجب، لكن المشكلة التي تغفل عنها، بل يجهلها كثير من المسلمين وبخاصة منهم الشباب الغيور على الإسلام ولكنه حائر، يقول: كيف الطريق إلى توحيد [المسلمين]، فتوحيد المسلمين أمر يجب السعي إليه، لكن على أي أساس يكون هذا التوحيد، هل هو على أساس إبقاء كل شيء قديم على قدمه كما يقال، أم على أساس من قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩] من دعا الناس أو دعا المسلمين إلى أن يتوحدوا وإلى أن تكون كلمتهم واحدة على منهج غير هذا المنهج القرآني فهو أولًا يخالف القرآن، وثانيًا فهو لن يصل إلى [شيء]ولو عاش حياة نوح عليه السلام؛ ذلك لأن الأمر كما قيل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

أنت تريد أن توحد المسلمين، وفي المسلمين اليوم من يكفر بكتابك؛ وذلك بأن يقول: أن هذا القرآن الكريم فيه نقص نحو ثلاثة أرباع أو أربعة أرباع، فهذا مسلم وربما يصلي ويصوم ويزكي، فكيف أتحد معه وهو يخالفك في جوهر العقيدة في كتاب ربك ويدعي أنه وقع فيه نقص، والأمثلة كثيرة وكثيرة جدًا، لذلك كل من يريد أو من كان حريصًا على توحيد المسلمين فيجب أن يتذكر أن هذا التوحيد يجب أن يكون مناطًا ومربوطًا بقاعدة: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩] هذا أولًا.

وثانيًا: هذه الحيرة التي أشار إليها السائل حيث تتجاذبه يقول، طوائف وأحزاب كثيرة، الجواب عن هذا: في حديث نبينا ﷺ الذي صح عنه أنه قال: «ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئًا يبعدكم عن الله ويقربكم إلى النار إلا ونهيتكم عنه» هذا السؤال جوابه في حديث الفرق الذي قال فيه الرسول ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة» في الرواية الأخرى: «هل التي على ما أنا عليه وأصحابي» فأنت أيها المحتار الذي تتجاذبه الطوائف والأحزاب اعرف طريق النجاة هو بأن تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، وبخاصة منهم الخلفاء الراشدين حينئذٍ تطيح الحيرة منك وتمشي سويًا على صراط مستقيم.

اليوم نعيش على أفكار واختلافات قديمة وحدها تكفينا بلبلة وفرقة، فما بالنا وقد ازداد الاختلاف في العصر الحاضر بأمور كثيرة وكثيرة جدًا بعضها منهجية وبعضها فروعية، فما النجاة؟ الرجوع إلى ما كان عليه الرسول عليه السلام، ولذلك نحن نؤكد هذا ونقطع بأنه لا سبيل لوحدة المسلمين إلا إذا وحدوا منهجهم، ومنهجهم والحمد لله قال الله قال رسول الله وانتهى الأمر، فمن أراد

النجاة سلك الطريق الموصل إليها كما ذكرنا آنفًا.

مداخلة: بالنسبة ... حاضر جماعات وفرق، هل الجماعات هذه ...

الشيخ: أو تريد يعني: الحديث ينطبق عليها.

مداخلة: الحديث عفوًا للجماعات الموجودة.

الشيخ: طيب! الجواب: أن الفرقة الناجية ليست محصورة بوحي من السماء في طائفة من هذه الطوائف أو في حزب من هذه الأحزاب، لكن نحن أخذنا الدليل القاطع الدال على من كان من الفرقة الناجية، فمهما عددت من مذاهب قديمة أو حديثة، ومهما تصوت من أحزاب وجمعيات وجماعات اليوم قائمة، فكل فرد من هؤلاء ليطبق المنهج أو العلامة التي جعلها رسول الله ﷺ للفرقة الناجية فهو من الفرقة الناجية، سواء كان من هؤلاء أو من هؤلاء أو هؤلاء، نحن نضرب الآن مثلًا صريحًا جدًا: ترى! من ادعى أنه من أهل الحديث، أو أنه من أهل السنة، أو أنه سلفي المنهج والعقيدة، هل من الضروري أن يكون صادقًا كل فرد من هؤلاء المدعين أن يكون صادقًا فيما يقول مطابقًا واقعه لما يقول؟ قد وقد، فإذًا القضية ليست بدعوى انتساب صحيح، أو بدعوى انتساب إلى فرقة باسم جديد بقدر ما المسألة تتعلق بمحاولة كل مسلم أن يلاحظ العلامة التي جعلها الرسول عليه السلام للفرقة الناجية: أن يكون على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، هذا هو الحكم القاطع في الجواب على هذا السؤال، وبطبيعة الحال هناك مجال للتفصيل كثير وكثير جدًا، لكن الوقت الآن ليس مجالًا له.

مداخلة: ...

الشيخ: التسمية إذا كانت لا تحمل في طواياها فرقة فلا بأس فيها؛ لأنه كما يقال: لكل قوم أن يصطلحوا على ما [شاؤوا] أما إذا ترتب من وراء التسمية واقع يخالف الشريعة من جهة، ومن ذلك أن يتعصب كل جماعة تنتمي إلى حزب معين لهذا الحزب، فهنا تكون هذه الأسماء بسبب الانحراف عن التزام الأحكام

الشرعية تكون سبب للفرقة، ويكون مثل ذلك داخلًا في مثل عموم قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:٤٦].

فهذا هو جواب السؤال الأخير.

مداخلة: ...

الشيخ: وما آفة الأخبار إلا رواتها.

نحن أولًا نقولها صراحة: نحن نحارب الحزبيات؛ لأن التحزبات هذه ينطبق عليها قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:٥٣] ولأن فعلًا التحزب قد فرق شمل المسلمين وضعف قوتهم على ما بهم من ضعف فازدادوا ضعفًا على ضعف، لا حزبية في الإسلام، هناك حزب واحد بنص القرآن: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦] من هم حزب الله؟ هو جماعة رسول الله ﷺ، فبقدر ما يقترب المسلم في هذا الزمان إلى منهج أصحاب رسول الله ﷺ فبقدر ما يكون في أمان، والعكس بالعكس، وليكون المسلم على منهج الصحابة كما جاء في حديث الفرقة الناجية ذلك يتطلب العلم، والعلم بالكتاب والسنة، وهذا ميزان ممكن لكل مسلم عاقل متجرد عن الحزبية العمياء وعن الأهواء ممكن أن يعلم أنه لا سبيل لمعرفة المتابعة لمنهج الصحابة إلا بالعلم، فمن كان من الجماعات الإسلامية أو الأحزاب الإسلامية أو أو إلى آخره أقرب ما يكون علمًا بالكتاب والسنة فهو أقوم قيلًا وأهدى سبيلًا، والعكس بالعكس.

ولذلك فعلينا بالعلم الصحيح فهو الذي ييسر لنا طريق أن نكون من الفرقة الناجية، وبغير ذلك لا سبيل إلى ذلك أبدًا.

(أسئلة وفتاوى الإمارات ١٢ /٠١: ٢٩: ٠٠)

التعاون بين الجماعات

مداخلة: في وسط كثير من الجماعات التي تدعو إلى الإسلام، ويلاحظ في هذه الجماعات شدة تعصبها إلى أحزابها، فنرجو فضيلة الشيخ بيان هل يجوز التعاون معهم، مع العلم أنه إذا لم يتعاون معهم فإن هذا سيمكن للشيوعيين وغيرهم، وإذا تعاون معهم فإنه سيواجه تعصب وسيواجه حرب على السلفية.

الشيخ: لقد تكلمنا في هذه المسالة كثيرًا، ونقول إن شاء الله كلمة موجزة: لا يجوز أن يكون في المجتمع الإسلامي جماعات متعددة لكل جماعة منهج خاص وقيادة خاصة، هذه القيادة تفرض أوامرها على أتباعها، فإن هذا يؤدي إلى زيادة الفرقة والخلاف بين المسلمين، ثم هو يؤدي إلى جعل الفرقة نظامًا متبعًا بين المسلمين، وهذا بداهة مخالف لقول رب العالمين: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣١ - ٣٢] وقد جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه في صحيح البخاري ومسلم، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، فسأله عن كثير من الأمور التي تتعلق بما كان يهتم به هذا الصحابي الجليل، سأله مثلًا عن هذا الخير الذي عاشوه مع النبي ﷺ، هل بعده من شر؟ أجاب بأنه سيكون شيء من ذلك، ويكون من بعد ذلك أيضًا خير، سأله أيضًا: هل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: نعم على دخن، وتابع الأسئلة حتى جاء إلى أن قال عليه الصلاة والسلام: أنه

سيكون هناك فرق وطوائف وجماعات فعليك أن تعض بأصل شجرة ولا تكن مع طائفة من هذه الطوائف إلا أن يكون عليهم إمام وهو إمام المسلمين جميعًا، فإن كان له إمام فيجب أن تكون، قال: وإلا ففارق كل جماعة ولو أن تعض على شجرة واحدة، هذا معنى هذا الحديث الوارد في صحيح البخاري ومسلم، وذلك يعني أن المسلم لا يجوز أن يتعصب لجماعة على أخرى.

ولكني مع ذلك أقول: ينبغي على الجماعات الإسلامية وقد وجدت على الساحة مع الأسف الشديد، أن يتعاون كلهم بعضهم مع بعض ولكن بشرط أن يكون تعاونهم على أساس صحيح من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فمن امتنع من التعاون مع الجماعة الأخرى؛ لأنها ليست متعاونة على هذا المنهج الصحيح: الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح، فحينئذٍ لا ينبغي التعاون لمخالفة ما كان عليه رسول ﷺ وأصحابه من بعده، فالتعاون واجب والتفرق محرم، فمن أبى إلا التفرق فعلى نفسها جنت براقش.

(فتاوى جدة –أهل الحديث والأثر ١ /٠٨:٠٣:٠٠)

اتحاد الدُّعاة والجماعات

مداخلة: فضيلة الشيخ! لا يخفى عليكم داء الفرقة الذي أصاب هذه الأمة وجعلها لقمَة سائغَة لأعدائها، ونحن نرى أوروبا على ما بينها من دماء وعلى ما فيها من خلاف تتوحد وستعلن وحدتها كما ذكروا بعد عامين، ألا يمكن للمسلمين أن يتحدوا.. ألا يمكن لعلماء الأمة ودعاتها أن يوحدوا جهودهم، وأن يكونوا صفًا واحدًا ضد عدوهم وإن اختلفوا فيما بينهم في بعض الأمور الاجتهادية، ألا توجد هناك نقاط التقاء كثيرة بين علماء أهل السنة يمكن أن ينطلقوا للم شمل الأمة من جديد، وهل يوجد لديكم تصور لعمل ما يمكن بناءًا عليه أن تجتمع الأمة، وهل في الأمة حالات مشابهة وكيف تخلصت منها؟

الشيخ: مناط الأمر وجماع الأمر هنا هو أنه إذا كان الدعاة الإسلاميون حريصين حقًا على التلاقي فسبيل ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولكن ماذا نقول؟! إلى اليوم يوجد في بعض الجماعات الإسلامية أو في الساحة الإسلامية من يقول: إن الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح يفرق الأمة، ولذلك فنبغي أن نجعلها دعوة عامة، ومعنى هذا الكلام بالتعبير السوري: كل من على دينه الله يعينه! لكن نحن نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يحضرني الآن قصة وقعت لنا يوم كنا ندرس في الجامعة الإسلامية: دعينا إلى سهرة في مثل هذه الغرفة الوسيعة المباركة إن شاء الله، ولكن كان العدد محصورًا يعني: مع الجدران، ما في هذا الخير الكثير يومئذٍ، كنت لحكمة ظهرت

فيما بعد وهي من فضائل التمسك بالسنة، لما دخلت المجلس مررت أسلم على الحاضرين واحدًا بعد واحد، وانتهى بي المجلس إلى آخر المجلس، ثم دخل من بعدي رجل له زي علمي على الطريقة السورية والعراقية يعني: جبة وعمامة بيضاء وهو رئيس جماعة من الجماعات الإسلامية، لما دخل بدأ هو بدوره يصافح، لكن ما أحد قام له؛ لأن إخواننا كلهم على السنة، وأنا أراقب الداخل هذا في وجهه فأرى أسارير وجهه تتغير حتى جاء إلي وأنا آخر واحد، أنا هناك عند عتبة الباب، فقلت له بالتعبير السوري: يقولون عندنا يا شيخ يا أستاذ: عزيز بدون قيام، سلم علي وقلت: عزيز بدون قيام، هو ما كاد يسمع هذه الكلمة إلا انفجر غيضه الكتيم، وقال.. طبعًا جلس وهو خطيب يسقع مفوه.. بدأ يتكلم ويقول: يا أستاذ نحن الآن بحاجة إلى أن نحارب البعثيين والشيوعيين والزنادقة وهذه مسائل ثانوية ما ينبغي أن نبحث فيها وانطلق كالماء الدافق بقوة.. صبرت حتى انتهى، قلت: يا أستاذ! لكن أنت تقول أن هذه مسائل فيها خلاف ولا يجوز أن نبحث فيها من أجل أن نتكتل – وهنا الشاهد – لمحاربة العدو الذي لا نختلف في كونه عدوًا للمسلمين كالبعثيين وأمثالهم، لكن أي مسألة لم يختلف فيها المسلمون؟! حتى ندع الخلاف ونتحد لنحارب العدو الواحد وأنت تعلم..

هو عنده نوع من السلفية، لكن السلفية اليوم الحقيقة كعقيدة تغزو كل الجماعات الإسلامية وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون، إلا أن من كان قد سبق عليه الانضمام الحزبي تبقى سلفيته لنفسه، ولا يكون داعيةً إليها، وهذا الشيخ المشار إليه كان من هذا النوع فهو سلفي، يعني: يعرف التوحيد وأقسام التوحيد ويؤمن بذلك ولكن لا يدعو.

فقلت له: يا أستاذ! أنت تعلم أن المسلمين اختلفوا في الركن الأول من

الإسلام وهو شهادة أن إله إلا الله، فهناك كما تعلم من لا يعرف الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة، وتوحيد الصفات والأسماء، بل هناك عندنا في دمشق – يومئذٍ قلت له هذا – من ألف رسالة بعنوان: لا إله إلا الله، ففسرها بالمعنى الذي كان يؤمن به المشركون، لا إله إلا الله، أي: لا رب إلا الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان:٢٥] فقلت له: إذًا هذا الرجل يؤمن بلسانه لا إله إلا الله، لكن فسرها بمعنى توحيد الربوبية، فهل معنى كلامك أن نترك النقاش والبحث حتى في كلمة التوحيد؟ قال: إيه نعم، – هنا الشاهد – أي نعم يجب علينا أن نطوي البحث في كل شيء حتى في موضوع التوحيد حتى نتعاون جميعًا على مقاتلة أعداء الله، قلت: لكن يا شيخ الذين يشهدون بلسانهم بأن لا إله إلا الله هم أعداء كأولئك الأقوام بل ربما أشد؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فكيف تريد أو كيف تتصور أننا بإمكاننا أن نتعاون مع هؤلاء المخالفين لنا حتى في عقيدة التوحيد أن نحارب أولئك الأعداء الألداء كالذين سميتهم بالبعثيين أو الشيوعيين أو غيرهم.

لذلك: إذا كان في المسلمين وفي الدعاة الإسلاميين من يأبى علينا أن ندعو الدعوة التي دعا رسول الله ﷺ أول ما دعا قومه إليها فلا يمكن أن يتحد المسلمون أبدًا ما داموا يعتقدون مثل هذه العقيدة التي هي عقيدة التفريق وليس عقيدة التجميع، ولذلك: فعلى المسلمين جميعًا أن يتعاونوا ما داموا على الخط، أما الذين أعرضوا وخرجوا عن الخط فلا نطمع بأن نلتقي معهم، من مد إلينا يده بالمشي على الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح فنحن نمشي معه على طول الخط، ومن أبى علينا فلا يضرنا ذلك أبدًا.

(فتاوى جدة أهل الحديث والأثر– ٢ /٤٠:٣٣:٠٠)

التعاون مع الجماعات الإسلامية

السائل: [...] في وسط كثير من الجماعات التي تدعو إلى الإسلام ويلاحظ في هذه الجماعات شدة تعصبها إلى أحزابها فنرجو من فضيلة الشيخ بيان هل يجوز التعاون معهم مع العلم أنه إذا لم يتعاون معهم فإن هذا سيمكن للشيوعيين وغيرهم، وإذا تعاون معهم فإنه سيواجه تعصب سيواجه حرب على السلفية؟

الشيخ: لقد تكلمنا في هذه المسألة كثيراً فنقول إن شاء الله كلمة موجزة، لا يجوز أن يكون في المجتمع الإسلامي جماعات متعددة لكل جماعة منهج خاص وقيادة خاصة هذه القيادة تفرض أوامرها على أتباعها فإن هذا يؤدي إلى زيادة الفرقة والخلاف بين المسلمين ثم هو يؤدي إلى جعل الفرقة نظاماً متبعاً بين المسلمين وهذا بداهة مخالف لقول رب العالمين: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

وقد جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في صحيح البخاري ومسلم قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه» فسأله عن كثير من الأمور التي تتعلق بما يهتم به هذا الصحابي الجليل فسأله مثلاً عن هذا الخير الذي عاشوه مع النبي ﷺ هل بعده من شر؟ أجاب بأنه سيكون من ذلك ويكون من بعد ذلك أيضاً خير سأله أيضاً هل بعد هذا الخير من شر فقال: «نعم على دخن» فتابع الأسئلة حتى جاء إلى أن قال عليه الصلاة والسلام أنه سيكون هناك فرق وطوائف وجماعات فعليك بأن تعض في

أصل شجرة ولا تكن مع طائفة من هذه الطوائف إلا أن يكون عليهم إمام هو إمام المسلمين جميعاً فإن كان لهم إمام فيجب أن تكون معه قال وإلا ففارق كل الجماعات تلك ولو أن تعض على شجرة واحدة.

هذا معنى الحديث الوارد في صحيح البخاري ومسلم وذلك يعني أن المسلم لا يجوز أن يتعصب لجماعة على أخرى ولكني مع ذلك أقول ينبغي على الجماعات الإسلامية وقد وُجِدَت على الساحة مع الأسف الشديد أن يتعاون كلهم بعضهم مع بعض ولكن بشرط أن يكون تعاونهم على أساس صحيح من كتاب وسنة ومنهج السلف الصالح فمن امتنع من التعاون مع الجماعة الأخرى لأنها ليست متعاونة على هذا المنهج الصحيح الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح فحينئذ لا ينبغي التعاون بمخالفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده فالتعاون واجب والتفرق محرم فمن أبى إلا التفرق فعلى نفسها جنت براقش.

(فتاوى جدة- أهل الحديث والأثر (٢٠) /٢٦:٥٨:٠١)

حلقة تضم العلماء لحل الخلافات

السؤال يقول: هناك اختلافات كثيرة بين العلماء في بعض الفتاوى والتفسيرات، فلماذا لا تكون هناك حلقة تضم هؤلاء العلماء لحل هذه الخلافات على السنة والقرآن واتباع الأئمة الأربعة في ذلك؟

الشيخ: ... الاتباع أيش؟

السؤال: لحل هذه الخلافات على السنة والقرآن واتباع الأئمة الأربعة في ذلك؟

الجواب: أما هذا السؤال ...

من الذي يشكل اللجنة التي تبحث في هذه الخلافات وتنظر إليها بمنظار الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، مَنْ؟

أنا أنصح إخواننا أن يكونوا عمليين ولا يكونوا خياليين، الآن نحن ما نستطيع أن نجتمع خمسين شخص على رأي واحد، وما بالنا نقول: العالم الإسلامي يشكل تسعمائة مليون أو أكثر من ذلك كما يقول البعض، وهناك علماء كثيرون، منهم علماء رسميون متخرجون من الجامعات، منهم علماء غير ذلك، فمن الذي يجمع هؤلاء، ومن الذي يوحد أفكارهم، ونحن نجد الأمر أعسر من أن يتخيل تنفيذ مثل هذا الافتراض الذي يطلبه الأخ السائل.

نحن إلى اليوم نتنازع في وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، وعدم التعصب

للأئمة، لا نزال مختلفين في هذا، كثير من المشايخ هنا وهناك، كثير من الدكاترة، ولعل بعضكم يذكر في بعض الجرائد أثارت هذه القضية من قريب، ورد أخونا عليه، فأثار هذه النعرة المذهبية التعصب المذهبي، وهو دكتور ومتخرج من جامعة، ويدرس في جامعة لا يتفق بعد معنا على وجوب رجوع المسلمين فيما اختلفوا فيه من الأحكام الفرعية إلى الكتاب وإلى السنة، هذا شيء.

الشيء الثاني الذي لاحظته من السؤال: يقول السائل: وعلى اتباع المذاهب الأربعة، هذا القيد ليس من الواجب على أي عالم مسلم فضلاً عن العلماء إذا تيسر لهم هذا الاجتماع الذي يطلبه هذا السائل ليس من اللازم عليهم بأن يتقيدوا في المذاهب الأربعة؛ لأن هناك مذاهب أخرى معروفة أن أصحابها كانوا من أئمة المسلمين كسفيان الثوري، وكعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي، كل هؤلاء أئمة من أئمة المسلمين، لهم آراؤهم لهم اجتهاداتهم، فما فرض الله تبارك وتعالى على علماء المسلمين أن يتقيدوا بمذهب من المذاهب الأربعة، خذوا مثلاً واقعياً الآن: لقد كنا منذ أن تفقهنا ... [انقطاع في الشريط].

أنت طالق ثلاثاً إنما يقع عليها طلقة ثالثة، وكان العالم الإسلامي كله إلى ما قبل عشرين أو ثلاثين سنة في المحاكم الشرعية يقضون بأن من قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً بانت منه البينونة الكبرى، لكن أيقظتهم المصائب وليس السنة وأتباعها مع الأسف الشديد، كثرة مشاكل الطلاق في المحاكم الشرعية اضطر معظم القضاة حتى من المتعصبين منهم للمذهب وبخاصة للمذهب الحنفي أن يعيدوا النظر في هذا الفرع مما يسمونه بالأحوال الشخصية، يعيدوا النظر في تطليق الزوجة بسبب قول الرجل لها: أنت طالق ثلاثاً.

فما وسعهم إلا أن يأخذوا برأي ابن تيمية، ورأي ابن تيمية قائم على حديث

صحيح لا يزال موجوداً في صحيح مسلم، كان الطلاق في عهد النبي ﷺ وفي عهد أبي بكر وشطر من خلافة عمر كان الطلاق بلفظ الثلاث طلقة واحدة، ثم رأى عمر بن الخطاب أن يجعلها ثلاثاً فجعلها ثلاثاً لحكمة بدت له، واستمر العالم الإسلامي يمشي على هذا حتى هذا الزمن، لما اضطر بعض القضاة إلى إعادة النظر في هذه المسألة، فرجعوا إلى الحديث الصحيح، ما رجعوا إلى الحديث الصحيح الذي يعتبر الطلاق بلفظ الثلاث طلقة؛ لأن السنة هكذا، وإنما الحوادث الكثيرة التي أصبحت بيوت عديدة يصيبها الخراب والتباب بسبب تسرع رجل وقوله لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، فرجعوا إلى السنة رغم أنوفهم، لكن إلى الآن لا يزال كثير من المشايخ يفتون الرجل الذي يقول لزوجته: أنت طالق ثلاثاً يقول: طلقت منك فلا تحل لك من بعد حتى تنكح زوجاً غيره.

الشاهد: المذاهب الأربعة تقول هكذا، طلاق لفظ ثلاث ثلاث، فاقتراح الأخ أنه يكون اجتماع هؤلاء العلماء وعلى اتباع المذاهب الأربعة ليس صحيحاً من ناحية شرعية، لأن في المذاهب الأربعة بعض الأفكار تخالف السنة، من ذلك قضية الطلاق بلفظ الثلاث، ثلاث هذا خطأ مخالف للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه أن الطلاق بلفظ الثلاث في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وشطر من خلافة عمر كان طلقة واحدة، ثم ارتأى عمر أن يجعلها ثلاثاً تأديباً لهم.

فإذاً: الرجوع إلى السنة هو الواجب، وليس الرجوع لاتباع الأئمة، لأنهم أحياناً قد يجتهدون كما اجتهد عمر وتكون السنة في جانب، فعلينا أن نتبع السنة سواء كان مع إمام من الأئمة الأربعة أو كان إمام آخر من غير الأئمة الأربعة، لأنهم لم يشتهروا عند المسلمين، مثلاً: من الأئمة المعروفين في كتب الفقه

والحديث الليث بن سعد المصري، هذا لما يترجم له العلماء يقولون: إنه أعلم من مالك، مالك إمام دار الهجرة، يقولون: هو أحق بأن يتبع من الإمام مالك، لكن الإمام مالك حفظه أصحابه، أما الليث بن سعد فضيعه أصحابه، كُتِبَ لمالك أن يبقى مذهبه، أما الليث بن سعد فمذهبه مسطور في كتب الحديث وكتب الآثار.

الخلاصة هذا القيد الذي جاء في سؤال السائل في آخره ليس باللازم على علماء المسلمين إذا اجتمعوا أن يلتزموا به، وكذلك ليس باللازم على علماء المسلمين ولو لم يتيسر لهم الاجتماع إذا ما اجتهدوا في بعض المسائل إلا أن يلتزموا السنة سواء وافقت المذاهب الأربعة أو لم توافق.

(الهدى والنور/ ٨ / ٥١ : ٢٩ : ..)

كيف نربط بين الحركات الإسلامية

السؤال يقول: كيف يمكن الربط بين الحركات الإسلامية الواردة في الوطن العربي والإسلامي مثل الثورة الإيرانية والحركة الإسلامية في مصر ؟

الجواب: كيف يمكن الربط بين المتناقضات هذه نتيجة لابتعاد المسلمين عن دينهم، نعم.

(الهدى والنور /١٧/ ٣٧ : ١٩ : ..)

نبذ الفرقة وكيفية توحيد المسلمين

مداخلة: يا شيخنا! بمناسبة هذه الكلمة الطيبة حول التفرق، وليس هناك تفرق كتفرق المسلمين عامة والملتزمين خاصة، فكيف يجتمع المسلمون؟ وجزاكم الله خيرًا.

الشيخ: الله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله! لا سبيل حقيقةً لتوحيد كلمة المسلمين وجمع صفوفهم إلا بالرجوع إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، وعلى منهج سلفهم الصالح رضي الله عنهم، وكثير من الدعاة الإسلاميين اليوم على الأقل وجدوا أنفسهم منصاعين للخضوع لدعوة الحق وهي دعوة الكتاب والسنة، فأخذوا يتظاهرون بأنهم أيضًا هم على الكتاب والسنة، أو أنهم يدعون إلى الكتاب والسنة، لكننا نرى فرقًا كبيرًا جدًا بين الدعاة الأصليين في هذه الدعوة منذ مئات السنين.. منذ تنبه لها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلامذته الأبرار حينما أحيوا الأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، قامت هذه النهضة في العصر الحاضر على أصوات دعاة الإصلاح الحق، وهم الذين يعرفون في بعض البلاد العربية بأنصار السنة المحمدية، وفي بعض أخرى بالسلفيين الدعاة إلى مذهب السلف الصالح، وفي بلاد إسلامية أخرى يعرفون بأهل الحديث، أو بأهل الآثار، لما قام هؤلاء فقد تحققت أجزاء كبيرة من هذه الغاية العظيمة جدًا وهي: انتباه كثير من أطراف العالم الإسلامي لوجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

لكن بعض الدعاة الذين لم يتشربوا هذه الدعوة بقلوبهم، ولم تجري في جوارحهم مجرى الدم من أبدانهم يكتفون بالدعوة إلى الكتاب والسنة، وهي كلمة لم يظهر بعد آثارها في دعوة هؤلاء عمليًا.

لذلك فالكلمة التي تجمع الأمة: هي بالرجوع إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، أما الرجوع إلى الكتاب والسنة فهذا أمر أصبح أمرًا متفقًا عليه والحمد لله الآن ولو في الظاهر بين جميع الجماعات الإسلامية، لصريح القرآن في ذلك، كما قال عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

هذا نص صريح بالرجوع إلى الكتاب والسنة، لأن علماء التفسير اتفقوا على أن الرجوع إلى الله إنما الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول إنما هو الرجوع إلى سنته، أما اشتراط الرجوع إلى الكتاب والسنة زائد: على منهج السلف الصالح، فلقول الله تبارك وتعالى، ولأحاديث معنى هذه الآية، ألا وهي قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

الشاهد من هذه الآية: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] كان يمكن أن تكون الآية مختصرة على نحو: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا، دون قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] فلماذا ذكر رب العالمين هذه الجملة؟ عبثًا؟! حاشاه عز وجل، فكل كلمة بل كل حرف في كلامه عز وجل له معنًى يفهمه أهل اللغة التي نزل القرآن بلغتهم.

فقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] فيه إشارة إلى أنه لا يجوز للمسلمين في آخر الزمان أن يفسروا القرآن، أو أن يفسروا السنة، على ما يبدو لهم من آراء واجتهادات محدثة، بل عليهم أن يتبعوا سبيل المؤمنين في فهمهم لكلام رب العالمين وشرحهم لسنة سيد المرسلين.

لذلك كان من أصول تفسير القرآن الكريم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في: أصول في مقدمة التفسير، ذكر أنه: إذا جاء قولان عن السلف في تفسير آية ما، فلا يجوز لنا أن نحدث قولًا ثالثًا، وإذا جاء عنهم ثلاثة أقوال فلا يجوز لنا أن نحدث قولًا رابعًا، وإنما علينا أن نرجح قولًا من تلك الأقوال بناءً على الأدلة التي تسوغ لنا أن نرجح، أما أن نحدث قولًا جديدًا فهذا خلاف طريق المسلمين.. سبيل المسلمين، من أجل ذلك قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

إذًا: كان ضروريًا جدًا أن ندعو إلى كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى منهج السلف الصالح؛ لأنه هو سبيل المؤمنين الذي أوعد الله عز وجل أن من خالف سبيل المؤمنين ولاه ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرًا.

قلت آنفًا: بأن هناك بعض الأحاديث تؤيد هذه الزيادة، ليست هي زيادة إلا على الفرضية السابقة.. تؤيد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] تلك الأحاديث تحذر من مخالفة سبيل المؤمنين فتلتقي مع الآية، كمثل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه في الحديث المعروف، حيث قال: «وعظنا

رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! إنا نراك توصينا وصية مودع، فأوصنا وصيةً لا نحتاج إلى أحد بعدك أبدًا، فقال عليه الصلاة والسلام: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

الشاهد من هذا الحديث: أنه اقتباس من الآية السابقة، ذلك لأن النبي ﷺ لم يقتصر على قوله فقط: عليكم بسنتي، بل عطف عليها فقال: وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، لماذا هذا العطف؟ إذا عرفتم النكتة في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء:١١٥] تعرفون أيضًا لماذا قال عليه السلام: وسنة الخلفاء الراشدين، أي: إن الخلفاء الراشدين هم الذين تلقوا دعوة النبي ﷺ مطبقة، ومنهاج حياة فهم ينقلون ذلك إلى من بعدهم فعلى من بعدهم أن يتبعوهم في منهجهم وفي سبيلهم الذي ساروا عليه.

من هذا القبيل أيضًا، وبه أختم الجواب عن هذا السؤال إن شاء الله تبارك وتعالى: الحديث المشهور المروي عن أكثر واحد من أصحاب النبي ﷺ، ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي ما أنا عليه والجماعة» وفي رواية أخرى: «هي ما أنا عليه وأصحابي».

إذًا: عطف على ما كان عليه الرسول ما كان عليه أصحابه، فإذًا: لا ينبغي أن نقتصر في الدعوة حينما ندعو إلى الكتاب والسنة فقط، بل علينا أيضًا أن نتبع

ذلك بقولنا: وعلى منهج السلف الصالح؛ لأن ذلك سبيل المؤمنين، وهذا هو السبيل الذي على كل المسلمين أن يسلكوه، فإذا سلكوا هذا السبيل اجتمعت الكلمة واتحدت الصفوف، ولا سبيل سوى هذا، والأمر كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِـي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

وبهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

(فتاوى جدة-أهل الحديث والأثر ١٩ أ/٣٤:٥٠:٠٠)

هل الجماعات الحالية مُكَمِّلة لبعضها

السؤال: هناك من يقول إن الجماعات الحالية على واقعنا الحالي بمناهجها الحالية أنها مكملة بعضها لبعض، وأن وجودها خير وأنه ينبغي أن نتعاون فيما بيننا، وأن الخلاف كالخلاف بين المذاهب الأربعة؟

الشيخ: هذا الكلام صحيح بضوء ما سمعتم آنفاً، لما يكون المنهج واحد والعقيدة واحدة والمرجع للكتاب والسنة، حينئذٍ يكمل بعضهم بعضاً، أما أن نقول تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك بالله شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعض أرباباً من دون الله، يقولون هذا ليس أوانه، هذا يكمل بعضه بعضاً هذا مستحيل.

أنا أقول لكم قصة لما كنت مدرساً في الجامعة الإسلامية كنا مجتمعين في دار أحد إخواننا فيهم يومئذٍ أذكره جيداً كان مدير المكتبة عمر الأشقرتذكره وفيه حسن الطفي تذكره جيداً الحلبي وناس من إخواننا الغرفة سعتها قريبة من هذه، والإخوان حضورا جميعاً، واستندوا إلى الجدران الأربعة، لما دخل علينا رجل تعرفونه جيداً، لكن ما أحب أن أسمي الأشخاص، هو رئيس جماعة من الجماعات الإسلامية، جهوري الصوت خطيب، ويدعي بأنه سلفي، وأن له كتاباً في الصلاة، دخل فما أحد منا قام له، هذه أول صدمة بالنسبة إليه، واتفق أنني كنت جالساً عند عتبة الباب، كما لو كنت هنا مكان الأخ هذا، فهو بدأ يصافح واحداً بعد واحد، وأنا أتفرس في وجهه وأرى ملامحه تتغير، فلما جاء إلي

وصافحني أخر من صافح قلت له: يا أستاذ عزيز بدون قيام هكذا يقولون في بلاد الشام، فاندفع ليقول: يا أستاذ هذه المسائل تافهة، ونحن مشغولين الآن بأمر أهم، نحن يجب أن نشتغل بالأمور الأهم، وندع هذه الأمور وهذه الأشياء كما تعرفون، يجب أن نحارب الشيوعيين والبعثيين و و إلى أخره، ولا نختلف في شيء، قلت له: يا أستاذ هذا كلام خطير، لا نختلف في شيء أنت تعلم أن المسلمين في هذا الزمان قد اختلفوا في تفسير كلمة النجاة من الخلود في النار، الكلمة الطيبة لا إله إلا الله.

فقد وجد شيخ عندنا في سوريا ألف رسالة وفسر لا إله إلا الله بمعنى لا رب إلا الله، ليس لا معبود بحق في الوجود إلا الله، لا رب إلا الله، فإذاً الاختلاف موجود حتى في العقيدة، فمعنى كلامك أنه نتوجه إلى محاربة البعثيين والشيوعيين والدهريين ونحو ذلك وندع قومنا المسلمين هؤلاء على ضلالهم يعمهون، هكذا معنى كلامك، قال: نعم يجب أن ندع كل خلاف ونتوجه إلى محاربة هؤلاء، يا شيخ تحاربهم بمن، إذا كانوا هم مشركون حقيقة موحدون لغواً، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، كيف تتمكن من محاربتهم؟ هذا رئيس جماعة من الجماعات القائمة اليوم على وجه الأرض الإسلامية.

ولذلك فالكلمة التي ذكرتها أن كل جماعة تتمم الأخرى هذا كلام صحيح وهذا الذي نقوله حينما يكونون في منهج واحد، وفي دعوة، واحدة لا يختلفون يقول: هذا حنفي، هذا شافعي، هذا حزبي، هذا تحريري، هذا ما شابه ذلك، أبداً هذا كلام على خلاف الواقع، تماماً هذا يفرق المسلمين، وواقعنا اليوم أكبر شاهد، لكن حينما يستجيب المسلمون لنا ويكونون معنا في دعوة الحق الرجوع إلى الكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح، فكما قلت آنفاً أنا رجل أشتغل

بالحديث، فلان يشتغل بالفقه، الآخر يشتغل بالتفسير، آخر يشتغل بالهندسة بالفيزياء بالكيمياء من ماذا وعلوم أخرى هي من الواجبات تبعية، فكل واحدٍ منا يكمل جهد الآخر بشرط أن نكون على كلمة سواء، هذا الشرط اليوم مفقود، والذي قلناه في الأفراد نطبقه في الجماعات تماماً، فإذا اتحدوا على منهج واحد، وتخصصت كل جماعة للقيام بواجب، فيومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

لكن هذه الدعوة هي من جملة تضليلات الجماعة لهذه الشعوب المسلمة الذي يريدون تضليل الناس عن دعوة الحق، بمعنى: أنه كل جماعة تكمل جهد الأخرى.

هذا كلام غير صحيح إذا ظلوا كما هم مستمرين متباعدين عن العمل بالكتاب والسنة، وعن الخضوع لحكم الكتاب والسنة، كيف هم يقولون: إن الاشتغال الآن بتصحيح الأحاديث وبتضعيفها، وبالقول بأنه هذه سنة وهذه بدعة، هذا كله سابق لأوانه، ما الذي يجب أن نعمل في هذا الأوان؟ هو أن نعمل لإقامة دولة الإسلام، لكن كيف تكون دولة الإسلام على العلم أم على الجهل؟ يعني أمر عجيب من المتناقضات، الأمر الذي يضطرنا أن نقول أحياناً أن كثيراً من الحزبيين ليسوا مخلصين في دعوتهم إلى الإسلام، ولو كان إسلاماً عاماً، ليسوا مخلصين لماذا ؟ لأنهم لا يهتمون بفهم الإسلام، وإذا كان الله عز وجل قد يسر لهم من يفهمهم الإسلام فيأبونه أن يكون منهم، وقد سبق في دمشق أن بعض إخواننا قدم طلباً للإخوان المسلمين أنه باسمي أنا يريد أن ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين فرفض لماذا؟ لأن هذا رجل وهابي، رجل وهابي يدعو إلى الكتاب والسنة، وتقولون عنه رجل وهابي، أنا أعرف السبب، السبب أنني إذا دخلت في جماعة الإخوان المسلمين واعتبرت منهم سيصيب الجماعة انقلاب فكري عظيم جداً وخطير بالنسبة إليهم، وهم يريدون التكتيل، أنا أعرف أن رئيساً من هؤلاء هو سلفي العقيدة في نفسه، لكنه كان إذا لقي أحد الشيوخ

الصوفيين يقبل يده، كيف هذا السياسة تقتضي ذلك.

أما نحن فلا نريد لأخي المسلم أن يخضع لخضوع، وما أحسن كلمة ابن عبد البر رحمه الله حينما قال : تقبيل اليد السجدة الصغرى.

فنحن ما نريد من إخواننا المسلمين بالعامة أن يسجدوا سجدة صغرى بطريق الخضوع هذا للرؤساء والكبراء ونحو ذلك، لهذا لا يقبلون وأنا أقول كلمة حق ولكن أكثر الناس لا يشعرون.

لا تجد في الإخوان المسلمين عالماً، لا تجد في الإخوان المسلمين عالماً لماذا؟ لأنه هذا العالم سيدعو الناس إلى دعوة الحق، ودعوة الحق تفرق الصف، وهم يريدون أن يكتلوه وأن يجمعوه، وكنا نقول ولا نزال الفرق بين دعوتنا ودعوة غيرنا دعوتنا تقوم على أساس ثقف ثم كتل، دعوة غيرنا تقوم على أساس كتل ثم ثقف ثم لا ثقافة ولا شيء بعد ذلك.

لأننا نجد مثلاً الإخوان المسلمين مضى عليهم نصف قرن من الزمان، يعيش أحدهم ولا يعرف عقيدة الجارية، عقيدة الجارية التي امتحنها رسول الله ﷺ بقوله: «أين الله؟ قالت في السماء».

اسألوا من شئتم من رؤوس هذه الجماعات أين الله؟ يقول وقد قف شعري من ما قلته، هذا السؤال لا يجوز شرعاً، الله أكبر كيف يا شيخ ما يجوز والرسول هو الذي وجه مثل هذا السؤال، وكان ذلك تعليماً منه لنا، كيف تقول أنت لا يجوز؟، طيب يا سيدي أنا أخطأت، فعلت ما فعل الرسول مع الجارية، لكني أخطأت فأريد الجواب، ما هو الجواب؟ الجواب الله في كل مكان!! هذه عقيدة اعتزال، وعقيدة الأشاعرة، التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة حقاً.

إذاً ما فائدة هذا التكتل يمضي عليه الخمسون سنة وأكثر، وهم لم يتعلمو شيئاً من الإسلام في تصحيح العقيدة على الأقل، أما العبادات أما الصلاة فهنا يصلح

بالنسبة إليهم الحديث الذي لا يصح عليكم بدين العجائز.

مداخلة: دين العجائز.

الشيخ: عجائز نعم، فهم يصلون كما وجدوا آباءهم وأجدادهم، ما يتعرفون على صفة صلاة النبي ﷺ، يحج أحدهم لا يدري.

الشيخ: يحج أحدهم لا يدري كيف يحج أأفراداً أم قراناً أم تمتعاً لماذا؟ لأنه لم يدرس حجة النبي ﷺ، ولم يدرس ما انتهى إليه الرسول عليه السلام في قوله في القصة المعروفة في السنة الصحيحة لما أمرهم بأن يتحللوا قال: «يا أيها الناس تحللوا ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة فأحلوا أيها الناس فأحلوا جميعاً» ما يفعلون هكذا اليوم لأنهم لا يعلمون.

فإذاً ما فائدة اللعلعة ورفع الصوت، والهتاف بالجهاد، وهو قائدنا وهو رسولنا، وهو وهو إلى أخره ثم لا شيء، لا تقدم في السياسية، ولا تقدم في العقيدة، ولا في العبادة ولا شيء إطلاقاً، لأنه في الواقع أن الأمر كما قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

هؤلاء والله أعلم لا يجتهدون وهم يبتغون إعلاء كلمة الله عز وجل كما جاء في حديث أبي موسى في الصحيحين لما قال رجل : «يا رسول الله الرجل منا يقاتل حمية، هل هو في سبيل الله؟ قال: لا، قال: الرجل منا يقاتل شجاعة هل هو في سبيل الله؟ قال: لا، قال الثالث والرابع، أخيراً قالوا: فمن في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وأنا أعتقد أن هؤلاء يعملون فقط للسياسة، وبالتالي وبالعبارة الصحيحة للوظيفة فقط، ليكونوا رؤوساً في الدولة، ويجلسون على الكراسي ويتحكمون في رقاب الناس، بماذا بالإسلام الذي لا مفهوم له في صدورهم، تفضل.

(الهدى والنور /٣٧١/ ٤٣: ٤٠ : ٠٠)

السلفية والتخصُّص، ورأي الشيخ في التعاون بين الجماعات الإسلامية

مداخلة: ما هو موقف الدعوة السلفية من التخصُّص؟لقد رأينا بعض الدعوات السلفية تحظى بالتعاون مع طلبة العلم من السلفيين، ممن لا يعيبون عليهم شيئاً في دينهم، لكن لأنهم يخالفون خط الدعوة في التخصص الذي ينتهجونه، والأولون يرون أن الدعوة السلفية ينبغي أن تكون شمولية، لتفي بحاجة المجتمع والعصر؟

الشيخ: نعم، التخصص أراه واجباً بلا شك، وفائدة التخصص ظاهرة جداً في العلوم الشرعية فضلاً عن العلوم الأخرى، وكثير منها قد يكون من الفروض الكفائية.

ولكن هؤلاء المتخصصون كل في مجال اختصاصه يجب أن يعملوا في دائرة عامة تجمعهم، فمثلاً: إذا كان من الواجب أن يكون في المسلمين من يتخصص في علم التاريخ، في علم الاجتماع، في الاقتصاد.. وعد ما شئت من العلوم بالأسماء المعروفة اليوم وغيرها، لكن هؤلاء المتخصصون يجب أن يكونوا على مبدأ واحد، وفكرة واحدة فيما يجب على كل منهم وجوباً عينياً، ولا يكونوا متفرقين في هذا الجانب، ولو كانوا متخصصين في تلك الجوانب.

واضح جوابي هذا؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: إذاً: نعود ونقول: ما أتصور أنا مسلماً سلفياً فاهماً لعقيدته لا يتعاون مع سلفي آخر له تخصصه ما دام أنه لا يخالفه في العقيدة التي هو يدعو الناس إليها، لكن ما أظن أن السؤال إما أنه لم يكن واضحاً أو أنا ما فهمته جيداً، فهل أنت تعني المسلمين بعامة وحينئذ يكون السؤال وجيهاً، والجواب ما سمعت، أم تعني خاصة المسلمين وهم السلفيون؟

مداخلة: لا أعني خاصة المسلمين، وللتوضيح أكثر: الخلاف خلاف حركي، يعني أنا قلت: ممن لا يعيبون شيئاً في دينهم، إذاً: هم يحترمونهم في دينهم وفي مجهودهم في العلم، لكن المسألة صارت مسألة حركية، يخشون من ظهور هذا الشخص المتخصص أن يلتف الناس حوله، فيأخذون بعلمهم، وقد يميلون معهم في التخصص العلمي في هذا الفرع من فروع الشريعة، وهذا يؤدي إلى انصراف هؤلاء الناس عن المنهج الحركي لهذه الدعوة السلفية في هذا المكان، فتكون من سياسة الدعوة أن يَقِل هذا التجمع السلفي مثلاً في هذا المكان...

الشيخ: الآن يبدو أن السؤال يدندن حول السؤال السابق؛ لأن السلفيين ليس عندهم ما يسمى بالحركية، هذه تعابير جماعات أخرى لا يدعون إلى الإسلام بالمفهوم الصحيح، وإنما إسلام عام، وبلا شك بدأ بعض السلفيين وقد تأثروا بالآخرين، فبدؤوا يتحركون ويعملون فيما يسمى بالسياسة ونحو ذلك، لكن نحن أجبنا عن هذا أنه سابق لأوانه بالنسبة للدعوة السلفية، لكن أنا أتصور أن وجود عالم، بل علماء في السلفيين، هذا أمر واجب وأن لا يترتب منه إلا الخير لمصلحة الدعوة، فيجب أن يكون منهم علماء في كل فن، وفي كل علم، وحينئذ الخشية التي تخشى على الحركة وإن كان نحن في اعتقادنا الآن ينبغي أن لا

يكـون هنـاك حركـة كحركـة الجماعـات الأخـرى، لكـن يجـب أن يكـون في الجماعات السلفية في كل بلاد الإسلام، جماعات من العلماء متخصصين في كل علم، أي: مثلاً يجب أن هناك علماء متخصصون في التفسير، دعونا نحكي في العلوم الشرعية، ويفهم بعد ذلك تبعاً التخصص في العلوم الأخرى، يجب أن يكون هناك علماء متخصصون في علم التفسير ليس في العالم الإسلامي، وإنما في العالم السلفي، العالم الإسلامي أولى وأولى، ويجب أن يكون هناك علماء متخصصون في الحديث، ليس عالم واحد أو اثنين في العالم السلفي، لا، عديد.

كذلك علماء متخصصون في الفقه، علماء متخصصون في اللغة، في.. في.. إلى آخره.

بعد ذلك يأتي التخصص في العلوم التي نحن في حاجة إليها اليوم في العصر الحاضر، والتي لا يمكن أن تقوم قائمة الدولة المسلمة والدولة المنشودة قريباً أم بعيداً، إلا وقد جمعت كل العلماء في كل الاختصاصات، فكما قلت في أول الكلام: كل هؤلاء يتعاونون في تحقيق المجتمع الإسلامي، وإيجاد الدولة المسلمة؛ فإذا كان هؤلاء يمشون في نظام الإسلام.

بقي هناك دعوى أن عرقلة الحركة هذه المزعومة، هذا أبداً لا يرد، بل يكون قوة للحركة حينما يأتي زمانها، أن يوجد فيهم علماء متخصصون في كل علم، وفي كل علم علماء، لكن الظاهر أن صورة السؤال مع الأسف الشديد أنه قد يكون هناك أفراد من العلماء يرون هؤلاء الدعاة الحركيين بزعمهم، أن هناك تكتل فعلاً حول هذا العالم، فيعرقل حركتهم.

هذا صحيح، لكن هذا جاء بسبب فقر هذه الحركة، أي: يجب أن يكون كما نقول نحن الآن بصراحة في الإخوان المسلمين أو في غيرهم، يكاد أن يمضي-

عليهم قرن من الزمان ما أوجدت هذه الدعوة عالماً منهم، ما أوجدت فيهم عالماً يشار إليه بالبنان، سواء في التفسير أو في الحديث أو في الفقه، وإن وجد فهو ملصق بهم منتسب إليهم، وليس نابعاً منهم، وهذا فرق كبير جداً، ويجب أن تتنبهوا له، ونحن حينما نناقش الإخوان المسلمين وأمثالهم، أنه ليس عندكم عقيدة موحدة، وليس عندكم دعوة سلفية.

يقول لك: لا، نحن معكم فيما يتعلق بالعقيدة مثلاً وبالصفات، وهذا صحيح بالنسبة لكثير من الأفراد منهم، لكن يجب أن نتنبه للحقيقة فنقول لهم: هذه العقيدة التي شاركتمونا فيها وهي الحق، من أين جاءتكم؟ هل نبعت من دعوتكم؟ هل هي من بركة منهاجكم في الدعوة؟ أم هذه أخذتموها من غيركم؟

إذاً: لا فضل لكم في هذا، الفضل لغيركم الذين أوصلوكم إلى أن تفهموا هذه العقيدة، وتكونوا معهم فيها، وعليهم في غيرها، وبذلك تفرق المسلمون، ولذلك الحقيقة أقول: إذا كان هناك جماعة من إخواننا السلفيين يخشون من أن يكون هناك عالم يتكتل الناس حوله، فلا يريدون أن يتعاونوا معه؛ لأنهم يتكتلون؛ لأن هذا ينافي حركتهم، فهذا في الواقع نذير شر؛ لأنهم لا يريدون أن يكون بينهم علماء، وهذا واقع الأحزاب الأخرى، الأحزاب الأخرى لا توجد فيهم علماء لهذه المشكلة نفسها.

فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا، وأن يوفقنا لكل خير.

مداخلة: يا شيخ توضيح بالنسبة لهذا السؤال، هو بصراحة يوجد في مصر بعض الإخوة الدعاة السلفيين الذين عندهم حظ من العلم في كثير من العلوم الشرعية، مثلاً في العقيدة عندهم قسم، وفي التفسير، وفي اللغة، وفي كذا.. ولكن لم يتخصص تخصصاً ويبرع مثلاً الواحد منهم في علم من العلوم ويظهر

في ذلك، وهناك بعض الإخوة بدلاً من أن يتخصص في الحديث أو في كذا.. كذا، كما لعلكم تعرفون ذلك، فيحصل الذي حدث والذي رأيناه وسمعنا عنه، وأن بعض هؤلاء الإخوة المتخصصون عابوا على غير المتخصصين، وحصل كذلك العكس.

فبعضهم يقول أن هذا التخصص ينعاب عليهم، ليس على التخصص في ذاته، وإنما على عدم الدعوة العامة والشمولية للناس، وإنما حصر هذا الأخ الذي أراد التخصص في عدد معين من الطلبة للدراسة أو للتدريس، وهؤلاء الذين تخصصوا وعابوا على الآخرين عدم اهتمامهم بالتخصص، وحصلت هنا النفرة الخفية...

الشيخ: الله المستعان.

أنا أظن أجبت عن هذا.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: يجب أن يكون هناك تخصص..

مداخلة: لكن التعاون بينهم..

الشيخ: أنا قلت هذا: يجب أن يكونوا في دائرة واحدة يتعاونون، وأنا أقول الآن شيء آخر وهو: يجب أن لا يكون هناك تخصص؛ لأنه كل جانب من هذه الجوانب التخصص، وإذا صح التعبير اللا تخصص ينفع المجتمع الإسلامي، هذا غير المتخصص قد يمد المتخصص بشيء هو جاهل به، وهذا المتخصص من باب أولى يمد ذاك غير المتخصص بما يجهله، لكن الشرط الأساسي هو التعاون.

أنا قلت في زماني ولا أزال أقول: يجب على كل الجماعات الإسلامية على ما بينها من اختلاف في المنهج وأساليب الدعوة، أن يعملوا جميعاً لمصلحة الإسلام، وأن يتعاونوا جميعاً كل في حدود اختصاصه.

مثلاً: الإخوان المسلمون يدعون إلى إسلام عام، ليس هناك مانع، نحن نستغل هذه الفرصة، وندعو إلى إسلام خاص بالمفهوم الصحيح.

جماعة التبليغ مثلاً يريدون الاهتمام بنصح الناس وتذكيرهم وإيقاظهم.. بلا شك شيء طيب، آثارهم هذه الطيبة هي التي ورطتهم وشغلتهم عن ما هو الأهم من العلم والعقيدة والكتاب والسنة.. إلى آخره؛ لأنهم يقولون: كم وكم من أناس كانوا منحرفين، لا يصلون، لا كذا.. إلى آخره، وببركة الخروج في سبيل الله كما يقولون صاروا جماعات كثيرة صالحين ويصلون، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، ويجب الاعتراف بها، ولكن لو اقترن مع هذا النشاط من نفس الجماعة نشاط علمي حريص على فهم الكتاب والسنة مع دعوة الناس ونصحهم وإرشادهم، إن ما كانوا هم فيفسحون المجال لغيرهم كما قلت أنت آنفاً.

فأنا أقول: الجماعات الإسلامية إذا كانوا مخلصين فعلاً، هم يمثلون، كل جماعة تمثل اختصاصاً من الاختصاصات، أعرف قديماً في زماني كان يوجد في مصر، ما أدري لعلها موجودة أو لا، جمعية الشبان المسلمين، هل ما زالت موجودة حتى الآن؟

مداخلة: لا، لها الاسم موجود، ولكن...

الشيخ: المهم هؤلاء كان همهم الرياضة، تمرين الشباب على الرياضة، وكرة القدم وكرة السلة.. إلى آخره، أنا أعتقد أن هذا شيء طيب وهذا شيء لا بد منه، لكن ليس على أساس تكتل رياضي يحارب التكتل الفكري والعقائدي، وإنما

على أن هذا يكمل هذا، مثلاً: جماعة الشبان المسلمين إذا أراد شاب سلفي أنه يتمرن أحسن من أن يتمرن مع جماعة من الكافرين، يتمرن مع إخوانه المسلمين وهؤلاء نفس هؤلاء الشباب الرياضيين، أحسن من أن يتلقى العلوم من صوفي، من خلفي.. إلى آخره، يتلقى العلم من سلفي.. وهكذا.

فلا بد أن نعطي للجماعات حكم الأفراد، كما أن كل فرد من أفراد المسلمين يجب أن يتعاون مع أخيه على الخير، كل في حدود إمكانياته، كذلك الجماعات الإسلامية، كل جماعة تمثل طائفة من هؤلاء الأفراد المسلمين، يجب أن يتعاونوا جميعاً، فإذا كانوا كذلك أنا لا أعد هذا تفرقاً في الدين، لكن الواقع مع الأسف الشديد ليس كذلك الأمر؛ لأنه يتدخل في الموضوع التحزب الجاهلي، فهؤلاء يتحزبون لهؤلاء، فتقع الفرقة، وحينئذ يأتي نهي رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

(الهدى والنور/٢٨١/ ٢١ : ١٧ : ٠٠)

حكم اجتماع الجماعات والتلاقي بينها

الشيخ: أما التعليق على دعوة الحق التي جاءت في كلام الأخ: أبو أنس من دعوة الأحزاب أو الجماعات الإسلامية إلى الاجتماع والتلاقي، فهذا كما يقال: أمر لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان ولا أن ينتطح فيه عنزان أو كبشان، لكن الأمر المهم بهذه المناسبة أن تذكر الرابطة الجامعة التي يجب أن يخضع لها جميع الجماعات والأحزاب الإسلامية، وذلك الانقطاع لمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩] فمن الواجب حينما ندعو إلى الاتحاد وإلى نبذ الافتراق والشقاق أن نقيد ذلك بأن نتلاقى جميعاً على منهج واحد لا اختلاف فيه ألا وهو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الذين.. الكتاب والسنة ربط رسولنا صلوات الله وسلامه بهما سعادة الدنيا والآخرة، والاهتداء إلى ما في ذلك من الحياة للأمة الإسلامية في الحديث المعروف ألا وهو قوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» هذا ما أردت أن أبينه بمناسبة الخطبة التي سمعتموها، ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بها جميعاً.

(الهدى والنور / ١٤ / ٢٩ : ٨. : ..)

هل هناك مانع من التعاون مع الأحزاب السياسية؟

مداخلة: طيب. السؤال الخامس يقول: هل دعوة هذه الأحزاب للقاء والتعاون ونبذ الخصومات مجدي في نظركم الآن؟ وقد تفرز هذه الدعوة تجمعاً جديداً من صالح الجماعات الذين يرون تحزب جماعاتهم، فما رأيكم بارك الله فيكم في هذا الباب؟.

الشيخ: نحن ما نمتنع أبداً عن أن نمد يدنا إلى كل من يدعونا إلى التفاهم والتعاون لكن بالشرط الأساسي الذي نحن ندين الله به: على الكتاب والسنة، فكل من دعانا إلى ذلك فنحن نستجيب ونتعاون ولا نخشى بعد ذلك أن توجد كتلة جديدة هي مثل سابقاتها من الانحراف قليلاً أو كثيراً عن الكتاب والسنة، وهذه ظاهرة بدت الآن مع الأسف بالنسبة لبعض إخواننا الذين كانوا ولا يزالون يدندنون حول الدعوة إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ولكنهم بدؤوا منذ أمد قريب يعملون في المجال السياسي وبذلك سيضعف نشاطهم في الدعوة للمسلمين بعامة إلى أن يتعرفوا على إسلامهم على ضوء الكتاب والسنة.

بالاختصار: لا نمتنع أن نتعاون بشرط على أساس الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح. نعم.

(الهدى والنور / ٣٢٠ / ٥٧: ٣٠ : ٠٠)

الفصل من الجماعات

السائل: إن بعض الجماعات الإسلامية التي تتخذ منهجها منهج السلف، قد يكون بعض المنتمين إليها قد أخطأ ووقع في خلاف فقهي أو في تقديم الدعوة وبعد ذلك فُصِّل لاختلافه مع أميرهم أو رئيسهم، فهل هذا الفصل يبعده عن أصله في منهجه ؟

الشيخ: أما ما أسمعه الآن في هذا السؤال من أن يُفصَل المسلم عن الجماعة والجماعة السلفية لمجرد أنه أخطأ في مسألة أو في أخرى فما أرى هذا إلاّ من عدوى الأحزاب الأخرى.

هذا الفصل هو من نظام بعض الأحزاب الإسلامية التي لا تتبنّى المنهج السلفي منهجًا في الفقه والفهم للإسلام، وإنما هو حزبٌ يغلب عليه ما يغلب على الأحزاب الأخرى من التكتّل فالتجمع على أساس دولة مصغرة من خرج عن طاعة رئيسها أُنذِر أولاً وثانيًا وثالثًا ربما ثم حُكم بفصلهِ، مثل هذا لا يجوز أن يتبناه جماعة ينتمون بحقٍ إلى كتاب الله وإلى حديث رسول الله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح.

فنحن نعلم جميعًا أنَّ سلفنا الصالح وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ قد كانوا مختلفين في بعض المسائل، ولم يكن مثل هذا الاختلاف أولاً سببًا لإيجاد شيء من الفرقة بينهم، خلافًا لاختلاف الخلف فقد صاروا بسبب اختلافهم مذاهب شتى وطرائق قددا، حتى لم يَعُد الكثيرون منهم يرون جواز الصلاة وراء من

خالفهم في مذهبهم، بل صار ذلك فرعًا فقهيًا، نصوا عليه في كتبهم، فقالوا في متونها أو في متون هذا الفقه: «ولا يجوز الصلاة وراء المخالف للمذهب»؛ هذا النص موجود في المذهب الحنفي وفي المذهب الشافعي، وفي الشرح نرى -أو الحواشي كما يقولون- نرى العجب العُجاب من التفاصيل التي لا يعرفها السلف الأول أولاً، ثم لا يتعرف عليها السلفيون ثانيًا، لأن الله -عز وجل- أغناهم عن أن يقعوا في مثلها بمعرفتهم التي أشرتُ إليها آنفًا أن الصحابة كانوا مختلفين في بعض المسائل ومع ذلك كانوا يصلون وراء إمام واحد، بينما الخلف نجد آثارهم في محاريبهم حتى اليوم؛ فنجد في المسجد الكبير أربعة محاريب؛ المحراب الأول للحنابلة، والثاني للشافعية، والثالث -وهو يكون في الوسط- للحنفية، والأخير إلى الشرق المحراب للمالكية؛ لأنهم أقل عددًا في تلك البلاد، فكان يؤم الناس في المسجد الكبير الإمام الحنفي إلى عهد قريب إلى عهد استعمار فرنسا للبلاد السورية، ذلك ميراث ورِثه الناس في سوريا من العهد العثماني؛ لأن العثمانيين كلهم كانوا حنفيين، فلما احتلت فرنسا سوريا ثم أقامت رئيسًا للجمهورية هو المسمّى بتاج الدين الحسيني؛ الذي هو من أولاد بدر الدين الحسيني؛ الذي كانوا يقولون في زمانه: (إنه محدث الديار الشامية) ولستُ الآن في هذا الصدد، المهم أنّ هذا الشيخ تاج الدين بن بدر الدين كان رئيس جمهورية وعلى رأسه عمامة بيضاء على [طربوش] لأنه هكذا عاش، وكان ذلك طبعًا من السياسة الفرنسية لإقرار الهدوء في البلاد المستعمرة من قبلهم، فرأوا أن ينصبوا رئيس جمهورية على المسلمين شيخًا ذو عمامة.

هذا الرجل كان شافعيًا فغير نظام الصلاة فجعل الإمام الشافعي يصلي قبل الإمام الحنفي، هذا من آثار التعصب المذهبي والبحث هنا طويل الذيل، وإنما حسبي الآن الإشارة السريعة، أما سلفنا الصالح فقد كانوا يدًا واحدةً وكتلةً واحدةً، يصلّون وراء إمامٍ واحد مهما كان هذا الإمام مخطئًا في رأيه، لقد وجد

فيهم من قال بأكثر من الخلاف الذي لا يزال قائمًا بين الحنفية والشافعية مثلاً، فالحنفي يرى أن خروج الدم من أي مكان من البدن بمقدار الأَلِف؛ جاوز مقدار الأَلِف فقد انتقض وضوؤه، بينما الشافعية يرون أنه لا ينقض الوضوء، لكن وُجِد في السلف من يرى ما يراه جمهور الصحابة وعليه إجماع الأمة فيما بعد أن الرجل إذا جامع أهله ولم ينزل لا يجب عليه الغسل؛ رأى هذا بعض الصحابة الكبار خلافًا للجمهور من الصحابة الذين يقولون بما قاله الرسول عليه السلام: «إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل أنزل أم لم ينزل»، هذا الحديث كان ناسخًا لقوله عليه السلام: «إنما الماء من الماء» فبعض الصحابة بلغهم هذا الحديث الثاني: «إنما الماء من الماء» فكان يفتي أن الرجل الذي يجامع زوجته ولم ينزل فما عليه إلا الوضوء أما الغسل فليس واجبًا عليه، لكن الصحابة قد بلغهم الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام: «إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل أنزل أم لم ينزل»، ومع ذلك فكنتَ ترى هؤلاء يصلون وراء ذاك الذي يقول: «لا غسل عليه»، هذا يشبه كثيرًا من الاختلافات الموجودة بين المذاهب حتى اليوم، لكننا نرى الفرق الكبير بين الخلاف السلفي والخلاف الخلفي، الخلاف السلفي كان اجتهادًا وكان فكريًّا ولكنه لم يكن بدنيًّا؛ لم يكن يفرقهم، ولذلك كانوا يصلون وراء إمام واحد، لذلك جاء في كتب العقائد السليمة أن من عقائد السلف التي توارثها الخلف: «الصلاة وراء كلّ برٍ وفاجر » كما أنه تجب الصلاة على كل برٍّ وفاجر، فنحن الآن نقولُ بأن بعض الصحابة كان يخالف الخليفة في رأيه وفي اجتهاده ومع ذلك هل فُضِل عن جماعة المسلمين؟ حاشا لله رب العالمين.

مثاله: لقد كان عمر -رضي الله عنه- يجتهد في بعض المسائل فيصيب في غالبها ويخطئ في أقلّها، من هذا القليل أنه نهى المسلمين أن يجمعوا بين العمرة والحج وأمرهم بأن يُفردوا الحج مع أن النبي ﷺ قد أقرَّ ضم أو الجمع بين الحج

والعمرة على طريقتين اثنتين: الطريقة الأولى: هو القِران، لكن إنما أقرَّه -عليه السلام- لمن كان قد ساقَ الهديَ من الحِلّ، أما من لم يسق الهدي من الحِلّ فقد أمرهُ بالفسخ، هذا نوع من التمتّع أن يقرن بين الحج والعمرة مع سوق الهدي هذا تمتّع، والتمتع الآخر والأعمّ والأشمل معنًى ورفعًا للحرج؛ هو تقديم العمرة بين يدي الحج وهذا النوع هو الذي انتهى إليه الرسول عليه السلام في تبليغه الناس في حجة الوداع كما هو معلوم من قوله عليه السلام المشهور: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سُقت الهدي ولجعلتها عمرة فأحلوا أيها الناس» قال جابر: «فأحلّ الناس وسطعت المجامر وأتوا النساء»، هذا الذي قاله الرسول عليه السلام في حجّة الوداع، وهي الحجة الوحيدة التي جاء بها الرسول عليه السلام بعد نزول الوحي عليه وصرح بهذا الحكم الصريح المبين، مع ذلك كان عمر -رضي الله عنه- يرى حرصًا منه على إكثار الأقدامِ، وتكثير الأسفار إلى بيت الله الحرام، كان يرى الفصل بين العمرة والحج بسفرتين لكي تتكرر زيارة الناس إلى المسجد، وفي ذلك ولا شك مصلحة دينية للأمة الإسلامية يومئذٍ، أنا لا يهمني الآن أن أقول هل هذا الاجتهاد منه صوابٌ أم خطأٌ مثل اجتهاده في جعل الطلاق بلفظ الثلاث في مجلس واحد ثلاثًا، هل هذه السياسة الشرعية صحيحة أم لا؟ ما يهمنا ذلك؛ لأن السياسة الشرعية قد تكون زمنية آنيّة؛ إما في زمن واحد ومكان واحد، أو في زمن واحد وأمكنة أخرى ثم تزول هذه السياسة بزوال المقتضي لها، لا يهمّني هذا، لكن يهمني هل يصحّ أن تُتّخَذ سياسة عمر في كل من المسألتين شريعة يستمرّ عليها المسلمون إلى يوم القيامة وتنعكس الشريعة، فيقال أن الطلاق بلفظ الثلاث هو طلقة واحدة، مع العلم أن النبي ﷺ رُفع إلى الرفيق الأعلى وهذا الطلاق يعتبر طلقة واحدة، لا يمكن أن يقول مسلم بهذا الحكم المخالف للشرع، حسبه أن يقول إنّه اجتهاد من عمر أصاب في هذا الاجتهاد في زمنه، أما فيما بعد فلا يجوز اللجأ إليه.

الشاهد أنه منع من التمتع في العمرة إلى الحج مع أنه صريح القرآن: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦] إلى آخر الآيه، ثم مات عمر -رضي الله عنه- على هذه السياسة التي رآها، وإن كان قد رُوي عنه روايه «لو كان الدين بالهوى» لتمنينا أن تكون هذه الرواية صحيحة، فإنها تقول بأنَّ عمر تمنى ثلاثة أشياء: «أن يكون سأل رسول الله عن الكلالة، وأن يكون رجع عن قوله في الطلاق الثلاث بأنه ثلاث، وعن نهي الناس عن التمتع بالعمرة إلى الحج» رواية ضعيفة نأمل أن تكون صحيحة في واقعها، لكن هذا ما لا نستطيع الجزم به وبخاصة أن عثمان -رضي الله عنه- ورث هذه السياسة من سلفه والخليفة الثاني عمر بن الخطاب، جاء في صحيح مسلم أن عليًا -رضي الله عنه- جاء إلى عثمان وقد بلغهُ أنّه ينهى الناس عن التمتع، قال: «مالك وللناس تنهاهم عن التمتع وقد فعلناه في عهد رسول الله ﷺ لبيك اللهم بعمرة» جابهه مجابهه وهو خليفة وهو تابع له ومبايع له، هل حكم عثمان -رضي الله عنه- على هذا الصحابي بفصله؟ ليس لأنه خالفه بل وواجهه بتخطئته إياه؛ أنت تنهى الناس عن الاعتمار في أشهر الحج، عن الجمع بين الحج والعمرة، فأنا أقول: لبيك اللهم بحجةٍ وعمرة، ما فصله؛ لأن هذا الفصل خطير جدًا يشبه: «أن من خرج عن الجماعة مات ميتة جاهلية» وهذا من شؤم تبنّي السياسة لبعض الأحزاب بأنها تشبه السياسة الكبرى ويرتبون عليها أحكامًا كأنها أحكام السياسة الكبرى والإمامة الكبرى، يُوجبون المبايعة ثم يرتبون عليها وجوب الوفاء بها، ثم يرتبون عليها فصل من لم يفِ بشيء منها، هذا ابتداع في الدين ما أنزل الله به من سلطان والحمد لله رب العالمين.

(فتاوى جدة- أهل الحديث والأثر ٣٢ /٢٦: ٥٨: ٠١).

رأي الشيخ في الجماعات الإسلامية

السائل: يقال، فضيلة الشيخ، إن الشيخ ناصر الدين الألباني يرفض أن يتعاون مع الجماعات الإسلامية كلها إلا إذا انصاعت لمعتقداته الكلامية والفقهية. فما مدى صحة هذا القول؟

الشيخ: أبدأ فأقول: إن هذا الكلام زور وبهتان. فقد سبق أن سجلنا ثلاثة أشرطة في عمان، على ثلاث ساعات، وضحت فيها هذا الأمر بصراحة.. وكان مما قلته: إنني أؤيد قيام الجماعات الإسلامية، وأؤيد تخصيص كل جماعة منها بدور اختصاصي سواءً أكان سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً... أو نحو ذلك... ولكني اشترطت أن تكون دائرة الإسلام هي التي تجمع هذه الجماعات كلها.

وذكرت أننا نحن-معشر السلفيين- لا نعمل إلا في سبيل أهم ما نزل به كتاب الله عز وجل، وبعث من أجله رسله، ألا وهو التوحيد، وتوضيحه للناس بما يجعله خالصاً من كل شرك، ومنيعاً أمام كل وثنية. ودعوت إلى أن تحل الجماعات الإسلامية خصوماتها وخلافاتها بالعودة إلى كتاب الله، وإلى حديث رسول الله ﷺ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾. فنحن لا ندعو الجماعات إلى اتباعنا في آرائنا واجتهاداتنا التي قد يكون فيها أكثر من قول ولكننا ندعوهم إلى أمر التوحيد وهو أمر لا يختلف فيه مسلمان... فكيف يكون فيه خلاف بين جماعتين أو أكثر؟!! هذا هو المرفوض...

أعود ثانية فأدعو المسلمين جميعاً إلى أن يرجعوا إلى دينهم الصحيح وإلى الاعتماد في ذلك على الكتاب أولاً وعلى السنة الصحيحة ثانياً... وأصر على هذه الدعوة.. ولن نتراجع عنها مهما كانت الادعاءات والافتراءات.. أقول هذا وأنا أتذكر السنوات الطوال التي عشتها في سورية كان يحضر دروسي خلالها أعضاء من الإخوان، ومن حزب التحرير، ومن جماعة التبليغ، ومن المذهبيين... وفي هؤلاء من يصرح بتتلمذه علي، ويقر بالفضل... فكيف نُتَّهمُ بعد ذلك بمحاربة الجماعات الإسلامية؟!

كل ما نخالف به تلك الجماعات إنما هو الخروج على الكتاب والسنة في تربية أعضاء تلك الجماعات. وفي غير ذلك من القضايا التي اُختُلِف فيها قديماً وحديثاً لا نختلف معهم، ولا ننقدهم فهم أحرار في ذلك، فالأمر كما قال تبارك وتعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾. فالعدل العدل... أيها الناقدون... ومراعاة الله وحقه وحق رسوله إن كنتم مؤمنين!

-كثيراً ما نسمع بالتدرج في عرض الشريعة.. وما شابه ذلك من أفكار يتبناها بعض الجماعات الإسلامية...

فما هو هذا التدرج؟

وأين يكون؛ هل في الأحكام مثلاً؟ أو في طريقة عرض الأحكام؟

الجواب: لقد وصلنا الإسلام كاملاً متكاملاً، ولا يجوز تطبيق بعضه وإهمال بعضه الآخر، أو اختيار ما يناسب الظروف وإهمال مالا يناسب مع إمكان التطبيق... فإن الإسلام الذي بين أيدينا اليوم يختلف عن الإسلام قبل أن ينزل قوله تبارك وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. الإسلام كما هو بين أيدينا كامل لا نقص فيه أحكاماً

وتطبيقاً، فكل ما فيه لا يناقض العقل ولا يستحيل تطبيقه ولكنه يتأتي وفق القاعدة التي تلخصها الآية: ﴿اتقوا الله ما استطعتم﴾... فالأصل إذاً العمل بالشريعة وتطبيقها كاملة قدر المستطاع.. وهذا ما نص عليه حديث رسول الله ﷺ: « ما أمرتكم من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ».

فإن قال قائل: إن ظروف الإنسان وأحواله قد تحول دون التطبيق الكامل... فنقول: نعم هذا وارد، ولكن على الإنسان أن يطبق ما يمكن تطبيقه، وما يستطيع وفق أحواله وظروفه... ولكن أن يتدرج ويختار ما يريد، ويهمل ما يمكن باسم التدرج أو لأسباب أخرى.. فهذا هو المرفوض...

المطلوب تطبيق ما يستطاع تطبيقه وإهمال فكرة التدرج.

-فضيلة **الشيخ:** هل ينطبق هذا أيضاً على دعوة الأفراد؛ بمعنى أن شخصاً أمضى شهراً وهو يصلي... أأدعوه مباشرة إلى إطلاق لحيته وتقصير إزاره؟

الجواب: لا تقدم العقيدة إلا كاملة. ولكن يحسن التفريق بين الفكرة في العقيدة وتطبيق هذا الفكر... فالتطبيق يجب أن يكون على حسب الإمكان والمستطاع لا على حسب الاختيار والأنسب... أما مثل هذا الإنسان الذي بدأ بالصلاة أول أمره فيؤمر بالتزام العقيدة أولاً، ثم يستحسن التعامل معه على مثل قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾.

فلابد من إبلاغ مثل هذا الإنسان بما يجب أن يكون عليه المسلم الصحيح من التزام اللحية وإعفائها ولكن دون ضغط عليه أو وعيد أو إلحاح في التنبيه وإلا كان المبلغ الداعية من المنفرين... ولأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع أن ينقلب من وضع سيء كان عليه إلى وضع ممتاز وُجِّه إليه بخطوة واحدة سريعة...

ولابد من مراعاة وضع الشخص أو الجماعة ممن يبدأ بتطبيق الشريعة

والالتزام بها، ومعرفة مدى استعداد كلٍ للعمل بكل ما سيعرفه من أحكام فيلفت نظره إليه مرة بعد مرة على نحو ما جاء في حديث ابن مسعود من أنه كان يتخول الناس بالموعظة، أي أنه لم يكن يلح عليهم.

أما ما يدعيه بعضهم من ضرورة الرفق بالحديثي عهد بالإسلام أو بمن يتوجهون نحو التمسك بالشريعة وذلك بعدم تحديثهم بالأحكام القاسية كتحريم الموسيقا... بل باستعارة أقوال بعض الصحابة المتقدمين التي تبيح ذلك ثم إسماعهم أخبار التحريم وغير ذلك مما سيفصلهم عن تاريخهم الماجن اللاهي العابث... فهذا أمر يهدم الإسلام ويقضي عليه باسم الإسلام لأنه يفتح باب الخلافات واسعاً وبخاصة إذا ما أخذنا بعين التقدير اتساع مساحة العالم الإسلامي اليوم وتوافر أعداد كبيرة من الأعداء والخصوم، والخمرة، كمثال، فرق فيها بعض العلماء القدامى بين خمر العنب وخمر غيره، وقالوا بتحريم الأولى، وما يسكر من الثانية، وأباحوا القليل الذي لا يسكر... وهذا موضع شائك، والبحث فيه طويل، ولكني أقول إن الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسول الله تظهر هذا القول مخالفاً لها، وفي أولها آيات تحريم الخمرة، وقول الرسول ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام».

فلو تدرجنا مع شارب الخمرة، وسمحنا له، وهو المسلم الحديث عهد بالإسلام، باحتساء هذا القليل الإسكار، أو ما لا يسكر لكنه خمر، لخالفنا الإسلام وأوقعنا غيرنا في هذه المخالفة.. وفتحنا باب التحليل لما حرم الله أمام الآخرين من ضعاف الدين...

لهذا نرفض أسلوب التدرج من جديد، وندعو إلى تقديم الإسلام كما هو... ونطالب بتطبيق ما يستطاع تطبيقه على نحو ما أسلفنا.

-شيخنا... تعقيباً على قضية التدرج، نذكر ما طلبه الرسول ﷺ من معاذ بن جبل، رضي الله عنه، حين أرسله إلى اليمن، من أن يخبر أهل اليمن بأنهم أهل كتاب؛ وعليهم أن يعملوا بالتوحيد، ثم بإقامة الصلاة، ثم بإيتاء الزكاة، واجتناب طيبات أموالهم... على نحو من التدرج... فهل هذا نوع من التدرج في الحكم... أو هو شيء غير ذلك؟

الجواب: إن إجابتي عن السؤالين السابقين توحيان بأنني فهمت من التدرج الذي سئلت عنه الاختيار من الشريعة، وتقديم حكم على حكم، أو قضية على قضية... فهذا مرفوض إذ لابد من تقديم الإسلام كلاً متكاملاً.

أما التدرج بعرض الأهم فالأهم لا في عرض الإسلام فهذا مطلوب على النحو الذي نفهمه من حديث معاذ بن جبل الذي ذكرته في السؤال. فالتدرج هنا مطلوب ومفروض، إذ لابد من تقديم الأهم فالأقل أهمية لأنك لا تستطيع أن تطبق أو تطلب العلم كله « لأن العلم إن طلبته كثير والعمر قصير عن تحصيله فقدم منه الأهم فالأهم » كما قال بعضهم... وعلى سبيل المثال، نقول: لو أردت أن تدعو غير مسلم إلى الإسلام، فهل تدعوه مباشرةً إلى الإسلام كفكر متكامل، أو تطلب منه أن ينزع أولاً خاتم الذهب من إصبعه؟!

الجواب واضح... الإسلام أولاً... ثم الجزئيات الأخرى التي لا بد من الدعوة إليها في المستقبل بعد أن يقتنع حديث العهد بالإسلام...

والذي لا يصلي من المسلمين... هل ننبهه إلى خطر ترك الصلاة أو نطالبه بإعفاء اللحية؟!... هذا هو التدرج المطلوب... أما غيره فمرفوض على نحو ما وضحت قبل قليل.

«حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه»(١/ ٣٩١-٤٠٠)

رأي الألباني في كتاب الجماعات الإسلامية لسليم الهلالي حفظه اله

مداخلة: يقول: يوجد في كتاب الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة لسليم الهلالي؟

الشيخ: نعم، الكتاب قد كنت استطلعته فوجدته شاباً ناشئاً على الخط السلفي لكن معلوماته ليست قوية، ففيه بعض الأوهام، لكن كأمور أساسية لم أجد فيه خلاف.

(الهدى والنور / ١٠٠ / ٥٧ : ٨. : ..)

الفهرس

التسمي بالسلفية ٥

هل نستطيع أن نستغني عن التسمي بالسلفية ونتسمى بأهل السنة والجماعة؟............٦

التسمي بالسلفية...٨

أيهما أولى استعمالا: لفظ أهل السنة أم لفظ السلف..............................١٥

التسمي بالسلفية...١٨

باب منه ٢٤

باب منه ٢٧

باب منه ٣٣

تهم وشبهات التسمي بالسلفية تفريق للأمة.......................................٤٠

تهم وشبهات التسمي بالسلفية بدعة..٤٧

تهم وشبهات التسمي بالسلفية تزكية للنفس فلا تجوز..............................٥١

ضعف المسلمين والحل للخروج منه ٥٨

المستقبل للإسلام ٥٩

حض الإسلام على استثمار الأرض وزرعها ٦٢

التكالب على الدنيا يورث الذل ٦٣

الانشغال بالدنيا عن الدين سبب الهلاك ٦٥

العودة إلى الدين هي الطريق للخلافة الإسلامية........ ٦٦

باب منه ٦٨

سبب ضعف المسلمين ٦٩

الحل للخروج من ضعف المسلمين وإقامة دولة الإسلام........ ٧٤

أسباب الوهن وسبيل النهوض بالأمة ٨٤

الطريق الرشيد نحو بناء الكيان الإسلامي ١٠٤

السبيل إلى تغيير واقع الأمة السيء........ ١١٨

بماذا تبرأ ذمة المسلم الذي لا يستطيع أن يغير واقعه........ ١٢٦

وسائل النهوض بالعالم الإسلامي ١٣٠

حول حديث (يوشك أن تداعى عليكم الأمم)........ ١٤٨

متى الوصول ١٥٤

نصيحة..حول متى الوصول ١٥٥

تهم وشبهات حول الدعوة السلفية والرد عليها **١٦١**

اتهام السلفية بأنها دعوة تفريق ١٦٢

اتهام التسمي بالسلفية تفريق للأمة ١٦٣

باب منه ١٧٠

باب منه ١٧٦

اتهام تطبيق السنن يسبب الفرقة........................ ١٧٨

شبهة الوقت ليس وقت اختلاف، بل توحد لمحاربة الشيوعيين والعلمانيين.......... ١٨٣

تهم وشبهات.. الدعوة إلى العقيدة تفريق للناس ١٨٧

التفريق ليس مذمومًا لذاته ١٩٠

السلفية والوهابية ١٩١

الوهابية! ١٩٢

باب منه ٢٠٠

باب منه ٢٠٤

اتهام السلفيين بأنهم لا يعتنون إلا بالقشور ٢٠٩

اتهام السلفيين بأنهم لا يعتنون إلا بالقشور وأنهم نسوا المعركة الكبرى مع أعداء الإسلام ٢١٠

باب منه ٢١٣

باب منه ٢٢٢

القشر واللب ٢٢٦

تهم السلفيون لا يقدمون حلولاً لمشاكل الأمة ٢٣٢

هل في الإسلام قشور؟ ٢٣٩

اتهام السلفيين بأنهم لا يهتمون إلا بالعقيدة والعلم ٢٤٠

تهم وشبهات السلفيون يعطون العقيدة أكثر من حجمها.......................... ٢٤١

تهم وشبهات الدعوة السلفية تعتني بالجانب العلمي وتتحزب له ويصحب ذلك ضعف في التعبد.. ٢٤٩

تهم وشبهات: السلفيون لا يهتمون إلا بالعقيدة ٢٥٤

شبهة أن الدعوة السلفية طريقها طويل لا ينتهي ٢٥٩

تهم وشبهات ماذا فعل منهجكم؟ ومتى الوصول؟.............................. ٢٦٠

تهم وشبهات الطريق السلفي لإقامة دولة إسلامية طويل يحتاج إلى سنوات بل قرون٢٦٨

دفع شبهات عن الدعوة السلفية أنهم سلكوا الطريق الخاطئ وأضاعوا الوقت فيما لا فائدة فيه.. ٢٨٧

اتهام السلفيين بأنهم غير منظمين ٣٠١

الرد على اتهام السلفيين بأنهم غير منظمين ٣٠٢

باب منه ٣٠٤

اتهام الدعوة السلفية بأنها دعوة رجعية ٣٠٩

اتهام الدعوة السلفية دعوة رجعية ٣١٠

اتهام الدعوة السلفية بالتشديد على الناس ٣١٤

اتهام السلفية والتشديد على الناس ٣١٥

من هم السلف؟ ٣٢٦

اتهام الدعوة السلفية بعدم تقدير الأئمة الأربعة ٣٣٠

تُهم وشبهات السلفيون لا يقدرون الأئمة الأربعة ومذاهبهم ٣٣١

تهم وشبهات السلفيون يلزمون الأئمة بأقوال هم يفتون بخلافها ٣٣٨

تهم وشبهات السلفيون وعلى رأسهم الألباني ينكرون المذاهب الأربعة ٣٤٤

اتهام الدعوة السلفية بالتعصب والجمود ٣٤٦

تهم وصف السلفيين بالجمود ٣٤٧

هل في المنهج السلفي تعصب؟ ٣٥٠

هل السلفيون ظاهريون؟ ٣٥١

اتهام الدعوة السلفية بعدم الاهتمام بالحاكمية ٣٥٢

اتهام السلفية لا تعتني بالحاكمية ٣٥٣

شبهة ما فائدة الإصلاح مادام أن المهدي سيظهر في النهاية ٣٥٦

شبهة ما فائدة الإصلاح ما دام المهدي سيخرج في النهاية ٣٥٧

نظرات في كتب عبد الرزاق الشايجي ٣٦٦

نظرات في كتب عبد الرزاق الشايجي ٣٦٧

رأي العلامة الألباني في تعدد الجماعات والتعاون فيما بينها كثرة الأحزاب في الساحة . ٣٧٣

حكم تعدد الجماعات الإسلامية ٣٨٠

باب منه ٣٨٢

باب منه ٣٨٦

باب منه ٤١٣

لا فرق ولا أحزاب في الإسلام ٤٢٣

هل الجماعات الإسلامية هي الطريق الوحيد لعودة الإسلام؟ ٤٢٥

الفرق والجماعات الموجودة في الساحة ٤٢٧

هل الجماعات الإسلامية تعد من الفرق؟ ٤٣٦

نصيحة لمن ينتمي إلى الجماعات المعاصرة ٤٣٨

الطريق إلى توحيد الكلمة بين الجماعات الإسلامية ٤٤١

التعاون بين الجماعات ٤٤٥

اتحاد الدُّعاة والجماعات ٤٤٧

التعاون مع الجماعات الإسلامية ٤٥٠

حلقة تضم العلماء لحل الخلافات ٤٥٢

كيف نربط بين الحركات الإسلامية ٤٥٥

نبذ الفرقة وكيفية توحيد المسلمين ٤٥٦

هل الجماعات الحالية مكملة لبعضها ٤٦١

السلفية والتخصص، ورأي الشيخ في التعاون بين الجماعات الإسلامية ٤٦٦

حكم اجتماع الجماعات والتلاقي بينها ٤٧٣

هل هناك مانع من التعاون مع الأحزاب السياسية؟ ٤٧٤

الفصل من الجماعات ٤٧٥

رأي الشيخ في الجماعات الإسلامية.............................. ٤٨٠

رأي الألباني في كتاب الجماعات الإسلامية لسليم الهلالي ٤٨٥

الفهرس.. ٤٨٦